إسعاد البرية

بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث

السيرة النبوية

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تقديم سماحة الشيخ

وحيد بن عبد السلام بالي

حفظه الله تعالى



العلم والمعرفة

التقوى

إسعاد البرية

بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث

السيرة النبوية

تقديم سماحة الشيخ

وحيد بن عبد السلام بالي

حفظه الله تعالى

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

B

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أَصدقَ الحَديثِ كتابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضَلالةٍ في النارِ؛ وَبعدُ.

فلا شَكَّ أنَّ النبيَّ ﷺ حجةٌ علىٰ الناسِ أجمعين، جَعلَ اللهُ رسالته لأَهلِ الأرضِ كلِّهم عربِهم وعجمِهم، وبعثه بالبشارةِ لأهل طاعته، وبالنِّذَارة لأهل معصيته، وافترضَ علينا الائتمارَ بأمره ﷺ، والانتهاءَ

عن نهيه، وتصديقَه فيما أخبر ﷺ، فلا سعادةَ، ولا فلاحَ في الدنيا والآخرةِ إلا باتباعِ هديهِ، والانقيادِ لشرعَتِه.

فالسَّعيدُ مَن تعلَّمَ سنَّتَه ﷺ، وعمِلَ بها، ودعا الناسَ إليها، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

ولا يكتمل إيمان أحدِنا حتىٰ يكونَ النبيُّ ﷺ «**أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١)، ولا سبيلَ للمحبِّ للاقتداء بحبيبه حتىٰ يعلمَ سيرتَه، وسنَّتَهُ، وكلما ازداد علمُه بها ازدادت محبته، ومن ثَمَّ عَظُمَ الاقتداءُ به في قولِه، وفعلِه.

وإنما تُعلَم سنةُ نبينا المعصوم ﷺ بالتلقي عن أهل العلم، أو بالقراءة في الكتب التي نقلت سنته العَصماء، وسيرتَه العطرة.

ولقد ضربَ لنا أصحابُ رسولِنا ﷺ المَثَلَ الأعلىٰ في حبِّه ﷺ، فنقلوا لنا كلَّ حركاتِه وسكناتِه، ولا يكون هذا إلا عن حبٍّ جَمٍّ غزيرٍ؛ إذ لا يُعْلم عن أحد من أهل الأرض قاطبةً أنه نُقِل عنه مثلُ ما نُقل عن رسولِنا العظيم ﷺ، وقد تلقىٰ التابعون هذه السيرة العَطرة عن الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خيرَ تلقٍّ، فتعلَّمُوها، واقتدوا بها في كافة شؤون حياتهم اليومية، ونشروها في رُبوع المعمورة شرقًا وغربًا، جنوبًا وشمالًا، ومن ثَمَّ دُوِّنت سيرتُه ﷺ.

وقدْ تكاثرتِ المُؤلفاتُ التي تحكي لنا سيرةَ سيدِ المرسلين، وإمامِ الأولين والآخرين ﷺ، التي ما عرَفت البريَّةُ مثلَها، ومن تلكم المؤلَفات التي تناولت سيرة النبي ﷺ بطريقة مختصَرةٍ عزيزةٍ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (٤٤)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كتاب شيخِنا الكريمِ **وحيدِ بنِ عبدِ السلامِ بالي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الموسوم بـ «**الخُلاصةُ البَهيَّةُ في ترتيبِ أحداثِ السِّيرةِ النبويةِ**»، فأردت أن أزيدَه نفاسةً وبهجةً بشرحِه شرحا سهلًا ميسورا يفهمه كلُّ من يقرؤه، تلك غايتي، وقد استخرتُ في ذلك مِرارًا وتَكْرارًا، فيسر الله لي جمعه، وتأليفه، لربِّنا الفضلُ، والمنَّةُ.

وقد أَخبرتُ شيخَنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنني شَرعتُ في شرح الكتاب بعدما صُرفْتُ عنه فترةً كبيرةً، فأشارَ عليَّ أن أُوأَلِّفَ كتابًا مستقلًا في سيرة المعصومِ ﷺ، ولكنني ذكرتُ له أنَّ هذا الكتاب -أعني الخلاصة البهية- يمتاز عن غيره بأنه مختصَرٌ، ومن فوائدِ المختَصراتِ أنَّها تضبطُ لطالبِ العلمِ المسائلَ، وتجمعُ شوارده؛ لذا قال عُلماؤنا رحمهم الله: **من حفظَ المتونَ نالَ الفنون**.

وقد جمتُ بين متنِ الكتابِ، وشرحِه، فلم أفصِل بينهما بفاصلةٍ إلا أنني ميَّزتُ المتن باللون الأحمر، وجعلتُه بين قوسين إلا في الغزوات، والسرايا، وما بعدهما.

وغايتي من الجمعِ بين الشرحِ والمتن أن يصيرا وكأنهما كتاب واحدٌ، فلا يُشوَّش ذهنَ القارئ الكريم بكثرةِ الفواصل.

وقد اعتمدتُ في شرحي هذا علىٰ آخر نسخة اعتمدها شيخنا حفظه الله **-أعني من كتاب «الخُلاصةُ البَهيَّةُ في ترتيبِ أحداثِ السِّيرةِ النبويةِ»**.

وقد تميز هذا الكتاب -أعني كتاب «الخُلاصةُ البَهيَّةُ في ترتيبِ أحداثِ السِّيرةِ النبويةِ»- عن غيره من كتب السيرة بعدة مميزات، منها:

١- استيعاب أهم أحداث السيرة النبوية.

٢- ترتيب الأحداث بالسنين، فيذكر عدد أحداث السنة، ثم يذكرها مرتبَّة حسب وقوعها في تلك السنة.

٣- ذكر تاريخ تشريع الفرائض، والحدود، وغيرها.

٤- الاكتفاء بذكر الراجح، وعدم التعرض للخلاف إذا كان في الحدث خلافٌ بين أصحاب السِّيرِ والمغازي.

وأنصحُ لكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يعملوا جاهدين علىٰ نشر سُنة رسول الله ﷺ، وسيرته العطرة، وأن يقرأوا هذا الكتاب علىٰ إخوانهم وأخواتهم في المساجد، ودور التعليم، وغيرها من وسائل التواصل.

وأسأل اللهَ الكريمَ أن يتقبلَه مني وسائر أعمالنا، ويجعله خالصًا لوجهِه الكريم.

كما أسألُه ﷻ أن يرضَىٰ عن كلِّ مَن قرأَه، أو أعانَ علىٰ نشرِه تدريسًا، أو ترجمةً، أو توزيعًا.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

١ محرم ١٤٣٨ هجريا

الموافق ٢/١٠/٢٠١٦م

مَبَادِئُ عِلْمِ السِّيرَةِ

ينبغي لمنْ أرادَ أن يتعلمَ علمًا أنْ يعرِفَ مَبادئَهُ العَشرةَ التي تُصوِّرُ له ذلك العلمَ قبلَ الشروعِ فيه، وهذه المبادئُ مجموعةٌ في قولِ الصبَّانِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّ مَبَادِي كُلِّ فَنٍّ عَشَرَهْ ... الحَدُّ وَالمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَهْ

نِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالوَاضِعْ ... وَالِاسْمُ الاسْتِمْدَادُ حُكْمُ

مَسَائِلٌ وَالبَعْضُ بِالبَعْضِ اكْتَفَىٰ ... وَمَنْ دَرَىٰ الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا

فمَنْ علِمَ هذِه المبادئَ العَشْرةَ أحاطَ بالعِلمِ وتصَوَّره تصوُّرًا جيدًا، مما يؤهِّلُه للدخولِ في دراستِه دراسةً تأصيليةً.

المبْدأُ الأَوَّلُ: الحدُّ «التعريف»:

السيرة لُغَةً: الطريقة[1]، يقال: اتبعتُ سيرتَه، أي: طريقتَه.

وَاصْطِلَاحًا: هو علمٌ يُعرفُ به أحوال رسولِ اللهِ ﷺ منذُ ولادتِه إلىٰ وفاتِه، ولحوقِه بالرفيقِ الأعلىٰ.

المبْدأُ الثَّانِي: مَوْضُوعُهُ:

يتناولُ علمُ السيرة النبوية حياةَ النبي ﷺ منذ ولادته إلىٰ وفاته، ومواقفه مع أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأعدائه.

---

(١) انظر: «لسان العرب»، مادة «سير».

المبْدأُ الثَّالِثُ: ثَمَرَتُهُ:

من أعظم الثمراتِ المرجوة من دراسة علم السيرة النبوية الاطلاعُ علىٰ حياة، وهدي رسولِ الله ﷺ، والاقتداء به في ذلك.

المبْدأُ الرَّابِعُ: فَضْلُهُ:

علم السيرة النبوية من أجَلِّ العلوم وأفْضَلِها؛ لتعلُّقِهِ بحياةِ رسولِ الله ﷺ.

المبْدأُ الخَامِسُ: نَسَبُهُ:

علم السيرة النبوية يُنسب إلىٰ العلوم الشرعية، كغيره من علوم الشرعِ الحنيفِ.

المبْدأُ السَّادِسُ: اسْتِمْدَادُهُ:

يَستمد علمُ السيرة النبوية مادته من ثلاثة مصادر رئيسة:

أحدها: القرآن الكريم.

الثاني: السنة النبوية المطهرة.

الثالث: الآثار المروية عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

المبْدأُ السَّابِعُ: وَاضِعُهُ:

واضع علم السيرة النبوية الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون الذين رَوَوا لنا سيرة رسولِ اللهِ ﷺ.

المبْدأُ الثَّامِنُ: اسْمُهُ:

من أسماء علم السيرة النبوية:

- علم السيرة النبوية.
- وعلم القَصَص، والأخبار النبوية.

- وتاريخ صدر النبوة.

المبْدأُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حكم تعلمه وتعليمه فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.

المبْدأُ العَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

يبحث علم السيرة النبوية في مسائل جزئية كثيرة منها: ولادته ﷺ، وبعثته، وهجرته، وغزواته، وأسفاره، ونحوه.



مقدمات صاحب المتن فضيلة شيخنا

وحيد بن عبد السلام بالي
رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمةُ الطبعةِ الثانيةِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فهذا مختصَر في السيرة، يُرتِّب أحداثَها، ويجمع أطرافها، ويرجِّح في المخْتَلفِ فيه منها، وأسميتُه «**الخلاصةُ البهيةُ في ترتيبِ أحداثِ السيرةِ النبويةِ**»، وأسألُه سبحانه أن يحيينا علىٰ سنةِ نبيِّه ﷺ، وأن يميتَنا علىٰ ملَّتِه، وأن يحشرَنا تحتَ لوائه، وأن يسقيَنا من حوضِه، إنَّ اللهَ هو أكرمُ مسئولٍ، وأعظمُ مرجوٍّ.

الفقيرُ إلى اللهِ
وحيدُ بنُ عبدِ السلام بالي
١٠من رمضان سنة ١٤٢٨هـ

مراحلُ دراسةِ السيرةِ

■ **المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس:**

يقوم الدارس فيها بحفظ متن مختصر، وجامع لأحداث السيرة.

ونرشح في هذه المرحلة:

١- الخُلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية «**حفظ**».

٢- الفُصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير «**دراسة**».

٣- خُلاصة سيرة سيد البشر ﷺ، لمحب الدين الطبري «**دراسة**».

٤- حدائق الأنوار ومَطَالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ، لابن الدَّيْبَع الشيباني «**دراسة**».

٥- الدُّرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر «**دراسة**».

■ **المرحلة الثانية: مرحلة التصور:**

يقوم فيها بدراسة كتاب يهتم بالسرد التاريخي المسلسل لوقائع السيرة.

ونرشح في هذه المرحلة:

١- الرحيق المختوم: للمباركفوري «**دراسة**».

٢- سيرة الرسول ﷺ: للشيخ محمود المصري «**دراسة**».

٣- السيرة النبوية الصحيحة: للدكتور أكرم ضياء العمري «**دراسة**».

■ المرحلة الثالثة: مرحلة الدراسة والتحليل:

يقوم فيها بدراسة كتاب يتناول وقائع السيرة بالتحليل والاستنباط.

ونرشح في هذه المرحلة هذه الكتب بالترتيب:

١- هذا الحبيب يا محب: للشيخ الجزائري «**دراسة**».

٢- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي بن أحمد «**دراسة**».

٣- السيرة النبوية دروس وعبر: د. علي بن الصلابي «**دراسة**».

٤- بدر الكبرىٰ صور من الواقع: د. محمد بن عبده يماني «**دراسة**».

٥- فقه الغزوات: د. محمود بن العيساوي «**دراسة**».

٦- فقه السرايا: د. محمود بن العيساوي «**دراسة**».

٧- الرسول القائد: اللواء محمود شيت خطاب «**دراسة**».

٨- زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن القيم «**دراسة**».

■ المرحلة الرابعة: مرحلة التخصص:

يقوم فيها بدراسة كل حدث أو غزوة أو سرية بالبحث الموسع والدراسة، وذلك بجمع المعلومات في الحادثة الواحدة في كل ما تطوله يده من المراجع في السيرة، مثل:

١- مغازي الواقدي.

٢- السيرة: لابن هشام.

٣- الروض الأُنُف في شرح سيرة ابن هشام: للسهيلي، (٧ مجلدات).

٤- الطبقات الكبرىٰ: لابن سعد.

٥- تاريخ الطبري.

٦- الكامل في التاريخ: لابن الأثير.

٧- البداية والنهاية: لابن كثير.

٨- سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد: للسهيلي، (١٤ مجلدًا).

٩- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: للمقريزي، (١٤ مجلدًا).

١٠- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب: لابن عماد الحنبلي.

١١- عيون الأثر: لابن سيد الناس.

وغيرِ ذلك من المصادرِ التي ستجدُها في هوامش هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.

فضل النية الصالحة

إن السائرَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ يجتهدُ في ألا يعملَ عملا ولو مباحًا إلا بنيةٍ صالحةٍ لكي يثابَ عليه، فإن أكلَ استحضرَ له نيةً، وإن نامَ استحضرَ لذلك نيةً، وكذلك إن باع أو اشترىٰ، أو جالسَ إخوانه أو غير ذلك من الأعمال، وأعلىٰ منه درجة من يستحضر للعمل الواحد عدة نيات، فينال من الأجر والثواب علىٰ قدر نياته لقول النبي ﷺ: «**وإنما لكلِّ امرئٍ ما نَوىٰ**» متفق عليه.

حتىٰ وإن لم يتمكن من تنفيذ بعض هذه النيات لقول النبي ﷺ: «**من هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كتبها اللهُ عندَه حسنةً كاملةً**» متفق عليه.

ومن هذا المنطلق ينبغي أن تستحضر عدة نيات صالحة لدراسة السيرة النبوية العطرة، وسوف أذكر لك ما يحضرني من النيات في ذلك، ثم أترك لك المجال لتزيد علىٰ ذلك مما يفيضه الله عليك من النوايا الصالحة، فإنني لقلَّة علمي وتفريطي في جَنب الله، تراني مقيَّد اليد، عَيِيَّ اللسان في هذا الباب، فأسأل الله الكريم أن يطلق جوارحنا في طاعته، وأن يستعمَلنا في مرضاتِه.

النيات التي ينويها المسلم عند دراسة السيرة

١- ينوي التقربَ إلىٰ اللهِ بدراسةِ هذا العلمِ الشرعيِّ.
٢- يَنوِي مَعْرِفةَ أحوال الرسول ﷺ؛ ليقتدي به.
٣- يَنوِي مَعْرِفةَ مواقف الرسول ﷺ؛ ليزداد له حبا.
٤- يَنوِي مَعْرِفةَ معجزات الرسول ﷺ؛ ليزداد إيمانا.
٥- ينوي الاطلاع علىٰ مواقف النبي ﷺ في البلاء؛ ليزداد ثباتا.
٦- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ كداعية إلىٰ الله.
٧- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في معاملة المسلمين.
٨- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ كزوج في بيته.
٩- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في عبادة ربه.
١٠- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في حالة الغنىٰ.
١١- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في حالة الفقر.
١٢- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في حالة الصحة.
١٣- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في حالة المرض.
١٤- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الطهارة والصلاة؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.
١٥- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الجمعة والعيدين؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

١٦- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الكسوف والاستسقاء؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

١٧- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الجنائز والدفن؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

١٨- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الاستسقاء وصلاة الخوف؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

١٩- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الصيام والزكاة؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٠- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الحج والعمرة؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢١- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الهدايا والأضاحيِّ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٢- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في النكاحِ والطلاقِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٣- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الطعامِ والشرابِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٤- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في البيعِ والشراءِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٥- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الإجارة والمسابقةِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٦- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في العاريَّةِ والوديعةِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٧- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في اللقطةِ والهبةِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٨- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في القصاصِ والدياتِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٢٩- يَنوِي مَعْرِفةَ هدْي النبيِّ ﷺ في الأيمانِ والشهاداتِ؛ للاقْتِدَاءِ بِهِ.

٣٠- ينوي الاقتداء بالنبي ﷺ في معاملة المعاندينَ والمنافقينَ.

٣١- يَنوِي الاقتداءَ بالصَّحابةِ الكِرامِ في مواقفهم البطولية.

٣٢- يَنوِي الاقتداءَ بالصَّحابةِ الكِرامِ في سرعة استجابتهم لأوامرِ اللهِ تعالىٰ.

٣٣- يَنوِي الاقتداءَ بالصَّحابةِ الكِرامِ في سرعة استجابتهم لأوامرِ رسولِ اللهِ ﷺ.

٣٤- يَنوِي مَعْرِفةَ وقائع السيرة وما فيها من عبر وعظات.

٣٥- يَنوِي مَعْرِفةَ حوادثِ السيرة وما يُستنبط منها من أحكامٍ فقهيةٍ.

٣٦- يَنوِي مَعْرِفةَ المتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ من الأحكام.

٣٧- ينوي الاطلاعَ علىٰ مناسبات الآيات التي نزلت في الغزوات ووقائع السيرةِ الأخرىٰ.

٣٨- ينوي الاطلاع علىٰ أحوال السابقين الأولين في حالةِ الاستضعافِ للاقتداءِ بهم إذا حدث له ما يشابه ذلك.

٣٩- ينوي الاطلاع علىٰ أحوال المجتمع الإسلامي الأول من الإخاء والوفاء، والإيثار والتعاون، وصفاء القلوب؛ ليقتدي بهم في ذلك.

٤٠- ينوي الاطلاعَ علىٰ مواقفِ الصحابةِ الكرام في الغزواتِ والسرايا من الصبر والتحمل، والتضحية والفداء لهذا الدين؛ ليقتدي بهم في ذلك.

٤١- تنوي أن تزداد بهذا العلم لله خشية؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

٤٢- تنوي أن تزداد بهذا العلم عند الله رِفعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

٤٣- تنوي أن تحمل هذا العلم للناس، وتدعوهم للعمل بما فيه؛ لما رواه مسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن دعا**

إلىٰ هدىً كانَ له مِنَ الأجرِ مِثلُ أُجورِ مَن تَبعَه، لا يَنقصُ ذلكَ مِن أُجورِهِم شيئًا»[(١)].

٤٤- تنوي أن تتخذ هذا العلم وسيلة لتعليم الناس الخير، فتنال بذلك ثناء الله واستغفار الملائكة، وكذلك استغفار الكائنات، فقد روىٰ الترمذي وحسنه عن أبي أُمَامَةَ البَاهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكِرَ لرسولِ ﷺ رجلانِ: أحدُهما عابدٌ والآخر عالمٌ، فقال ﷺ: «**فضلُ العَالِمِ علىٰ العابدِ كفَضلي علىٰ أدناكم**»، ثم قالَ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[(٢)].

٤٥- تنوي أن تتخذَ السيرةَ وسيلةً للأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكرِ، فتكون من المفلحين، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

٤٦- تنوي أن تتعاونَ مع إخوانك المسلمينَ في نقلِ السيرةِ إلىٰ واقعٍ عمليٍّ في الحياة.

٤٧- تنوي أن تزداد حبا للصحابة فتحشر في زمرتهم لقول النبي ﷺ: «**المرءُ معَ مَنْ أحبَّ**»[(٣)].

٤٨- تنوي أن تُتْقنَ السيرة لترد علىٰ المشكِّكين في رسالة سيد المرسلين ﷺ.

---

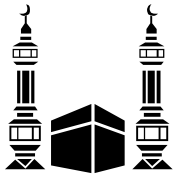
(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤).
(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: حسن غريب صحيح.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

٤٩- تنوي أن تعلم السيرة لزوجتك وأولادك، فيزدادون لله قربا، وبالنبي ﷺ اقتداء، وللصحابة حبًّا.

٥٠- تنوي أن تعيش بروحك ووجدانك مع الرعيل الأول: «**فإنَّهمُ القَوْمُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُم**»[١].



(١) حبذا لو تقرأ هذه النيات قبل أن تبدأ في حفظ كل درس؛ لتجدد النية، وربما يفيض الله عليك بنيات أخرىٰ، فيكثر ثوابك، ويعظم أجرك: «إنَّما الأعمالُ بالنياتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوىٰ» متفق عليه.



مِنَ المَوْلِدِ إِلَى المَبْعَثِ

مِنَ المَوْلِدِ إِلَى المَبْعَثِ

١- «نَبيُّنا ﷺ هُو أَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المطَّلبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيمةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بن نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانَ»[١].

إلىٰ هاهنا مَعلومُ الصحةِ متَّفَقٌ عليه بين النَّسابين، ولا خلافَ فيه ألبتةَ، وما فوقَ «**عَدْنَان**» مختَلَفٌ فيه، ولا خلافَ بينهم أنَّ «**عدنانَ**» من ولدِ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢].

فالنبيُّ ﷺ أشرفُ الناسِ نسبًا، وأكملهم خَلْقًا وخُلُقًا؛ لمَا رَوَاهُ وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[٣].

و «**أَبُو القاسم**» كُنيةٌ من كُنَىٰ النبيِّ ﷺ يجوزُ التَّكني بها بعد وفاته ﷺ؛ لما رواه عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي بَعْدَكَ وَلَدٌ أُسَمِّيهِ بِاسْمِكَ، وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»[٤].

---

(١) «صحيح سيرة ابن هشام» (١١).

(٢) **انظر**: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، لابن قيم الجوزية (١/ ٧٠-٧١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٧٦).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٤٣)، وأبو داود (٤٩٦٧)، والترمذي (٢٨٤٣)، وصححه، وأحمد (٧٣٠)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

ولأنه ثبتَ عن كثيرٍ منَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّهم سمَّوا أبناءهُم محمَّدًا، وكناه أبا القاسمِ، وبه قال جمهورُ السلفِ والخلفِ، وفقهاء الأمصار[١].

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»[٢].

لماذا سمِّيَ النبيُّ ﷺ بـ «محمَّدٍ»؟

لمَّا كان اليومُ السابعُ من ولادة النبي ﷺ ذبحَ عنه جدُّهُ عبدُ المطَّلبِ، ودعا له قريشا، فلما أكلوا قالوا: يا عبدَ المطلب أرأيتَ ابنَك هذا الذي أكرمتنا علىٰ وجهِه ما سميتَه؟.

قال: سميتُه محمَّدًا.

قالوا: فلمَ رغبتَ به عن أسماء أهل بيتِه؟.

قال: أردتُ أن يحمَدَه اللهُ في السماءِ، وخَلْقُه في الأرضِ[٣].

وقالَ حسَّانُ بنُ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وقال بعض العلماء: ألهمهم الله عَزَّوَجَلَّ أن سمُّوه محمدًا؛ لما فيه من الصفات الحميدة؛ ليلتقي الاسم والفعل، ويتطابقَ الاسمُ والمسمَّىٰ في الصورة والمعنىٰ[٤].

---

(١) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، لابن حجر (١٠/ ٥٧٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤)، عنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: «دلائل النبوة»، للبيهقي (١/ ١١٣).

(٤) **انظر**: «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء»، لابن حبان (١/ ٥٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات»، للنووي (٣/ ٧٠)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

٢ - «وُلِدَ ﷺ يتيمًا يومَ الاثنينِ لاثنتي عشرةَ ليلةً خَلتْ مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ منْ عامِ الفيلِ»[١].

ولِدَ ﷺ يَتِمًا؛ لأَنَّ أَباهُ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ المطَّلبِ مَرِضَ أثناءَ رجوعِهِ مِن تجارتِهِ إلىٰ أرضِ الشامِ، فنزلَ عندَ أخوالِهِ بالمدينةِ، فماتَ عندهُم وهو ابنُ خمسٍ وعشرينَ سَنةً، بعد أن تركَ رسولَ الله ﷺ حمْلًا في بطنِ أمِّه[٢].

وهذا أبلغُ اليتمِ، وأعلىٰ مراتبه[٣]، وقد ذَكَرَ اللهُ يُتْمَه ﷺ في كتابِه المجيدِ، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضُّحىٰ:٦].

وأكثرُ أهلِ السيرِ علىٰ أنَّ النبيَّ ﷺ وُلد بعدَ مجيءِ الفيلِ لهدمِ الكعبةِ بخمسينَ يومًا[٤].

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟، فَقَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ**»[٥].

ولمَّا ولدته أُمُّهُ آمنةُ بنتُ وَهْبٍ أَرسلتْ إلىٰ جدِّه عبدِ المُطَّلبِ، فسُرَّ بذلك، وأخذَه، فأدخله الكعبةَ، وقامَ عندها يدعو اللهَ، ويشكرُ ما أعطاه[٦].

---

(١) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٩٩)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ١٥٨)، و«البداية والنهاية»، لابن كثير (٣/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٣٨٢).

(٤) انظر: «الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»، للسهيلي (٢/ ٩٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ١٠٣)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٧)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٠).

مما يستفاد من هذا:

١- كلما كان الداعية في شرف من قومه كان أدعىٰ إلىٰ استماع الناس له.

٢- ينبغي للآباء أن يعتمدوا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في تربيتهم لأولادهم.

٣- «يقولُ ﷺ: «أنَا دعوةُ إبراهيمَ، وبشرى عِيسى، رأتْ أمِّي حينَ حَملتْ بِي كأنَّ نورًا خرجَ منهَا أضاءتْ له قصورُ بُصرَى مِنْ أرضِ الشامِّ»»[(١)].

دعوةُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هي قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة:١٢٩].

وبُشرىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف:٦].

قَالَتْ آمِنَةُ بنتُ وَهْب: رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ، أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرَىٰ[(٢)] مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فو اللهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ، وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ[(٣)].

---

(١) **حسن:** أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧، ٥/ ٢٦٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٢): إسناد أحمد حسن، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٦) وصححه ووافقه الذهبي وقال ابن كثير في «البداية» (٢/ ٣٠٤) بعدما ساقه عن ابن إسحاق بسنده: هذا إسناد جيد قوي.

(٢) **بصرىٰ:** بلدة في دمشق.

(٣) **حسن:** رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٦٥)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧١٦٣)، =

وخروج هذا النورِ عند وضْعه ﷺ إشارةٌ إلىٰ ما يَجيء به من النور الذي اهتدىٰ به أهلُ الأرضِ، وزالَتْ به ظلمةُ الشركِ مِنها كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وأما إضاءةُ قصورِ بُصْرىٰ بالنورِ الذي خرجَ معه فهو إشارةٌ إلىٰ ما خُصَّ الشامُ من نور نبوَّته بأنها دارُ مُلْكِه، وفي آخرِ الزمانِ يَستقرُّ العلمُ والإيمانُ بالشام، فيكونُ نورُ النُّبوةِ فيها أظهرَ منهُ في سائرِ بلادِ الإسلام[1].

مما يستفاد مما سبق:

١- دعوة إبراهيم، وبشارة عيسىٰ عليهما السلام فيهما تقرير لنبوة النبي ﷺ.

٢- ما رأته أمُّه ﷺ يقرر انتشار دعوة النبي ﷺ، وتمكينه.

٤- «ومُرْضِعَتُه ﷺ هيَ حَليمةُ بِنتُ أبي ذُؤيبٍ السَّعدِيَّةُ، ولقدْ ظهرَ بوجودِهِ عِندهَا مِنَ البَركاتِ ما ظَهرَ»[2].

أولُ مَن أرضعتْ رسولَ اللهِ ﷺ هي ثُويْبَة مولاةُ أبي لهبٍ،

= وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٤٥).
قال الهيثمي: «رجالهما ثقات». [انظر: «مجمع الزوائد»، للهيثمي (٨/ ٢٢١)].
وقال الذهبي: «هذا حديث جيد الإسناد». [انظر: «السيرة النبوية»، للذهبي، صـ(٥٠)].

(١) انظر: «لطائف المعارف»، لابن رجب الحنبلي، صـ(٨٧-٨٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٢).

أرضعته أيامًا[١]، ثم أرضعتْه حليمةُ بنتُ أبي ذؤيبٍ السَّعدِيَّةُ، وأخذته معها إلىٰ أرضها، فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردته إلىٰ أمه[٢].

قَالَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ السَّعْدِيَّةُ: خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرَّضَعَاءَ بِمَكَّةَ عَلَىٰ أَتَانٍ[٣] لِي قَمْرَاءَ[٤] قَدْ أَذَمَّتْ[٥]، فَزَاحَمْتُ بِالرَّكْبِ.

وَخَرَجْنَا فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ[٦] لَمْ تُبْقِ شَيْئًا، وَمَعِي زَوْجِي الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٨١).

(٢) «السيرة النبوية»، للذهبي، صـ(٥٠).

فائدة: مرضعات النبي ﷺ:

أرضعته أولًا ثويبة مولاة أبي لهب أياما بلبن ابنها مسروح، وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وأرضعت معهما عمه حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله ابن جحش.

ثم أرضعته ﷺ حليمة السعدية بلبن ابنها عبد الله أخي أُنيسة والشيماء، وأرضعت معه ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

وأرضعنه كذلك: خولة بنت المنذر، وامرأة سعدية، وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة.

وبهذا يكون عدد مرضعات النبي ﷺ ثمانية. [انظر: «زاد المعاد» (١/ ٨١-٨٢)، و«بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل»، للحرضي (١/ ٤١)].

(٣) أتان: أي أنثىٰ حمار.

(٤) قمراء: أي لونها أبيض مائل إلىٰ الحمرة.

(٥) أذمت: أي في ركبتها جُرحٌ.

(٦) سنة شهباء: أي جدباء.

وَمَعَنَا شَارِفٌ[١] لَنَا، وَاللهِ لَا تَبِضُّ عَلَيْنَا بِقَطْرَةٍ[٢] مِنْ لَبَنٍ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا مِنْ صَبِيِّنَا الَّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوْعِ، مَا فِي ثَدْيَيَّ مَا يُغْنِيهِ[٣]، وَمَا فِي شَارِفِنَا مِنْ لَبَنٍ يُغَذِّيهِ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ.

فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ لَمْ تَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَىٰ أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الِانْطِلَاقَ، قُلْتُ لِزَوْجِي: وَاللهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَاللهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ.

قَالَ: لَا عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً.

فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَىٰ أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ.

فَلَمَّا أَخَذْتُهُ، رَجَعْتُ بِهِ إِلَىٰ رَحْلِي، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَوِيَ[٤]، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ - تَعْنِي ابْنَهَا - حَتَّىٰ رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَىٰ شَارِفِنَا تِلْكَ، فَإِذَا إِنَّهَا لَحَافِلٌ[٥]، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ، وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ.

---

(١) شارف: أي ناقة مُسنَّةٌ.

(٢) لا تبضُّ علينا بقطرة: أي لا تنزل لبنا قط.

(٣) يغنيه: أي يشبعه.

(٤) روي: أي شرب حتىٰ شبع.

(٥) حافل: أي كثير اللبن.

وقَالَ لِي زَوْجِي حِينَ أَصْبَحْنَا: وَاللهِ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً[١] مُبَارَكَةً.

فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ.

ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعي، فو اللهِ لَقَطَعَتْ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ، حَتَّىٰ إِنَّ صَوَاحِبِي لِيَقُلْنَ لي: يَابْنَةَ أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَكَ! ارْبَعِي[٢] عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَكَ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟.

فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَىٰ وَاللهِ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ.

فَيَقُلْنَ: وَاللهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا.

ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللهِ أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَّنًا[٣]، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّىٰ كَانَ الْحَاضِرُونَ[٤] مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ: وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبَّنًا.

فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّىٰ مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ[٥].

وَكَانَ يَشِبُّ[٦] شَبَابًا لَا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ، فَكَانَ ﷺ يَشِبُّ فِي الْيَوْمِ

---

(١) نسمة: أي نفس إنسان.

(٢) اربعي: أي انتظري.

(٣) لبنا: أي ممتلئة لبنا.

(٤) الحاضرون: أي أهل البادية.

(٥) فصلته: أي فطمته.

(٦) يشب: أي يكبر.

شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي الشَّهْرِ، وَيَشِبُّ فِي الشَّهْرِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي سَنَةٍ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّىٰ كَانَ غُلَامًا جَفْرًا[١].

فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَىٰ أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَىٰ مُكْثِهِ فِينَا، لِمَا كُنَّا نَرَىٰ مِنْ بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْتُ لَهَا: لَوْ تَرَكْتُ بُنَيَّ عِنْدِي حَتَّىٰ يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْهِ وَبَاءَ[٢] مَكَّةَ.

وَنَحْنُ أَضَنُّ[٣] بِشَأْنِهِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْ بَرَكَتِهِ، فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّىٰ قَالَتِ: ارْجِعَا بِهِ، فَرَجَعْنَا بِهِ[٤].

مما يستفاد من هذا:

١- ثبوت بركة النبي ﷺ علىٰ السيدة حليمة، وأهل بيتها.

٢- خيار الله عَزَّوَجَلَّ أفضل من خيار العبد لنفسه.

٣- تقرير قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

---

(١) جفرا: أي قويًا شديدًا.

(٢) وباء: أي مرض.

(٣) أضن: من الإمساك والبخل، والمعنىٰ: لا نريد أن نتركه.

(٤) حسن: رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٦٢-١٦٤)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧١٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٤٥).
قال الهيثمي: «رجالهما ثقات». [انظر: «مجمع الزوائد»، للهيثمي (٨/ ٢٢١)].
وقال الذهبي: «هذا حديث جيد الإسناد». [انظر: «السيرة النبوية»، للذهبي، صـ(٥٠)].
وقال الدكتور أكرم العمري: «وأما خبر إرضاع حليمة السعدية له في ديار بني سعد، وما ظهر عليه من البركة فهو خبر مستفيض في كتب السيرة قديمها، وحديثها... وإذا كان خبر حليمة الطويل المشتهر حول رضاعه لم يحظَ بتصحيح المحدثين؛ لعلل إسنادية، فإن رضاعه ﷺ في بني سعد من قبل حليمة السعدية ثابت من طرق أخرىٰ». [انظر: «السيرة النبوية الصحيحة»، د. أكرم العمري (١/ ١٠٢)].
وضعف الشيخ حسين سليم أسد إسناده في تخريجه علىٰ «مسند أبي يعلىٰ» (١٣/ ٩٣).

٥ - «وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ أَرْبعَ سنواتٍ أتاهُ ملكانِ فشقَّا صَدرَهُ وغَسَلَا قَلبَهُ، ثُمَّ أَعَادَاهُ»(١).

بَعْدَ مَقْدِمِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ عِندِ أُمِّهِ آمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ بِأَشْهُرٍ أَتَىٰ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ(٢)، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ(٣) - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ(٤).

قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحوَه، فَوَجَدنَاهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ(٥)، فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْنَا لَهُ: مَالك يَا بُنَيَّ؟.

قَالَ: «**جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي**».

فَرَجَعْنَا بِهِ إِلَىٰ خِبَائِنَا، وَقَالَ لِي أَبُوهُ: يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ، فَأَلْحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ، فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَقَدِمْنَا بِهِ علىٰ أُمِّهِ.

فَقَالَتْ: مَا رَدَّكُمَا بِهِ، وَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ مُكْثِهِ عِنْدَكُمَا؟.

فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ، إِلَّا أَنَّا كَفَلْنَاهُ وَأَدَّيْنَا الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا فِيهِ، ثُمَّ تَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَكُونُ فِي أَهْلِهِ.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (١/ ١١٢)، «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ٥٩).

(٢) **لأمه:** أي جمعه، وضم بعضه إلىٰ بعض.

(٣) **ظئره:** أي مرضعته.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (١٦٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **منتقع اللون:** أي متغير اللون.

فَقَالَتْ آمِنَةُ: وَاللهِ مَا ذَاكَ بِكُمَا، فَأَخْبِرَانِي خَبَرَكُمَا وَخَبَرَهُ.

فَوَاللهِ مَا زَالَتْ بِنَا حَتَّىٰ أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ.

قَالَتْ: أَفَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ؟.

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَتْ: كَلَّا، وَاللهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ، وَإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنًا، أَفَلَا أُخْبِرُكِ خَبَرَهُ؟.

قُلْتُ: بَلَىٰ.

فأَخبرتْهَا خَبَرَ حَمْلِهَا الْمُتَقَدِّمَ، ثُمَّ قَالَتْ: دَعِيهِ عَنْكَ وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً[1].

فَكانتْ هذه الحادثةُ سَببًا في إِعادةِ رسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ أُمِّهِ آمنةَ بنتِ وهْبٍ، وجدِّه عبدِ المُطَّلب.

قَالَ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ»[2].

---

(١) **حسن**: رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٦٤-١٦٥)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧١٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٤٥).
قال الهيثمي: «رجالهما ثقات». [**انظر**: «مجمع الزوائد»، للهيثمي (٨/ ٢٢١)].
وقال الذهبي: «هذا حديث جيد الإسناد». [**انظر**: «السيرة النبوية»، للذهبي، صـ(٥٠)].
وقال الدكتور أكرم العمري: «وأما خبر إرضاع حليمة السعدية له في ديار بني سعد، وما ظهر عليه من البركة فهو خبر مستفيض في كتب السيرة قديمها، وحديثها... وإذا كان خبر حليمة الطويل المشتهر حول رضاعه لم يحظَ بتصحيح المحدثين؛ لعلل إسنادية، فإن رضاعه ﷺ في بني سعد من قبل حليمة السعدية ثابت من طرق أخرىٰ». [**انظر**: «السيرة النبوية الصحيحة»، د. أكرم العمري (١/ ١٠٢)].
وضعف الشيخ حسين سليم أسد إسناده في تخريجه علىٰ «مسند أبي يعلىٰ» (١٣/ ٩٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢).

ولا شَكَّ أنَّ التَّطهيرَ مِن حظِّ الشَّيطانِ هُو إرْهَاصٌ مُبكِّرٌ للنُّبُوةِ، وإعدادٌ للعصمة من الشرِّ وعبادةِ غيرِ اللهِ، فلا يحلُّ في قلبِهِ إلا التوحيد الخالص، وقدْ دلت أحداثُ صِبَاهُ عَلىٰ تَحققِ ذلكَ فلم يَرتكبْ إثمًا، ولم يسجدْ لصنمٍ رغْمَ انتشارِ ذلكَ في قومِه[١].

وقد حدثتْ حادثةُ شقِّ صدرِه ﷺ مرَّة أُخرىٰ في الإسراءِ والمعراجِ، كما في قولِه ﷺ: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ[٢] صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ**»[٣].

مما يستفاد من هذا:

١- طهَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قلبَ نبيهُ ﷺ، فَعُصِمَ من الشرِّ، ولم يحلَّ فيه إلا التوحيد الخالص.

٢- جواز نظر الرجل إلىٰ صدر الرجل، ولا خلافَ في جوازه، وكذا يجوز أن ينظر إلىٰ ما فوق سرته وتحت ركبته إلا أن ينظر بشهوة فإنه يحرم النظر بشهوة إلىٰ كل آدمي إلا الزوج لزوجته ومملوكته[٤].

٦ - «ولمَّا بَلغَ ﷺ سِتَّ سَنواتٍ مَاتتْ أمُّهُ بالأبواءِ بينَ مَكةَ والمدينةِ، فكفَلَهُ جدُّهُ عبدُ المطَّلبِ»[٥].

أرادتْ آمنةُ بنتُ وهْبٍ أنْ تُزِيرَ رسولَ الله ﷺ أخوالَه مِن بني عديٍّ

---

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة»، للدكتور أكرم العمري (١/ ١٠٤).

(٢) فرج: أي فتح.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢١٧).

(٥) «صحيح سيرة ابن هشام» (٦٣)، «البداية» (٢/ ٣٠٨).

ابن النجَّارِ، فماتتْ وهي راجعةٌ به إلىٰ مكةَ بالأبواءِ بين مكَّة والمدينة[١].

ثم احتَضنتهُ أمُّ أيمنَ، وقد كانتْ مِلكًا لأبيهِ عبدِ اللهِ، وورِثها عنهُ.

وكفَلَه جدُّهُ عبدُ المُطلبِ، وكان يُؤثره علىٰ أبنائِه، ويُجْلسُه معه علىٰ الفراشِ، ويَمسحُ ظهرَه بيدِه، ويقولُ لأبنائِهِ: «**واللهِ إنَّ لهُ لشَأْنًا**»[٢].

٧ - «ولما بَلغَ ﷺ ثماني سنواتٍ تُوفِّيَ جدُّهُ عبدُ المَطَّلبِ، وكفَلَه عمُّه أَبو طَالبٍ»[٣].

وقَامَ أبو طالبٍ بحقِّ ابن أخيه ﷺ علىٰ أكملِ وجهٍ، وضمَّه إلىٰ ولدِه، وقدمه عليهم، واختصه بفضلِ احترامٍ وتقديرٍ، وظل فوق أربعينَ سنةً يُعزُّ جانبَه، ويبسطُ عليه حمايتَه، ويصادقُ ويخاصِمُ من أجلِه[٤].

وكان ﷺ يرعىٰ الغنمَ مساعدةً منه لعمِّه، وهذه مهنَةُ الأنبياءِ كافةً[٥]؛ لقولِه ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الغَنَمَ**».

فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟.

فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ[٦] لِأَهْلِ مَكَّةَ**»[٧].

٨ - «ولما بلغَ ﷺ الثانيةَ عشرةَ خرجَ به عمُّه أَبو طالبٍ إلى الشامِ، فلمَّا بلغُوا بُصرَى رآهُ بَحِيرَاءُ الراهبُ، فتحقَّقَ فيه صفاتِ النُّبوَّةِ

---

(١) انظر: «الطبقات» الكبرىٰ، لابن سعد (١/ ١١٦)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٨)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٤٠٦).

(٣) «صحيح سيرة ابن هشام» (٦٤)، «الطبقات» (١/ ٩٦)، «البداية» (٢/ ٣١٢).

(٤) انظر: «الرحيق المختوم»، للمباركفوري، صـ(٦٤).

(٥) انظر: «السيرة النبوية»، للدكتور علي الصلابي، صـ(٥٤).

(٦) قراريط: جمع قيراط، وهو جزء من الدينار، وقيل: قراريط اسم موضع قرب جياد بمكة.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢).

فأمرَ عمَّه بردِّه، فَرجَعَ»[١].

خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَىٰ الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا[٢] عَلَىٰ الرَّاهِبِ[٣] هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَلْتَفِتُ.

فَبينمَا هُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، جَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّىٰ جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟.

فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَعْلَىٰ كَتِفِهِ اليُسْرَىٰ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ.

ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ.

قَالَ الرَّاهِبُ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ.

فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ سَحَابَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَىٰ ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ ظِلُّ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَىٰ ظِلِّ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَحْلِفُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ بِلَادِ

---

(١) «الطبقات» (١/ ١٢٢)، «صحيح سيرة ابن هشام» (٦٤)، «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ١٩١).

(٢) أشرفوا: أي اقتربوا.

(٣) الراهب: أي عابد النصارىٰ.

الرُّوم؛ لِأَنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟

قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَىٰ طَرِيقِكَ هَذَا.

فَقَالَ: هَلْ خَلَّفْتُمْ أَحَدًا هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟.

قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا.

قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟

قَالُوا: لَا، فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ.

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ[1] بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟

قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّىٰ رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ[2].

مما يستفاد مما سبق:

١- معرفة رهبان النصارىٰ أن محمدًا ﷺ هو الرسول الخاتم الذي يجب اتباع ما جاء به.

٢- عظيم عداوة كفار أهل الكتاب لرسولنا العظيم ﷺ، وحرصهم علىٰ القضاء عليه، وعلىٰ دعوته.

٣- تقرير قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨].

---

(١) **أنشدكم**: أي أحلف عليكم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٢٠)، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألباني.

٤- حفظ الله، ورعايته للنبيِّ ﷺ.

٩- «ولما بَلَغَ ﷺ الخامِسةَ عَشرةَ كانتْ حربُ الفِجَارِ بينَ قريشٍ وهوازنَ»[١].

هاجت حربُ الفِجَار[٢] بين قريشٍ، ومن معهم مَن كِنانةَ[٣]، وبينَ قَيسِ عَيلَانَ ومن مَعهم من هَوَازن[٤].

وسببها: أنَّ عُروةَ الرَّحَّالَ من بَني هَوازنَ أجارَ تجارةً للنُّعمَانِ بن المُنذرِ[٥] إلىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، فقالَ له رجلٌ من بني كِنانةَ اسمُهُ البَرَّاضُ بنُ قَيسٍ مِن بني كِنَانةَ: أتجيرُها علىٰ كِنَانةَ؟.

قال: نَعَم، وعلىٰ الخَلقِ كلِّهِم.

فقَتلهُ البرَّاضُ في الشَّهرِ الحرامِ.

فأَتىٰ آتٍ قريشًا، فقالَ: إنَّ البرَّاض قد قَتلَ عُروةَ، وهم في الشَّهرِ الحرامِ بعُكَاظٍ.

فارتحلتْ كِنَانَةُ ومعهم قريشٌ، ولم تشعرْ بهم هَوازنُ، ثم بلَّغهم الخبرُ، فأَتْبَعُوهم، فأدركُوهم قبلَ أن يدْخُلوا الحَرمَ، فاقتتلوا حتىٰ جاءَ الليلُ، فدخلَتْ قريشٌ الحرمَ، فأَمْسكتْ عنهم هَوازنُ فلم تقاتِلْهم؛

---

(١) «البداية» (٢/ ٣١٩)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (١٢٨).

(٢) **الفجار:** بكسر الفاء بمعنىٰ المفاجرة كالقتال والمقاتلة، وذلك لأنهم فجروا في الشهر الحرام باستحلال القتل فيه.

(٣) **كنانة:** يتفرع منها قبيلة قريش.

(٤) **هوازن:** فرع من بني قيس عيلان.

(٥) كان النعمان بن المنذر ملكُ الحيرة يبعث بسوق عكاظ في كل عام تجارةً في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتىٰ تُباع هناك، ويشترىٰ له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه.

لأجلِ حُرمةِ البيتِ الحرامِ، ثمَّ التَقَوا بعد هذا اليومِ أيامًا.

وأخرجَ أعْمامُ رسولِ اللهِ ﷺ النَّبيَّ ﷺ، فَشَهِدَ بعضَ أيامِ هذِه الحَربِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْتُ أَنْبُلُ عَلَىٰ أَعْمَامِي**»، أَيْ أَرُدُّ عَلَيْهِمْ نَبْلَ عَدُوِّهِمْ إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا[١].

وإنما سمِّي يوم الفِجَار؛ لأجل استحلالِ المحارم في الشهر الحرام[٢].

وهكذا انتهتْ هذه الحربُ التي كانتْ كثيرًا ما تُشبه حروبَ العربِ، تبدأُ صغيرةً، وتنتهي كبيرةً، حتىٰ أَلَّفَ اللهُ بين قُلوبِهم وأزاحَ عَنهم هذِه الضَّلالاتِ بانتشار نورِ الإسلام بينهم[٣].

مما يستفاد من هذا:

١- تعظيم العرب في الجاهلية للأشهر الحُرُم، وللبيتِ الحرامِ.

٢- كانت العرب في الجاهلية تعظِّمُ حُرمةَ البيتِ الحرامِ أكثر من حُرمةِ الأشهرِ الحُرم؛ ولهذا لمَّا دخلت قريشٌ الحرمَ أمْسكَتْ عنها هوازنُ، فلم تقاتلها.

٣- مشاركة النبي ﷺ في حربِ الفجار أكسبته الجرأةَ، والشجاعةَ منذ نشأته الأولىٰ.

١٠- «ثُمَّ شَهِدَ ﷺ حِلْفَ الفُضُولِ لنُصْرَةِ المَظْلُومِ»[٤].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٨٤-١٨٦).

(٢) **انظر**: السابق (١/ ١٨٦).

(٣) **انظر**: «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين»، للخضري، صـ (١٤).

(٤) «البداية» (٢/ ٣٢١)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (١٢٩).

بعد حربِ الفِجَارِ تداعتْ قبائل من قريش إلىٰ حِلفٍ[١]، فاجتمعَ بنو هاشم، وبنو المطلب، وغيرهم، في دار عبدِ اللهِ بن جُدْعانَ؛ لشرفه وسِنِّه، وتعاهدوا علىٰ أنْ لا يجدوا بمكَّةَ مظلوما من أهلها، أو ممن دخلها من سائر الناسِ إلا نَصروه، وكانوا علىٰ من ظَلَمَه حتىٰ تُردَّ عليه مَظْلَمتُه، فَسَمَّتْ قريشٌ ذلك الحِلفَ حِلفَ الفُضُولِ[٢].

وكان سببُه: أنَّ رَجلا من زُبَيدٍ قدِم مكةَ ببِضَاعَةٍ، فاشتراها منه العاصُ ابنُ وائلٍ، وكانَ العَاصُ ذا قدْر بمكةَ وشرفٍ، فلم يعطِه حقَّهُ، فاستَعدَىٰ عليه الزُّبَيديُّ الأحلافَ: عبدَ الدارِ، ومَخزومًا، وجُمَحَ، وسَهمًا، وعديَّ ابنَ كعبٍ، فأَبَوا أن يُعينوه علىٰ العاصِ بن وائل، وانتَهَروه.

فلما رأَىٰ الزُّبَيدِيُّ الشرَّ عَلا علىٰ جبلَ أبي قُبَيسٍ[٣]، فصاح بأعلىٰ صوتِه بأشعار يصفُ مَظلمَتَه، فقامَ في ذلك الزُّبيرُ بنُ عبدِ المُطَّلب، وقال مَا لِهَذا مَتْرَكٌ؟[٤].

فاجتمعتْ هاشمٌ، وزُهْرَةُ، وتيْمُ بنُ مُرَّةَ، وعَقَدوا هذا الحِلفَ[٥].

وسُمِّي حلفَ الفُضولِ؛ لأجلِ أن مَن قامَ به كان في أسمائِه الفَضلُ، كالفضلِ بن وَدَاعة، والفضلِ بن قُضَاعةَ، والفضلِ بن شُرَاعة، والفضلِ ابن فَضَالَة.

وكان أكرمَ حلفٍ سُمِعَ به، وأشرفَه في العربِ[٦].

---

(١) **حلف:** أي عهد.

(٢) **انظر:** «سيرة ابن هشام» (١/ ١٣٣-١٣٤).

(٣) **جبل أبي قبيس:** جبل بمكة.

(٤) **ما لهذا مترك:** أي لا يصح أن يُترك.

(٥) **انظر:** «الروض الأنف»، للسهيلي (٢/ ٤٥-٤٧).

(٦) **انظر:** السابق (٢/ ٤٥-٤٦).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ**[(١)]، **وَلَوْ أُدْعَىٰ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ**»، تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الْفُضُولَ عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَلَّا يَغْلِبَ ظَالِمٌ مَظْلُومًا[(٢)].

وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ**[(٣)]»[(٤)].

وإنما ورد في هذا الحديث باسم حلف المطيبين؛ لأن العشائر التي عقدت حلف المُطَيِّبينَ هي التي عقدتْ حِلفَ الفضولِ، وحِلفُ المُطيِّبين جرىٰ حينما تنازعَ بنو عبدِ منافٍ مع بني عبدِ الدارِ علىٰ الرِّفادَةِ[(٥)]، والسقاية بمكَّةَ[(٦)].

مما يستفاد مما سبق:

١- مشروعية التعاون علىٰ فعل الخير.

٢- نبذُ الظلم بكل أنواعه.

---

(١) مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ: أي لا أحب نقضه، وإن دفع لي حُمْر النعم في مقابلة ذلك.

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٣٤)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٤٥٦).

(٣) فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ: أي لا أحب أن أنقضه، وإن أُعْطيتُ حُمْر النَّعم في مقابل ذلك.

(٤) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٦٧)، وأحمد (١٦٥٥)، عن عبد الرحمن بن عوفٍ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٥) الرفادة: هي شيء كانت قريش تعين به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالا عظيما أيام الموسم، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتىٰ تنقضي أيام موسم الحج. [انظر: «لسان العرب»، مادة «رفد»].

(٦) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة»، للدكتور أكرم العمري (١/ ١١٢).

٣- تقرير قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

١١- «ولما بَلَغَ ﷺ الخَامِسةَ والعِشْرينَ تَزوَّجَ خَدِيجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[١].

كانت خديجةُ بنتُ خُوَيلِدٍ مِن أزكىٰ قريش نسبًا، وأعظمِهم شرفًا، وأكثرِهم مالًا، وكانتْ تستأجرُ الرجالَ في مالها، فعمل لها رسولُ اللهِ ﷺ في تجارتِها، وخرجَ لها ذاتَ مرةٍ إلىٰ الشامِ في تجارةٍ ومعه غلامُها مَيْسَرةُ حَتىٰ أتىٰ بُصرىٰ فرآه الرَّاهِبُ، وبشَّرَ بنبوتِه مَيسَرةَ، ورأىٰ مَيْسرةُ مِن شأنِه ﷺ ما بَهَره، فأخبرَ سيدتَه خديجةَ بما شاهدَ، وبكلامِ الراهبِ، فرغِبتْ خديجةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إليه أن يتزوجَها لمَا رَجتْ في ذلك من الخيرِ.

فأخبرتْ خديجةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَفِيسَةَ بنتَ منبِّهٍ بأنها تريدُ الزواجَ من محمدٍ ﷺ، فذهبت نَفِيسَةُ إلىٰ محمدٍ ﷺ وكلَّمته في شأنِ خديجةَ، فوافقَها علىٰ ذلك، فتزوجَ ﷺ بخديجةَ بعد ذلك بشهرينِ[٢]، وأصدقَها رسولُ اللهِ ﷺ عشرينَ بَكْرةً، فولدتْ لرسولِ اللهِ ﷺ ولدَه كلَّهمْ إلَّا إبراهيمَ[٣].

١٢- «ولما بَلَغَ ﷺ الخَامسَةَ والثلَاثينَ اختَلفتْ قريشٌ فيمَنْ يَضعُ الحَجرَ الأَسودَ مَكانَه فحكَمَ بينهُم»[٤].

أصابَ مكةَ سيلٌ جارفٌ، فأوشكت الكعبةُ عَلىٰ التَّصدعِ؛ فأرادتْ

---

(١) «تاريخ الطبري» (١/ ٥٢١)، «صحيح سيرة ابن هشام» (٦٧).

(٢) انظر: «إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع»، للمقريزي (١/ ١٧-١٨).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٣).

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (٥/ ١٠٢) بسند صحيح، و«صحيح سيرة ابن هشام» (٦٩)، «البداية» (٢/ ٣٢٨).

قريشٌ هدمَ الكعبةِ، وبناءَها.

فلمَّا أجمعوا أمرهُم عَلَىٰ هدْمها وبنائها، قامَ أبو وهْبِ بنُ عمرٍو المَخزوميُّ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، لا تدخلوا في بنائِها من كسبِكم إلا طيِّبا، لا يدخل فيها مهرُ بَغيٍّ، ولا بيعُ ربا، ولا مظلمةُ أحدٍ من الناس.

فَجزَّأت قريشٌ الكعبةَ، فكان لكلِّ قبيلةٍ جزءٌ تضعُه، ثم إن الناس هَابُوا هدْمها، فقال الوليدُ بن المُغيرةِ: أنا أبدؤكم في هدْمِها، فأخذَ المِعوَل، ثمَّ قامَ عليها، وهو يقول: اللهم إنَّا لا نريدُ إلا الخيرَ، ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنينِ، فتربَّصَ الناسُ تلك الليلةَ، وقالوا: ننظرُ، فإن أصيبَ لم نهدِم منها شيئا وردَدناها كمَا كانتْ، وإن لم يُصبْه شيء، فقد رضي الله صُنعَنا، فهَدَمْنا.

فأصبح الوليدُ لم يمسَّه مكروهٌ، فهدمَ وهدمَ الناس معه، حتَّىٰ انتهىٰ الهَدمُ بهم إلىٰ أساسِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم إن القبائلَ من قريشٍ جمعتِ الحجارةَ لبنائِها، كل قبيلة تجمعُ علىٰ حدةٍ، ثم بَنَوهَا، حتىٰ بلغَ البنيانُ موضعَ الركنِ، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلىٰ موضعه دون الأخرىٰ، حتىٰ همُّوا بأن يقتتلوا، فقال أبو أميةَ بنُ المغيرةِ المخزوميُّ: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ من يدخلُ من بابِ هذا المسجد يقضي بينكم فيه.

فَفَعلوا، فكان أولَ دَاخلٍ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ، فلمَّا رَأوه قَالوا: هَذا الأمينُ، رَضينَا، هذا محمدٌ، فلما انتهىٰ إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: «**هَلُمَّ إليَّ ثوبًا**»، فأُتِيَ به، فأخذَ الرُّكن فوضَعه فيه بيده، ثم قال: «**لِتَأْخُذْ كلُّ قَبيلةٍ بناحيةٍ من الثَّوبِ**»، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا: حتىٰ إذا

بلغوا به موضِعه، وَضَعه هو بيدِه، ثم بَنَىٰ عليه ﷺ[١].

وقد قصُرت بقريشٍ النفقةُ الطيبةُ فلم يَبنوا الكعبةَ علىٰ قواعدِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأخرجوا من الجهةِ الشماليةِ نحوا من ستةِ أَذْرُع، وهي التي تسمَّىٰ بالحِجْرِ والحَطِيمِ[٢]، ورَفعوا بابَها من الأرضِ؛ لئلَّا يدخلَها إلا مَن أرادوا[٣].

وَقَدْ سَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الجَدْرِ[٤] أَمِنَ البَيْتِ هُوَ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي البَيْتِ؟.

قَالَ: «**إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ**».

قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟.

قَالَ: «**فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ؛ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ، أَنْ أُدْخِلَ الجَدْرَ فِي البَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ**»[٥].

مما يستفاد مما سبق:

١- عظيم مكانة النبيِّ ﷺ عند قريشٍ قبل البَعثة حيثُ كانوا يصفونه بالأمين.

---

(١) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ١٤٥-١٤٦)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ١٩٢-١٩٧).

(٢) **الحطيم**: قيل: سمي حطيمًا؛ لأن الناس يزدحمون فيه حتىٰ يحطمَ بعضهم بعضا، وقيل: لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطوافِ.

(٣) **انظر**: «الرحيق المختوم»، للمباركفوري، صـ(٦٨).

(٤) **الجدر**: أي حِجْر الكعبة.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

٢- ينبغي للداعية أن يتحلىٰ بمكارم الأخلاق؛ فهذا أعظم سبيل للتأثير في الناس.

٣- تقرير القاعدة التي تقول: «**دَرء المفاسد مقدَّمٌ علىٰ جلب المصالح**»، فالنبي ﷺ لم يهدِم الكعبة ويُعِدْ بناءَها علىٰ قواعدِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأجل درء المفسدة، وهي أن أهلَ مكةَ كانوا حديثي عهدٍ بكفر، فخاف أن تنكر قلوبهم ذلك.

١٣- «ولما بَلغَ ﷺ الثَّامنةَ والثلاثينَ تَرادَفتْ عليهِ عَلاماتُ نُبوَّتِهِ، وَتحدَّثَ بهَا الرُّهْبانُ والكهَّانُ»[١].

كانت الأحبارُ من يهود، والرهبانُ من النصارىٰ، والكهانُ من العربِ، قد تحدثوا بأمرِ رسولِ الله ﷺ قبلَ مبعثِه، لما تقاربَ مِن زمانِه.

أما أحبارُ يهود، ورهبانُ النصارىٰ، فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفتِه وصفةِ زمانِه، وما كان من عهدِ أنبيائِهم إليهم فيه.

وأما كهانُ العربِ فأتتهم به الشياطينُ من الجنِّ فيما تَسترقُ من السَّمع من السماءِ قبل أنْ تُحجبَ عن ذلك بالقَذْف بالنجوم.

فلما اقتربَ زمان مبعثِ رسول الله ﷺ، حُجِبتِ الشياطينُ عن السَّمعِ، وحيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فَرُمُوا بالنجومِ، فعَرَفتِ الجنُّ أن ذلك لأمرٍ حدثَ من أمرِ اللهِ في العبادِ.

يقولُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ لنبيِّه محمدٍ ﷺ حين بعثَه، وهو يقصُّ عليه

---

(١) «حدائق الأنوار» (١/ ١٥٨)، «صحيح سيرة ابن هشام» (٧٤).

خبرَ الجنِّ إذ حُجبوا عن السمع، فعرَفوا ما عرَفوا، وما أنكروا من ذلك حينَ رأوَا ما رأوَا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن:١-٣]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن:٩-١٠][(١)].

وخرجَ زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفيل يبتغي الدينَ الحقَّ، فلقيَ أحبارَ يَثربَ يعبدونَ الله، ويشركونَ به، وكذلك أحبارَ فَدَكَ، وأحبارَ خَيْبرَ، إلىٰ أن لقي حَبْرًا من أحبارِ الشام، فقال له: «**أَتَسْأَلُ عَنْ دِينٍ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَعْبُدُ اللهَ بِهِ إِلَّا شَيْخًا بِالْجَزِيرَةِ؟**».

فَخَرَجَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي خَرَجَ لَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ فِي ضَلَالٍ إِنَّكَ تَسْأَلُ عَنْ دِينٍ هُوَ دِينُ اللهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ، وَقَدْ خَرَجَ فِي أَرْضِكَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ارْجِعْ فَصَدِّقْهُ وَاتَّبِعْهُ وَآمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ، فَلَمْ أُحِسَّ نَبِيًّا بَعْدُ**».

وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**»[(٢)].

وعنْدَما قصَّ النبيُّ ﷺ خَبَرَ نزولِ الوَحي عَليهِ في غارِ حِراءَ عَلىٰ

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٨١٣٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧٢١٢)، والبزار في «مسنده» (١٣٣١)، والطبراني في «الكبير» (٤٦٦٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٨).
قال الهيثمي: «أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث». [**انظر**: «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١٨)].
قال البوصيري: «رجاله ثقات». [**انظر**: «إتحاف الخيرة المهرة»، للبوصيري (٣/ ٢٠٧)].

وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[١] الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا[٢]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**».

قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[٣]، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[٤] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ[٥].

وفي قصةِ سَلْمَانَ الفَارِسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهورةِ في بحثِه عن الدينِ الحقِّ، قَالَ لهُ الراهبُ حين حضرته الوفاةُ: «**أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَىٰ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَىٰ أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ[٦] بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَىٰ: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ**»[٧].

وكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا خرَج لحاجتِه أبعدَ، فلا يمرُّ رسولُ الله بحجرٍ، ولا شجرٍ إلا قال: «**السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ**»، فيلتفت الرسولُ حولَه، وعن يمينه، وعن شماله، فلا يَرىٰ إلا الشجرَ والحجارةَ، فمكثَ رسولُ الله ﷺ كذلك يرىٰ ويسمع ما شاء اللهُ أن

---

(١) **الناموس**: هو صاحب السر، والمراد جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، سمي بذلك؛ لاختصاصه بالوحي.

(٢) **جذعًا**: أي شابًّا

(٣) **مؤزرًا**: أي قويًا من الأزر وهو القوة.

(٤) **ينشب**: أي يلبث.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦) **حرتين**: مثنىٰ حَرة، وهي أرض ذات حجارة سوداء، والمدينة بين حرتين.

(٧) **حسن**: رواه أحمد (٢٣٧٣٧)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٦٠).

يَمكثَ، ثم جاءَه جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بما جاءَه من كرامَة اللهِ، ووحْيه[١].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»[٢].

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَخَرَجَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ، وَلَا جَبَلٌ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ»[٣].

١٤- «ولما بَلغَ ﷺ التَّاسِعةَ والثلاثينَ، حُبِّبَ إليهِ الخَلوةُ، فكانَ يخلو بغارِ حِراءَ شهرَ رمضانَ يَتحنَّفُ[٤] فِيهِ»[٥].

أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ[٦] فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا تحقَّقتْ ووقعَتْ فِي يقظتِهِ كمَا رآهَا ﷺ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلْوَةُ[٧]، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَيَتَعَبَّدُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ١٥٧)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ١٤٦)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧)، عن جابر بن سَمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٣٨)، وقال: «هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه»، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٤٦)، وصححه الذهبي.

(٤) يتحنف: أي يتعبد علىٰ ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) «حدائق الأنوار» (١/ ١٥٩).

(٦) الصالحة: أي الصادقة، وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها.

(٧) الليالي ذوات العدد: أي مع أيامهن، واقتصر عليهن للتغليب؛ لأنهن أنسب للخلوة، ووصف الليالي بذوات العدد لإرادة الكثرة لاحتياجها إلىٰ العدد.

إِلَىٰ خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا[١].

١٥- «وقبلَ مَبْعثِهِ بستَّةِ أشهرٍ كانَ وحيُه منامًا، وكانَ لا يَرَى رؤيَا إلَّا جَاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»[٢].

فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا تحقَّقتْ ووقعَتْ في يقظتِهِ كمَا رآهَا ﷺ[٣].

فَائِدَةٌ: صِفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ المفرِطِ فِي الطُّولِ، وَلَا بِالقَصِيرِ، وَلَا بِالأَبْيَضِ شَدِيدِ البَيَاضِ، وَلَيْسَ بِشَدِيدِ السُّمْرَةِ، وَكَانَ شَعْرُهُ ﷺ وَسَطًا بينَ الجُعُودَةِ، والاسْتِرسَالِ، فَلَيْسَ بِالْجَعْدِ شَدِيدِ الجُعُودَةِ، وَلَا بالمُسْتَرْسِلِ، تُوُفِّيَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ[٤].

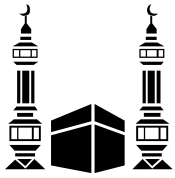
---

(١) **انظر:** «صحيح البخاري» (٣)، و«صحيح مسلم» (١٦٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إلا «فِي شَهْرِ رَمَضَانَ» إنما ذكرها ابن هشام في «السيرة» (١/ ٢٣٥).
فيتزوّد لمثلها: أي إذا جاء شهر رمضان الذي كان يخلو فيه.

(٢) «حدائق الأنوار» (١/ ١٥٩).

(٣) **انظر:** «صحيح البخاري» (٣)، و«صحيح مسلم» (١٦٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



مِنَ البَعثَةِ إلى الهِجْرةِ

مِنَ البَعثَةِ إلى الهِجْرةِ

١- «ولمَّا بَلغَ ﷺ أَرْبَعينَ سَنَةً جَاءَهُ جِبرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالوحْي مِنْ رَبِّهِ وهُوَ في غارِ حِراءَ»[(١)].

بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَىٰ إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَىٰ المَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ[(٢)].

وأجمعَ أهلُ العلمِ علىٰ أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَه اللهُ ﷻ علىٰ رأسِ أربعينَ سنةً منَ عُمرِه[(٣)].

وأَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ[(٤)] فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا تحَقَّقَتْ فِي يقَظَتِهِ كَمَا رآهَا فِي منامِهِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلْوَةُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ، فَيَتَعبَّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الوَحيُ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: اقْرَأْ.

قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**[(٥)]».

---

(١) «تاريخ الطبري» (١/ ٥٢٨)، «البداية» (٣/ ٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٥١، ٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) **انظر**: إمتاع الأسماع، للمقريزي (١/ ٦٤).

(٤) **الصالحة**: أي الصادقة، وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها.

(٥) **ما أنا بقارئ**: لا أعرف القراءة.

قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي**(١) **حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ**(٢) **ثُمَّ أَرْسَلَنِي**(٣).

فَقَالَ: اقْرَأْ.

قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقْرَأْ.

فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق:١-٢]».

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ(٤)، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي**(٥) **زَمِّلُونِي**»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ(٦).

فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**».

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ(٧) اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(٨)، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ(٩)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ(١٠)، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ(١١).

---

(١) **فغطني**: أي ضمني حتىٰ حبس نفسي.
(٢) **الجهد**: غاية وسعي.
(٣) **أرسلني**: أي أطلقني.
(٤) **يرجف فؤاده**: أي يخفق قلبه، ويتحرك بشدة.
(٥) **زملوني**: أي غطوني.
(٦) **الروع**: أي الفزع.
(٧) **ما يخزيك**: أي لا يذلك، ولا يضيعك.
(٨) **تحمل الكَل**: أي تقوِّي من شأن الضعيف.
(٩) **تكسب المعدوم**: أي تعطي الناس مَا لَا يجدونه عند غيرك.
(١٠) **تقري الضيف**: أي تكرمه.
(١١) **نوائب الحق**: أي ما ينزل بالإنسان من المهمات، وأضيفت إلىٰ الحق لأنها تكون في الحق والباطل.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّىٰ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ(١) فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ(٢)، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ .

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَىٰ.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ(٣) الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا(٤) جَذَعًا(٥)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**».

قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ(٦)، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ(٧) أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا(٨).

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَانْقَطَعَ نُزُولُ الوَحْيِ مُدَّةً(٩).

---

(١) **تنصر**: أي ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية.

(٢) **الكتاب العبراني**: أي الإنجيل.

(٣) **الناموس**: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومعناه: صاحب السر.

(٤) **فيها**: في حين ظهور نبوتك.

(٥) **جذعًا**: أي شابًا.

(٦) **عودي**: أي صار له أعداء.

(٧) **يومك**: أي يوم ظهور نبوتك، وانتشار دينك.

(٨) **مؤزرًا**: أي قويًا.

(٩) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢- «ظَلَّ ﷺ يَدعُو إلى اللهِ سِرًّا ثَلاثَ سَنَواتٍ»(١).

أَمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه ﷺ أن يدْعوَ قومَه إلىٰ الإسلام، فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدَّثر:١-٧].

فاستَجابَ النَّبيُّ ﷺ لأَمرِ اللهِ، فأخذَ يَدعُو إلىٰ عِبادةِ الله وحدَه ونَبذِ الأصنام، ولكنه كانَ يدعو إلىٰ ذلك سرًّا حَذَرًا من وَقْعِ المُفاجَأةِ علىٰ قُريشٍ الَتي كانتْ مُتَعصِّبةً لشرْكِها ووثنيَّتِها، فلمْ يَكنْ ﷺ يُظْهِرُ الدَّعوةَ في المَجالسِ العُمُوميةِ لقُريشٍ، ولم يَكنْ يدعُو إلا مَن كانتْ لهُ قرابةٌ قَوِيَّةٌ، أو مَعرفةٌ سَابقةٌ(٢).

٣- «أَسْلمَ السَّابقونَ الأوَّلونَ مثلُ خديجةَ، وعليٍّ، وزيدٍ، وأبي بكرٍ، وغيرِهِم»(٣).

كانت نتيجةُ الدَّعوةِ السِّرِّيةِ إسلامَ الرَّعيلِ الأولِ مِنَ الصحابةِ رضي الله عنهم، فأولُ من أسلمَ من الرجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ، ومن النساءِ خديجةُ، ومن العبيدِ زيدُ بنُ حارثةَ، ومنَ الغِلمانِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنهم(٤).

وهؤلاءِ همْ أقربُ الناسِ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، لذلكَ كانوا أَوْلىٰ بدعْوَته ﷺ، وأسرعَ في إجابتِه.

ثمَّ دخلَ الناسُ في الإسلامِ جماعاتٍ مِنَ الرِّجالِ والنساءِ، حتَّىٰ

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٢٥) و«صحيح مسلم» (٨٣٢).
(٢) انظر: «فقه السيرة»، للبوطي، صـ(٦٨).
(٣) «البداية» (٣/ ٢٩).
(٤) انظر: «البداية والنهاية» (٤/ ٧٣).

انْتشرَ ذكرُ الإسلامِ بمكة، وتحدَّثَ النَّاسُ بِه[١].

٤- «ثمَّ أُمِرَ ﷺ بالجَهرِ فَجَهرَ فعادَاه قومُهُ»[٢].

مازال النبيُّ ﷺ يدعو إلىٰ الله سرًّا حتىٰ نزلَ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجر:٩٤]، فخرج هو وأصحابه[٣].

أَمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رسولَه ﷺ أن يَجْهَرَ بما جاءَه مِن الحقِّ، وأنْ يُظهرَ للناسِ دعوتَه، وأن يَدعوَ إِليه، وكان بينَ دعوتِهِ السرِّيةِ، ودعوتِهِ الجَهْرِيَّةِ ثلاثُ سنينَ.

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجر:٩٤][٤].

فهذا أمرٌ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه ﷺ بإبلاغِ ما بعثَه بهِ وبإنفاذِه والصدعِ به، وهو مواجهةُ المشركينَ به، وبتبليغِ ما أُنْزلَ إليهِ من ربهِ، ولا يلتفتُ إلىٰ المشركينَ الذينَ يريدونَ أن يَصدُّوه عنْ آياتِ اللهِ[٥].

ولَمَّا أُنْزلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ صَعِدَ جَبَلَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «**يَا صَبَاحَاهْ**[٦]».

فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ[٧]؟.

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٢).

(٢) «البداية» (٣/ ٣٥)، «السير والمغازي» (١٤٥).

(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٥٢).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٥) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥١).

(٦) **يا صباحاه**: كلمة يقولها المستغيثُ؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح فكأن المستغيث يقول: قد غَشينا العدو.

(٧) **يهتف**: أي يصيح، ويرفع صوته.

فَقَالُوا: قَالُوا: مُحَمَّدٌ.

فَقَالَ: «**يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**».

فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ**[1] **هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**».

قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا.

فَقَالَ: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.**

يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ.

فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا».

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا[2] لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المَسَد:١-٢][3].

---

(١) **سفح**: أي أسفل، وقيل: عَرضه.

(٢) **تبا**: أي هلاكًا، وخسرانًا.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٢٧، ٤٧٧٠، ٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٤، ٢٠٨)، عن أبي هريرة، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٥- «قَامَ كفَّارُ قريشٍ بتعذيبِ مَنْ عَلِمُوا بإسلامِهِ؛ ليردُّوهُم عن دينِهم لكنَّهُم صبروا وثبتُوا»[١].

كان من نتيجةِ الجَهر بالدعوةِ أن كلَّ قَبيلةٍ وَثبتْ علىٰ مَن فيها مِن المُسلمينَ، فجَعَلوا يحبسونَهم ويعذِّبُونَهم بالضربِ والجوعِ والعطشِ، وبرمضاءِ[٢] مكةَ إذا اشتدَّ الحرُّ، من استضعِفوا منهم، يفتنونَهم عن دينِهم، فمنهُم من يفتنُ من شدَّةِ البلاءِ الذي يُصيبُه، ومنهُم من يَثبتُ، ويعصمُه اللهُ منهم[٣].

فكان أَبو جهلٍ إذا سمِع برجلٍ قد أسلمَ، وَله شَرفٌ ومَنَعَةٌ في قَومِهِ، وَبَّخَهُ وأَخْزَاهُ، ويَقُولُ لهُ: تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ مِنك، لنُسَفِّهنَّ حِلْمَك، وَلَنُفَيِّلَنَّ رأيَك[٤]، ولنضَعَنَّ شرفَكَ، وإنْ كانَ تاجرًا قالَ: واللهِ لَنُكَسِّدَنَّ تجارتك، ولنُهلكَنَّ مالكَ، وإن كانَ ضعيفًا ضَربَه وأغْرَىٰ به[٥].

وكانت بنُو مخزومٍ يخرجون بعمَّارِ بن ياسرٍ، وبأبيهِ، إذا حُمِيتِ الظَّهيرةُ، يعذِّبونهم برمضاء مكة، فيَمُرُّ بهم رسولُ اللهِ ﷺ، فيقولُ: «**أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»[٦]، فأما أمُّه فقتلوهَا، وهيَ لا تُريدُ إلا الإسلامَ[٧].

---

(١) «البداية» (٣/ ٣٦).

(٢) **الرمضاء**: الرمل الحارة من شدة حرارة الشمس.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٧٨).

(٤) **لنفيِّلن رأيك**: أي لنقبحنه، ونخطئنه.

(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٢٠)، و«الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (١/ ٦٦٧).

(٦) **صحيح**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٥٦٦٦)، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «علىٰ شرط مسلم»، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح السيرة»، صـ(١٥٤).

(٧) **انظر**: «البدء والتاريخ»، للمطهر المقدسي (٥/ ١٠٠)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٩-٣٢٠).

وكان أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ الجُمَحيُّ يعذِّب بلالَ بنَ رَبَاحٍ، ويطرحُه علىٰ ظهرِه في نصفِ الظَّهيرة، ويضعُ صخرةً عظيمةً علىٰ صدرِه، ويقولُ: لا تزالُ هكذا حتىٰ تموتَ أو تكفرَ بمحمدٍ وربِّه، وهو يقولُ: أَحدٌ أَحدٌ، فمرَّ بِه أبو بَكرٍ يومًا، فقال: إلىٰ متىٰ تعذِّبُ هذا المسكينَ؟.

قال أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ: أنتَ أفسدتَه، فأَنْقِذْهُ.

قال أَبو بكرٍ: نَعمْ عِندِي غُلامٌ علىٰ دِينكَ أَجْلدُ منهُ، وأقوَىٰ فَخُذْه مَكانَه فأخذ أبو بكرٍ بلالًا فأعتَقَه[1].

وأخذ الكفَّارُ خَبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ، وعذَّبوه عذابًا شديدًا، فكانوا يُعرُّونَه ويُلصِقون ظَهرَه بالأَرض في شدةِ الحرِّ، ثم بِالحجارةِ المحَمَّاةِ بالنار، ولوَوا رأسَه، فلم يُجبْهم إلىٰ شيء مما أرادوا منه.

وكان صهيبُ بنُ سِنانٍ الرُّوميُّ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ يعذَّبانِ في الله عذابًا شديدًا.

وكان أبو فُكَيهَةَ عبدًا لصفوانَ بنِ أميَّةَ بن خلفٍ الجُمحيِّ، فأخذَه أميةُ بنُ خلفٍ وربطَ في رِجلِهِ حَبلًا، وأَمَرَ بِهِ فَجُرَّ، ثم ألقاهُ في الرَّمضاءِ، ومرَّ بِهِ جُعْلٌ[2] فقالَ له أُمَيةُ: أليس هذا ربك؟.

فَقالَ أبو فُكَيهَةَ: اللهُ ربي وربُّكَ، وربُّ هذا.

فخنَقَه خنقًا شديدًا، ومعه أخوه أُبيُّ بنُ خَلفٍ يقولُ: زِدهُ عذابًا حتىٰ يأتيَ محمدٌ، فيخلِّصَهُ بسحرِه.

ولم يَزل أبو فُكَيهَةَ علىٰ تلك الحالِ حتىٰ ظَنُّوا أنه قد ماتَ، ثُمَّ

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٣)، و«البدء والتاريخ»، للمطهر المقدسي (٥/ ١٠١)، و«الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (١/ ٦٦٣-٦٦٤).

(٢) جُعْل: أي دابة سوداء من دواب الأرض.

أفاقَ، فَمرَّ به أبو بكرٍ فاشتراه، وأعتَقَه[١].

٦- «عَقَدَ النَّبيُّ ﷺ اجتِماعَاتٍ سِرِّيَّةً بالمُسْلِمِينَ في دَارِ الأرقمِ ليُعَلِّمَهُم شرائعَ الإسلامِ»[٢].

كان من نتيجةِ الاعتداءاتِ، والانتهاكاتِ التي تعرَّضَ لها المسلمونَ في بدايةِ الدعوة أن يجتمعَ النبيُّ ﷺ بأصحابِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سرًّا في دارِ الأرقمِ؛ ليعلِّمَهم مَبَادِئَ الإسلام؛ لئلَّا يَصطدمَ بكفارِ قريشٍ، فَيعمَلوا فيهم بشتَّىٰ أنواعِ التعذيبِ.

وكان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ إذا صَلَّوا، ذهبُوا في الشِّعابِ، فاستَخفَوا بصلاتِهم من قومِهم، فبينا سَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ في شِعبٍ[٣] من شِعابِ مَكةَ، إذ ظهَرَ عليهم نفرٌ مِن المشركينَ وهم يصلُّونَ، فأنكروا عليهم، وعابوا ما يصنعونَ حتىٰ قاتلوهم، فضَربَ سَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ يومئذٍ رجلا منَ المشركينَ، فشجَّ رأْسَهُ، فكانَ أولَ دمٍ أُريقَ في الإسلامِ[٤].

٧- «وفي السَّنَةِ الخَامِسةِ منَ البَعثةِ: هَاجرَ جَماعةٌ منَ الصَّحابةِ إلى الحبَشةِ بإذْنِ رسولِ اللهِ ﷺ حِفَاظًا على دينِهم، منْهُم: عثمانُ بنُ عفَّانَ، والزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ»[٥].

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (١/ ٦٦٥-٦٦٦).

(٢) «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (١٩٥).

(٣) الشِّعْب: ما انفرج بين الجبلين.

(٤) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (١/ ١٤٧)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٣).

(٥) «السير والمغازي» (١٢٣)، «البداية» (٣/ ٧٢).

لمَّا كثُر المُسلمونَ خافَ منهم الكفارُ فَاشتدَّ أذاهُم وتعذيبُهُم لهم، فأذِن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلىٰ الحبشةِ وقالَ لهمْ: «**إنَّ بها مَلِكا لا يُظْلَمُ النَّاسُ عنْدَه**»، فهاجرَ من المسلمينَ اثنا عشرَ رجلًا وأربعُ نِسْوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار، فبلغهم أن قريشا أسلمتْ، وكان هذا الخبرُ كذِبًا فرجعُوا إلىٰ مكةَ، فلمَّا بلغَهم أنَّ الأمرَ أشدُّ مما كان رجعَ منهم مَن رجعَ ودخلَ جماعةٌ منهم مكَّةَ، فَلَقُوا مِن قريشٍ أذىً شديدًا[(١)].

الهجرةُ الثانيةُ إلى الحبشةِ:

ثم أَذِنَ النبيُّ ﷺ لهم في الهجرةِ ثانيًا إلىٰ الحبشةِ، فهاجرَ من الرجالِ ثلاثةٌ وثمانونَ رجُلًا، ومن النساءِ ثَمانِ عشرةَ امرأةً، فأقاموا عند النَّجَاشيِّ علىٰ أحسنِ حالٍ، فبلغَ ذلك قريشًا، فأرسلُوا عمرَو بنَ العاصِ، وعبدَ اللهِ بنَ أبي رَبِيعةَ في جماعةٍ، ليَكِيدُوهُم عِندَ النَّجاشيِّ، فردَّ اللهُ كيدَهُم في نُحورِهم[(٢)].

٨- «وَفِي السَّنَةِ السادِسةِ منَ البَعثةِ: أَسْلمَ حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلبِ، وعُمرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَعَزَّ الإِسْلامُ بإِسْلامِهِمَا»[(٣)].

منَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ المُسلمينَ بإسلامِ عُمرَ بنِ الخطابِ، وبحمْزةَ بنِ عبدِ المطلبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللذَينِ جعَلا أصحابَ رسولِ الله ﷺ في عِزَّةٍ، ومَنَعَةٍ مِنْ قُريشٍ، فكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن إسلامَ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٩٥).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٩٥).

(٣) «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٢١٢).

عمرَ كان فتحًا، وإن هجرتَه كانت نصرًا، وإن إمارتَه كانت رحمةً، ولقد كنا ما نُصلي عند الكعبةِ حتىٰ أسلمَ عمرُ، فلما أسلمَ قاتلَ قريشا حتىٰ صلىٰ عند الكعبةِ، وصلَّينا معه[١].

أما حمزةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان سببُ إسلامِه أن أبا جهل مرَّ برسولِ الله ﷺ عند جبلِ الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه، فلم يكلِّمْه رسولُ الله ﷺ، وسمِعتْهَ مولاةٌ لعبدِ اللهِ بن جُدعان، ثم انصرف عنه فعمِد أبو جهل إلىٰ نادٍ[٢] من قريشٍ عند الكعبةِ، فجلس معهم، فلم يلبث حمزةُ بنُ عبدِ المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أقبل متوشِّحًا[٣] قوسَه، راجعًا من صيدٍ له، وكان إذا رجعَ من صيدِهِ لم يصلْ إلىٰ أهلِه حتىٰ يطوفَ بالكعبةِ، وكان أعزَّ فتىٰ في قريش، وأشدَّ شَكيمَةً[٤]، فأخبرته المولاة بما حدث مع ابن أخيه محمد ﷺ.

فخرجَ حمزةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسعىٰ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيَه أن يُوقِع به، فلما دخلَ المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبلَ نحوه، حتىٰ إذا قام علىٰ رأسه رفع القوس فضربه بها فشجَّه شجَّةً مُنْكَرة، ثم قال: أتشتُمُه وأنا علىٰ دينه أقولُ ما يقولُ؟ فَرُدَّ ذلك عليَّ إنِ استطعتَ.

فقامتْ رجالٌ مِن بني مخزوم إلىٰ حمزةَ؛ لينصروا أبا جَهل، فقالَ أبو جَهلٍ: دعوا أبا عُمَارةَ[٥]، فإني واللهِ قد سَببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤٢).

(٢) النادي: أي مجلس القوم.

(٣) متوشحًا: أي متقلدًا.

(٤) أشد شكيمة: أي كان عزيز النفس أبيًّا قويًا، وأصله من شكيمة اللجام، فإن قوتها تدل علىٰ قوة الفرس.

(٥) أبو عمارة: كنية حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وثبتَ حمزةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ إسلامِه، فعرَفتْ قريشٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قدْ عَزَّ وامْتنَعَ، وأنَّ حمزةَ سيمنَعُه، فكفُّوا عنْ بعضِ ما كانوا ينالونَ منه[١].

وأما عُمرُ فكانَ رَجلا أَبِيَّ النفْسِ، قويًّا، عزيزًا، رقِيقًا.

قيل: إنَّ سببَ إسلامِه أنَّه خرجَ ذاتَ ليلةٍ إلىٰ الكعبةِ يريدُ الطوافَ بها، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي، فسمِعَه يَقرأُ القرآنَ، فرَقَّ له قلبُه، وبكىٰ، ودخلَ الإسلامُ قلبَه، فلما انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ بيته، تبعَه.

فقالَ له النبيُّ ﷺ: ما جاءَ بكَ يا ابنَ الخطابِ هذه الساعةَ؟ .

قالَ عُمرُ: جئتُ لأُومِنَ باللهِ وبرسولِه.

فحمِد رسولُ اللهِ ﷺ اللهَ، ثم قالَ: «**قَدْ هَدَاكَ اللهُ يَا عُمَرُ!**»، ثم مسحَ صدْرَهُ، ودعا له بالثَّبات[٢].

وقيل: إنَّ سببَ إسلامِه أَنَّ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ زَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ يَذْهَبُ إِلَىٰ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ.

فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا[٣] سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمُّهُ حَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٩٠-٢٩١).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤٦-٣٤٩).

(٣) متوشحًا: أي واضعًا سيفه في عنقه.

لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟.

فَقَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ[١]، الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا[٢]، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلِهَتَهَا، فَأَقْتُلُهُ.

فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: وَاللهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَىٰ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا! أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟.

قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟.

قَالَ: خَتَنُكَ[٣]، وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَاللهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَىٰ دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا.

فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إِلَىٰ أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ، وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ، فِيهَا: ﴿طه ۝١﴾ يُقْرِئُهُمَا إِيَّاهَا، فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، دَخَلَ خَبَّابٌ فِي حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ لَهُمْ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَىٰ الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ[٤] الَّتِي سَمِعْتُ؟.

قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا.

قَالَ: بَلَىٰ وَاللهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَىٰ دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ: نَعَمْ قَدْ

---

(١) **الصابئ**: أي الذي ترك دين قريش، ودخل في الإسلام.

(٢) **سفَّه أَحْلَامَهَا**: أي ينسب عقولهم إلىٰ الجهل، والمعنىٰ: أنه يزعم أنهم قليلو العقل.

(٣) **ختنك**: أي زوج أختك.

(٤) **الهينمة**: أي صوت غير مفهوم.

أَسْلَمْنَا، وَآمَنَّا بالله وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ.

فَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ، ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنِفًا، أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا.

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَىٰ شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ.

فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، وَفِيهَا: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١- ٢]، إِلَىٰ: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ [طه:١٩-٢٠]، فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ!.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ بِعُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ**»، فالله اللهَ يَا عُمَرُ.

فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ حَتَّىٰ آتِيَهُ فَأُسْلِمَ.

فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَرَآهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَىٰ

رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فَزِعٌ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ.

فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَأْذَنْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ائْذَنْ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ بِمِجْمَعِ رِدَائِهِ، ثُمَّ جَبَذَهُ بِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «**مَا جَاءَ بِكَ يَا بنَ الخَطَّابِ؟ فَوَ اللهِ مَا أَرَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّىٰ يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً**».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُكَ لِأُومِنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ.

فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ، وَقَدْ عَزُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَنْتَصِفُونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ(١).

وكان إسلامُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسببِ بركةِ دعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**»، وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَىٰ اللهِ عُمَرُ(٢).

٩- «وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ البَعثَةِ: تَعَاهدتْ قُرَيشٌ عَلَى قَطيعَةِ بني هَاشِمٍ إِلَّا أَنْ يُسْلِمُوا إِلَيهِمْ النَّبِيَّ ﷺ، وكتبُوا بذلكَ صحيفةً

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤٣-٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٥٦٩٦)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

وعلَّقُوهَا في الكَعْبةِ»[١].

لما أسلم حمزةُ عمُّ النبيِّ ﷺ وجماعةٌ كثيرون، وانتشرَ الإسلامُ رأتْ قريشٌ أمر رسولِ الله ﷺ يعلو، أجمعوا علىٰ أن يتعاقدوا علىٰ بني هاشم وبني المطلب وبني عبد منافٍ، أن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتىٰ يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، ودعا النبي ﷺ علىٰ مَن كتبها، فشُلَّت يده[٢].

١٠- «وفي هذِه السنةِ: اعتزلَ بنو هاشمِ بنُ عبدِ منافٍ، وتبِعَهُم إخوانُهُم بَنُو المطَّلبِ بنُ عبدِ مَنافٍ مَعَ أبي طَالبٍ إلى شِعْبِ أبي طَالبٍ، فَأقَامُوا بهِ ثَلاثَ سِنينَ، إلى أنْ سَعَى المُطْعِمُ بنُ عَدِيِّ بنِ نَوفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ، وزَمْعَةُ بنُ الأسودِ بنِ عَبدِ المطَّلبِ بنِ أسدٍ في نقضِ الصحيفةِ، فخرجَ بنو هاشمٍ، وَبنو المطَّلبِ مِنَ الشِّعْبِ في أواخرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ»[٣].

اشتدَّ أذىٰ الكفارِ لرسول الله ﷺ، فحصروه وأهل بيته في شِعب[٤] أبي طالبٍ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم لرسول الله ﷺ إلَّا أبا لهب، فإنه نصرَ قريشًا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وبني هاشم، وبني المطلبِ، وبقي رسولُ الله ﷺ ومن معه في شِعْب أبي طالبٍ، محصورِين مُضيَّقًا عليهم جدا مقطوعًا عنهم الطعامُ والشرابُ نحو

---

(١) «البداية» (٣/ ١٠٣)، «صحيح سيرة ابن هشام» (١٣٣).

(٢) **انظر:** «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٢٠٨-٢٠٩)، و«صحيح البخاري» (٣١٣٩)، و«صحيح مسلم» (١٣١٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٦-٢٧).

(٣) «البداية» (٣/ ١٠٣)، «صحيح سيرة ابن هشام» (١٣٣).

(٤) **الشِّعْب:** ما انفرج بين الجبلين.

ثلاث سنين، حتىٰ بلَغَهم الجَهْدُ وسُمِعَ أصواتُ صبيانِهم بالبكاءِ من وراءِ الشِّعْبِ.

وكانت قريشٌ في ذلك بين راضٍ وكارهٍ، فسعىٰ في نقض الصحيفة من كان كارها لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو، مشىٰ في ذلك إلىٰ المُطْعِم بن عَديٍّ، وَزَمْعَةَ بْنِ الأسودِ، وجماعة من قريش فأجابوه إلىٰ ذلك، ثم أطلعَ اللهُ رسولَهُ علىٰ أمرِ صَحِيفتهم، وأنه أرسلَ عليهَا الأرَضَةَ[١] فأكلتْ جميعَ ما فيها من جَورٍ وقطيعةٍ وظُلمٍ إلا ذكرَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فأخبرَ بذلك عمَّه، فخرجَ إلىٰ قريشٍ فأخبرهم أنَّ ابنَ أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبا خلّيْنا بينكم وبينَهُ، وإن كان صادقًا رجعتُم عن قطيعتِنا وظُلمِنا.

قالوا: قد أنْصفتَ، فأنْزَلُوا الصَّحيفةَ، فلمَّا رأوَا الأمرَ كمَّا أخبرَ بِه رسولُ اللهِ ﷺ ازْدَادُوا كُفرًا إلىٰ كُفْرِهِم، وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ، ومَن معَه مِنَ الشِّعْبِ[٢].

وفي الشِّعبِ وُلِد عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[٣].

١١- «وفي السَّنَةِ العاشرةِ مِنَ البَعْثَةِ: ماتَ أبُو طالبٍ، ثم ماتتْ خديجةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بَعدهُ بثَلاثةِ أيامٍ، فحَزنَ رَسولُ اللهِ ﷺ لموتِهِمَا حُزنًا شديدًا، ونالتْ قريشٌ مِنهُ ﷺ مَا لمْ تنَلْهُ في حَياةِ عَمِّهِ أَبي طالبٍ»[٤].

لما نُقِضَتِ الصَّحيفةُ تَتابعت علىٰ رسولِ الله ﷺ المصائبُ بموتِ

---

(١) **الأرضة**: دويبة تأكل الخشب.

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٢٠٩-٢١٠)، و«زاد المعاد» (١/ ٩٥، ٣/ ٢٧-٢٨).

(٣) **انظر**: «زاد المعاد» (١/ ٩٥).

(٤) «البداية» (٣/ ١٣١: ١٤٠).

زوجِه خديجةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وعمِّهِ أبي طالبٍ، وكان بينهما زمنٌ يسيرٌ.

فقد كانت خديجةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا له وزيرَ صدقٍ علىٰ الإسلامِ، يشكو إليها، وكان عمُّه أبو طالبٍ له مسانِدًا، وناصرًا علىٰ قومِه.

فنالتْ قريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذىٰ ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالبٍ، حتىٰ اعترضَه سفيهٌ من سفهاءِ قريش، فنثر علىٰ رأسه ترابًا، فدخل رسولُ الله ﷺ بيته والترابُ علىٰ رأسِه، فقامتْ إليه إحدَىٰ بناتِه، فجعلتْ تَغسل عنه الترابَ وهي تَبكي، ورسولُ الله ﷺ يقولُ لها: «**لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكَ، فَمَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ**»(١).

وسُمِّيَ هذا العام بعام الحُزن.

وقد كان النبيُّ ﷺ حريصا علىٰ إسلامِ عمِّه أبي طالبٍ إلا أنه ماتَ علىٰ الكُفرِ.

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ(٢) عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟.

فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّىٰ قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**»، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤١٦)، و«زاد المعاد» (١/ ٩٥).

(٢) **ترغب**: أي تترك.

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ [التوبة:١١٣]، وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦][(١)].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، وَيَقُولُ: «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**»[(٢)].

وأَتَىٰ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ[(٣)] مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[(٤)] لَا صَخَبَ[(٥)] فِيهِ، وَلَا نَصَبَ[(٦)]**»[(٧)].

مما يستفاد من هذا:

١- فضيلة السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢- حرمة الاستغفار لمن مات علىٰ الكفر.

٣- ينبغي للعبد أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديه للحقِّ؛ لأنَّ الهداية والإضلال بيد الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، عن المسيَّب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢٤٨٦٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٣) **فاقرأ عليها السلام**: أي سلِّم عليها.

(٤) **قصب**: أي قصب اللؤلؤ المجوف.

(٥) **صخب**: أي صوت مرتفع.

(٦) **نصب**: أي تعب، ومشقة.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- خطورة أصحاب السوء، وتعظيم الأجداد على العبد؛ فأعظم الأسباب التي حالت بين أبي طالبٍ ودخوله في الإسلام هو صاحباه أبو جهل وابن أبي أمية، وتذكيرهم إياه بدين آبائه: «ترغبُ عن ملةِ عبدِ المطلبِ».

٥- كلما ازداد إيمان العبد ازداد ابتلاؤه في الله، كما قال النبيُّ ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

١٢- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هذِهِ السَّنَةِ: عَقَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى عَائِشَةَ وَهِيَ بِنتُ سِتِّ سِنِينَ، وَلَمْ يَبْنِ بِهَا إِلَّا فِي السَّنَةِ الأُولى مِنَ الهجرةِ، وهِيَ بنتُ تِسعِ سِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»(٢).

لَمَّا مَاتَتْ خَدِيجَةُ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟.

قَالَ: «**مَنْ؟**».

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا؟.

قَالَ: «**فَمَنِ الْبِكْرُ؟**».

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٤٣٩)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(٢) «صحيح مسلم» (١٤٢٣)، «البداية» (٣/ ١٤٢) وفي «مسند أحمد» (٦/ ٢١٠) بسند حسن.

قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ: «**وَمَنِ الشَّيِّبُ؟**».

قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَىٰ مَا تَقُولُ.

قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**»، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ.

فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟.

قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ.

قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ.

قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ: «**ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَقُولِي لَهُ: أَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي**»، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ: انْتَظِرِي، وَخَرَجَ.

قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَىٰ ابْنِهِ، فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَىٰ.

فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبِئٌ[١] صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ ابْنُهُ ابْنَتَكَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلُ هَذِهِ تَقُولُ؟.

قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَدَعَتْهُ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ[٢].

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**تَزَوَّجَنِي[٣] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَىٰ بِي فِي شَوَّالٍ وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَىٰ[٤] عِنْدَهُ مِنِّي؟**»[٥].

ولم يتزوجْ رسولُ اللهِ ﷺ بِكْرًا غيرَها، زوَّجَه إياها أبوها أبو بكرٍ، وأصدَقها رسول الله ﷺ أربعَ مائةِ درهمٍ[٦].

مما يستفاد من هذا:

١- جواز تزويج الأب ابنته البكر الصغيرة بغير إذنها، وهذا بإجماع

---

(١) **مُصْبِئٌ**: أي تجعله يترك دين قريش، ويدخل في دين الإسلام.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٤).

(٣) **تزوجني**: أي عقد عليَّ عقد النكاح.

(٤) **أحظىٰ**: أي أكثر حظا. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قصدت عائشة بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال، وهذا باطل لا أصل له وهو من آثار الجاهلية كانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الإشالة والرفع». [**انظر**: «شرح صحيح مسلم» (٩/ ٢٠٩)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٩٤)، ومسلم (١٤٢٢، ١٤٢٣)، واللفظ له. وفيه عند مسلم: «وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ».

(٦) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٤).

أهل العلم.

٢- استحباب الزواج، والدخول في شهر شوال[١].

٣- فضيلة السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على سائر أزواج رسول الله ﷺ.

١٣- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هذِه السَّنَةِ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ سَوْدَةَ بِنتَ زَمعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[٢].

بَعْدَ أَنْ فرغَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنْ تَزْوِيجِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دَخَلَتْ عَلَىٰ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟.

قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟.

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: وَدِدْتُ، ادْخُلِي إِلَىٰ أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟.

فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ.

قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟.

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ.

قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ[٣]؟.

---

(١) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (٩/ ٢٠٦، ٢٠٩).

(٢) «مسند أحمد» (٦/ ٢١٠) بسند حسن، «صحيح سيرة ابن هشام» (٤٧٣)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٢٢٥).

(٣) **صاحبتك**: أي سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ.

قَالَ: ادْعُهَا لِي.

فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ؟.

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ، فَجَعَلَ يَحْثِي عَلَىٰ رَأْسِهِ التُّرَابَ.

فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ[1] إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ[2].

وأصدَقَها رسولُ اللهِ ﷺ أَربعَ مائةِ درهمٍ[3].

١٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ يدعُوهمْ إِلَى الإِسلامِ، فأبَوا، وَآذَوْه، فرَجعَ مَهمُومًا، فثبَّتَه اللهُ بأمرين: أَرسلَ إليهِ مَلَكَ الجِبالِ، وأسلمَ عَلَى يَدَيْهِ مَجمُوعَةٌ مِنَ الجنِّ، ثُمَّ دَخلَ مَكَّةَ فِي جِوَارِ المُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ»[4].

لمَّا اشتدَّ البلاءُ علىٰ رسولِ الله ﷺ من سفهاءِ قومِه، وتجرؤوا عليه بالأذىٰ، خرجَ ﷺ إلىٰ الطائفِ رجاءَ أن يُؤْوُوه ويَنْصُرُوه علىٰ قومِه ويَمْنَعُوه مِنهُم، ودَعَاهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فلم يرَ مَن يَؤوي، ولم يَر ناصرا، وآذوه مع ذلك أشد الأذىٰ، ونالوا منه ما لم ينله قومُه، وكان

---

(١) **لعمرك:** يحلف بعمره أي حياته.

(٢) **حسن:** رواه أحمد (٢٥٧٦٩) في مسند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٣) **انظر:** «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٤).

(٤) «البداية» (٣/ ١٤٦) وما بعدها.

معه زيدُ بن حارثة مولاهُ، فأقام بينهم عشرةَ أيام لا يدعُ أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلَّمه، فقالوا: اخْرُج من بلدنا، وأغْرُوا به سفهاءَهم، فوقفوا له صفَّين، وجعلوا يرمُونَه بالحجارة حتىٰ دَمِيَت قدمَاه وزيدُ بن حَارثةَ يقِيه بنفسِه حتىٰ أصابَه شجَاجٌ في رأسِه، فانصرف راجعا من الطائفِ إلىٰ مكةَ محزونا، وَفِي مَرْجِعِهِ ذَلِكَ دَعَا بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ دُعَاءِ الطَّائِفِ: «**اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

فأرسل ربُّه تباركَ وتعالىٰ إليه مَلَك الجبالِ يستأمِرُه أن يَطبِقَ جَبَلي مكةَ علىٰ أهل مكةَ، فأبىٰ النبيُّ ﷺ رجاءَ أنْ يُخرجَ الله عَزَّوَجَلَّ من أصْلابِهم من يَعبُدُه لا يُشركُ بِه شَيئًا[1].

وقد ذكر لنا النَّبي ﷺ ما لقيَ في الطائفِ، وكانَ أشدَّ عليه ممَّا لَقي بأُحدٍ.

فَقدْ سَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟.

قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ[2]، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ**

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤١٩-٤٢٠)، و«زاد المعاد» (١/ ٩٥، ٣/ ٢٨-٢٩).

(٢) ما لقيت: أي لقيت الكثير من الأذىٰ.

يَوْمَ العَقَبَةِ[١]، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ[٢]، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي[٣]، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[٤] فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ[٥]، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ[٦] الْأَخْشَبَيْنِ؟[٧].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ[٨] مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[٩].

فلما نزلَ ﷺ بنخْلةَ[١٠]، قامَ يصلي من الليلِ، فصُرفَ إليه نفرٌ مِنَ

---

(١) يوم العقبة: مكان مخصوص في الطائف.

(٢) إذ عرضت نفسي علىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ: أي طالبًا منه النصر والإعانة علىٰ إقامة الدين، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف.

(٣) علىٰ وجهي: أي باتجاه الجهة المواجهة لي.

(٤) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: أي لم أفطن لنفسي وأنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه إلا وأنا عند قرن الثعالب؛ لكثرة همي الذي كنت فيه. وقرن الثعالب: اسم موضع بقرب مكة. وأصل القرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير، والثعالب جمع ثعلب وهو الحيوان المشهور، ولعله سمي الموضع بذلك؛ لكثرة الثعالب فيه.

(٥) فما شئت: أي فأمرني بما شئت.

(٦) إن شئت أن أطبق عليهم: أي إن شئت ضممت الأخشبين وجعلتهما كالطبق عليهم حتىٰ هلكوا تحته.

(٧) الأخشبين: جبلي مكة أبي قُبَيس والذي يقابله، سميا بذلك؛ لصلابتهما وغلظ حجارتهما.

(٨) أصلابهم: جمع صُلْب، وهو كل ظهر له فقار.

(٩) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(١٠) نخلة: مكان بين مكة، والطائف.

الجنِّ فاستمعوا قراءَته، ولم يَشعرْ بهم رسولُ الله ﷺ حتىٰ نزلَ عليه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢].

وَأَقَامَ النبيُّ ﷺ بِنَخْلَةَ أَيَّامًا، فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَخْرَجُوكَ؟ يَعْنِي قُرَيْشًا.

فَقَالَ: «**يَا زيد إِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَىٰ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ**».

ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَأَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ إِلَىٰ مُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ: أَدْخُلُ فِي جِوَارِكَ[1]؟.

فَقَالَ: نَعَمْ، وَدَعَا بَنِيهِ وَقَوْمَهُ فَقَالَ: الْبِسُوا السِّلَاحَ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا.

فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَامَ المطعم بن عدي عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ فَنَادَىٰ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا، فَلَا يَهِجْهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ.

فَانْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، وَانْصَرَفَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ وَوَلَدُهُ مُلْتَفُّونَ حَوْلَهُ بِالسِّلَاحِ

---

(١) **جوارك**: أي أمانك، وحمايتك.

حَتَّىٰ دَخَلَ بَيْتَهُ[١].

مما يستفاد من هذا:

١- بيان شفقة النبي ﷺ علىٰ قومه، وعظيم صبره وحِلْمه وهو موافق لقولِه تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقولِه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧][٢].

٢- الله عَزَّوَجَلَّ يسمع أقوال عباده، وأنه لا يخفىٰ عليه شيء.

٣- تقرير حقيقة الجنِّ، وأن منهم مسلمين مطيعين لله عَزَّوَجَلَّ.

٤- الإنصات التام من الآداب التي ينبغي للعبد أن يتحلىٰ بها عن سماعه للقرآن.

٥- التحذير من الإعراض عن الانقياد لشرع الله تعالىٰ.

١٥- «وَفِي السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ البَعثَةِ: عَرَضَ نفسَهُ الكَرِيمةَ على القبائلِ في موْسِمِ الحجِّ كعَادتِهِ، فآمنَ بِهِ ستَّةٌ منْ رُؤساءِ الأَنصارِ، ورَجعُوا إلى المدينةِ فَفَشَا فيهمُ الإِسلامُ»[٣].

ظلَّ رسولُ الله ﷺ بمكةَ يتَّبعُ الحُجَّاجَ كل عامٍ في منازِلهم، وفي المواسمِ بعكَاظٍ[٤]، ومَجَنَّةَ[٥]، وذي المَجَازِ[٦]، يدعوهم إلىٰ أنَّ ينصرُوه

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١٤٣٥)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٢١-٤٢٢)، و«زاد المعاد» (١/ ٩٥، ٣/ ٢٨-٣٠).

(٢) انظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٦/ ٣١٦).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٣٩٠)، والترمذي (٢٩٢٥) وقال: حسن صحيح. «البداية» (٣/ ١٤٩ - ١٥٧).

(٤) عكاظ: موضع بقُرب مكة، كانت تقام به في الجاهلية سوق يقيمون فيه أياما.

(٥) مجنة: موضع بأسفل مكة، وكان يقام بها سوق للحرب.

(٦) ذي المجاز: موضع عند عرفات كان يقام به سوق من أسواق العرب في الجاهلية. =

حتىٰ يُبلغَ رسالاتِ ربِّه ولهم الجنةُ، فلا يجد أحدًا ينصرُه ولا يجيبُه، حتىٰ إنه ليَسألُ عنِ القبائل ومنازِلِهَا قبيلةً قبيلةً، ويقول: «**يا أيُّها النَّاسُ قُولُوا: لا إله إلَّا اللهُ تُفلحُوا، وتَمْلِكُوا بها العَربَ، وتَذِلُّ لَكُمْ بها العَجمُ، فَإذَا آمَنْتُم، كُنْتُم مُلُوكًا في الجَنَّة**»، وأبو لهبٍ يمشي وراءه يقول: لا تُطيعوه، فإنه صابئٌ كذابٌ، فيردُّون علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ أقبحَ الردِّ، ويُؤذُونه، ويَقولونَ: أُسْرَتُكَ وعَشِيرتُكَ أعلمُ بكَ حيثُ لم يتَّبعُوك، والنبيُّ ﷺ يدعُوهم إلىٰ الله، ويقول: «**اللهُمَّ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا**»، فعرضَ نفسه علىٰ عدة قبائلَ، فلم يستجبْ منهم أحدٌ.

ثم إن رسولَ اللهِ ﷺ لَقي عندَ العقبةِ في المَوسِمِ ستةَ نفرٍ من الأنصارِ كلهم من الخزرجِ، وهم: أبو أُمَامةَ أسعدُ بنُ زُرَارة، وعوفُ بنُ الحارث، ورافعُ بنُ مالكٍ، وقُطبةُ بنُ عَامر، وعقبةُ بنُ عامرٍ، وجابرُ بنُ عبد اللهِ بن رِئابٍ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلىٰ الإسلامِ فأسلَمُوا.

ثم رجعُوا إلىٰ المدينةِ، فدَعَوهم إلىٰ الإسلام، فَفَشا الإسلامُ فيها حتىٰ لم يَبقَ دارٌ من دورِ الأنصارِ إلا وقد دخلَها الإسلامُ[1].

١٦- «وَفي السَّنَةِ الثانيةَ عَشْرةَ مِنَ البَعثَةِ: أُسْرِي بِرسولِ اللهِ ﷺ مِنَ المسْجِدِ الحرامِ إلى المسْجدِ الأَقْصَى، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إلى سِدْرةِ المنْتَهَى فَفَرضَ اللهُ عَليهِ، وَعَلى أمَّتِهِ الصَّلواتِ الخَمْسَ»[2].

أسرىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بنبيِّهِ ﷺ بجَسدِه في اليقظةِ ليلًا مِن المسجدِ الحرامِ

= والمجاز: موضع الجواز، والميم زائدة. قيل: سمي به؛ لأن إجازة الحاج كانت فيه.

(١) انظر: «مسند أحمد» (١٦٠٢٣)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٢٨-٤٣٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٩-٤٠).

(٢) «البداية» (٣/ ١١٥ - ١٢٥).

إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ راكبًا علىٰ البُراقِ بصحبةِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتىٰ وصلَ بيتَ المقدسِ، فربطَ البُراقَ بحلْقةِ بابِ المسجدِ، ثم دخلَ المسجدَ وصلَّىٰ فيه بالأنبياءِ إمامًا، ثم جاءَه جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاختارَ اللبنَ علىٰ الخمرِ، فقال له جبريلُ: هُدِيتَ للفِطرةِ[(١)].

وقد اتفقتْ كلِمةُ علماءِ المسلمينَ سلفًا وخَلفًا وانعقدَ إجماعُهم علىٰ صحةِ الإسراءِ برسولِ اللهِ ﷺ، وأنه حقٌّ[(٢)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

ويحكي لنا رَسُولُ اللهِ ﷺ قصةَ الإسراءِ به، فيقولُ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ**».

قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**».

قَالَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ.**

فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ**: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ،**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وانظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٣٠-٣١).

(٢) **انظر**: «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ»، للقاضي عياض (١/ ٣٤٤).

فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم:٥٧].

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى[1]، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ».

قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ».

قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[2].

---

(١) سميت سدرة المنتهىٰ؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها .

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٢).

وقدْ رأَىٰ النبيُّ ﷺ في السَّماواتِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ صُورتِهِ الحَقيقيةِ التي خَلقَه الله عَليها، وصعَدَ به إلىٰ سدرةِ المنتهىٰ، وكلَّمهُ اللهُ ﷻ، وقَرَّبَهُ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٢-١٨].

فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَىٰ، فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ، وَأَذَاهُمْ لَهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَجَلَّاهُ اللهُ لَهُ حَتَّىٰ عَايَنَهُ، فَطَفِقَ يُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا.

وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عِيرِهِمْ فِي مَسْرَاهُ وَرُجُوعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا، وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا، وَأَبَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا[1].

وقد استَعظمتْ قريشٌ ما قالَهُ رسولُ اللهِ ﷺ؛ لأنَّ القوافلَ كانتْ تَمضي الأسابيعَ في الذَّهابِ إلىٰ بيتِ المقدسِ والعودةِ منهُ، فكيفَ يَتسنَّىٰ لرجلٍ أنْ يمضيَ، ويعودَ في جزءٍ من ليلةٍ.

مما يستفاد من هذا:

١- بيان الأدب فيمن استأذن بدقِّ البابِ ونحوه، فقيل له من أنت؟ فينبغي أن يذكر اسمه، فيقول: زيد مثلا إذا كان اسمه زيدا، ولا يقول: أنا، فقد جاء الحديث بالنهي عنه، ولأنه لا فائدة فيه.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٥-٣٦).

٢- للسماء أبوابٌ حقيقيةٌ، وحَفظةٌ موكَّلُونَ بها.

٣- يجب علىٰ من أراد أن يدخل بيتا أن يستأذن.

٤- استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم، وإن كانوا أفضل من الداعي.

٥- جواز مدحِ الإنسان في وجهه إذا أمِنَ عليه الإعجابَ وغيره من أسباب الفتنة.

٦- جواز الاستناد إلىٰ القبلة وتحويل الظهر إليها؛ لقوله ﷺ: «**فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ المَعْمُورِ**».

٧- كثرة عدد الملائكة، وأنَّ منهُمْ زوَّارَ البيتِ المعمور.

١٧- وفي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَافَاهُ اثْنَا عَشرَ رَجلًا مِنَ الأنصارِ بعضُهُم ممَّنْ لقِي النَّبيَّ ﷺ في الموَسِمِ السابقِ، فبايعُوه عندَ العقبةِ فَسُمِّيتْ ببَيْعَةِ العقبةِ الأُولى، وأَرْسَلَ مَعَهُم مُصْعَبَ بنَ عُمَيرٍ يُقْرِئُهُمُ القُرآنَ فَأَسلمَ على يديْهِ كثيرٌ مِنْ أهلِ المَدِينةِ»[١].

جاءَ السِّتَّة الأُوَلُ الذين أسلمُوا في الموسِمِ السابقِ إلا جابرَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ رِئابٍ، ومعهم معاذُ بنُ الحارثِ، وذَكوانُ بنُ عبدِ القيسِ، وعُبادةُ بنُ الصامتِ، ويزيدُ بنُ ثعلبةَ، وأبو الهيثمِ بنُ التيِّهانِ، والعباسُ بن عُبادةَ، وعُويمُ بنُ ساعدةَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فبايعهم رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ أن لا يُشرِكوا باللهِ شيئًا، ولا يَسرِقوا، ولا يزنُوا، ولا يقتلوا أولادَهم، ولا يأتوا ببهتانٍ[٢] يفترونَهُ[٣] من بين أيديهِم وأرجلِهم[٤]، ولا

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٨٩٣، ١٨٧٣)، و«مسلم» (١٧٠٩)، «البداية» (٣/ ١٥٨- ١٦٤).

(٢) **بهتان**: أي كذب فظيع يدهش سامعه.

(٣) **يفترونه**: أي يختلقونه.

(٤) **بين أيديهم وأرجلهم**: أي من عند أنفسهم.

يَعصونَه في معروفٍ، فمَن وَفَىٰ بذلك فلَهُ الجنةُ، ومَنْ أصابَ مِن ذلك شيئًا، فعُوقِبَ به في الدُّنيا فهو له كفارةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، فبايعوه علىٰ ذلك[١].

وبعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ معهم مُصعَبَ بنَ عُمَيرٍ، وأمَره أن يُقرئَهم القرآنَ، ويعلِّمهم الإسلام، ويفقههم في الدينِ[٢]، فأسلم علىٰ يديه خلق كثير.

١٨- «وفي السَّنَةِ الثَّالثةَ عَشْرةَ مِنَ البَعثَةِ في مَوْسِمِ الحجِّ: وافَاه سَبعونَ رَجُلًا مِنَ الأنصارِ فبَايعُوه عندَ العقبةِ أيضًا عَلى أن يمنعُوه إنْ هاجَرَ إليهمْ مما يمنعونَ منْه أنفسَهُم ونساءَهم وأبناءَهم، فأخْرجُوا له اثنَى عشَرَ نقيبًا، فقَال ﷺ للنُّقَبَاء: أنتمْ عَلى قومِكُم كُفَلاءُ، فسمِّيتْ ببيعَةِ العقَبةِ الثَّانيةِ»[٣].

يحْكي لنَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِصةَ البيعةِ، فيقولُ: خَرَجْنَا إِلَىٰ الْحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْعَقَبَةِ[٤] مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لَهَا، وَمَعَنَا أَبُو جَابِرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَكَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِنَا، أَخَذْنَاهُ مَعَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا،

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٨٩٢)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٣١-٤٣٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٣١-٤٣٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٨٩٠)، و«مسند أحمد» (٣/ ٣٢٢)، «البداية» (٣/ ١٦٩ - ١٧٧).

(٤) العقبة: أي جمرة العقبة بمنىٰ، والعقبة من الشيء الموضع المرتفع منه.

وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّانَا الْعَقَبَةَ.

فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا(١).

فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا(٢) مُسْتَخْفِينَ، حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا.

فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ.

فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ- وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا-: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَىٰ إِلَّا الِانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ(٣)، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ.

---

(١) **نقيبا**: أي مسؤولًا عن بعض القوم.

(٢) **القطا**: طائر معروف يشبه الحمام، سميَ بذلك لثقل مشيه.

(٣) **الانحياز إليكم**: أي الاختلاط بكم.

فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَىٰ اللهِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**».

فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[١]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ وَاللهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[٢]، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[٣].

وَبينَمَا الْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا- يَعْنِي الْيَهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ[٤] أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟.

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ**[٥]، **أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَهُمْ: «**أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا**[٦]؛ **لِيَكُونُوا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ**»، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً

---

(١) **أزرنا**: أي نساءنا، والمرأة قد يكنىٰ عنها بالإزار.

(٢) **الحلقة**: أي السلاح.

(٣) **كابرا عن كابر**: أي كبيرًا عن كبير في العزِّ، والشرف.

(٤) **أظهرك الله**: أي نصرك علىٰ عدوك.

(٥) **الدم الدم، والهدم الهدم**: أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

(٦) **النقيب**: أي الرئيس المسؤول عن القوم.

مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ[(١)].

ويحكي لنا جَابِرُ بنُ عبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعضَ ما حدَثَ في بَيعةِ العقبةِ فيقولُ: لَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ وَبِعُكَاظٍ، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**»، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ، أَوْ مِنَ الْيَمَنِ، إِلَىٰ ذِي رَحِمِهِ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَالنبيُّ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّىٰ بَعَثَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيُؤْمِنُ بِهِ، فَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إِلَّا فِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ.

ثُمَّ بَعَثَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَأْتَمَرْنَا، وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّىٰ مَتَىٰ نَذَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ، وَيَخَافُ، فَرَحَلْنَا حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ.

فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ؟ إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ.

فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا، قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ[(٢)].

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟.

قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَىٰ**

---

(١) **صحيح**: رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٤٠-٤٤٣)، و«الطبري في التاريخ» (٢/ ٣٦٣).

(٢) **أحداث**: أي شباب.

النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَىٰ أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَىٰ أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ».

فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ.

فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ[(١)] إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ[(٢)]، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ ذَلِكَ فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَاتْرُكُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ.

قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ[(٣)] عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا[(٤)]، فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ[(٥)]، وَيُعْطِينَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ[(٦)].

فعَلِمَتْ قريشٌ بالبَيعةِ، فذهبوا للأنصارِ في بيوتِهم يسألونهم، ولكنَّ الأنصار لم يُخبروهم بحقيقة الأمر، فانصرفوا عنهم، فأكثرت قريش البحث حتىٰ استيقنت بالبيعة، فتتبعوا الأنصار، وكانوا قد نَفَرُوا من

---

(١) **نضرب إليه أكباد المطي**: أي نركب ونسير. والمطي: أي البعير سمي بذلك؛ لأنه يركب مطاه أي ظهره.

(٢) **تعضكم السيوف**: أي تجرحكم.

(٣) **أمط**: أي نحِّ، وأبعد عنا.

(٤) **نستقيلها**: أي نطلب إقالتها. والإقال: الفسخ.

(٥) **بشُرْطة العباس**: أي المواثيق التي أخذها العباس عليهم بالوفاء لرسول الله ﷺ.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (١٤٦٥٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

منىً، فخرجوا في طلبهم، فأدركوا سعدَ بنَ عُبادةَ، والمنذِرَ بنَ عمرٍو، فأما المنذرُ فأعجزَهم، ولم يلحقُوا به، وأما سعدٌ فأخذُوه، فربَطوا يديه إلىٰ عُنقِه بنِسْعِ[١] رَحْلِه، ثم أقبلُوا به حتىٰ أَدخلُوه مكَّةَ يَضربونَه، ويجذِبُونه بجُمَّتِه[٢]، وكان ذَا شَعْرٍ كثيرٍ[٣].

١٩- «فأمرَ النَّبيُّ ﷺ حينئذٍ أصحابَهُ بالهجرةِ إلى المَدينةِ، وأقامَ ﷺ يَنتظرُ الإذنَ بالهجرةِ، وحَبسَ معَه أبَا بكرٍ وعليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[٤].

لما أذِنَ اللهُ تعالىٰ للنَّبيِّ ﷺ في الحربِ بقَوْلِهِ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠]، وبايَعَهُ جماعةٌ من الأنصارِ علىٰ الإسلامِ والنُّصرةِ له ولمَن اتَّبعَه، وأوىٰ إليهم من المسلمينَ، أَمَر رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه من المهاجرين مِن قومِه، ومن مَعه بمكةَ من المسلمينَ، بالخروجِ إلىٰ المدينةِ والهجرةِ إليها، واللُّحوقِ بإخوانِهم من الأنصارِ، وقَالَ: «**إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لكم إِخْوانًا ودارًا تأمَنُونَ بِهَا**»، فخرجُوا جماعةً في إثرِ جماعةٍ.

وأقام رسولُ اللهِ ﷺ بمكةَ بعد أصحابه من المهاجرينَ ينتظرُ أن يُؤذَنَ له في الهجرةِ، ولم يتخلَّفْ معه بمكةَ أَحدٌ من المهاجرينَ إلا مَن حُبسَ أو فُتِنَ، إلا عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو بكرٍ الصدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان أبو بكرٍ كثيرا ما يستأذنُ رسولَ اللهِ ﷺ في الهجرةِ، فيقولُ له رسولُ اللهِ

---

(١) **النسع**: أي الشِّراك الذي يشد به الرحل.

(٢) **جمته**: الجمة هي مجتمع شعر الرأس.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٢٩٧)، «صحيح مسلم» (٢٢٧٢)، «البداية» (٣/ ١٨٠).

ﷺ: «لَا تعْجَلْ لَعلَّ اللهَ يجعلُ لكَ صَاحِبًا»، فيطمَع أبو بكرٍ أن يكونَ هذا الصاحبَ[١].

٢٠- «واجتمعتْ قريشٌ في دارِ النَّدْوةِ للمُشَاوَرةِ في أَمرِ النبيِّ ﷺ فأجمعُوا عَلى قَتلِه، فنزلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوَحي مِنْ عندِ اللهِ فأخبَرهُ بذلك، وأذِنَ اللهُ لهُ بالهجرةِ فَهاجَرَ»[٢].

لمَّا رأىٰ كفارُ قريشٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد صارتْ له شِيعةٌ وأصحابٌ مِن غيرِهم بغيرِ بلدِهم، ورَأوا خروجَ أصحابِه من المهاجرينَ إليهم، عرَفوا أنَّهُم قد نَزلوا دارًا، وصاروا في مَنَعَةٍ وحمايةٍ، فَحذِروا خروجَ رسولِ اللهِ ﷺ إليهم، وعرَفُوا أنَّه قدْ عزَمَ أنْ يُهاجرَ إلىٰ المَدِينَةِ لحربِ قريشٍ.

فبَدا للمشركينَ أن يجتمِعوا في دارِ النَّدوةِ- وهي دارُ قُصَي بنِ كِلَابٍ التي كانت قريشٌ لا تَقضي أمرًا إلا فيها- يتَشاورونَ فيها ما يَصنعونَ في أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ، حين خَافُوه[٣].

إبليسُ يُشاركُ في اتخاذِ القَرارِ:

ولمَّا أجمعَ كفارُ قريشٍ علىٰ الاجتماعِ في دار النَّدوَةِ، غَدَوا في اليومِ الذي تواعُدوا عليه، فاعتَرضهم إبليسُ في هيئةِ شيخٍ حَسنِ الصورةِ، فوقف علىٰ بابِ الدار، فلما رَأَوه واقفًا علىٰ بابِها، قالوا: مَنِ الشيخُ؟.

قال: شيخٌ مِن أهلِ نجدٍ سمِعَ بالذي تواعدتُم عليه، فحضرَ معكم؛ ليسمعَ ما تقولون، وعسَىٰ أنْ لا يعدِمَكم منه رأيًا ونُصحًا، قالوا: أجلْ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٦٨، ٤٨٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٣/ ١٨٦)، «صحيح سيرة ابن هشام» (١٧٦).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٣٦٩-٣٧٠).

فدخلَ معهم، وقد اجتمعَ فيها أشرافُ قريشٍ.

فقال بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا الرجلَ قد كان من أمرِه ما قد رأيتم، فإنا واللهِ ما نأمَنُه علىٰ الهجومِ علينا فيمن قد اتَّبعه من غيرِنا، فأَجمِعُوا فيه رأيًا.

فتَشاورُوا ثمَّ قالَ قائلٌ منهم: احبِسُوه في الحديدِ، وأغْلِقوا عليه بابًا، ثُم تربَّصُوا بِه حتىٰ يُصيبهُ ما أصابَ أشباهَه من الشعراءِ الذين كانوا قبلَهُ، فيموتَ.

فقال الشيخُ النَّجدِيُّ: لا واللهِ، مَا هذا لكم برأيٍ، واللهِ لَئنْ حبستُمُوه كما تقولونَ ليَخْرُجَنَّ أمرُه من وراءِ البابِ الذي أغْلَقتُم دونَه إلىٰ أصحابِه، فلأَوشَكوا أن يَهجموا عليكم، فينزِعُوه من أيديكم، ثم يَغْلِبوكم علىٰ أمرِكم، مَا هذا لكم برأيٍ، فانظروا في غيرِه.

فتشاوروا، ثم قالَ قائلٌ منهم: نخرِجُه من بين أظهُرِنا، فَننَفِيه من بلادِنا، فإذا أُخْرِجَ عنَّا فو اللهِ ما نُبالي أينَ ذهبَ، ولا حيثُ وقعَ، إذا غابَ عنَّا وفَرغْنا منْه، فأَصْلحْنا أمرَنا.

فقالَ الشيخُ النَّجديُّ: لا واللهِ، ما هذا لكم برأيٍ، ألم تَرَوا حُسنَ حَديثِه، وحلاوةَ مَنطِقِه، وغَلَبَتَه علىٰ قلوبِ الرجالِ بما يأتي بِه، واللهِ لو فَعلتُم ذلك ما أَمِنْتم أن يحلَّ علىٰ حيٍّ من العربِ، فَيغلبَ عليهم بذلكَ مِن قولِه وحديثِه حتىٰ يتابعوه عليه، ثم يسيرُ بهم إليكم، فيأخذ أمْركُم مِن أيديكُم، ثم يفعل بكم ما أرادَ، دبِّروا فيه رأيًا غيرَ هَذَا.

فقالَ أبو جهلٍ: واللهِ إنْ لي فيهِ لرأيًا ما أراكم وقعتُم عليه بعدُ.

قالوا: وما هو يا أبا الحكمِ؟.

قال: أرَىٰ أنْ نأخذَ مِن كلِّ قبيلةٍ فتىٰ شابًا جليدًا نَسيبًا وَسيطًا[١] فِينَا، ثُمَّ نُعطي كلَّ فتىً مِنهم سيفًا صَارِمًا[٢]، ثم يَذهبوا إليه، فيضرِبُوه بها ضَربَةَ رَجلٍ واحدٍ، فيقتُلوه، فنَستريحَ منه، فإنهم إذا فعلُوا ذلك تفرَّقَ دمُهُ في القبائِل كلِّها، فلم يقدِرْ بنو عَبدِ مَنافٍ علىٰ حَربِ قومِهم جميعًا، فيَرْضُوا منَّا بالدِّيَةِ، فأَعْطيناهَا لهُم.

فقال الشيخ النَّجدِيُّ: القولُ ما قالَ الرجلُ، هذا الرأيُ الذِي لا رأيَ غيرُه.

فتفرَّقَ كفارُ قريشٍ علىٰ ذلكَ وهم مجْمِعُون لَه[٣].

جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبرُ رسولَ اللهِ ﷺ بالمكيدةِ النَّكراءِ:

فَأتىٰ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولَ اللهِ ﷺ؛ ليُخبِرهُ بما أجمعَ عليه كفارُ قريشٍ، فقالَ لهُ: «**لا تَبِتْ هذِه الليلةَ علىٰ فراشِك الَّذي كُنتَ تَبيتُ عَليهِ**»[٤].

المُهَمَّةُ الكُبرَى، والمَوقفُ الشُّجَاعُ:

فلمَّا ذَهبَ أَولُ الليلِ اجتَمعَ كفارُ قريشٍ علىٰ بابِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ يرصدُونَه متىٰ ينامُ، فيهجمونَ عليه، فيَقتلونَه، فلما رأىٰ رسولُ اللهِ ﷺ مكانَهم، قال لعليِّ بنِ أَبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**نَمْ عَلىٰ فِرَاشِي وتَسَجَّ ببُردِي**[٥] **هَذَا، فَنَمْ فِيهِ، فَإنَّه لنْ يَخلُصَ إليْكَ شيءٌ تَكْرَهُه مِنْهُمْ**»، وكانَ

---

(١) **جليدًا**: أي قويًّا في نفسه وجسمه. نسيبًا: أي ذا حَسَبٍ ونسبٍ. وسيطًا: أي شريفًا حسيبًا في قومه.

(٢) **صارمًا**: أي قاطعًا قويًا.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨١-٤٨٢).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٢).

(٥) **تسجَّ ببردي**: أي غطِ به جسدَك، ووجهَك.

رَسولُ اللهِ ﷺ إذا نَامَ ينامُ في بُردِه ذلكَ[١].

كفارُ قريشٍ ينتظرونَ خروجَ رسولِ اللهِ ﷺ على بابِ بيتِه؛ لتنفيذِ مكيدَتِهم:

بينما كفارُ قريشٍ علىٰ بابِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ، وفيهم أبو جهل، قال لمن مَعهُ: إنَّ محمدًا يزعمُ أنَّكم إنْ تَابعتُموه علىٰ أمرِه، كنتُم مُلوكَ العربِ والعَجمِ، ثمَّ بُعِثتم من بعدِ موتِكم، فجُعِلتْ لكم جِنانٌ كجِنَانِ الأُرْدُنِّ[٢]، وإن لم تفْعلوا كان له فيكم ذبحٌ، ثمَّ بُعِثْتُم من بعد مَوتِكم، ثم جُعِلَت لكم نارٌ تُحْرَقُونَ فيها[٣].

رسولُ اللهِ ﷺ يخرجُ من بيتِه، وتَنعدمُ رؤيةُ الكفارِ المتربصينَ بِه:

وخرج رسولُ الله ﷺ علىٰ كفارِ قريشٍ، فأخذ حَفْنَةً من ترابٍ في يدِه، ثم قالَ: «**نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِك، أَنْتَ أَحَدُهُمْ**»، وأخذَ اللهُ تعالىٰ علىٰ أبصارِهم عنه، فلمْ يَروهُ، فجعلَ ينثرُ الترابَ علىٰ رءُوسِهم وهو يَتلو هؤلاء الآياتِ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:١-٩]، حتىٰ فرَغَ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآياتِ، ولم يَبقَ منهم رجلٌ إلا وَقد وضعَ علىٰ رأسِه تُرابًا، ثم انصرفَ ﷺ إلىٰ حيثُ أراد أن يذهبَ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٢-٤٨٣).

(٢) الأردنّ: الدولة المشهورة، وعاصمتها حاليا عَمَّان، وهي من أرض الشام.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٣).

وبينما الكفارُ علىٰ تلكَ الحالِ أتَاهم رجلٌ ممَّن لم يكنْ معهم، فقالَ: ما تنتظرونَ هَاهُنا؟.

قالوا: محمدًا.

قال: خيَّبكم الله! واللهِ قَد خرجَ عليكم محمدٌ، ثم ما تركَ منكم رجلا إلا وقد وضعَ علىٰ رأسِه ترابًا، وانطلق لحاجَتِه، أفمَا تَرونَ ما بِكم؟.

فوضعَ كلُّ رجل منهمْ يدَه علىٰ رأسِه، فإذا عليه ترابٌ، ثم جعَلوا يتطلَّعونَ فيرونَ عليًّا علىٰ الفراشِ مُتَسَجِّيًا بِبُردِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: واللهِ إنَّ هذا لمحمدٌ نائمًا، عليه بُردُه، فلمْ يتركوا أماكِنَهم حَتىٰ أصبَحُوا فقامَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ الفراشِ فقالوا: واللهِ لقدْ كان صَدَقَنَا الذي حدَّثَنَا[1].

القُرآن يَصفُ هَذه المَكيدةَ النَّكْراءَ:

وأنزلَ الله عَزَّوَجَلَّ مِن القرآنِ في ذلك اليوم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠].

وأنزلَ قولَه عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور:٣٠-٣١][2].

وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليُهَاجِرَ إلىٰ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَىٰ رِسْلِكَ[3]، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، وَلَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لكَ صَاحِبًا».

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٣).

(٢) انظر: مسند أحمد (٣٢٥١)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٤).

(٣) علىٰ رِسلك: أي لا تتعجل.

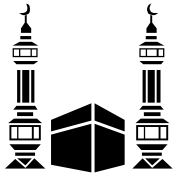
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ**».

فَطَمِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَصْحَبَ رسولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يُهاجِرْ، وَظَلَّ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ؛ لِيَصْحَبَهُ فِي الهِجْرَةِ، واشْتَرَىٰ رَاحلتينِ، وَظلَّ يَعلِفُهُمَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي دَارِه إِعْدَادًا لذَلِكَ[1].



(١) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٥٨)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٤).



السَّنَةُ الأُولَى مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ الأُولى مِنَ الهِجْرَةِ

وفيها تِسْعَةَ عَشرَ حَدَثًا:

١- «في ربيعٍ الأوَّلِ مِنْ هذِهِ السَّنَةِ: هاجرَ النبيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إلى المَدِينَةِ»[١].

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِي بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ إِمَّا بُكْرَةً، وَإِمَّا عَشِيَّةً، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ لَهُ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ المَدِينَةِ، أَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدادِ الحَرِّ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا.

فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: مَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ.

فَلَمَّا دَخَلَ، تَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا ابْنَتَاهُ عائِشَةُ، وَأَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ: عائِشَةُ، وَأَسْمَاءُ، وَمَا ذَاكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ[٢] يَا رَسُولَ اللهِ.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥)، «البداية» (٣/ ٢٢٠).

(٢) **الصحبة**: أي أرغب وأطلبُ الصحبةَ معك.

قَالَ: الصُّحْبَةَ.

تَقُولُ عَائِشَةُ: فو الله مَا شَعُرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمئِذٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ- بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ- إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا سَرِيعًا، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[١] فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا[٢]، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الجِرَابِ[٣]، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[٤].

الخُروجُ للهجرةِ كانَ سرًّا:

وَلَمْ يَعلمُ بخروجِ رسولِ اللهِ ﷺ للهجْرةِ أَحدٌ إِلَّا عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وآلهُ.

أَمَّا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أخبرَه بخروجِهِ، وأمرَه أنْ يتخلَّفَ بعدَه بمكَّةَ، حتىٰ يُؤديَ عن رسولِ اللهِ ﷺ الودَائعَ، التي كانتْ عنْدَه للناسِ، فقدْ كَانَ أهلُ مكةَ ليس عندَ أحدهِم شيءٌ يخْشَىٰ عليه إلا وضَعَهُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ لأَجلِ مَا اشْتُهِرَ عنهُ مِنْ صدْقِهِ، وأمَانَتِهِ ﷺ[٥].

رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصلانِ إلى الغَارِ:

ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ[٦]، فَانتهيَا إِليهِ

---

(١) **سفرةً**: أي طعامًا. والسفرة: الطعام الذي يعدُّ للمسافر.

(٢) **نطاقها**: النطاق هو ما يشدُّ به الوسط.

(٣) **المعنىٰ**: أنها شقت نطاقها نصفين، فشدت بأحدهما الزاد، وشدت بالآخر فم القِربة.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٥)، و**انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٤-٤٨٥).

(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٥).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٥).

لَيْلًا[١]، فَقَالَ أَبُو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّىٰ أَدْخُلَ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ، فَدَخَلَ فَكَنَسَهُ، وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ ثُقَبًا[٢]، فَشَقَّ إِزَارَهُ وسدَّهَا بِهِ، وَبَقِي مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهَا رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ادْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَوَضَعَ رَأسه فِي حِجْرِهِ، وَنَامَ، فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَىٰ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟**».

قَالَ: لُدِغْتُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

فَتَفِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ[٣].

فَمَكَثَا مُتَخَفِّيينِ فِي الغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ[٤] لَقِنٌ[٥]، فَيُدْلِجُ[٦] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ[٧] بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ.

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ يَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا مِنْحَةً[٨] مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا[٩] عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٥).

(٢) **ثقبًا**: جمع ثقبة.

(٣) رواه الخطيب التبريزي في «المشكاة» (٦٠٣٤).

(٤) **ثقف**: أي حاذق فطن لما يسمعه ويعلمه.

(٥) **لقن**: أي سريع الفهم حسن التلقي.

(٦) **فيدلج**: أي يخرج وقت السحر منصرفا إلىٰ مكة.

(٧) **يكتادان**: أي يدبِّر بشأنهما، ويمكُر به لهما، ويسبِّب لهما الشر والأذىٰ.

(٨) **مِنحة**: أي شاة يعطىٰ لبنها.

(٩) **فيريحها**: من الرواح وهو السير في العشي.

رِسْل[١]، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٢]، حَتَّىٰ يَنْعِقَ[٣] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[٤]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ[٥].

وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُصْلِحُهُمَا[٦].

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ وَكَانَ مُشْرِكًا عَارِفًا بِالطَّرِيقِ، فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ[٧].

الكفارُ يَصلونَ إلى الغَارِ:

وبينما النَّبيُّ ﷺ وأبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الغَارِ إذ رأَىٰ أبو بكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقدامَ المشركينَ علىٰ بابِ الغارِ، فقالَ لرسولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[٨].

فانْصرفَ الكُفارُ خَزَايَا دُونَ أنْ يَظْفَرُوا برسولِ اللهِ ﷺ، وأَبي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) رِسْل: أي لبن طازج.

(٢) رضيفهما: أي اللبن الذي جعل فيه الرَّضْفَة، وهي الحجارة المُحْمَاة، وقيل: الرَّضِيفُ الناقة المحلوبة.

(٣) ينعق بها: أي يصيح بغنمه.

(٤) بغلس: هو ظلام آخر الليل.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٦) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٥).

(٧) صحيح: رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الاستعدادُ للخروجِ مِنَ الغَارِ:

فَلمَّا مضتِ الثَّلاثُ، أتاهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِبَعيريْهِما وبَعيرٍ لهُ، وأَتَتْهُمَا أسماءُ بنتُ أَبي بكرٍ رضىٰ الله عنهما بسُفْرَتِهِمَا.

فَقدَّمَ أبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفضَلَ الراحِلتينِ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، وقالَ: اركبْ، فِدَاكَ أَبي وأمِّي.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِني لا أركبُ بعيرًا ليسَ لي**».

قَال: فهي لكَ يا رَسولَ الله، بأَبي أنتَ وأمي.

قَالَ: «**لَا، وَلكِنْ مَا الثَّمنُ الذِي ابتُعتُها بِهِ؟**».

قالَ: كَذا وكَذا.

قال: «**قَدْ أَخذتُها بِه**».

قال: هي لكَ يا رَسولَ اللهِ.

فَرَكِبَا وانْطلَقَا، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ[1].

سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ فِي أَثَرِ رسولِ اللهِ ﷺ:

كانَ الحَافزُ الأكبرُ وراءَ شِدَّةِ البحثِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ قُريشًا جَعَلتْ لمَنْ ردَّ رسولَ اللهِ ﷺ عَلَيْهم مائةَ نَاقةٍ.

فبينمَا الكفارُ جلوسًا في نادِيهم إذْ جاءَهم آتٍ، فقالَ: واللهِ لقدْ رأيتُ ثلاثةً مرُّوا عليَّ آنفًا، إِنِّي لأَرَاهُم محمَّدًا وأَصْحابَهُ.

فأَومَأَ إِليهِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ بِعَينِه: أنِ اسْكُتْ، ثمَّ قالَ: إِنَّما هم بَنُو فُلانٍ، يَبتغونَ ضالةً لهُمْ.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٥٨)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٧).

فقال الرَّجلُ: لعلَّهُ كمَا يَقولُ سُرَاقَةُ، ثم سَكتَ.

وَمَكثَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ قليلًا، ثُم قامَ فدخلَ بيتَه، فأخَذَ فرسَهُ، وسلاحَهُ، والأزلامَ[١] التي يَستَقْسِمُ بِها[٢]، ثم انْطلقَ، فلَبِسَ دِرْعَهُ، ثم أَخرجَ الأزلامَ فاسْتقْسمَ بها، فخرجَ السهمُ الذي يَكْرَهُ، وَهُوَ الّذِي كَانَ فِيهِ مَكْتُوبًا «**لَا تَضُرُّهُ**».

فبينمَا هُو رَاكبٌ فرسَهُ إذ عَثرَ بِه، فَسَقطَ عَنهُ.

ثم أخرجَ الأزْلامَ فاسْتَقْسَمَ بِها، فخرَجَ السَّهمُ الذي يَكْرَهُ، وَهُوَ الّذِي كَانَ فِيهِ مَكْتُوبًا «**لَا تَضُرُّهُ**».

فأبىٰ إلا أن يتَّبعَ رسولَ اللهِ ﷺ، فَركِبَ في أَثَرِه، فبينَما هو راكبٌ فرسَه إذْ عَثرَ بِه، فَسَقطَ عَنهُ.

ثم أَخرجَ الأزْلامَ فاسْتَقْسَمَ بِها، فخرَجَ السَّهمُ الذي يَكْرَهُ، وَهُوَ الّذِي كَانَ فِيهِ مَكْتُوبًا «**لَا تَضُرُّهُ**».

فأبىٰ إلا أن يَتَّبعَ رسولَ اللهِ ﷺ، فركبَ في أَثَرِه، فلمَّا رأَىٰ النبيَّ ﷺ، وأَصحابَهُ، قالَ أبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ[٣] بِهِ فَرَسُهُ إِلَىٰ بَطْنِهَا[٤]، وتَبِعَهُمَا دُخَانٌ كالإِعْصَارِ[٥].

---

(١) **الأزلام**: سهام لا ريش لها، ولا نصل مكتوب عليها «**لا**»، «**نعم**» فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا ضربوا بها فإن خرج «**لا**» تركوا، وإن خرج «**نعم**» فعلوا.

(٢) **يستقسم بها**: من الاستقسام، وهو طلب معرفة ما قُسِم.

(٣) **ارتطمت**: أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الصلبة.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٥)، وابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٥) **الإعصار**: ريح معها غبار.

فَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ: فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي[١]، وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[٢]، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٣].

أبو جهلٍ يهاجمُ آلَ أبي بكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ولمَّا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للهجرةِ أتىٰ نَفرٌ من قريشٍ، فيهم أبو جَهل، فوقَفوا علىٰ بابِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرجتْ إليهم أسماءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالوا: أينَ أبوكِ يا بِنتَ أبي بكرٍ؟.

قالتْ: لا أدري واللهِ أينَ أَبي؟.

فرفعَ أبو جهلٍ يدَه، وكانَ فاحشًا، فَلطَم خدَّها لَطمةً طَرحَ مِنهَا قُرْطَهَا[٤].

أبو قُحَافةَ يسألُ عن المالِ الذي خلَّفَه أبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أخذَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندَ خُروجِهِ مالَه كلَّه، فدخلَ أبو قُحَافةَ وهوَ أعمَىٰ علىٰ أسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالَ: واللهِ إنِّي لا أَراه قَد أخذَ مالَهُ كلَّهُ.

قالتْ أسماءُ: كلَّا يَا أبتِ! إنَّه قدْ تركَ لنا خيرًا كثيرًا.

---

(١) لم يرزآني: أي لم يأخذا مني شيئًا، ولم ينقصا مالي.

(٢) آديم: أي جلد مدبوغ.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٩٠٦)، وابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٧).

فأخذتْ أحجارًا فوضعتْها في المكانِ الذي كانَ يضعُ فيه أبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَالَهُ، ثُمَّ وضعتْ عليه ثَوبًا، ثم أَخذتْ بيدِه، فَقالتْ: يا أبتِ، ضَعْ يدَك علىٰ هَذا المَالِ، فوَضعَ يدَهُ عليهِ، فَقالَ: لَا بَأسَ، إذَا كانَ ترك لكم هذَا فَقدْ أحْسَنَ[(١)].

٢- «وَفِي هذِهِ السَّنَةِ: نَزَلَ ﷺ بقُبَاءٍ، وبَنَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ»[(٢)].

في يَوْمِ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَىٰ الحَرَّةِ[(٣)]، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَرَجَعُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، صَعِدَ رَجُلٌ مِنْ اليَهُودِ عَلَىٰ حِصْنٍ مِنْ حُصُونِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ[(٤)]، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ[(٥)] الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.

فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ السِّلَاحِ[(٦)][(٧)]، وَسُمِعَتِ الرَّجَّةُ وَالتَّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ، وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ، فالْتَفُّوا حَوْلَهُ وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٨)، «الكامل» (٢/ ٩).

(٣) الحرة: أي الأرض التي عليها الحجارة السود.

(٤) يزول بهم السراب: أي يظهرون فيه تارة، ويخفون أخرىٰ.

(٥) لجدكم: أي حظكم، وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه.

(٦) فثار المسلمون إلىٰ السلاح: أي فتقلد المسلمون أسلحتهم لاستقبال رسول الله ﷺ، وحراسته من اليهود.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٣٩٠٦)، عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم:٤]، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ(١)، فَسَارَ حَتَّىٰ نَزَلَ بِقُبَاءٍ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَنَزَلَ عَلَىٰ كُلْثُومِ بْنِ الْهِدْمِ(٢).

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ يَتَلَقَّاهُمْ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ - يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّىٰ أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ(٣).

وَأَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامِهَا، حَتَّىٰ أَدَّىٰ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا، لَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَزَلَ مَعَهُ عَلَىٰ كُلْثُومِ بْنِ الهِدْمِ(٤).

فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُبَاءٍ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ(٥)، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ(٦)، وَصَلَّىٰ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٧).

٣- «وَفيها: صَلَّى الجُمُعَةَ حينَ ارتحَلَ مِنْ قُباءٍ إلى المدِينَةِ، صَلَّاهَا في طَرِيقِهِ ببَني سالِمٍ، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعةٍ صَلَّاهَا وَأَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا في الإِسْلامِ»(٨).

---

(١) **فعدل بهم ذات اليمين**: أي فاتجه في سيره إلىٰ غرب قباء.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٣٩٠٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٦)، عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٣).

(٥) **انظر**: السابق (١/ ٤٩٤).

(٦) **المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ**: أي مسجد قباء.

(٧) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٦)، عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥١).

ثُمَّ خرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَينِ بَني عَمرِو بنِ عوفٍ يومَ الجُمُعةِ، فَأدْركتْ رسولَ اللهِ ﷺ الجُمُعةُ في بني سالمِ بنِ عوفٍ، فَصلَّاهَا في بَني سالِمٍ، فكانتْ أولَ جُمعةٍ صَلَّاهَا بالمَدِينةِ(١).

٤- «وَفِيهَا: نزَلَ ﷺ بِدارِ أَبي أيوبَ الأنصاريِّ»(٢).

لما خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَني سَالمِ بنِ عَوفٍ رَاكبًا رَاحِلتَهُ كانَ كلمَّا مرَّ بدارٍ من دُورِ الأنصارِ قالوا لهُ: أَقمْ عِندَنا يَا رسولَ اللهِ.

فكانَ ﷺ يَقولُ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا، فإنَّهَا مَأمُورَةٌ**»، لنَاقتِهِ، فَيُخَلُّوا سَبيلَهَا، فَتنطلقُ، حتىٰ إذا مرَّت بدارِ بَني عَدِيِّ بنِ النَّجارِ، وَهمْ أخوالُ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، هَلُمَّ إلىٰ أخوالِك، فَقالَ: خَلُّوا سَبيلَها فإنَّهَا مَأمُورَةٌ، فَخَلُّوا سبيلَها، فانْطَلَقتْ.

حتَّىٰ إذا أَتتْ دارَ بني مالكِ بنِ النَّجارِ، بَركتْ علىٰ بابِ مسجِدِهِ ﷺ، وهُو يَومئذٍ مَرْبدٌ(٣) لغُلامَينِ يَتِيمينِ مِنْ بَني النَّجَّارِ، فلمَّا بَركتْ، ورسولُ اللهِ ﷺ عَليهَا لم ينزلْ، وثبتْ فسارتْ غيرَ بعيدٍ، ورسولُ اللهِ ﷺ واضعٌ لها زِمَامَهَا لا يَثْنِيها بهِ، ثمَّ التَفَتَتْ إلىٰ خلْفِها، فَرجعتْ إلىٰ مَبركِهَا أوَّلَ مرةٍ، فَبركتْ فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «**هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ المَنْزِلُ**»، فنزلَ عَنْها رسولُ اللهِ ﷺ، فاحْتَملَ أبُو أيوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْلَه، فوضَعَه في بَيتِه، ونزلَ عَليهِ رسولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا(٤) بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا،

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٤).

(٢) «البداية» والنهاية (٣/ ٢٥٣).

(٣) **مربد**: أي موضع يجفف فيه التمر.

(٤) **فساومهما**: أي طلب منهما أن يبيعاه المربد، ويذكرا ثمنا له.

فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَىٰ رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّىٰ ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا[١].

وظَلَّ رسولُ اللهِ ﷺ نازلًا في دارِ أَبي أيوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَبعةَ أشهرٍ حتَّىٰ بَنىٰ مَسْجِدَهُ ومَساكنَه، فانتقلَ إِليها[٢].

٥- «وَفِيهَا: بنَى المسْجِدَ النَّبَويَّ، والحُجُرَاتِ»[٣].

أَمرَ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ببناءِ المَسْجدِ، وَطَفِقَ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ[٤] فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: «**هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ**[٥]، **هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا، وَأَطْهَرْ**».

وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ**»[٦]، وكانَ المُهَاجرونَ والأَنْصَارُ يَقُولونَ:

لَا عَـــيْشَ إِلَّا عَـــيشُ الآخِـــرَهْ اللهم ارْحِمِ الأَنْصَارَ والمُهَاجِرَهْ[٧]

ولمَّا أتمَّ النَّبيُّ ﷺ هُوَ وأَصْحابُهُ بِناءَ مَسجدِهِ بَالجريدِ واللَّبِنِ، بَنىٰ مَسْكَنهُ ومَساكنَ أَزواجَهُ إِلىٰ جَنْبِهِ، وأَقْربُها إليهِ مَسْكَنُ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثُمَّ انتَقَلَ ﷺ مِن دَارِ أبي أيوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلىٰ مَسَاكِنِهِ[٨].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٦)، عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٤-٤٩٦).

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٦)، و«زاد المعاد» (١/ ٩٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٥٣).

(٤) **اللبن**: أي الحجارة المصنوعة من الطين.

(٥) **لا حمال خيبر**: أي لا ما يحمل من خيبر من التمر ونحوه.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٦)، عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٦).

(٨) **انظر**: «زاد المعاد» (١/ ٩٩).

مما يستفاد من هذا:

١- اهتمامُ النبي ﷺ بأن يكون بناءُ المسجدِ أولَ عمل يقوم به، وهذا يدل علىٰ أن المسجد هو اللَّبِنةِ الأولىٰ في بناء الأمة الإسلامية.

٢- تواضعُ النبي ﷺ حيث شارك أصحابه رضي الله عنهم في بناء المسجد.

٣- عظيمُ حبِّ النبيِّ ﷺ لعائشةَ رضي الله عنها حيثُ جعل حجرتها أقرب حجراتِ زوجاتِه من المسجدِ.

٦- «وَفِيهَا: أَسْلَمَ حَبْرُ اليهودِ عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ»[١].

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ ذهَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ مُسْرِعِينَ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَاء عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَام فِي النَّاسِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَانَ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفَ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ[٢].

فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، يُرِيدُ أَنْ يَتَحَقَّقُ مِنْ شأْنِهِ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ:

فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟.

وَمَا أَوَّلُ طَعَام أَهْلِ الجَنَّةِ؟.

وَمَا يَنْزِعُ[٣] الوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ أَوْ إِلَىٰ أُمِّهِ؟.

قَالَ: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**».

قَالَ: جِبْرِيلُ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ**».

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وأحمد (٢٣٧٨٤)، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وصححه الألباني.

(٣) ينزع: أي يجذبه إليه بالشبه.

قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧].

«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَىٰ المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ[١]، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ».

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[٢]، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟».

قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا.

قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟».

فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ.

قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ[٣].

مما يستفاد من هذا:

١- معرفة أهل الكتاب ببعثة النبي ﷺ، وصفاته، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:١٤٦].

---

(١) فزيادة كبد الحوت: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها وألذها.

(٢) بهت: جمع بَهوت وهو كثير البهتان، وهو أسوأ الكذب أي كذابون وممارون لا يرجعون إلىٰ الحق.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٨٠).

٢- اليهود قوم كذابون ومُمَارُون لا يرجعون إلىٰ الحقِّ.

٣- أول علامات الساعة نار تحشرُ الناس من المشرق إلىٰ المغرب، وأولُ طعام يأكله أهلُ الجنة زيادة كَبدِ الحوت.

٧- «وَفِيهَا: بَعثَ النبيُّ ﷺ إلى بَناتِهِ، وزوجتِهِ سودةَ بنتِ زمعةَ زيدَ بنَ حارثةَ، وأبَا رافعٍ فَحَمَلاهُنَّ مِنْ مَكَّةَ إلى المَدينةِ مَا عَدا زينَبَ»[(١)].

لمَّا هَاجرَ النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ خلَّفَ بناتِهِ وزَوجتَهُ سَودةَ بنتَ زَمْعةَ بمكَّة، فلمَّا قدِمَ المدينةَ أَرْسلَ ﷺ وهو في مَنزلِ أَبي أَيوبَ زَيدَ بنَ حَارثةَ وَأَبَا رافعٍ، وأعطَاهُمَا بَعيرينِ وخَمْسَمَائِةِ دِرهمٍ إِلىٰ مَكةَ، فَقَدِمَا عليه بِابنَتيهِ فَاطِمَةَ، وأمِّ كُلثوم، وزَوجتِهِ سَودةَ بنتِ زَمْعَةَ، وَأُسَامةَ بنِ زيدٍ، وأمِّهِ أمِّ أَيمنَ[(٢)]، وكانتْ رُقيةُ قدْ هَاجرتْ مَعَ زَوجِها عُثْمانَ، وأَمَّا زَينبُ فَلمْ يُمكِّنْها زَوجُها أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبيعِ مِنَ الخروجِ.

فقدِموا علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ وهو يَبني المَسْجدَ، ومَسَاكِنَهُ[(٣)].

مما يستفاد من هذا:

١- في هذا ردٌّ علىٰ من زَعم أن النبي ﷺ خرج من مكة خائفا فارًّا من القتلِ، فلو كان كما زعموا لأَخَذَهُنَّ مَعه ﷺ.

٢- عظيم منزلة المرأة في الإسلام يظهر في اهتمام النبيِّ ﷺ بهجرة

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠)، «البداية والنهاية» (٣/ ٢٦٨)، «الكامل» (٢/ ١٠).

(٢) **وأمه أم أيمن**: هي أم أيمن بركة الحبشية، وكان ورِثَها النبي ﷺ من أبيه، وكانت دايته، وزوَّجها من حِبِّه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة.

(٣) **انظر**: «الروض الأنف»، للسهيلي (٤/ ١٢٩-١٣٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٥)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٩٩-٥٠٠).

نسائه إليه من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام.

٨- «وَفِيهَا: هَاجرَ آلُ أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[١].

لما هاجرَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبيِّ ﷺ خلَّف آلَهُ بمكَّة، فأرسلَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبدَ اللهِ بنَ أُرَيقِطٍ مع زيدِ بن حارثةَ، وأبي رافع، فَخرجُوا بآلِ أبي بكرٍ، ومنهم عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مُصْطَحِبينَ آلَ بيتِ النبيِّ ﷺ، فقدِموا معَهُمْ علىٰ رسول الله ﷺ وهُوَ يبني المسجِدَ[٢].

وفي طريقِهم إِلىٰ المَدينةِ شردَ البعيرُ الذي كانتْ تركبُ عليه عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجعلتْ أمُّها أمُّ رُومَان تُنادي: وَابُنَيَّتَاهْ، وَاعَرُوسَاهْ، فَسَمِعَتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قائلًا يقولُ: أَلْقِي خِطَامَهُ، فَأَلْقَتْهُ مِن يَدِهَا، فقامَ البعيرُ يستديرُ به كأنَّ إنسانًا تحتَه يُمْسِكُهُ، فَسَلَّمَ اللهُ[٣].

وبذلك جِيءَ بآل النبي ﷺ، وآل أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم:

١- سَودَةُ بنتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
٢- فاطمةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ.
٣- أمُّ كُلثوم بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ.
٤- أمُّ أيمنَ حاضنةُ النبيِّ ﷺ، وهي أمُّ أُسامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٥- أُسامةُ بنُ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٦- عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكانَ لمَّا يَدخلْ بها ﷺ.
٧- أمُّ رُومَانَ زوجُ أبي بكرٍ، وأمُّ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠)، «الكامل» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٦٨).
(٢) انظر: «الروض الأنف»، للسهيلي (٤/ ١٢٩-١٣٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٥)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٩٩-٥٠٠).
(٣) انظر: «الروض الأنف»، للسهيلي (٤/ ١٣٠).

٨- أمُّ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٩- أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٠- عبدُ اللهِ بن أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٩- «وَفِي ربيعٍ الآخرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: زِيدَ فِي صلاةِ الحَضَرِ رَكْعَتَانِ، وَكَانَتْ صلاةُ الحَضَرِ والسَّفَرِ رَكْعَتَينِ»(١).

فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ بِمَكَّةَ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الحَضَرِ مَعَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ إِلَّا الْمَغْرِبَ، فَإِنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ، وَصَلَاةَ الْفَجْرِ؛ لِطُولِ قِرَاءَتِهَا(٢).

مما يستفاد من هذا:

١- التدرج في تشريع الأحكام.

٢- ثبوت النسخ في الإسلام، فصلاة الحضر كانت ركتعين، فنُسِخت وصارت أربعا إلا الفجر، والمغرب.

١٠- «وَفِيهَا: وُلِدَ عَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُو أَوَّلُ مَوْلُودٍ للمُهَاجِرِيْنِ فِي الإِسْلَامِ»(٣).

حَمَلَتْ أَسْمَاءُ بنتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، فَخَرَجَتْ وَقَدْ أَتَمَّتْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا أَتَتِ المَدِينَةَ وَنَزَلَتْ بِقُبَاءٍ وَلَدَتْهُ.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٦٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٥)، وأحمد (٢٦٠٤٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠٩٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٣٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إلا الشطر الأخير لم يروه الشيخان، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٤).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٧٣).

ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوَضَعَتْهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فَمِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ حَنَّكَهُ[١] بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ[٢].

وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ[٣]، فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اليَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلَا يُولَدُ لَكُمْ[٤].

١١- «وَفِيهَا: وُلِدَ النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُو أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِلأَنْصَارِ بَعْدَ الهِجْرَةِ»[٥].

حمَلَتْهُ أمُّه عَمْرَةُ بنتُ رَوَاحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فَحَنَّكَهُ[٦] رسولُ الله ﷺ، وَهُو أولُ مَولودٍ مِنَ الأَنْصَارِ وُلِد بعد قدومِ النبيِّ ﷺ المدينةَ[٧].

مما يستفاد مما سبق:

١- استحباب تحنيك المولود عند ولادته، وهذا مجمعٌ عليه بين أهل العلم، ويكون بتمر، فإن تعذر فما في معناه وقريب منه من الحُلو، فيَمضَغ المحنِّك التمر حتىٰ تصيرَ مائعةً بحيث تُبتَلع، ثم يَفتح فم المولود ويضعها فيه؛ ليدخل شيءٌ منها جوفَه.

---

(١) **حنكه**: أي مضغ تمرة، ثم دلكها بحنكه.

(٢) **برَّك عليه**: أي دعا له بالبركة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٠٩)، ومسلم (٢١٤٦)، عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٤٦٩)، ومسلم (٢١٤٦)، عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٦٨).

(٦) **حنكه**: أي وضع في فمه التمرة، ودلَّك حَنَكه.

(٧) **انظر**: «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء»، لابن حبان (١/ ١٥٤)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٥٨٠).

٢- يستحب أن يكون المحنِّك من الصالحين، فإن لم يكن حاضرا عند المولود حُمِلَ إليه.

٣-فضيلة عبدِ اللهِ بن الزبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهو أول مولود وُلِدَ في الإسلام، وأولُ شيء دخل جوفَه ريقُ رسول الله ﷺ، ودعا له ﷺ، وبارك عليه[١].

١٢- «وَفِيهَا: تُوفِّي مِنَ الصَّحَابَةِ كُلْثُومُ بْنُ الهِدْمِ، وأَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[٢].

كان أولَ من تُوفِّي بعدَ مَقدمِ النبيِّ ﷺ المدينةَ منَ المسلمينَ كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ، لمْ يمكثْ بعدَ مَقْدَمِه إلا يسيرًا حتىٰ مَاتَ.

ثم تُوفِّي بعدَهُ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، وكانتْ وفاتُه قبلَ أن يَفْرُغَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ بناءِ مسجدِه، وقَدْ مَاتَ بالذَّبْحةِ[٣]، والشَّهْقَة[٤][٥].

١٣- «وَفِيهَا: شُرِعَ الأَذَانُ»[٦].

اهْتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، وكَانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَىٰ لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَىٰ.

فَلَمْ يُعْجِبِ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ، وَقَالَ: «**هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَىٰ**».

---

(١) **انظر**: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (١٤/ ١٢٢-١٢٣، ١٢٦-١٢٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٨)، «الكامل» (٢/ ٩)، «البداية» (٣/ ٢٦٧).

(٣) **الذبحة**: وجع في الحلق يخنق فيقتل.

(٤) **الشهقة**: أي الصيحة.

(٥) **انظر**: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٩٧).

(٦) «البداية» (٣/ ٢٦٩).

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا بُوقًا[١] مِثْلَ قَرْنِ[٢] اليَهُودِ.

فَلَمْ يُعْجِبِ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ، وَقَالَ: «**هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ**».

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَلَمْ يُعْجِبِ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ.

فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأُرِيَ الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، فَغَدَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟**».

فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلَالُ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، فَافْعَلْهُ**»، فَأَذَّنَ بِلَالٌ[٣].

مما يستفاد من هذا:

١- مشروعية التشاور في الأمور لاسيما المهمة، وذلك مستحب في حق الأمة بإجماع العلماء.

٢- ينبغي للمتشاورين أن يقول كل منهم ما عنده، ثم صاحب الأمر

---

(١) **بوقا**: هو الذي ينفخ فيه فيخرج صوتا.

(٢) **قرن**: هو البوق، ولعله بوق فيه التواء مثل قرن الشاة.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه أبو داود (٤٩٨)، عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار، والترمذي (١٨٩)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٧٠٦)، عن عبد الله بن زيد، وأحمد (٢٢١٢٤)، عن معاذ بن جبل، وصحح الألباني الشطر الذي لم يروه الشيخان.

يفعل ما ظهرت له مصلحته.

٣- يستحب للمؤذِّن أن يؤذِّن قائما؛ لقوله ﷺ: «**يا بلالُ قمْ**».

٤- العلة من اختيار بلال ﷺ للأذان أنه أرفع وأحسن صوتا من عبد الله بن زيد رضي الله عنه، كما في قوله ﷺ في الرواية الأخرىٰ: «فَإِنَّهُ أَنْدَىٰ صَوْتًا مِنْكَ»[(١)]، ومعناه: أرفع صوتا، وأطيب، ويؤخذ منه: استحباب كون المؤذن حسن الصوت، وهذا متفق عليه

٥- الحكمة من الأذان أربعة أشياء: إظهار شعار الإسلام، وكلمة التوحيد، والإعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها، والدعاء إلىٰ الجماعة[(٢)].

١٤- «وَفِيهَا: عقَدَ النَّبيُّ ﷺ مُعاهدةً معَ اليهودِ بالمدينةِ»[(٣)].

عَقدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ معَ اليهودِ عهدًا، وأقرَّهُم علىٰ دِينِهم وأموالِهِم، وشرَطَ لهُم، واشتَرطَ عَليهِم ما يلي[(٤)]:

١- مَنْ تَبِعَنَا مَنْ يَهُودَ، فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ؛ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرٍ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ.

٢- اليَهودُ يُنفِقُونَ معَ المؤمنينَ ما دامُوا مُحَارِبِينَ.

٣- يهودُ بني عوفٍ أمَّةٌ معَ المؤمنينَ، وكذلكَ جميعُ يَهُودِ المَدينةِ، لليَهودِ دِينُهُم، وللمُسلِمينَ دينُهم، مواليهم وأَنْفُسِهِم، إلا مَن ظَلَم وأَثِم،

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، وابن ماجه (٧٠٦)، وأحمد (١٦٤٧٨)، عن عبد الله بن زيد، وحسنه الألباني.

(٢) **انظر**: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (٤/ ٧٦-٧٧).

(٣) «البداية» (٣/ ٢٦٢).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٠١-٥٠٤).

فإنَّه لا يُهْلِكَ إلا نفْسَه، وأهلَ بَيتِهِ.

٤- علىٰ اليَهودِ نَفقَتُهم، وعلىٰ المسلمينَ نَفقتُهم.

٥- النَّصرُ بَينَهُم علىٰ مَن حاربَ أهلَ هذِه الصَّحيفةِ.

٦- النَّصحُ والنصيحةُ، والبِرُّ بينَهم دونَ الإثمِ.

٧- لا يَأثُم امرؤٌ بحليفِهِ.

٨- النصرُ للمَظلوم.

٩- يثربُ حرامٌ جوفُها لأهل هذِه الصحيفةِ.

١٠- الجارُ كالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ.

١١- لا تُجَارُ حرمةٌ إلا بإذنِ أهلِها.

١٢- ما كانَ بين أهلِ هذه الصحيفةِ مِن حدَثٍ أو اشتجارٍ يُخافُ فسادُه، فإنَّ مردَّهُ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وإلىٰ محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ.

١٣- إنَّ اللهَ علىٰ أَتْقىٰ ما في هذِه الصحيفةِ وأَبَرِّهِ.

١٤- لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا.

١٥- النَّصْرُ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ.

١٦- إِذَا دَعَوْا إِلَىٰ صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ، وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ؛ عَلَىٰ كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قِبَلَهُمْ.

١٧- لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ أَوْ آثِمٍ.

١٨- مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ.

١٩- إِنَّ اللهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ، وَاتَّقَىٰ .

فائدة: تشريع الجهاد:

مرَّ تشريعُ الجِهادِ بثلاثِ مَراحلَ:

المرحلة الأولى: الحظرُ والمنعُ مِن الجهادِ:

لم تَهدأْ قريشٌ عن إيقاعِ الأذىٰ برسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم حتىٰ بعدَ هِجرتِهم، فكانتْ تتربَّصُ الفرصَ؛ لتقضيَ علىٰ الإسلامِ، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ**»(١).

المرحلة الثانية: الإذنُ في الجهادِ من غيرِ إيجابٍ:

لما استقروا بالمدينةِ، وقَويَ المسلمونَ، وقامُوا بنصرِه وصارتْ لهمْ دارُ إسلامٍ ومعقِلا يلجؤونَ إليه شرعَ اللهُ جهادَ الأعداءِ.

فكانتْ أولَ آيةٍ تنزلُ في الإذنِ بالجهادِ قولُه تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج:٣٩].

وإنما شرعَ اللهُ تعالىٰ الجهادَ في الوقتِ الأليقِ بِه؛ لأنَّهم لمَّا كانوا بمكةَ كان المشركونَ أكثرَ عددًا، فلو أَمرَ المسلمينَ، وهم أقلُّ من العُشْرِ، بقتالِ الباقينَ لشقَّ عليهم؛ ولهذَا لمَّا بايعَ أهلُ يثربَ ليلةَ العقبةِ رسولَ اللهِ ﷺ، وكانوا نيِّفا وثمانينَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ألا نَميلُ علىٰ أهلِ الوَادِي -يَعنونَ أهلَ مِنىً- لياليَ منىً فنقتُلَهُم؟ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ بِهَذَا**».

المرحلة الثالثة: وجوبُ الجهادِ، وقتالُ الكفارِ جميعًا:

لما بَغىٰ المشركونَ، وأَخرجَوا النبيَّ ﷺ مِن مَكَّةَ، وهمُّوا بقتلِه، وشرَّدُوا أصحابَه، فذهبَ منهم طائفةٌ إلىٰ الحَبشةِ، وآخرونَ إلىٰ المدينةِ

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٠٤٦)، وحسنه الألباني.

شَرعَ اللهُ لهم الجهادَ[١].

قَال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦].

١٥- «وفي رَمضانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانَت سَرِيَّةُ حَمزةَ بنِ عبدِ المطَّلبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى سِيفِ البَحْرِ»[٢].

بعثَ النبيُّ ﷺ حمزةَ بنَ عبدِ المُطَّلبِ إلىٰ سِيفِ البحرِ[٣]، في ثَلاثينَ راكبًا مِن المهَاجرينَ، -ليسَ فيهم أحدٌ مِن الأنصارِ-؛ ليعترضَ عِيرًا لقُرَيشٍ[٤]، وحمَلَ اللواءَ أبُو مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ، وكانَ لِوَاءً أبيضَ.

فلقي أبَا جَهلِ بنَ هشامٍ بذلكَ الساحلِ في ثلاثِ مائةِ راكبٍ من أهلِ مكةَ، فحجَز بينهم مجدِي بنُ عمرٍو الجهنيُّ، وكان حليفًا للفريقينِ، فانصرفُوا ولم يكنْ بينَهم قتالٌ[٥].

فـائِدَةٌ:

السَّرِيَّةُ: هِيَ طَائفةٌ مِنَ الجَيشِ يبلغُ أَقْصَاهَا أربَعمائة تُبْعثُ إِلَىٰ العَدوِّ، وَجمعُهَا السَّرَايَا، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَكونُونَ خُلَاصَةَ العَسْكَرِ وَخِيارَهُمْ، مِنَ الشَّيءِ السَّرِيِّ النَّفِيسِ.

فَإِذَا غَنِموا شَيْئًا كَانَ بَينَهمْ وبينَ الْجَيْشِ عامَّة، لِأَنَّهُمْ رِدْءٌ لَهُمْ وفِئَةٌ، فأمَّا إِذَا بَعَثهم وَهُوَ مُقيمٌ، فَإِنَّ القَاعِدينَ مَعَهُ لَا يُشارَكونَهمْ فِي المَغْنَمِ،

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٣٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١١)، الكامل (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٧٢).

(٣) سيف البحر: أي ساحل البحر.

(٤) عيرا: العير هي الإبل المحمَّلةُ بالتجارة.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٩٥)، و«السيرة النبوية»، لابن حبان (١/ ١٥٠-١٥١)، و«عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»، لليعمري (١/ ٢٦٠).

فَإِنْ كانَ جعَل لَهُمْ نَفَلا مِنَ الغَنِيمة لَمْ يَشْرَكْهمْ غيرُهُم فِي شيءٍ مِنْهُ[١].

١٦- «وفي شوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ سَرِيَّةُ عُبَيدةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بطنِ رَابِغٍ»[٢].

بعثَ النبيُّ ﷺ عُبيدةَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ إلىٰ بَطْنِ رَابِغ[٣]، في ستينَ مِنَ المُهاجِرينَ، -ليسَ فيهمْ أحدٌ مِن الأنصارِ-؛ وحمَل اللواءَ مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وكَانَ لِوَاءً أبيضَ.

فالتَقَوا معَ أَبي سُفيانَ بنِ حربٍ في مائتينِ مِن المشركينَ، فَلَمْ يَكنْ بَينهُم إلا الرَّمي، وَلَمْ يَسُلُّوا السُّيُوفَ، وَلَمْ يَصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مُنَاوَشَةً، ثُمَّ انْصرَفُوا.

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِيهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ[٤].

١٧- «وفي شوال مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بَنَى النَّبيُّ ﷺ بأُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[٥].

تقدَّمَ أنَّ النبيَّ ﷺ عَقدَ علىٰ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهيَ بنتُ ستِّ سنينَ، ودخلَ بها وهي بنتُ تسعِ سِنينَ.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**تَزَوَّجَنِي**[٦] **النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ**

---

(١) **انظر**: «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير (٢/ ٣٦٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢)، «الكامل» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٧٢).

(٣) **بطن رابغ**: موضع قريب من الجحفة.

(٤) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ٧)، و«السيرة النبوية»، لابن حبان (١/ ١٥٠)، و«عيون الأثر»، لليعمري (١/ ٢٦١).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ٩)، «الكامل» (٢/ ٩)، «البداية» (٣/ ٢٦٨).

(٦) **تزوجني**: أي عقد عليَّ عقد النكاح.

سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ[١] فَتَمَرَّقَ[٢] شَعَرِي، فَوَفَىٰ[٣] جُمَيْمَةً[٤]، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ[٥]، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّىٰ أَوْقَفَتْنِي عَلَىٰ بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ[٦] حَتَّىٰ سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَىٰ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَىٰ خَيْرِ طَائِرٍ[٧]، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي[٨]، فَلَمْ يَرُعْنِي[٩] إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًىٰ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ»[١٠].

١٨- «وَفِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ سَرِيَّةُ سَعدِ بنِ أَبِي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى الخَرَّارِ»[١١].

بعثَ النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ في عِشرينَ رَجلًا علىٰ أقدامِهِم

---

(١) فوعكت: أي أصابني الوعك وهو الحمىٰ.

(٢) فتمرق: أي تقطع، وانتتف.

(٣) فوفىٰ: أي كثر.

(٤) جميمة: تصغير جُمة، وهي ما سقط علىٰ المنكبين من شعر الرأس.

(٥) أم رومان: كنية أم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦) لأنهج: أي أتنفس تنفسا.

(٧) خير طائر: أي قدمت علىٰ خير، وقيل: علىٰ خير حظ ونصيب.

(٨) فأصلحن من شأني: أي مشطنها، وزينها.

(٩) فلم يرعني: أي لم يفاجئني، ويقال هذا في الشيء الذي لا يتوقع فيأتي فجأة في غير زمانه ومكانه.

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٩٤)، ومسلم (١٤٢٢).

(١١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١١)، «البداية» (٣/ ٢٧٢).

إلىٰ الخرَّارِ[١]؛ لأنَّ عيرًا لقريشٍ سَتَمرُّ بِه، وحمَلَ اللواءَ المقدادُ ابنُ الأسودِ، وكانَ لواءً أبيضَ.

فكانوا يَستريحونَ النهارَ، ويَسيرونَ الليلَ، فلمَّا أصبحُوا اليومَ الخامسَ، وجدوا العيرَ قد مرَّتْ بالأمسِ.

ولَولا أَنَّ النبيَّ ﷺ عهِدَ إليهمْ ألا يجاوزُوا الخَرَّارَ، لَتبِعُوهُم[٢].

فـائدةٌ:

لم يَبعثْ رسولُ اللهِ ﷺ أحدًا من الأنصارِ مَبعثًا حتىٰ غزا بهم بدرًا؛ لأنَّهم شرطُوا له ﷺ عندِ بيعة العقبةِ الثانيةِ أنْ يمنَعُوه في دارِهم[٣]، كما تقدَّمَ.

١٩- «وفِي ذي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: آخى النَّبِيُّ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ»[٤].

آخىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ بين المُهاجرينَ والأنصارِ حينَ نَزلوا المدينةَ؛ ليُذْهبَ عَنهُم وَحشةَ الغربةِ، ويُؤْنِسَهُم مِن مُفارقةِ الأهلِ والعشيرةِ، ويشدَّ أَزْرَ بَعضِهم ببعضٍ[٥].

وقَدْ آخىٰ ﷺ بينهُم في دارِ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانوا تسعينَ رجلًا نِصفُهم من المهاجرينَ، ونصفُهم مِن الأنصارِ، آخىٰ بينهم علىٰ المُواسَاة، وعلىٰ أنهم يتوارثونَ بعدَ الموتِ دون ذوي الأرحامِ بحيثُ

---

(١) **الخَرَّار**: مكان قريب من الجحفة.

(٢) **انظر**: المغازي، للواقدي (١/ ١١)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٥٧٩).

(٣) **انظر**: المغازي، للواقدي (١/ ١١).

(٤) «مسند أحمد» (٣/ ١١١)، و«البخاري» (٢٢٩٤)، و«مسلم» (٢٥٢٩)، و«حدد التاريخ ابن سيد الناس في العيون» (٢/ ٣٥٢).

(٥) **انظر**: «الروض الأنف»، للسهيلي (٤/ ١٧٧-١٧٨).

يكونُ أثرُ الأُخوةِ الإسلاميةِ في ذلكَ أقوىٰ من أثرِ قرابةِ الرَّحمِ.

وظلَّتْ حقوقُ هذا الإخاءِ مقدَّمةً علىٰ حقوقِ القرابةِ إلىٰ غَزوةِ بدرٍ الكُبرَىٰ، لمَّا عزَّ وقَوِيَ الإسلامُ، واجتمعَ الشَّمْلُ وذهبتِ الوحشةُ، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦]، فردَّ التوارثَ إلىٰ الرَّحمِ دونَ عَقْدِ الأُخُوَّةِ.

ثمَّ جَعلَ المؤمنينَ كلَّهم إخوةً، فقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠] يعني في التوادِّ[(١)].

وقد ضَرَبَ الأنصارَ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي تَقدِيمِ المُهَاجرينَ عَلىٰ أنفسِهِم في أَموالِهم، فَقدْ كانُوا يَتسابقونَ في مؤاخاتِهم، حتّىٰ يؤولَ الأمرُ إلىٰ الاقتراعِ، وكانُوا يحكِّمُونهم في بُيوتِهِم وأثاثِهم وأموالِهم وأرضِهم، ويؤثِرُونَهُم علىٰ أنْفُسِهِم[(٢)].

ومِنْ صورِ ذلِكَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لمَّا آخَىٰ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا.

فقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟.

فَدَلُّوهُ عَلَىٰ سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا رَجَعَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ[(٣)]

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٢٢٩٢)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٥٠٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٦-٥٧)، و«الروض الأنف»، للسهيلي (٤/ ١٧٨)، و«فقه السيرة»، للبوطي، صـ(١٤٧).

(٢) انظر: «السيرة النبوية»، لأبي الحسن الندوي، صـ(٢٨١).

(٣) أقط: أي جبن مجفف.

وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ[١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ**[٢]».

قَالَ: تَزَوَّجْتُ.

قَالَ: «**كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟**[٣]».

قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ[٤] مِنْ ذَهَبٍ[٥].

وَقَالَتِ الأَنْصَارُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا، وَبَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ النَّخْلَ.

قَالَ: «**لَا**».

قَالَتِ الأَنْصَارُ: «**يَكْفُونَنَا المَئُونَةَ**[٦]، **وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ**».

قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[٧].

---

(١) **أثر صفرة**: أي أثر الطيب الذي استعمله عند الزفاف.

(٢) **مهيم**: أي كيف حالك؟، وما خبرك؟.

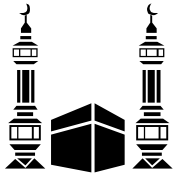
(٣) **كم سقت إليها؟**: أي كم أعطيتها مهرا؟.

(٤) **نواة**: اسم لقدر معروف عندهم، فسرها أكثر العلماء بخمسة دراهم من ذهب

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٨٠)، عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) **يكفوننا المؤنة**: أي المهاجرون يكفوننا المؤونة في النخل بتعهده بالسقي والتربية.

(٧) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٨٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



السَّنَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

وَفِيهَا ثَلَاثَةٌ وعِشْرُونَ حَدَثًا:

١- «فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزوةَ الأَبْوَاءِ حتَّى بَلَغَ ودَّانَ، وهيَ أَوَّلُ غَزوةٍ غزاهَا بنفسِهِ الشَّريفَةِ، فِدَاهُ أَبِي وأُمِّي»[(١)].

غَزا رَسولُ اللهِ ﷺ بنَفْسِهِ غَزوةَ الأبْواءِ، ويُقالُ لها: وَدَّانُ، وهي أَوَّلُ غَزوةٍ غَزَاهَا بنفْسِهِ، وحمَلَ لواءَهُ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ، وكانَ لواءً أبيضَ، واستخلفَ علىٰ المدينةِ سعدَ بنَ عُبادةَ، وخرجَ في المُهاجِرينَ خاصةً؛ لِيعْترضَ عِيرًا لِقُريشٍ، فَلَمْ يَلقَ ﷺ حَرْبًا، ورجعَ إلىٰ المَدينةِ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَادَعَ[(٢)] سَيِّدَ بَنِي ضَمْرَةَ فِي زَمَانِهِ عَلَىٰ أَلَّا يَغْزُو بَنِي ضَمْرَةَ، وَلَا يَغْزُوهُ، وَلَا أَنْ يُكَثِّرُوا عَلَيْهِ جَمْعًا، وَلَا يُعِينُوا عَلَيْهِ عَدُوًّا، وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً[(٣)].

٢- «وفِي رَبيعٍ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رسولُ اللهِ ﷺ غَزوةَ بُوَاطٍ»[(٤)].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٦)، «البداية» (٣/ ٢٨٠).

(٢) وادع: أي حالف.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٩١)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٤٨).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٧)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤).

غَزا رسُولُ اللهِ ﷺ غَزوَةَ بُواطٍ، وحملَ لواءَهُ سعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان لواءً أبيضَ، واستخلَفَ علىٰ المَدينةِ سَعدَ بنَ مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخَرَجَ في مائتينِ مِن أَصحَابِه؛ لِيعترضَ عِيرًا لقريشٍ، فِيهَا أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ الجُمَحِيُّ، ومائةُ رجل مِن قُريشٍ، وألفانِ وخَمْسِمِائةُ بعيرٍ، فبلغَ بُواطًا، فلم يَلْقَ حَرْبًا، فرَجَعَ[١].

٣- «وفي ربيعٍ الأوَّلِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غزَا رسولُ اللهِ ﷺ غزوةَ بَدرٍ الأُولى حتَّى بَلَغَ وادِيَ سَفَوانَ»[٢].

خَرجَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَطلبُ كُرْزَ بنَ جَابرٍ الفِهريَّ، وحملَ لواءَه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانَ لواءً أبيضَ، واستخلفَ علىٰ المَدينةِ زَيدَ بنَ حَارثةَ، وكانَ كُرْزٌ قدْ أَغَارَ علىٰ سَرْحِ المَدينةِ، فاستَاقه، وَكَانَ كرز قَدْ أَغَارَ عَلَىٰ سَرْحِ[٣] الْمَدِينَةِ، فَاسْتَاقَهُ وَكَانَ يَرْعَىٰ بِالْجَمَىٰ، فَطَلَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَلَغَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: سَفَوَانُ مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ، وَفَاتَهُ كُرْزٌ وَلَمْ يَلْحَقْهُ، فَرَجَعَ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وهذِهِ الغَزوةُ تُسَمَّىٰ غَزْوةَ بَدرٍ الأُولىٰ[٤].

٤- «وفي جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رَسولُ اللهِ ﷺ غزوةَ العُشَيرةِ، فوَادَعَ بَني مُدْلِجٍ وحلفاءَهُمْ مِن بَني ضَمْرَةَ»[٥].

غزا رَسولُ اللهِ ﷺ العُشَيرَةَ، وَحَمَلَ لِوَاءَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨-٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٤٨-١٤٩).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤).
(٣) سرح: هي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.
(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٩)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠١)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٤٩).
(٥) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨)، «البداية» (٣/ ٢٨٣).

وَكَانَ لِوَاءً أَبْيَضَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيَّ، وَخَرَجَ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَيُقَالُ: فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُكْرِهْ أَحَدًا عَلَىٰ الْخُرُوجِ، وَخَرَجُوا عَلَىٰ ثَلَاثِينَ بَعِيرًا يَعْتَقِبُونَهَا(١)؛ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ذَاهِبَةً إِلَىٰ الشَّامِ، وَقَدْ كَانَ جَاءَهُ الْخَبَرُ بِفُصُولِهَا مِنْ مَكَّةَ فِيهَا أَمْوَالٌ لِقُرَيْشٍ، فَبَلَغَ ذَا الْعُشَيْرَةِ، فَوَجَدَ الْعِيرَ قَدْ فَاتَتْهُ بِأَيَّامٍ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَقَدَ مُعَاهدةً مع بَنِي مُدْلِجٍ وَحُلَفَائِهِمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ، ثمَّ رَجعَ ﷺ إلىٰ المَدِينةِ، ولم يَلْقَ حَرْبًا(٢).

٥- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ سَرِيَّةُ جُهَينَةَ، وفِيهِمْ سَعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ إلى حَيٍّ مِنْ كِنانَةَ»(٣).

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ جَاءَتْهُ جُهَيْنَةُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَأَوْثِقْ لَنَا حَتَّىٰ نَأْتِيَكَ وَتُؤْمِنَّا، فَأَوْثَقَ لَهُمْ فَأَسْلَمُوا.

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَبَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رَجَبٍ، فِي أَقَلَّ مِنْ مائَةِ رَجُلٍ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَىٰ حَيٍّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ إِلَىٰ جَنْبِ جُهَيْنَةَ، فَأَغَرْنَا عَلَيْهِمْ وَكَانُوا كَثِيرًا، فَلَجَأْنَا إِلَىٰ جُهَيْنَةَ فَمَنَعُونَا، وَقَالُوا: لِمَ تُقَاتِلُونَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

فَقُلْنَا: إِنَّمَا نُقَاتِلُ مَنْ أَخْرَجَنَا مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: مَا تَرَوْنَ؟.

فَقَالَ بَعْضُنَا: نَأْتِي نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ.

---

(١) **يعتقبونها**: أي يتناوبون الركوب عليها.

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٩-١٠)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٥٩٨-٥٩٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٤٩-١٥٠).

(٣) **مسند أحمد**: «مسند سعد بن أبي وقاص» (١٤٥٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٧).

وَقَالَ قَوْمٌ: لَا بَلْ نُقِيمُ هَاهُنَا.

وَقُلْتُ أَنَا فِي أُنَاسٍ مَعِي: لَا بَلْ نَأْتِي عِيرَ قُرَيْشٍ فَنَقْتَطِعُهَا، فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ الْعِيرِ وَكَانَ الْفَيْءُ إِذْ ذَاكَ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ، فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ الْعِيرِ، وَانْطَلَقَ أَصْحَابُنَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَامَ غَضْبَانَ مُحْمَرَّ الْوَجْهِ فَقَالَ: «**أَذَهَبْتُمْ مِنْ عِنْدِي جَمِيعًا وَجِئْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمِ الْفُرْقَةُ، لأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ، أَصْبَرُكُمْ عَلَىٰ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ**»، فَبَعَثَ عَلَيْنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّ[(١)].

٦- «وفي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بَعَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ سريَّةَ عبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى نَخْلَةَ»[(٢)].

بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ اللهِ بنَ جَحشٍ الأسديَّ إلىٰ نَخلةَ في اثني عَشرَ رَجُلا مِنَ المهاجرينَ، كلُّ اثنينِ يَعتقبانِ علىٰ بَعيرٍ، فوَصَلُوا إلىٰ نَخلةَ يَرْصُدونَ عيرًا لقريشٍ، وفي هذِه السرية سُمِّي عبدُ الله بنُ جحشٍ أميرَ المؤمنينَ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ كتبَ له كتابًا، وأمرَه أنْ لا يَنظرَ فيه حتىٰ يَسيرَ يَومينِ، ثُمَّ يَنظرَ فيه، فيَمضِي لِمَا أمَرَه بِه، ولا يَستَكْرِهُ مِن أصْحَابِه أحدًا، ولمَّا فَتحَ الكِتابَ وَجدَ فِيهِ: «**إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا، فَامْضِ حَتَّىٰ تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا، وَتَعْلَمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ**».

فقال: سَمْعًا وطاعةً.

ثمَّ قالَ لأصْحابِهِ: قَد أَمَرَني رَسولُ اللهِ ﷺ أنْ أَمْضي إلىٰ نخلةَ،

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (١٥٣٩)، وضعفه أحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥)، «الكامل» (٢/ ١٢)، «البداية» (٣/ ٢٨٥).

أَرْصدَ بها قريشًا، حتىٰ آتِيه مِنهمْ بخبر، وقدْ نَهاني أنْ أَسْتكْرِهَ أحدًا مِنكم.

فمَن كانَ مِنكُم يُريدُ الشهادةَ ويَرغبُ فيها فَلْينْطَلِقْ، ومَن كَرِه ذلكَ فليرجِعْ، فأمَّا أنَا فَمَاضٍ لأمرِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَمَضَىٰ وَمَضَىٰ مَعَه أصحابُه، لَم يتخلفْ عَنهُ منهُم أَحدٌ.

فلمَّا كانَ في أثناءِ الطَّريقِ ضلَّ بَعيرٌ كانَ سَعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ، وعُتبةُ بنُ غَزْوَانَ يَعْتَقِبَانِهِ، فتخلَّفَا في طَلبِه، وبَعُدَ عبدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ حتَّىٰ نَزلَ بِنَخْلَةَ.

فمَرَّتْ به عيرٌ لقريشٍ تحمِلُ زَبيبًا، وأُدْمًا[1]، وتجارةً فيها عَمرُو بنُ الحُضْرَميُّ، وعُثمانُ ونَوفلُ ابنا عَبدِ اللهِ بن المُغِيرةِ، والحكمُ بنُ كَيْسَانَ مَولىٰ بني المُغيرةِ، فتشاورَ المسلمونَ، وقالوا: نحنُ في آخرِ يوم مِن رَجبٍ، فإنْ قاتَلنَاهُم، انْتهَكْنا حُرْمَةَ الشَّهرِ الحَرامِ، وإنْ تركناهُم اللَّيلةَ دَخَلوا الحرمَ.

ثمَّ أجمعَ المُسلِمُونَ علىٰ ملاقَاتِهم، فرمَىٰ أحدُ المُسلِمِينَ عَمرَو بن الحَضرميَّ فقتَلَه، وأسرُوا عُثمانَ والحَكَمَ، وهَرَبَ نَوفَلٌ.

ثمَّ قَدِمُوا بالعيرِ والأَسيرينِ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ، وقَد عَزلُوا مِن ذلكَ خُمسَ العيرِ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقُسِّمَ الباقي علىٰ أصحابِ السَّريَّةِ.

وهَذَا أوَّلُ خُمُسٍ في الإسلامِ، وأولُ قتيلٍ في الإسلامِ، وأولُ أسيرينِ في الإسلامِ.

فَأنكرَ رسولُ اللهِ ﷺ عَليهم ما فَعَلوه، وأَبىٰ أنْ يأخذَ مِنْ ذلكَ

---

(١) أدما: جمع أديم، وهو الجلد.

شيئًا، واشْتدَّ تَعَنُّتُ قريشٍ وإنكارُهم ذلك، وقالتْ: قد اسْتَحَلَّ محمَّدٌ، وأصحَابُه الشهرَ الحرامَ، وسَفَكُوا فيه الدَّمَ، وأخَذُوا فيه الأموالَ، وأسرُوا فيه الرِّجالَ، واشتدَّ علىٰ المسلمينَ ذلكَ، حتَّىٰ أَنزلَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:٢١٧][(١)].

أي هَذا الذِي أنكرتُمُوهُ عَليهِم، وإنْ كانَ كبيرًا، فمَا ارْتكبتُمُوه أنتُم مِنَ الكُفرِ باللهِ والصدِّ عن سَبيلِه، وعن بيتِه وإخراجِ المسلمينَ الذينَ هُم أهلُه مِنه، والشركِ الذِي أنتُم عَليه، والفتنةِ التي حَصلَتْ مِنْكم به أكبرُ عندَ اللهِ مِنْ قتالِهم في الشَّهرِ الحَرامِ[(٢)].

فلمَّا نزلَ القرآنُ بهذا قَبضَ رسولُ اللهِ ﷺ العِيرَ والأسيرينِ، وبَعثتْ إليهِ قريشٌ في فِدَاءِ عثمانَ بنِ عبدِ اللهِ، والحكمِ بنِ كَيْسانَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا نُفْدِيكُمُوهَا حَتَّىٰ يَقْدَمَ صَاحِبَانَا- يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ- فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ»، فَقَدِمَ سعدٌ وعُتبةُ، فأفْدَاهُما رسولُ اللهِ ﷺ مِنهُم.

فأمَّا الحكمُ بنُ كَيْسَانَ فأسلمَ فحسُنَ إسلامُه، وأقامَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتىٰ قُتلَ يومَ بئرِ مَعُونَةَ.

وأما عُثمانُ بنُ عبدِ اللهِ فَلَحِق بمكةَ، فماتَ بها كافِرًا.

فلمَّا ذهبَ عن عبدِ اللهِ بن جَحشٍ وأصحابِه ما كانوا فيه من

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ١٠-١١)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠١-٦٠٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٠-١٥١).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٥١).

الخوفِ حينَ نزلَ القرآنُ، طمِعُوا في الأجرِ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ أنطمَعُ، أنْ تكونَ لنا غَزوةٌ نُعْطَىٰ فيها أجرُ المُجَاهِدينَ؟.

فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة:٢١٨](١).

مِمَّا يُستفادُ مِنْ هذَا:

أنَّ الإمامَ إذا بَعثَ سَريةً فَغنِمتْ غَنيمةً، أو أَسَرتْ أسيرًا، أو فَتحتْ حِصنًا، كانَ ما حَصلَ مِن ذَلك لها بَعدَ تخْميسِهِ(٢).

٧- «وَفِي رَجَبٍ وشَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نزلَ الأَمرُ الإلهيُّ بتَحويلِ القِبلةِ مِنْ بيتِ المَقْدسِ إلى الكَعبةِ المشرَّفةِ، وهو أولُ نَسخٍ وَقعَ في الإسلامِ»(٣).

كان رَسولُ اللهِ ﷺ يُصلي إلىٰ قِبلةِ بيتِ المَقدسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَىٰ الكَعْبَةِ، وَقالَ لجِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَدِدْتُ أَنْ يَصْرِفَ اللهُ وَجْهِي عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ**».

فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَادْعُ رَبْكَ وَاسْأَلْهُ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ يَرْجُو ذَلِكَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، وذَلك بعدَ سِتَّةَ عَشَرَ شهرًا من مَقْدِمِه المَدينة قبلَ وَقعةِ بدرٍ بشهرينِ(٤).

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠٤-٦٠٥).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٤٩٩).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧)، «الكامل» (٢/ ١٣)، «البداية» (٣/ ٢٨٨).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٣٩٩)، و«صحيح مسلم» (٥٢٧)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٢٤٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٩).

وكانَ للهِ في جعلِ القبلةِ إلىٰ بيتِ المقدسِ ثم تحويلِها إلىٰ الكَعبةِ حِكمٌ عَظيمةٌ، ومحْنةٌ للمسلمينَ والمشركينَ واليهودِ والمنافقينَ.

فأما المُسلمونَ فقَالُوا: سَمِعنا وأطَعْنا وقَالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، وهمُ الذينَ هَدَىٰ اللهُ، ولم تكنْ كبيرةً عَليهِم.

وأما المُشركونَ فقَالُوا: كمَا رجَع إلىٰ قبلتِنا، يُوشِكُ أنْ يرجعَ إلىٰ دينِنا، ومَا رجعَ إليها إلا أنَّها الحقُّ.

وأما اليَهودُ فقَالُوا: خَالفَ قِبلةَ الأنبياءِ قَبلَه، ولو كانَ نبيًّا لكانَ يُصلي إلىٰ قبلةِ الأنبياءِ.

وأما المُنافِقُون فَقَالُوا: ما يَدري محمدٌ أينَ يتوجَّهُ، إن كانتِ الأُولىٰ حقًّا فقد تركَها، وإنْ كانتِ الثانيةُ هي الحقُّ فقدْ كان علىٰ باطل.

وكثرتْ أقاويلُ السفهاءِ من الناسِ، وكانتْ كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣]، وكانتْ محنةً مِنَ اللهِ امتحنَ بها عبادَه ليرَىٰ مَن يتَّبعُ الرسولَ ﷺ مِنهم ممَّن ينقلبُ عَلىٰ عَقِبَيهِ[(١)].

٨ - «وفي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: فُرِضَ صِيامُ رَمَضانَ»[(٢)].

فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ[(٣)].

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٦٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨)، «الكامل» (٢/ ١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٠٢)، ومسلم (١١٢٥)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

٩- «وَفِي يومِ الجُمُعَةِ السَّابعَ عشرَ مِنْ رَمضانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقعتْ غَزْوةُ بدرٍ الكُبرَى»[١].

لمَّا سَمعَ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي سفيانَ بنِ حرْبٍ مُقبلًا مِنَ الشامِ في عِيرٍ[٢] لقُريشٍ عَظيمةٍ، فيها أموالٌ لقريشٍ وتجارةٌ من تجاراتِهم وفيها نحوا من أربَعينَ رجلًا من قُريشٍ، فَحثَّ رَسُولُ الله ﷺ المُسلمينَ للخُروجِ إليهمْ، وقالَ: «**هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا**[٣]»، فخَرجَ بعضُ الناسِ، وبقيَ آخَرونَ، وذلكَ؛ لأنَّهم لم يَظُنُّوا أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ سَيلقَىٰ قِتالًا[٤].

أبو سفيانَ يشعرُ بالخطرِ العظيمِ، ويأخذُ الحَيْطَةَ:

وكان أبو سفيانَ حينَ دَنا مِنَ الحِجَازِ يتجَسَّسُ الأخْبارَ، ويسألُ مَن لقي من الركبانِ تخوُّفًا علىٰ تِجَارَتِهِ حتَّىٰ قَالَ لهُ بعضُ الرُّكْبَانِ: إنَّ محمدًا قد اسْتنْفرَ أصحابَه لكَ، ولعيرِك، فَحذِرَ أَبو سُفيانَ عند ذلكَ، فأَرْسَلَ ضَمضمَ بنَ عمرٍو الغِفاريَّ إلىٰ مَكَّةَ؛ لِيَصْرُخَ في قريشٍ بالنَّفيرِ إلىٰ عِيرهم؛ لِيمْنَعُوه مِن محمَّدٍ وأصحَابِه[٥].

قُريشٌ تُلبِّي نذيرَ أبي سُفيانَ، وتَتجهَّزُ للخُروجِ:

لمَّا بلغَ الصَّريخُ أهلَ مكةَ، نهضُوا جميعًا مُسرعينَ، فلمْ يتخلَّفْ مِن

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩: ٤٢)، «البداية» (٢/ ٢٩٠: ٣٦٠).

(٢) عير: أي قافلة من الإبل محملة بالبضائع والأموال.

(٣) يُنْفِلُكُمُوهَا: أي يجعلها لكم نفلا، وهو الغنيمة.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ١٢)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠٦-٦٠٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٣).

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٣).

أشرافِهم أحدٌ سِوىٰ أَبي لَهَبٍ، فبعثَ مكانَه العَاصيَ بنَ هشامٍ كانتْ عَليه لأبىٰ لهبٍ أَربعةُ آلافِ درهمٍ، فاستأجرَه بها علىٰ أن يُجزئَ عَنه، وحَشدُوا فيمَنْ حَولهُم مِن قبَائلِ العربِ، ولم يتخلفْ عنهم أحدٌ من بُطونِ[١] قريشٍ إلَّا بني عَديٍّ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ[٢].

انعقادُ إجماعِ كفارِ قريشٍ على الخروجِ لملاقاةِ رسولِ اللهِ ﷺ في بدرٍ، ولكنَّ الحربَ بين قريشٍ، وبني كِنانةَ تكادُ تُثنيهِم عنِ الخروجِ:

ولمَّا فَرغوا من جَهَازِهم، وأجمعُوا المَسيرَ إلىٰ بدرٍ، تذكروا الحربَ التي كانتْ بينهم وبين بَني بكرِ بن كِنانةَ، فقالوا: إنَّا نَخشىٰ أنْ يأتونَا من خَلفِنَا، فكادَ ذلكَ يُثنيهِم عنِ الخُروجِ[٣].

كفارُ قريشٍ يستجيبونَ لإغراءِ إبليسَ للخروجِ لملاقاةِ رسولِ اللهِ ﷺ في بدرٍ:

فتبدَّىٰ لهُم إبليسُ في صورةِ سُرَاقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، وكان من أشراف بني كِنانة، فقال لهم: أنا لكم جَارٌ من أنْ تأتِيَكُم كنانةُ من خلفِكم بشيءٍ تَكْرهُونَه[٤].

وخرجُوا من دِيارِهم سِراعًا كَمَا قَال تعَالىٰ: ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٤٧]، وجاءُوا علىٰ حَمِيَّةٍ، وغَضبٍ عَلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه، فجَمعَهم اللهُ علىٰ غَيرِ مِيعادٍ كمَا قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن

---

(١) بطون: جمع بطن، وهي جزء من القبيلة.
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠٩-٦١٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٣).
(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٠-٦١١).
(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٢).

لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا ﴾ [الأنفال:٤٢][(١)].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يتجهَّزُ للخُروجِ لمُلاقَاةِ كُفارِ قُريشٍ:

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في أصْحابِه، واستخلَفَ عَلَىٰ المدينةِ وَعلىٰ الصَّلاةِ بالناسِ ابنَ أمِّ مَكتوم، وَفي أثناء الطَّريقِ ردَّ أبا لُبَابةَ بنَ عبدِ المُنذِرِ، واستَعملَهُ عَلىٰ المدينةِ.

ودفعَ اللواءَ إلىٰ مُصْعبِ بنِ عُمَيرٍ، وكانَ أبيضَ، وكَانَ أمامَ رَسولِ ﷺ رَايتانِ سَودَاوانِ، إِحْدَاهُما مع عَليِّ بنِ أَبي طالبٍ، والأُخْرَىٰ التي للأنصارِ معَ سعدِ بنِ مُعاذٍ، وجَعَلَ علىٰ السَّاقَةِ[(٢)] قَيسَ بنَ أَبي صَعْصَعَةَ[(٣)].

قوةُ جَيشِ المسلمينَ:

لم يتجَهَّزْ رسولُ اللهِ ﷺ وأَصحابُه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ التجُّهزَ الكَاملَ، ولا أَعَدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، وَلَا تَأَهَّبُوا لَهُ أُهْبَتَهُ، وَلَكِنْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ، وخرَج ﷺ مُسرِعًا في ثَلاثِمائةٍ وسَبْعَةَ عَشرَ رَجُلا: ستَّةٌ وثَمانونَ مِن المُهاجِرينَ، وواحدٌ وستُّونَ من الأوسِ، ومائةٌ وسَبعونَ مِنَ الخَزرجِ، ولم يَكنْ معهم من الخيلِ إلا فرسانِ: فرسٌ للزبيرِ بن العوَّام، وفرسٌ للمقدَادِ بن الأسودِ، وكان معهم سَبعونَ بعيرًا، يَعتقبُ الرجلانِ والثلاثةُ علىٰ البعيرِ الواحدِ[(٤)].

طَرِيقُ المُسلمينَ إلى بَدرٍ:

سَلكَ رَسولُ اللهِ ﷺ الطريقَ الرئيسيَّ المؤدِّي إلىٰ مكةَ حتَّىٰ بلغَ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٥٣).

(٢) الساقة: هم الذين يسوقون الجيش، ويكونون من ورائه يحفظونه.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٢-٦١٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٤).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٣، ١٦٨).

بئرَ الرَّوحاءِ، ثم تَركَ طريقَ مَكةَ عن يَسارِه، وسلكَ ذاتَ اليمينِ نَحوَ بدرٍ، فلمَّا اقْتَرَبَ منْ بَدْرٍ بعثَ رَجُلينِ إلىٰ بَدرٍ؛ ليأتِياهُ بِأخْبارِ العِيرِ[١].

رَسولُ اللهِ ﷺ يَستشيرُ أَصْحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَبلَ الخَوضِ في المَعْرَكَةِ:

لما بلغَ رَسولَ اللهِ ﷺ خُروجُ قريشٍ اسْتَشارَ أصحابَه، وأخبرَهم عن قريشٍ، فقامَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتكلَّمَ كلامًا حسنًا، ثمَّ قامَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتكلَّمَ كلامًا حسنًا، ثم قام المِقدَادُ بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقالَ: يا رسولَ اللهِ، امضِ لِمَا أراكَ اللهُ فنحنُ معَك، واللهِ لا نقولُ لك كمَا قالتْ بنو إسرائيلَ لمُوسَىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، ولكنِ اذْهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا مَعكما مُقاتِلونَ، فَوالذِي بعثَك بالحقِّ لو سِرتَ بِنا إلىٰ بَرْكِ الغِمَاد[٢] لجَالَدْنا[٣] مَعك مَن دُونَه، حتىٰ تَبلغَه، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ خيرًا، ودعَا لَهُ.

ثُم قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**أَشيروا عَليَّ أيُّها النَّاسُ**»، وإنَّما يُرِيدُ الأَنصارَ، وذلكَ لأنَّهُم أكثرُ الناسِ عددًا، وأنَّهم حينَ بايعوهُ بالعَقبةِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ: إنَّا براءُ من ذِمَامِكَ حتَّىٰ تصلَ إلىٰ دِيارِنا، فإذا وَصلتَ إلينا، فأنتَ في ذِمَّتِنا نمنَعُك ممَّا نمنعُ منه أبناءَنا ونساءَنا، فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يتخوَّفُ ألَّا تكونَ الأنصارُ تَرىٰ عَليها نَصْرَهُ إلا ممَّن دَهمَه بالمَدينةِ من عدوِّه، وأنَّ ليسَ عليهم أن يَسيرَ بهم إلىٰ عدوٍّ خارجَ بلادِهِم.

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٣-٦١٤).

(٢) **برك الغماد**: موضع بناحية اليمن.

(٣) **لجالدنا**: أي لقاتلنا.

فلما قالَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ له سعدُ بن مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: واللهِ لكأنَّك تريدُنا يا رسولَ الله؟ قال: أَجَلْ.

قال: فقَد آمنَّا بكَ وصدَّقناك، وشهِدْنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك علىٰ ذلك عهودَنا ومواثيقَنا، علىٰ السمعِ والطاعةِ، فامضِ يا رسول اللهِ لما أردتَ فنحنُ معكَ، فو الذي بعثك بالحَقِّ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه لخُضنَاه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تَلْقىٰ بنا عدونا غدا، إنا لصُبُرٌ في الحربِ، صُدُقٌ في اللقاءِ، لعلَّ اللهَ يريكَ منا ما تَقرُّ به عينُك، فَسِرْ بنا علىٰ بركةِ الله.

فَسُرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بما سمِعَ من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم قالَ: «**سيرُوا وأبشِروا، فإنَّ اللهَ تَعالىٰ قدْ وَعدَني إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَينِ، واللهِ لكَأنِّي الآنَ أَنظرُ إِلىٰ مَصَارِعِ[1] القَومِ**»[2].

حَذَرُ أبي سُفيانَ وهَربُه بالعِيرِ:

وأقبلَ أبو سفيانَ بن حَربٍ، حتىٰ تقدَّم العِيرَ حَذِرًا، حتىٰ وَردَ بِئرَ الماءِ، فقالَ لمَجدِي بن عمرٍو: هل أحْسَستَ أحدًا؟

فقال: ما رأيتُ أحدًا أُنْكِرُهُ، إلا أني قد رأيتُ راكبين قد أنَاخا إلىٰ هذَا التَّلِّ، ثم شَربا في سِقاءٍ لهُما، ثم انْطَلَقَا.

فأتىٰ أبو سُفيانَ مُنَاخَهُمَا، فأخذَ مِن أبعَار بَعيرَيْهِما، ففَتَّه، فإذا فيه النَّوىٰ، فقال: هذه واللهِ علائفُ يَثربَ، فرَجعَ إلىٰ أصْحابِه سَريعًا، فأخذَ بِعِيرِهِ مُسْرِعًا جهةَ السَّاحلِ، وترك بدرًا[3].

---

(١) **مصارع**: جمع مصرع، وهو موضع القتل.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٤-٦١٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٨).

أَبو سُفيانَ يرسلُ رِسالةً لأهلِ مَكةَ أنِ ارْجعُوا:

لمَّا رأَىٰ أبو سفيانَ أنه قدْ نَجَا بعيرِه، أرسلَ إلىٰ قُريشٍ: إنَّكم إنما خرجتم لتمنَعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجَّاها اللهُ، فارجِعوا، فأتاهم الخبرُ، وهم بالجُحْفَة، فهمُّوا بالرُّجوعِ، فقال أبُو جَهلِ بنُ هِشامٍ: واللهِ لا نَرجعُ حَتَّىٰ نَأْتِيَ بدرًا- وكان بدرٌ مَوسِمًا مِن مَواسِمِ العَربِ، يجتمعُ لهُم به سوقٌ كلَّ عامٍ- فنقيمَ بها، فننحرَ الجُزُرَ[١]، ونُطعِمَ الطعامَ، ونَسقيَ الخمرَ، وتَعزفَ عَلينا القِيانُ[٢]، وتَسمعُ بنا العربُ، وبِمَسيرِنا وجَمعِنا، فلا يَزالونَ يهَابُونَنا أبدًا بَعدَها، فَامْضُوا[٣].

رُجوعُ بني زُهْرَةَ:

فأشارَ أَحَدُ بَني زُهْرَةَ عَليهِم بالرُّجوعِ، فَعَصَوْه، فقالَ: يا بَني زُهْرةَ قدْ نَجَّىٰ اللهُ لكم أموالَكُم، فارجِعُوا.

فرجعَ هُو وبنُو زُهرةَ، فلم يَشْهَدوهَا.

وأرادتْ بنو هاشمٍ الرُّجوعَ، فاشتدَّ عَليهم أبو جهلٍ، فأَطاعُوهُ، وساروا معهُ[٤].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَكشِفُ مَوقِعَ كفَّارِ قُريشٍ بِنفْسِهِ:

ثُمَّ ارتحلَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَنزلَ قَريبًا من بَدرٍ، فَركبَ هو وأبُو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ وقف علىٰ رَجُلٍ مِنَ العربِ، فَسألَهُ رسولُ اللهِ ﷺ عن قُريشٍ، وعنْ محمدٍ وأصحابِه، ومَا بلغَهُ عنهم، فقَالَ: لا

---

(١) **الجزر**: جمع جزور، وهو البعير.

(٢) **القيان**: أي الجواري.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٦).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٦).

أُخْبِرُكُمَا حتَّىٰ تُخْبِرَاني مَمَّن أنْتُما؟

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذَا أخبرتَنَا أَخْبرنَاك**».

قالَ: أذاكَ بِذاكَ؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قال الرَّجُلُ: فإنَّه بَلغَني أن محمَّدًا وأصحابَه خَرجُوا يومَ كذا وكذا، فإن كانَ صَدَقَ الذي أَخْبرَني، فَهمُ اليومَ بمكانِ كذَا وكذَا، للمكانِ الَّذي به رسولُ اللهِ ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجُوا يومَ كذا وكذا، فإنْ كانَ الذي أخْبَرني صَدَقَني فَهمُ اليومَ بمكانِ كذَا وكذَا للمكانِ الَّذي فيهِ قريشٌ.

فلما فرغَ من خَبره، قالَ: مِمَّن أنتُمَا؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نَحنُ مِنْ مَاءٍ**[(١)]».

ثُم انصرفَ عَنهُ، فَجَعلَ الرَّجُلُ يقولُ: مَا مِن مَاءٍ، أَمِنْ مَاءِ العِراقِ؟[(٢)].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يعاودُ استكشافَاتِه لقوةِ كفارِ قريشٍ:

ثمَّ رجعَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ أصحابِه، فلما أمسىٰ بعثَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، والزُّبيرَ بنَ العوَّام، وسعدَ بنَ أَبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في نَفرٍ من أَصحابِه، إلىٰ مَاءِ بدرٍ، يلتَمسونَ الخبرَ، فأصابوا إبلًا عليها ماءٌ لقُريشٍ فيها غُلَامانِ، فأتَوا بهما ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصَلي، فسألوهُمَا مَن أنْتُما؟، فَقَالا: نحنُ سُقاةُ قُريشٍ، بَعَثُونا نَسقِيهِم مِنَ الماءِ، فَكرِه ذلكَ

---

(١) **نحن من ماء**: كلمة «ماء» لها معنيان: أحدهما: قريب، والآخر: بعيد، فمعناها القريب: مكان اسمه «ماء»، ومعناها البعيد وهو المراد: مخلوقون من منيٍّ، كما قال تعالىٰ: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق:٦-٧].

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٥-٦١٦).

أصحابُه، وودُّوا لو كانا لعِيرِ أبي سُفيانَ.

فلمَّا سلَّم النبيُّ ﷺ من صَلاتِه، قالَ للغُلامينِ: «**أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ**».

قالا: همُ واللهِ وراءَ هذا الكثيبِ الذي تَرَىٰ بالعُدْوَةِ القُصْوَىٰ[١].

فقال لهُما رسولُ اللهِ ﷺ: «**كَمِ القَومُ؟**».

قالا: لا عِلمَ لنَا.

قالَ: «**مَا عِدَّتُهُم؟**».

قالَا: لا نَدْري.

قالَ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ كلَّ يومٍ؟**».

قالَا: يوما تسعا، ويوما عشرا.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**القَومُ فِيمَا بَينَ التِّسعِمَائَةِ والأَلْفِ**».

ثم قالَ لهُمَا: «**فمَنْ فيهِم مِنْ أَشرافِ قريشٍ؟**».

فَذَكَرُوا لهُ جمَاعةً منهُم: عُتبةُ بنُ رَبيعةَ، وشَيبَةُ بنُ رَبيعةَ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ، وزَمْعةُ بنُ الأَسودِ، وأبو جَهلِ بنِ هِشَامٍ، وأُميةُ بنُ خَلفٍ، وسُهيلُ بنُ عَمرٍو.

فأقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ الناسِ، فقالَ: «**هَذه مَكةُ قدْ أَلْقتْ إليكُم أَفْلَاذ[٢] كَبِدِهَا**»[٣].

---

(١) **العدوة القصوىٰ**: العدوة حافة الوادي، وجانبه، أي الجانب البعيد من المدينة، فهي حافة الوادي من الجهة الأخرىٰ. أما العدوة الدنيا، فهي القريبة إلىٰ المدينة.

(٢) **أفلاذ**: أي قطع.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٦-٦١٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٦-١٥٧).

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنزلُ لِرَأْيِ الحُبَابِ بنِ المُنذرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وسارَ رسولُ اللهِ ﷺ يُسَابِقُ المُشركينَ إلىٰ المَاءِ، حتىٰ نَزلَ أدْنىٰ ماءٍ من بَدرٍ.

فقال الحُبَابُ بنُ المُنْذِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رَسولَ اللهِ أرأيتَ هذا المَنزِلَ، أمَنزلًا أَنزلَكَهُ اللهُ ليسَ لنا أن نتقدَّمَهُ، ولا نَتأخَّرَ عَنه، أمْ هُو الرأيُّ والحَربُ والمَكيدةُ؟

قالَ: «**بلْ هُوَ الرَّأيُ والحَربُ والمَكِيدَةُ؟**».

فقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، فإنَّ هذَا ليسَ بِمَنزِلٍ، فانْهضْ بالناسِ حَتىٰ نأتيَ أَدنىٰ مَاءٍ مِن القوم، فَنَنزِلَهُ، ثم نُغَوِّرُ[١] مَا ورَاءَهُ مِنَ القُلُبِ[٢]، ثم نَبنيَ عَليهِ حوضًا فَنمْلَأَهُ ماءً، ثمَّ نُقَاتلَ القَومَ، فَنَشربَ ولا يَشْرَبونَ.

فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لقَدْ أَشرتَ بِالرَّأْيِ**»[٣].

النبيُّ ﷺ يَسبقُ إِلى المَاءِ:

فَسبقَ رَسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه إلىٰ الماءِ، حتىٰ إذا أَتَوْا أدْنىٰ ماءٍ مِنَ المُشركينَ نزلُوا عَلَيه شطرَ الليلِ، وصنعُوا الحِياضَ، ثم غوَّروا ما عدَاها مِن المِياهِ، وبَنَوا حَوضًا علىٰ القَليبِ الذِي نَزلُوا عَليه، فمُلِئَ ماءً[٤].

بعضُ كُفارِ قريشٍ يَشربُونَ مِن حَوضِ رسولِ اللهِ ﷺ:

وسارَ المشركونَ سِراعًا يريدونَ الماءَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُمْ**».

---

(١) **نغوِّر**: أي ندفن، ونطمس.

(٢) **القُلُب**: أي الآبار.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٠).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٧).

فَما شَرِبَ منه رجلٌ يومئذٍ إلا قُتِلَ، إلا حكيم بن حزامٍ، فإنَّه شربَ ولم يُقتلْ، ثم أسلمَ بعدَ ذلكَ[١].

المَطرُ جندٌ مِن جُنودِ اللهِ:

أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ليلةِ المعركةِ مطرًا، فكانَ علىٰ المُشركين مَطرًا شديدًا منعهم من التقدُّم، وكان علىٰ المُسلمينَ مطرًا خفيفًا طهَّرَهُم به، وأذهبَ عنهم رِجسَ الشيطانِ، ووطَّأَ به الأرْضَ، وصَلَّبَ به الرَّملَ، وثبَّتَ الأقدَامَ، وربطَ به علىٰ قلوبِهِم[٢].

النبيُّ ﷺ تُبنى لهُ خيْمَةٌ بمشورةِ سعدِ بنِ مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقالَ سعدُ بنُ معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا نَبيَّ اللهِ، ألا نَبنيَ لكَ عَرِيشًا[٣] تَكُونُ فيهِ، ونُعِدُّ عِندَكَ رَكائِبَكَ، ثُم نَلقىٰ عَدُوَّنا، فإن أعزَّنا اللهَ وأَظْهَرَنا علىٰ عَدُوِّنَا كان ذلكَ ما أحبَبنا، وإن كانتْ الأُخرىٰ جَلستَ علىٰ ركائِبك، فلَحِقتَ بمنْ ورَاءَنَا، فقدْ تخلَّفَ عنكَ أقوامٌ يا نَبيَّ اللهِ، مَا نحنُ بأَشدَّ لكَ حبًّا مِنهم، ولو ظَنوا أنَّكَ تَلقَىٰ حَربًا ما تخلَّفوا عنك، يَمنَعُكَ اللهُ بِهم، يُناصِحُونَك ويجَاهِدُون مَعَك.

فأثْنىٰ عليه رسولُ اللهِ ﷺ خَيرًا، ودعَا له بخيرٍ، ثم بُني لرسولِ اللهِ ﷺ عريشٌ، فكان فيه[٤].

ومَشَىٰ ﷺ في مَوضعِ المَعركةِ، وجعل يُشيرُ، ويَقُولُ: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَمَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٥].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٢)، و«زاد المعاد» (١/ ١٥٦).
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٩-٦٢٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٧).
(٣) عريشا: أي خيمة يستظل بها.
(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٠-٦٢١).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٣)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الكُفَّارُ يَتَحَسَّسُونَ قُوةَ المسلمينَ، والشِّقاقُ يَدبُّ بَينهُمْ:

لمَّا اطمَأَنَّت قريشٌ بعثوا عُميرَ بنَ وهبٍ الجُمحيَّ، فقالوا: قدِّرْ لنا عَددَ أصحابِ محمدٍ، فذهبَ بفرسِه حولَ العسكرِ، ثُم رجعَ إليهم، فقَال: ثلاثُ مَائةِ رَجل، يَزيدُونَ قَليلًا أو يَنقُصُونَ، ولَكنْ أَمْهلوني حَتىٰ أنظرَ أللقَومِ كَمينٌ، أو مَدَدٌ؟.

فَذهبَ في الوَادِي حَتىٰ أَبْعدَ، فلمْ يرَ شَيئا، فرجعَ إليهم، فَقال: ما وَجَدتُ شَيئًا، ولكِني قَد رَأيتُ، يَا معشرَ قريشٍ، البَلايا[١] تَحمِلُ المَنَايَا، نَواضِحُ[٢] يَثربَ تحملُ الموتَ الناقع[٣]، قومٌ لَيسَ مَعهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجأٌ إلا سُيوفُهُم، وَاللهِ مَا أَرَىٰ أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ؟! فَرَوْا رَأْيَكُمْ[٤].

فلمَّا سَمعَ حَكيمُ بنُ حزامٍ ذَلكَ أَتىٰ عُتْبَةَ بنَ رَبيعَةَ، فَقَالَ: يَا أبَا الوليدِ، إنَّكَ كَبيرُ قريشٍ وَسيدُهَا، والمُطاعُ فِيها، هل لك إلىٰ أنْ لا تَزالَ تُذَكَرُ فيها بخيرٍ إلىٰ آخرِ الدهرِ؟.

قال: وما ذَاكَ يا حَكيمُ؟.

قال: تَرْجِعُ بالناسِ، وتحملُ أَمْرَ حَليفكَ عَمرِو بنِ الحَضْرميِّ[٥].

قال: قد فَعلتُ، أنتَ ضامنٌ عليَّ بذلك، إنما هو حَليفي، فَعَليَّ

---

(١) البلايا: أي الدابة تربط علىٰ قبر الميت فلا تعلف ولا تسقىٰ حتىٰ تموت، وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول: إن صاحبها يحشر عليها.

(٢) نواضح: جمع ناضح، وهي الإبل التي يستقىٰ عليها الماء.

(٣) الناقع: أي البالغ في الإفناء.

(٤) فروا رأيكم: أي انظروا، وتفكروا في رأيكم.

(٥) الذي قُتل في سرية نخلة.

عَقْلُهُ[١] ومَا أُصيبَ مِن مَالِه، فأتِ ابنَ الحَنظليةِ[٢]، فإني لا أَخشَىٰ أنْ يَشْجُر[٣] أمرَ الناسِ غيرُهُ.

ثمَّ قامَ عُتبةُ بنُ ربيعةَ خَطيبًا فحثَّ الناسَ علىٰ الرُّجوعِ

ثُمَّ انطلقَ حَكيمُ بنُ حزامٍ حتىٰ أتَىٰ أبا جهلٍ، فَوجَدهُ يُهَيِّئُ دِرْعًا له، فذكَرَ لهُ مَا أرسلَهُ به عُتبةُ.

فقالَ أَبُو جَهلٍ: انْتفخَ واللهِ سَحْرُهُ[٤] حينَ رأىٰ محمَّدًا وأصحابَه، كلَّا واللهِ لا نرجعُ حتَّىٰ يحكمَ اللهُ بيننا وبينَ محمدٍ.

فلمَّا بلغَ عُتبةَ قولُ أَبي جَهلٍ عَنْهُ، قال: سَيعْلمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ[٥] مَنِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ، أَنا أَمْ هُوَ؟.

ثمَّ بعثَ أَبُو جَهلٍ إلىٰ عَامرِ بنِ الحَضرميِّ، فقال: هذا حَليفك[٦] يُريدُ أنْ يَرجِعَ بالناسِ، فقُمْ فَحُثَّ قُريشًا علىٰ قتالِ محمدٍ وصَحْبِه.

فقام عَامرٌ، فَصرخَ: وَا عَمْرَاه، وَا عَمْرَاه[٧].

فاجتَمعُوا علىٰ ما هُم عليه من الشرِّ، وأَفْسدَ أَبُو جَهلٍ علىٰ الناسِ

---

(١) عقله: أي ديته.

(٢) ابن الحنظلية: أي أبا جهل بن هشام، والحنظلية هي أمه.

(٣) يشجر: أي يخالف ويخاصم.

(٤) انتفخ واللهِ سحره: كناية عن الجُبن.

(٥) مصفرُ استه: أراد مصفر بدنه، ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوء أن تذكر.

(٦) هذا حليفك: أي عتبة.

(٧) وا عمراه: هذا أسلوب ندب، يريد هنا التفجع علىٰ عمرو بن الحضرمي، وا: حرف نداء وندبه. عمر: منادىٰ مندوب. الألف: ألف الندبة. الهاء: هاء السكت مبني علىٰ السكون.

الرَّأيَ الذِي دَعاهُم إليهِ عُتْبةُ[١].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدعُو على كفَّارِ قُريشٍ حينَمَا رَآهُم:

ارْتحَلتْ قريشٌ حينَ أصْبحَتْ، فَأقبلتْ نَحوَ بَدرٍ، فلما رآها رَسولُ اللهِ ﷺ آتيةً نحوَ الوادِي قَالَ: «**اللهم هَذِه قُريشٌ قدْ أقْبلتْ بخُيلائِهَا**[٢] **وفخْرِها، تُحادُّك وتُكذِّبُ رَسولَكَ، اللهم فَنَصرَك الذي وعدْتَني، اللهم أَحِنْهُمْ**[٣] **الغَدَاةَ**».

وأمرَ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنْ لا يَحمِلُوا حتىٰ يَأمرَهم، وقالَ: «**إنِ اكْتَنَفَكُمْ الْقَوْمُ، فَانْضَحُوهُمْ**[٤] **عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ**».

وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ في العَريشِ، مَعهُ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

أول قتيلٍ من الكفارِ:

خرجَ الأسودُ بنُ عبدِ الأسدِ، وكانَ رجلا شَرسًا سَيِّئَ الخُلُقِ، فقالَ: أُعَاهِدُ اللهَ لأَشربنَّ مِن حوضِهِم، أو لأَهْدِمَنَّه، أَو لأَمُوتنَّ دُونَه، فَخرجَ إليه حَمزةُ بنُ عبدِ المُطلبِ، فلمَّا التقيا ضَربَهُ حمزةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأطارَ نصفَ سَاقِهِ، وهو دونَ الحوضِ، فوقعَ علىٰ ظهرِه تَشْخُبُ[٦] رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ حَبَا إِلَىٰ الْحَوْضِ حَتَّىٰ اقْتَحَمَ فِيهِ، يُرِيدُ أَنْ يُبِرَّ يَمِينَهُ، وَاتَّبَعَهُ حَمْزَةُ، فَضَرَبَهُ حَتَّىٰ قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ[٧].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٢-٦٢٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٠).

(٢) **بخيلائها**: أي بفخرها، وكِبَرِها.

(٣) **أحنهم**: أي أهلكهم.

(٤) **فانضحوهم**: أي ارموهم.

(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢١، ٦٢٥-٦٢٦).

(٦) **تشخب**: أي تسيل بصوت.

(٧) **وقال لهما**: وابنا عفراء.

بَدءُ المُبَارزةِ بينَ الفَريقينِ:

ثمَّ خَرجَ بَعدَه عُتبةُ بنُ رَبيعةَ، بينَ أخيهِ شَيْبةَ بنِ رَبيعةَ، وابنِه الوليدِ بنِ عُتبةَ، حَتىٰ إذا فَصَلَ من الصف دعا إلىٰ المُبَارَزةِ، فخرجَ إليه ثلاثةُ فتيةٍ منَ الأنصارِ: عوفٌ، ومعوِّذٌ، ابنا الحَارثِ[1]، وعَبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ، فقالُوا: مَنْ أنتم؟.

فَقالوا: رهطٌ منَ الأنْصارِ.

قالوا: أكْفَاءٌ كِرامٌ، وإنما نريدُ بَني عَمِّنَا.

ثم نادَىٰ أَحَدُهُمْ: يا محمدُ، أَخْرجْ إلينَا أكْفَاءَنا مِن قومِنا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيُّ**».

وَكَانَ عُبَيدَةُ أَسَنَّهمَا، فَلَمَّا قَامُوا وَدَنَوْا مِنْهُمْ.

قَالُوا: مَنْ أَنْتُمْ؟.

قَالَ عُبَيْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عُبَيْدَةُ. وَقَالَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَمْزَةُ. وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلِيٌّ.

قَالُوا: نَعَمْ، أَكْفَاءٌ كِرَامٌ.

فبَارَزَ عُبَيدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُتْبةَ بنَ رَبيعَةَ، وبَارَزَ حَمزةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيبةَ بنَ رَبيعةَ، وبارَزَ عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوليدَ بنَ عُتبَةَ.

فأمَّا حَمزةُ وعليٌّ فقَتَلَا شَيبَةَ والوليدَ، واختلفَ عبيدةُ وعتبةُ بينَهما ضَربتينِ، كلاهُما ضربَ صَاحبَهُ ضَرْبةً لم يَقُم مَعَها، وَكرَّ حَمزةُ وعَليٌّ بأسيَافِهِما علىٰ عُتبةَ فَقَتَلاه، واحتَمَلا عُبَيدةَ إلىٰ مُعسْكَرِ المُسلمينَ، وقد

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٥).

قُطِعتْ رجلُه فلمْ يَزلْ جريحًا حتىٰ مَاتَ[١].

أبُو جَهلٍ يستفتحُ بالدُّعاءِ:

واسْتَفْتَحَ أبو جَهل في ذلكَ اليوم، فقالَ: اللهم أَقْطَعُنَا للرَّحم، وآتانَا بما لا نَعْرِفُ، فَأحِنْهُ[٢] الغَداةَ، اللهم أَيُّنا كَانَ أحَبَّ إليكَ، وأَرْضَىٰ عِندَك، فانْصُرْهُ اليومَ، فَأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال:١٩][٣].

التِقَاءُ الفَريقَينِ:

ثم تَزاحَفَ الفَريقانِ، ودَنا بَعضُهم مِن بعضٍ، وبينَمَا رَسولُ اللهِ ﷺ يُعدِّلُ صفوفَ أَصحابِه بِرُمحٍ في يدِه، طَعنَ في بطنِ سَوَّادِ بْنِ غَزِيَّةَ بالرُّمحِ؛ لأنَّهُ تَقَدَّمَ عنِ الصفِّ، وقَالَ: «**اسْتَوِ يَا سَوَّادُ**».

فقال سَوَّادٌ: يا رسولَ اللهِ، أوجعتَني، وقدْ بَعثَكَ اللهُ بالحقِّ والعَدلِ.

فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**فَأَقِدْنِي**[٤]».

فكشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن بطنِه، وقالَ: «**اسْتَقِدْ**».

فاعْتَنَقَهُ، فقبَّلَ بَطنَه.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا حَمَلَكَ عَلىٰ هَذَا يَا سَوَّادُ؟**».

قَال: يا رَسولَ اللهِ، حَضَرَ ما تَرَىٰ، فأردْتُ أنْ يَكُونَ آخرُ العَهدِ بِك أنْ يَمَسَّ جِلدِي جِلدَكَ.

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٥)، و«زاد المعاد» (١/ ١٦٠).

(٢) **أحنه**: أي أهلكه.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٥).

(٤) **فأقدني**: أي اقتص لي من نفسك.

فدَعَا له رَسولُ اللهِ ﷺ بخيرٍ، ثمَّ رَجعَ إلىٰ العَريشِ هو وأبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان سَعدُ بنُ معاذٍ في قومٍ مِنَ الأَنْصارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ بَابِ العَريشِ يَحْرِسُونَ رَسولَ اللهِ ﷺ.

ثم حَمِيَ الوَطِيسُ[١]، واسْتدَارتْ رَحىٰ الحَربِ، واشتدَّ القتالُ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَستَغيثُ باللهِ رافِعًا صَوتَهُ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ[٢] مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**».

فَمَا زَالَ يَسْتَغيثُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ.

فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ[٣].

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسٍ يَقُودُهُ، عَلَىٰ ثَنَايَاهُ النَّقْعُ[٤]**».

ودَعَا المُسلِمُونَ ربَّهُمْ، واسْتَغاثُوهُ، وأَخْلصُوا لَه، وتَضرَّعُوا إليهِ، فأَوْحَىٰ اللهُ إِلىٰ مَلائِكَتِهِ: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ

---

(١) **الوطيس**: أي الفرن، وهو كناية عن شدة الأمر، واضطرام الحرب.

(٢) **العصابة**: أي الجماعة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩١٥)، ومسلم (١٧٦٣)، واللفظ له، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **النقع**: أي الغبار.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢].

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ النَّاسِ، فحَرَّضَهُم عَلىٰ القِتَالِ، وقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**».

ولمَّا دَنا العَدُوُّ وتَواجَهَ الفَريقَانِ، قامَ رَسولُ اللهِ ﷺ في النَّاسِ، فوعَظَهُم، وذكَّرَهُم بِمَا لهُمْ في الصَّبر والثباتِ مِنَ النَّصرِ العَاجل، وثوابِ اللهِ الآجِلِ، وأخْبرَهُم أنَّ اللهَ قدْ أوجبَ الجنةَ لِمَنِ اسْتُشْهِدَ فَي سَبيلِهِ.

وقَالَ ﷺ: «**قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**».

فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: بَخٍ بَخٍ[(١)].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**».

قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.

قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**».

فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[(٢)]، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ.

---

(١) **بخ بخ**: كلمة تطلق لتفخيم الأمر، وتعظيمه في الخير.

(٢) **قرنه**: أي جُعبة من جلدٍ يوضعُ فيها النبل.

فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ قُتِلَ[١].

وَخَرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دِرْعِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر:٤٥-٤٦][٢].

ثُمَّ أَخَذَ ﷺ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ الْحَصْبَاءِ، فَرَمَىٰ بِهَا وُجُوهَ الْعَدُوِّ، فَلَمْ تَتْرُكْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنَيْهِ، وَشُغِلُوا بِالتُّرَابِ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَشُغِلَ الْمُسْلِمُونَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي شَأْنِ هَذِهِ الرَّمْيَةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «**شُدُّوا**»، فَهُزِمَ الْمُشْرِكُونَ[٣].

المَلائِكَةُ تُقاتِلُ مَعَ المُسلِمينَ:

بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ[٤]، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ[٥]، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ[٦]، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**»[٧].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠١)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩١٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٦- ٦٢٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٥٩-١٦٠-١٦٣).

(٤) **أقدم حيزوم**: كلمة زجر للفرس، وحيزوم: اسمُ فرس الملك، وهو منادىٰ بحذف حرف النداء، أي يا حيزوم.

(٥) **خطم أنفه**: الخطم الأثر علىٰ الأنف.

(٦) **فاخضر ذلك أجمع**: أي صار موضع الضرب كله أخضر.

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إِبْليسُ يَفِرُّ مِن أرضِ المَعركةِ:

ظَهرَ إِبليسُ للمُشركينَ في صُورةِ سُرَاقةَ بنِ مالكٍ المُدْلَجيِّ، فلمَّا اشْتدَّ القتالَ، ورأَىٰ جندَ اللهِ قد نزلتْ مِن السماءِ، فَرَّ ونكَصَ علىٰ عَقِبَيهِ، فَقالوا: إِلىٰ أينَ يا سُرَاقَةُ؟ ألمْ تكنْ قُلتَ: إنكَ جَارٌ لنَا لا تُفَارِقُنَا؟.

فقالَ كمَا أَخبرَ اللهُ عَنهُ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨][(١)].

مَقْتلُ عَدُوِّ اللهِ أَبي جَهْلٍ:

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ - حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا[(٢)]، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ[(٣)] مِنْهُمَا - فَغَمَزَنِي[(٤)] أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي[(٥)] سَوَادَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا[(٦)]، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ[(٧)] أَنْ نَظَرْتُ إِلَىٰ أَبِي

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٠٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٣).

(٢) حديثة أسنانهما: أي صغيرين.

(٣) أضلع: أي أشد، وأقوىٰ.

(٤) فغمزني: أي جسني بيده.

(٥) سوادي: أي شخصي.

(٦) الأعجل منا: الأقرب أجلا.

(٧) فلم أنشب: أي لم يمض زمن طويل.

جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ[١] بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّىٰ قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**».

قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ.

فَقَالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**».

قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ[٢].

فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ**[٣] **لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ**»، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ[٤].

ولما انْتَهَتِ الحَربُ وولَّىٰ المُشْرِكُونَ مُنْهَزِمِينَ، أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنْ أَمْرِ مَقْتَلِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَنظُرُ لنَا مَا صَنعَ أبو جَهْلٍ؟**».

فانْطلَقَ ابنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَوجدَهُ قَدْ ضربَهُ ابنَا عَفْراءَ حَتَّىٰ سَكَنَ، وأَخذَ بِلحْيَتِه، ووَضعَ رِجلَهُ علىٰ عُنقِه، فَقالَ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: لِمَنِ الدَّائرةُ اليَومَ؟.

فَقَالَ ابْنُ مَسعُودٍ: للهِ ولرَسُولِهِ، وهَلْ أَخْزَاكَ اللهُ يَا عَدُوَّ اللهِ؟.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وهلْ فَوقَ رَجلٍ قَتَلَهُ قَومُهُ؟[٥]، لَقَدِ ارْتَقَيتَ مُرْتَقًىٰ صَعْبًا يَا رُوَيْعِيَ الغَنَمِ.

---

(١) **فابتدراه**: أي أسرعا في ضربه.

(٢) **فنظر في السيفين**: ليرىٰ مقدار عمق دخولهما في جسم المقتول، وأيهما أقوىٰ تأثيرا في إزهاق روحه.

(٣) **سلبه**: أي عتاده، وسيفه، وفرسه.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٥) يريد التحقير لفعلهم.

فَقتَلَهُ عَبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ أَتىٰ النَّبيَّ ﷺ، فَقالَ: قَتَلتُهُ.

فَقَالَ: «**آللهِ الذي لَا إله إِلَّا هُوَ؟**» فَردَّدَهَا ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُ أكبرُ، الحَمْدُ للهِ الذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، انْطَلِقْ أَرِنِيهِ**».

فَانْطَلَقُوا، فَأَرَاهُ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ إياه فَقَالَ: «**هَذا فِرْعَونُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[(١)].

قَتْلَى كُفَّارِ قَريشٍ يُلقَونَ في البِئرِ:

وَلمَّا انْقَضَتِ الحَرْبُ أَقْبلَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّىٰ وقفَ عَلىٰ قَتْلَىٰ الكُفَّارِ، فقَالَ: «**بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَخَذلتُمُونِي ونَصرَنِي النَّاسُ، وأَخْرَجْتُمُونِي وآوَانِي النَّاسُ**».

ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا إِلىٰ قَلِيبٍ[(٢)] بَدْرٍ، فَطُرِحُوا فِيهِ[(٣)].

وقدْ قَتَلَ المُسْلِمُونَ مِنَ الكفارِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ[(٤)].

قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَمَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ[(٥)] قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ[(٦)] مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ[(٧)] مُخْبِثٍ[(٨)]،

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٣٥-٦٣٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) **قليب**: أي بئر قديمة.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٣٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٧-١٦٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) **صناديد**: جمع صنديد وهو السيد الشجاع.

(٦) **طوي**: أي البئر التي بنيت جدرانها بالحجارة.

(٧) **خبيث**: أي غير طيب.

(٨) **مخبث**: أي زاد خبثه بإلقاء هؤلاء الخبيثين فيه.

وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ[١] عَلَىٰ قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ[٢] ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَىٰ وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ شَفَةِ الرَّكِيِّ[٣]، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «**يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ[٤] اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟**».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا**».

فَقَدْ أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّىٰ أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا[٥].

المُسلِمُونَ يَرجِعُونَ إلى المَدِينةِ:

ثُمَّ أَقبلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلًا إِلىٰ المَدِينةِ مؤيَّدًا مَنْصُورًا، وَمَعَهُ الأُسَارَىٰ مِنَ المُشْركينَ، وَفِيهِمْ عُقْبَةُ بنُ أَبي مُعَيطٍ، والنَّضْرُ بنُ الحَارِثِ، فَضرَبَ عُنُقَهُمَا في طَرِيقِه، واحْتَمَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ المَغَانِمَ، فَقَسَمَهَا عَلىٰ المُسْلِمِين قَبلَ وصُولِهِ إِلىٰ المَدِينَةِ.

ودخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَدينةَ مُؤيَّدًا مَنْصُورًا قدْ خَافَهُ كلُّ عَدُوٍّ لهُ

---

(١) **ظهر**: أي غلب، وانتصر.

(٢) **العرصة**: هي البقعة الواسعة بغير بناء تكون لدىٰ من غَلبَ.

(٣) **شفة الركي**: أي طرف البئر.

(٤) **أنكم أطعتم**: أي لو أنكم أطعتم.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٧٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٣، ٢٨٧٤).

بالمَدينةِ وحَولَهَا، فأسلمَ بشرٌ كثيرٌ مِن أَهلِ المَدِينةِ، وحينئذٍ دخلَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ المُنَافِقُ وأَصْحابُه في الإسلامِ ظَاهِرًا[١].

عَددُ شُهداءِ غَزوةِ بَدرٍ:

واسْتُشْهِدَ مِنَ المُسْلِمينَ يومَئذٍ أربعةَ عَشَرَ رَجُلًا: سِتَّةٌ مِنَ المُهَاجِرينَ، وسِتَّةٌ مِنَ الخَزرجِ، واثْنانِ مِنَ الأَوْسِ[٢].

قُريشٌ تَتَلَقَّى نَبأَ الهَزِيمَةِ:

لمَّا سَمِعَتْ قُرَيشٌ نَبأَ الهَزِيمَةِ لجَيشِهَا نَاحَتْ عَلىٰ قَتْلَاهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: لَا تَفْعَلُوا فَيَبْلُغَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فيَشْمَتُوا بِكُمْ، ولا تَستَعْجِلُوا في فَكِّ أَسْرَاكُمْ حَتَّىٰ لَا يَزِيدَ محمدٌ في الفِدْيةِ.

وكان الأَسودُ بنُ المُطَّلِبِ قد أُصِيبَ لهُ ثلاثةٌ مِنْ وَلِدِهِ، وقدْ ذَهبَ بَصرُهُ، وكانَ يحبُّ أنْ يَبكيَ علىٰ بَنِيهِ، فَبينَما هو كذلكَ إذ سمِعَ نائحةً مِنَ الليلِ، فقالَ لغلامٍ لهُ: انظرْ هَلْ أُحِلَّ النَّحْبُ، هلْ بَكتْ قريشٌ علىٰ قَتلاهَا؟ لَعَلِّي أَبكي عَلىٰ ابْني، فإنَّ جَوفي قد احْترقَ.

فلمَّا رَجَعَ إِليهِ الغُلامُ قَالَ: إنمَّا هيَ امرأةٌ تَبكي عَلىٰ بعيرٍ لهَا أضلَّتْهُ[٣].

١٠- «وفي هذِهِ السَّنَةِ: فُرِضَتْ زكاةُ الفطرِ، وَفُرضتِ الزكاةُ ذاتُ النُّصُبِ»[٤].

فُرِضَت زكاة الفطر قبل العيد بيومين[٥]، فخطب النبي ﷺ قبل

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٨).
(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٦٩).
(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٧-٦٤٨).
(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨)، «البداية» (٣/ ٣٨٠).
(٥) انظر: «السيرة النبوية»، لابن حبان (١/ ٢٠٩)، و«أُسْد الغابة»، لابن الجزري (١/ ٢٩).

الفطر بيوم في الناس يعلِّمهم زكاة الفطر[١].

وقدْ فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَىٰ العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ[٢].

وَفُرضتِ الزكاةُ ذاتُ النُّصُب، وهي زكاةُ الأموالِ بعدَ ظهورِ القوةِ، والغِنىٰ، وهذِا هُوَ النِّظامُ الوحيدُ الذي به يأكلُ الفقراءُ والمساكينُ من إخوانِهم الأَغنياءِ بلا ضررٍ علىٰ هؤلاءِ[٣].

فإذا بلغَ الذهبُ ٨٥ جرامًا عِيار ٢٤ وجبَ أنْ يُؤدَّىٰ رُبعُ العُشرِ مِنهُ.

وإذا بَلغَ المالُ المُعدُّ للتجارةِ، أو المدَّخرُ ٦٠٠ جرامٍ فِضْة عِيار ١٠٠٠ وجبَ أنْ يُؤدَّىٰ رُبعُ العُشرِ مِنه[٤]، أَي ٢٥ عَن كلِّ ١٠٠٠.

وإذا بَلغتِ الشياهُ أَربعينَ إلىٰ عشرينَ ومِائةٍ فَفيها شَاةٌ، وإذَا بلغتْ واحدًا وعشرينَ ومائةً إلىٰ مائتينِ ففيها شَاتانِ، وإذا بلغتْ وَاحدًا ومائتينِ إِلىٰ ثَلاثِمَائةٍ ففيها ثلاثُ شِياهٍ، وما زادَ علىٰ ذلكَ ففي كلِّ مائةٍ شاةٌ[٥].

---

(١) انظر: «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس»، للدِّيار بكري (١/ ٤٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) انظر: «أعلام النبوة»، للماوردي، صـ (٢٤٢)، و«نور اليقين في سيرة سيد المرسلين»، صـ (٩٧).

(٤) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**فَإِذَا كَانَتْ لَكَ مِائَتَا دِرْهَمٍ، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَفِيهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ - يَعْنِي- فِي الذَّهَبِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِذَا كَانَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَفِيهَا نِصْفُ دِينَارٍ، فَمَا زَادَ، فَبِحِسَابِ ذَلِكَ**». [صحيح: رواه أبو داود (١٥٧٣)، والترمذي (٦٢٧)، وصححه الألباني].

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (٢/ ١١٨)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبقرُ في كلِّ ثلاثينَ تَبِيعٌ[١] أو تَبِيعةٌ، وفي كلِّ أربعينَ مُسِنَّةٌ[٢][٣].

والإبلُ إذَا بلغتْ خمسًا فَفِيها شاةٌ، ومَا زَاد علىٰ ذلكَ فكَما في حَديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

ولا تُصرَفُ زَكاةُ المالِ في غيرِ الأصنافِ الثَّمانيةِ المَذْكُورَةِ في قولِه تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠].

١١- «وَفِي مَرْجِعِهِمْ مِن بَدرٍ تُوفِّيتْ رُقيةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ»[٥].

تُوُفِّيتْ رُقَيَّةُ بِنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ زَوجةُ عُثمانَ بنِ عفَّانَ عندَ مَرجعِ

---

(١) **التبيع**: الذي بلغ حول من البقر.

(٢) **مسنة**: أي التي دخلت في الثالثة من البقر.

(٣) **انظر**: «سنن أبي داود» (١٥٧٨)، و«سنن الترمذي» (٦٢٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢٤٥٠)، و«سنن النسائي» (١٨٠٣)، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَىٰ البَحْرَيْنِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا رَسُولَهُ، «فَمَنْ سُئِلَهَا مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ وَجْهِهَا، فَلْيُعْطِهَا وَمَنْ سُئِلَ فَوْقَهَا فَلَا يُعْطِ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الإِبِلِ، فَمَا دُونَهَا مِنَ الغَنَمِ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَىٰ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَىٰ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ إِلَىٰ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ أُنْثَىٰ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَىٰ سِتِّينَ فَفِيهَا حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الجَمَلِ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَىٰ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، فَفِيهَا جَذَعَةٌ فَإِذَا بَلَغَتْ يَعْنِي سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَىٰ تِسْعِينَ، فَفِيهَا بِنْتَا لَبُونٍ فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَىٰ وَتِسْعِينَ إِلَىٰ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الجَمَلِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَىٰ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الإِبِلِ، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا مِنَ الإِبِلِ، فَفِيهَا شَاةٌ». [صحيح: رواه البخاري (١٤٥٤)].

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٢)، «البداية» (٣/ ٣٨٠).

رسولِ اللهِ ﷺ مِن بدرٍ يومَ جاءَ زيدُ بنُ حارثةَ بشيرًا بانتصارِ المُسلمينَ في بدرٍ، جاءَ وعثمانُ واقِفًا علىٰ قبرها يَدفِنُها، وكانَ تَمرِيضُها مَنَعَه عن شهودِ بَدرٍ، وذلكَ أنَّ عُثمانَ استأذَنَ رسولَ اللهِ ﷺ في التَّخَلُّفِ عندَ خروجِه إلىٰ بدرٍ لمَرضِ ابْنتِه رُقَيَّةَ، وَضربَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِه مِن غَنيمَتِها[١].

وكانَ تزوَّجَها بمكَّةَ في الجَاهليةِ[٢]، وهاجرَ مَعَها إلىٰ الحَبَشَةِ كَما تَقدَّمَ.

١٢- «وفي رَمَضانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَتَل عُمَيرُ بنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَصْمَاءَ بنتَ مَروانَ اليَهودِيةَ بِسببِ أذاهَا للمُسْلِمينَ»[٣].

كانتْ عَصماءُ بِنتُ مَرْوان تؤذِي النَّبيَّ، وتُحرِّضُ عليه، وتقولُ شعرًا تَعيبُ فيه الإسلامَ وأهلَه، فجاءَها عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ في جَوفِ الليلِ حتَّىٰ دَخلَ عَليهَا بَيتَهَا، وَحَوْلَهَا نَفَرٌ مِنْ وَلَدِهَا نِيَامٌ مِنْهُمْ مَنْ تُرْضِعُهُ فِي صَدْرِهَا، فَجَسَّهَا بِيَدِهِ، وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ، وَنَحَّىٰ الصَّبِيَّ عَنْهَا وَوَضَعَ سَيْفَهُ عَلَىٰ صَدْرِهَا حَتَّىٰ أَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهَا، ثُمَّ صَلَّىٰ الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَتَلْتَ ابْنَةَ مَرْوَانَ؟**».

قَالَ: نَعَمْ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ؟.

فَقَالَ: «**لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ**[٤]».

---

(١) **انظر**: «السيرة النبوية»، لابن حبان (١/ ٤٠٩)، و«تاريخ الخميس»، للدِّيار بكري (١/ ٤٠٦).

(٢) **انظر**: «تاريخ الخميس»، للدِّيار بكري (١/ ٤٠٦).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٦)، «البداية» (٣/ ٣٤٧).

(٤) **لا ينتطح فيه عنزان**: أي أن شأنها هين، لا يكون فيه طلب ثأر، ولا اختلاف.

وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَيرًا البَصِيرَ[١].

١٣- «وفي هذهِ السَّنةِ: خَرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى المُصَلَّى فصلَّى بِهم صَلاةَ العِيدِ، وكانَ ذلكَ أوَّلَ خَرْجةٍ خَرجَهَا بالناسِ إلى المُصلَّى لصَلاةِ العِيدِ»[٢].

خَرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ بالنَّاسِ إلىٰ الفضاءِ -كَما هِيَ السُّنَّة-؛ ليُصلِّيَ بِهِمْ صلاةَ العيدِ، يُهلِّلُونَ اللهَ، ويكبِّرُونه ويعظِّمُونَه شُكرًا للهِ علىٰ ما أفاءَ عَلَيهم مِن النِّعَمِ الْمتَتالِيةِ، ولا سِيَّمَا نِعْمَةُ النَّصْرِ في يومِ الفُرقَانِ: يومَ التقَىٰ الجَمعانِ، وهو يومُ بدرٍ، وخرجُوا مِن بينِ يَدَيه بالحَرْبةِ، فكانتْ تُحمَلُ بينَ يَدَيه في الأعيادِ، وصَلىٰ إليها مِنْ غيرِ أَذانٍ ولا إقامةٍ ركعتينِ، ثمَّ خَطَبَ[٣].

١٤- «وفي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَتَلَ سَالمُ بنُ عُميرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبَا عَفَكٍ اليَهوديَّ لتَحريضِهِ على رسولِ اللهِ ﷺ»[٤].

كانَ أَبُو عَفَكٍ شَيخًا كَبيرًا قد بلغَ عِشرينَ ومائةَ سنةٍ وكانَ يهوديًّا، وكانَ يُحرِّضُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وَيقولُ الشِّعرَ في ذمِّ الإسلامِ وأهلِه، فَقَالَ سالمُ بنُ عُمَيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَليَّ نَذرٌ أنْ أَقْتلَ أَبا عَفَكٍ، أَو أَموتَ دُونَه.

ثُمَّ عَلِمَ سَالمُ بنُ عُمَيرٍ أنَّ أَبَا عَفَكٍ نائمٌ بالفِنَاء، فأقبلَ إليهِ، فوضعَ السيفَ علىٰ كَبِدِه، ثم اعْتمَدَ عليهِ حتَّىٰ خَشَّ في الفِراشِ، وَصَاحَ عَدُّو

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٧-٢٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩)، «الكامل» (٢/ ١٣).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٤١٨)، و«السيرة النبوية»، لابن حبان (١/ ٢٠٩)، و«السيرة النبوية علىٰ ضوء القرآن والسنة»، د. أبو شُهبة (٢/ ١٠٩).

(٤) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٨).

اللهِ، فَثابَ إليهِ ناسٌ ممَّنْ همْ علىٰ قولِه، فأدْخَلُوه مَنزِلَهُ، وَقَبرُوْهُ[١].

١٥- «وفي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزا رَسولُ اللهِ ﷺ بَني سُلَيمٍ حَتَّى بَلَغَ الكُدْرَ»[٢].

لم يَقُمِ النبيُّ ﷺ كثيرًا في المدينةِ بعد غزوةِ بدرٍ، بلْ نهَض ﷺ بنفسِه الكريمةِ إلىٰ غزوِ بني سُلَيمٍ، واستعمَل علىٰ المَدينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ، وَقيلَ: ابنَ أمِّ مَكْتُومٍ، فَبلغَ ماءً يقالُ لهُ: الكُدْرِ، فأقامَ عليه ثلاثَ ليالٍ، ثم رجعَ إلىٰ المَدينةِ، وَلَمْ يَلْقَ حَرْبًا[٣].

١٦- «وفي هذِهِ السَّنةِ: بَعدَ غزوةِ بدرٍ بِشهرٍ هَاجَرتْ زَينَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ»[٤].

فرَّق الإسلامُ بينَ زينبَ بنتِ رَسولِ اللهِ ﷺ حينَ أَسْلمتْ، وَبين أَبي العَاصِ بنِ الرَّبيعِ، إلا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ لا يقدِرُ أنْ يفرِّقَ بينهُما، فأقَامتْ معَهُ عَلىٰ إسلامِها وهو علىٰ شِركِهِ، حَتىٰ هاجَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وَأُسِرَ أَبو العَاصِ بنُ الرَّبيعِ في غَزوةِ بَدرٍ، فَأَتىٰ بهِ المُسلمُونَ إلىٰ المَدينَةِ.

فلمَّا بَعثَ أهلُ مَكةَ في فِداءِ أَسْرَاهُم، بَعثتْ زَينبُ بِنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ في فداءِ أَبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ بِمالٍ، وبَعثَتْ فيهِ بقِلادةٍ لها كانتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أعْطَتْهَا لهَا حينَ تَزَوَّجَتْ، فلمَّا رآهَا رسولُ الله ﷺ رَقَّ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٠)، «البداية» (٣/ ٣٧٦)، «الكامل» (٢/ ٣٥)، «ابن هشام» (٣/ ١٣٥).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٣١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤).

(٤) «البداية» (٣/ ٣٦٢).

لها رِقَّةً شَدِيدةً، وَقالَ: «**إنْ رَأيتُمْ أنْ تُطلقُوا لهَا أَسِيرَها، وتَردُّوا عَلَيهَا مَالَها، فَافْعَلُوا**».

فقالُوا: نَعَم يَا رسولَ اللهِ.

فَأطلقُوه، وردُّوا عَليها الذِي لهَا، فلمَّا رَجعَ أبو العَاصِ إِلىٰ مَكَّةَ، بَعثَ رَسولُ الله ﷺ زَيدَ بنَ حَارثةَ ورَجلا مِنَ الأنْصارِ مكانَه فَقَال: «**كُونَا بِبطنِ يأجَجَ**[1] **حَتىٰ تَمرَّ بكُما زينبُ فتَصْحَباها، فَتَأتِيانِّي بِها**».

فلمَّا قدِمَ أبو العاصِ مَكةَ أمَرَها باللُّحُوقِ بأبِيها فخرجَتْ، وكانَ هذَا بمقتَضَىٰ ما كان شرطَ أبو العَاصِ للنبيِّ ﷺ.

فلمَّا فَرَغتْ زَيْنَبُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مِن جَهَازِهَا قَدَّمَ لها كِنَانةُ بنُ الرَّبيعِ أخُو زوجِها بعيرا، فركبته، ثمَّ خرجَ بها نَهارًا يقودُ بِها، وَهي في هودَجٍ.

وتحدَّث بذلكَ رجالُ من قريشٍ، فخرجُوا في طلبِها حَتىٰ أدْركُوها بذِي طوىً، فَرَوَّعَهَا هَبَّارُ بنُ الأسودِ بالرُّمحِ وَهي في هَودَجِها، وكانتْ حَامِلًا، فَأسقطَتْ جَنِينَهَا، وبركَ كِنانةُ، ونثرَ كِنانَتَه، ثمَّ قالَ: واللهِ لا يدْنو مِني رَجلٌ إلا وَضَعتُ فيه سهمًا، فانْصرفَ الناسُ عَنه.

وأتىٰ أَبُو سُفيانَ في جُلَّةٍ مِن قريشٍ، فقال: أيُّها الرَّجُلُ، كُفَّ عنَّا نَبْلَك حَتىٰ نكلِّمَكَ، فكَفَّ.

فقالَ أبو سُفْيانَ: إنَّكَ لم تُصِبْ، خَرجْتَ بالمرأةِ علىٰ رؤوسِ الناسِ عَلانِيةً، وقدْ عَرفتَ مُصِيبَتنا ونكْبَتَنا، فَيظنُّ الناسُ أنَّ ذلكَ عَنْ ذلٍّ أصَابَنا عَنْ مُصِيبَتِنا التي كانتْ، وأنَّ ذلك منَّا ضَعفٌ ووَهنٌ، ولعَمْرِي ما لنَا بحبْسِها عنْ أبيها من حاجةٍ، وما لنا في ذلك مِن ثأرٍ، ولكنِ ارجعْ

---

(١) **بطن يأجج**: مكان يبعد عن مكة أربعة عشر كيلو متر تقريبًا.

بالمرأةِ، حَتىٰ إذا هَدَأتِ الأصواتُ، وتحدَّثَ الناسُ أنْ قَد رَدَدْنَاها، فَسُلَّهَا سرًّا، وألحقْها بأبيها.

ففعَلَ، فأقامتْ ليالِيَ، ثُمَّ خَرجَ بِها ليلًا حتَّىٰ أسلَمَها إلىٰ زيدِ بن حَارثةَ، وصاحبِهِ، فقدِمَا بِها علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ(١).

١٧- «وفي هذِهِ السَّنةِ: تزوَّجَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنتَ رَسولِ اللهِ ﷺ»(٢).

تَزوَّجَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعدَ سنةٍ من الهِجرةِ، وابتَنىٰ بها بَعدَ ذلك بسنةٍ أخْرَىٰ(٣).

وهيَ أولُ زوجةٍ تزوَّجَها، ولم يتزوَّجْ عَليها حَتىٰ تُوُفِّيت(٤).

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ(٥) مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ(٦) بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ(٧) أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ(٨)، وَأَسْتَعِينَ بِهِ(٩) فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي(١٠).

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٥٣-٦٥٥).

(٢) «البداية» (٣/ ٣٧٧).

(٣) انظر: «البدء والتاريخ»، للمطهر المقدسي (٥/ ٢٠)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٣١٠).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٥/ ١٥٣).

(٥) شارف: أي ناقة مُسنة.

(٦) أبتني: أي أدخل بها.

(٧) إذخر: نبات طيب الرائحة.

(٨) من الصواغين: أي للصواغين.

(٩) أستعين به: أي أستعين بثمنه.

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٨٩)، ومسلم (١٩٧٩).

فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْطُبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ابْنَتَهُ، فَقُلْتُ: مَا لِي مِنْ شَيْءٍ فَكَيْفَ؟ ثُمَّ ذَكَرْتُ صِلَتَهُ وَعَائِدَتَهُ، فَخَطَبْتُهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ؟**».

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: «**فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟**».

قُلْتُ: هِيَ عِنْدِي.

قَالَ: «**فَأَعْطِنِيهَا**».

قُلْتُ: فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ(١).

وجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي خَمِيلٍ(٢)، وَقِرْبَةٍ، وَوِسَادَةٍ حَشْوُهَا إِذْخِرٌ(٣)(٤).

وقَدْ وَلَدَتْ لهُ: الحسَنَ، والحُسَينَ، ومُحسِّنَ -تُوفِّي صَغِيرًا-، وزَينَبَ، وأمَّ كُلْثُومٍ(٥).

١٨- «وفي هذِهِ السَّنةِ: أَسْلَمَ عُميرُ بنُ وَهبٍ الجُمَحِيُّ حِينَمَا رَأى عَلامةً مِن عَلامَاتِ النُّبوةِ»(٦).

جَلسَ عُميرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحيُّ مَعَ صَفْوانَ بنِ أُميَّةَ في الحِجْرِ بعدِ

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائي (٣٣٧٥)، وأحمد (٦٠٣)، واللفظ له، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) **خميل**: أي قطيفة مخملة.

(٣) **إذخر**: حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب.

(٤) **صحيح**: رواه النسائي (٣٣٨٤)، وأحمد (٧١٥)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه أحمد شاكر، وضعفه الألباني.

(٥) **انظر**: «المعارف»، لابن قتيبة، صـ(١٤٣)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ١٥٣).

(٦) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٤: ٤٦).

غزوةِ بدرٍ بيسيرٍ، وكان عُميرُ بنُ وهْبٍ شيطانا من شياطين قريش، وممَّن كانَ يؤذي رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه، ويَلقَونَ منه عَناءً وهو بمكَّةَ، وكان ابنُه وَهبُ بن عُميرٍ في أسارىٰ بدرٍ.

فذكرَ أصحابَ القَليبِ ومَا أصابَهم، فقال صفوانُ: واللهِ ليسَ في العَيشِ خيرٌ بعدَهُم.

قال له عميرٌ: صَدقتَ واللهِ، أمَا واللهِ لولَا دَينٌ عليَّ ليسَ له عندِي قَضاءٌ وعيالٌ أخْشَىٰ عَليهمُ الضَّيْعةَ بعدِي، لركِبتُ إلىٰ محمدٍ حتىٰ أقتُلَه، فإنَّ لي قِبَلَهُم عِلَّةً: ابني أسيرٌ في أيديهم.

فاغتنمَ صفوانُ هذِه، وقال: عليَّ دَينُك، أنَا أقضِيه عنكَ، وعِيالُك مع عِيالي أُوَاسيهِم ما بَقَوا.

فقال له عميرٌ: فاكتُمْ شأني وشَأنَك.

قالَ: أَفعلُ.

ثمَّ أمَرَ عُميرٌ بِسَيفِه، فشُحِذَ[١] له وَسُمَّ، ثم انطلق حتَّىٰ قدِمَ المدينةَ، فبينا عمرُ بنُ الخطَّابِ في نفرٍ من المسلمينَ يتحدثونَ عن يومِ بدرٍ، ويَذكرونَ ما أكرمَهُم اللهُ بِهِ، وما أَرَاهُم مِن عَدوِّهم، إذْ نظرَ عُمَرُ إلىٰ عُميرِ بنِ وهبٍ حينَ أناخَ علىٰ بَابِ المَسجدِ متوشِّحًا السيفَ.

فقَالَ: هذَا الكلبُ عَدوُّ اللهِ عُميرُ بنُ وَهبٍ، واللهِ ما جاءَ إلا لشِرٍّ، وهوَ الذي حَرَّشَ[٢] بيننَا، وحَزَرَنَا[٣] للقومِ يومَ بدرٍ.

ثم دخلَ عُمَرُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا نَبي اللهِ، هذا عَدُوُّ اللهِ

---

(١) شُحذ: أي حُدِّد.

(٢) حرَّش: أي أفسد.

(٣) حزرنا: أي قدَّر عددنا.

عُميرُ بنُ وهْبٍ قد جاءَ مُتوشِّحًا سَيفَهُ.

قَالَ: «**فأَدْخِلْهُ عَليَّ**».

فأقبلَ عمرُ حتَّىٰ أَخذَ بحِمَالَةِ سَيفِهِ(١) في عُنُقِه فلبَّبَه بِهَا(٢)، وقالَ لرجالٍ مِمَّنْ كانوا معهُ منَ الأنصارِ: ادْخُلُوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فاجْلِسُوا عندَه، واحذَرُوا عَليه مِن هَذا الخَبيثِ، فإنَّه غيرُ مَأمونٍ، ثم دَخلَ به علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ.

فلمَّا رآه رسولُ اللهِ ﷺ، وعُمرُ آخذٌ بحِمَالةِ سيفِهِ في عُنقِهِ، قالَ: «**أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ يَا عُمَيرُ**».

فدَنا، **ثم قالَ**: انعمُوا صباحًا، وكانتْ تحيةَ أهلِ الجاهليةِ بينَهم.

فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**قَد أَكْرَمَنا اللهُ بتحيةٍ خيرٍ مِن تحيَّتِكَ يَا عُميرُ، بالسَّلامِ تَحِيَّةِ أَهلِ الجَنَّة**».

فقالَ: أَمَا واللهِ يا محمدُ إنْ كُنتُ بها لحَدِيثَ عَهدٍ.

قالَ: «**فمَا جَاءَ بِكَ يَا عُميرُ؟**».

قالَ: جِئتُ لهذَا الأَسيرِ الذِي في أيدِيكم فَأَحْسِنُوا فيه.

قال: «**فمَا بَالُ السَّيفِ في عُنُقِكَ؟**».

قالَ: قبَّحَها اللهُ مِن سُيُوفٍ، وهَل أَغْنتْ عنَّا شيئًا؟.

قالَ: «**اصْدُقْني، مَا الذِي جِئتَ لَه؟**».

قالَ: ما جِئتُ إلا لِذَلكَ.

قالَ: «**بلْ قعدتَ أنتَ وصفوانُ بنُ أميَّةَ في الحِجر، فذكرتُما**

---

(١) **حمالة سيفه**: أي ما يعلق به.

(٢) **لببه بها**: أي لفه علىٰ عنقه، وشده منه.

أصحابَ القليبِ مِن قريشٍ، ثم قلتَ: لولا دَينٌ عليَّ وعيالٌ عندِي لخرجتُ حتىٰ أَقتلَ محمدًا، فتحمَّل لكَ صفوانُ بدَيْنِك وعيَالِك، علىٰ أنْ تقتُلَني لهُ، واللهُ حائلٌ بينَكَ وبينَ ذلك».

قال عميرٌ: أشهدَ أنَّكَ رَسولُ اللهِ، قدْ كنَّا يَا رسولَ الله نُكَذِّبُك بِما كُنتَ تَأتِينا به مِن خَبرِ السماءِ، وما يَنزلُ عَليكَ مِن الوَحي، وهَذا أمرٌ لم يحضُرْه إلا أنَا وصَفوانُ، فو اللهِ إني لأَعلمُ مَا أتاكَ به إلا اللهُ، فالحَمدُ للهِ الذي هَدَاني للإسْلامِ، وساقَني هذا المَسَاقَ، ثمَّ شَهدَ شَهادةَ الحقِّ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**فقِّهُوا أخاكُمْ في دِينِه، وأَقرِئُوه القُرآنَ، وأَطلقُوا لَه أَسيرَه**».

فَفعَلُوا، **ثم قَال**: يَا رَسولَ اللهِ، إني كُنتُ جَاهِدًا علىٰ إطفاءِ نورِ اللهِ، شديدَ الأذَىٰ لمَن كانَ علىٰ دينِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وأنا أُحبُّ أنْ تأذنَ لي، فَآتِيَ مَكَّةَ، فأَدْعُوهم إلىٰ اللهِ تَعالىٰ، وإلىٰ رسولِه ﷺ، وإلىٰ الإسلامِ، لعلَّ اللهَ يَهْدِيهِم، وإلا آذَيتُهم في دِينِهم كما كُنتُ أُوذِي أصحابَك في دِينهم؟.

فَأذِنَ لهُ رَسولُ اللهِ ﷺ، فلَحِقَ بمَكَّةَ.

وكانَ صَفوانُ بنُ أميَّةَ حينَ خَرَجَ عُمَيرُ بنُ وَهْبٍ، يقولُ: أبْشِروا بوقعةٍ تَأتيكُم الآنَ في أيامٍ، تُنْسِيكُم وَقعةَ بَدرٍ، وكانَ صَفوانُ يسألُ عَنهُ الرُّكْبَانَ، حتَّىٰ قَدِمَ راكبٌ فأَخْبرَه عَنْ إسلامِه، فَحَلَفَ أنْ لا يُكَلِّمَهُ أبدًا، ولا يَنْفَعَهُ بنفعٍ أبدًا.

فلمَّا قَدِمَ عُميرٌ مَكَّةَ، أقامَ بها يدعُو إلىٰ الإسلامِ، ويُؤذِي مَنْ خَالَفَه أذىً شديدًا، فَأسْلَمَ علىٰ يدَيه نَاسٌ كَثيرٌ[1].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٦١-٦٦٣).

١٩- «وفي شوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نَقَضَ يَهُودُ بَني قَيْنُقَاعَ العَهدَ فَحَاصَرَهُم النَّبيُّ ﷺ وأَجلَاهُم عَنِ المَدِينةِ»[(١)].

لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**».

قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران:١٢-١٣][(٢)].

واشْتدَّ غيظُ اليهودِ علىٰ المسلمينَ وأظهرُوا البغيَ والحسدَ، ونبذُوا العَهدَ[(٣)]؛ لأَجل ما منَّ اللهُ به عَليهم من نصرٍ يومَ بدرٍ، فجعلُوا يكيدونَ بالمُسلمينَ المكَائدَ؛ للإيقاعِ بهم، وصَرفِهم عمَّا جاءَهم مِنَ الحَقِّ.

ومِنْ نَمَاذِجِ ذَلِكَ: أنَّ شاسَ بنَ قَيسٍ -وكانَ شَيخًا قَد أسنَّ، عَظيمَ الكفرِ شديدَ الضَّغْنِ علىٰ المسلمينَ، شديدَ الحَسدِ لهمْ- مرَّ علىٰ نفرٍ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٨)، «الكامل» (٢/ ٣٣)، «البداية» (٤/ ٤).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٣٠٠١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٨٦٢٩)، وصححه أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١/ ٣٥٢)، وضعف إسناده الألباني.

(٣) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٩).

من أصحاب رسولِ الله ﷺ مِن الأَوسِ والخَزرجِ في مجلسٍ، فغَاظَه ما رَأىٰ مِن أُلْفَتِهم وجمَاعَتِهم، وصلاحِ ذاتِ بَينَهم علىٰ الإسلام، بعد الذي كان بينَهم مِن العداوةِ في الجَاهليةِ، فَقالَ: قَدِ اجْتَمعَ مَلأُ بَني قَيْلَةَ[١]، لَا وَاللهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ فَتًىٰ شَابًّا مِنْ اليَهُودِ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اعْمِدْ إلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ اذْكُرْ يَوْمَ بُعَاثَ[٢]، وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنْ الْأَشْعَارِ.

فَتكلَّمَ الأَوسُ والخَزْرَجُ عِندَ ذلكَ، وتنازَعُوا وتَفاخَرُوا، وَغَضبَ الفَرِيقانِ، وقالُوا: مَوعِدُكُم الظَّاهِرةُ[٣]، السِّلَاحَ السِّلَاحَ.

فَخَرجُوا إِليها، فبلغَ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ، فخَرجَ إِليهِم، وَمعه أَصْحَابُه المُهاجرينَ حتىٰ جَاءَهم، فَقَال: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، اللهَ اللهَ، أَبِدَعْوَىٰ الجَاهلِيةِ وأَنَا بَينَ أَظْهُرِكُمْ بَعدَ أَنْ هَدَاكُمُ اللهُ للإِسْلامِ، وأَكْرَمَكُم به، وقَطعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الجَاهِلِيةِ، واستَنْقَذَكُم بِه منَ الكُفْرِ، وألَّفَ بِه بينَ قلوبِكُمْ**»، فَعرَفَ القَومُ أَنَّها نَزَغَةٌ[٤] مِنَ الشيطانِ، وكَيدٌ مِن عَدُوِّهم، فبَكَوا وعانقَ الرجالُ مِنَ الأَوسِ والخَزْرجِ بعضِهِم بَعضًا، ثم انْصرفُوا مع رسولِ اللهِ ﷺ مُطِيعِين، قدْ أَطْفَأَ اللهُ عنهم كيدَ عدوِّ اللهِ شَاسِ بنِ قَيسٍ.

---

(١) **بنو قيلة**: أي الأوس والخزرج، قبيلتي الأنصار، وقيلة: اسم أم لهم قديمة، وهي قَيلة بنت كاهل.

(٢) **يوم بُعاث**: كان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان النصر فيه يومئذ للأوس علىٰ الخزرج.

(٣) **الظاهرة**: أي الحرة، وهي موضع بالمدينة.

(٤) **نزغة**: أي إفساد بين الناس.

فأنزلَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران:٩٨-٩٩][(١)].

سَبَبُ جلاءِ يهودِ بَني قَينُقَاعَ عنِ المَدينةِ:

كانَ سَببَ جَلاءِ يهودِ بَني قَينُقَاعَ عَنِ المَدِينةِ أنَّ امْرأةً مِنَ المُسلِمينَ قَدِمَتْ سُوقَ بَني قَينُقَاعَ، فبَاعَتْ مَتاعًا لهَا، ثُمَّ جَلَسَتْ إلىٰ صَائِغٍ يَهُوديٍّ بالسوقِ، فجعلَ بَنُو قَينُقَاعَ يحاوِلونَ كشفَ وَجهِها، فأبَتْ، فعَقدَ الصَّائِغُ طَرْفَ ثَوبِها بِشيءٍ خَلْفَها، فلمَّا قامتِ انْكشفتْ سَوأَتُهَا، فَضَحِكُوا، فَصَاحَتْ.

فوثَبَ رَجلٌ مِنَ المُسلِمينَ علىٰ الصائغِ فقتَلَه، فَقتلتِ اليهودُ الرَّجلَ المُسلمَ، فاسْتصرخَ أهلُ المُسلمِ المُسلَمينَ علىٰ اليهودِ، فغَضِبَ المُسْلمونَ، فوقعَ الشَّرُّ بينَهم وبَينَ بَني قَينُقَاعَ[(٢)].

فكانَ هَذا أوَّلَ غدْرٍ منَ اليهودِ، وكانَ يهودُ بَني قَينُقَاعَ حُلفاءَ لعبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ، وكانُوا أَشجعَ يهودٍ، وكانُوا صَاغَةً، وَتُجَّارًا[(٣)].

حِصَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَهودِ بَني قَيْنُقَاعَ:

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لحِصَارِ بَني قَينُقَاعَ يومَ السَّبتِ، وكانَ الذي حمَلَ لِواءَهُ يَومئذٍ حَمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانَ أبيضَ، واسْتخلفَ علىٰ المَدينةِ أبَا لُبَابةَ بنَ عبدِ المُنذرِ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٥٥-٥٥٧).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٩).

فَحَارَبَ بَنُو قَينُقَاعَ وتحصَّنوا في حِصنِهم، فحاصَرَهُم رسولُ اللهِ ﷺ أَشدَّ الحِصارِ خمْسَ عَشرةَ ليلةً حَتىٰ قَذفَ اللهُ في قُلوبِهم الرُّعْبَ، فَنزَلوا علىٰ حُكْمِ رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّ لرسولِ اللهِ ﷺ أَمْوالَهُم، وأنَّ لهُم النساءَ والذُّرِّيةَ، فأمَرَ بهم فَكُتِّفُوا[١].

شَفَاعَةُ رأسِ النِّفَاقِ عَبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ في حُلَفَائِهِ يَهُودِ بَنِي قَينُقَاعَ:

فَشفَعَ فِيهِم عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولٍ، وأَلحَّ عَلَيهِ، فَأَطْلقهم لهُ، وهُمْ قَومُ عبدِ اللهِ بنِ سلام، وكانُوا سَبْعَمائةِ مُقاتل[٢].

قالَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ: يَا محمَّدُ أَحْسِنْ في مَوالِيَّ، فَأَعرضَ عَنهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فأدْخلَ يدَه في جَيبِ دِرعِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسِلْني**[٣]».

وغَضبَ رَسولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ رَأَوا لوجْهِهِ ظُلَلًا[٤]، ثمَّ قَالَ: «**وَيحَكَ! أَرْسِلْني**».

قالَ: لا واللهِ لا أُرْسِلُكَ حَتَّىٰ تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ: أَرْبَعِمِائَةِ حَاسِرٍ[٥]، وَثَلَاثِمِائَةِ دَارِعٍ، قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ[٦]، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَاللهِ امْرُؤٌ أَخْشَىٰ الدَّوَائِرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ لَكَ**»[٧].

---

(١) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٨-٢٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨).
(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨-٤٩)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٧٠).
(٣) **أرسلني**: أي اتركني.
(٤) **ظللا**: كناية عن اشتداد الغضب.
(٥) **حاسر**: أي لا درع له.
(٦) **الأحمر والأسود**: أي الفرس، والروم.
(٧) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣١٤)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨).

جَلاءُ يَهودِ بَني قَينُقَاعَ مِنَ المَدينةِ، ومَا تَرَكُوهُ مِنْ غَنائِمَ:

أمرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي قَينُقَاعَ أن يُجْلَوا مِنَ المَدِينةِ، وَلَمْ يأْمُرْ بقَتْلِهِمْ، فَلحِقُوا بأذْرُعَاتِ الشَّامِ.

وأخذَ رَسولُ اللهِ ﷺ سِلاحَهُم، ووَجدُوا في حِصْنِهم سِلاحًا كَثيرًا وآلةَ الصِّياغةِ، وقَسَّمَها خمْسةَ أخْماسٍ[(١)].

٢٠- «وفي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقعتْ غَزوةُ السَّوِيقِ»[(٢)].

لمَّا رَجعَ المُشرِكونَ إِلىٰ مَكَّةَ مُنهزِمِينَ مِنْ غَزوَةِ بدرٍ، نَذَرَ أبو سُفْيانَ أنْ لا يَمسَّ رَأسَهُ ماءٌ حَتَّىٰ يَغزوَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فخَرجَ في مِائتي راكبٍ، حَتىٰ أتىٰ طَرَفَ المَدِينةِ، وباتَ لَيلةً عِندَ سَلَّامِ بنِ مِشْكَمٍ اليَهُودِيِّ، فسقَاهُ الخمرَ، وذكرَ لهُ منْ أسرارِ الناسِ، فلمَّا أصبحَ قَطَعَ مجموعةً من النَّخلِ، وقتلَ رجُلا منَ الأنصارِ وحليفًا لهُ، ثم كَرَّ راجعًا، ونذرَ بهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فخرَجَ في طلبِه، واستعملَ عَلىٰ المدينةِ أبَا لُبابةَ بنَ عبدِ المُنْذرِ، ولكِنْ أبُو سفيانَ فاتَ رسولَ اللهِ ﷺ، فلمْ يَلْحَقْ بِه، وطَرَحَ الكُفارُ سَويقًا كثيرًا من أزوادِهِم؛ ليتَخفَّفُوا، فأخذَهَا المُسلِمُونَ، فَسُمِّيتْ غَزوةَ السَّويقِ[(٣)].

والسَّوِيقُ: هُو قمحٌ، أو شعيرٌ يُقْلىٰ، ثُمَّ يُطْحَنُ، فَيُتَزوَّدُ به مخلوطًا بِماءٍ، أو سَمْنٍ أو عَسَلٍ[(٤)].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٢٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٠)، «الكامل» (٢/ ٣٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٣٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤-٤٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٦٩-١٧٠).

(٤) انظر: «شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢/ ٣٥٣).

٢١- «وفي ذِي الحِجَّةِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَ عُثمَانُ بنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودُفِنَ بِالبقيعِ، وهُو أَولُ مَنْ مَاتَ مِنَ المُهَاجِرينَ بالمَدينةِ»[١].

لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَكَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ[٢]، وقَالَتِ امْرَأَةٌ: هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ نَظَرَ غَضْبَانَ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكِ؟**».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَارِسُكَ، وَصَاحِبُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي؟**».

فَأَشْفَقَ النَّاسُ عَلَىٰ عُثْمَانَ، فَلَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَقِي بِسَلَفِنَا الْخَيْرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ**».

فَبَكَتِ النِّسَاءُ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَضْرِبُهُنَّ بِسَوْطِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**مَهْلًا يَا عُمَرُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ابْكِينَ، وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ**».

ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ العَيْنِ وَالْقَلْبِ، فَمِنَ اللهِ، وَمِنَ الرَّحْمَةِ، وَمَا كَانَ مِنَ اليَدِ وَاللِّسَانِ، فَمِنَ الشَّيْطَانِ**»[٣].

وَلَمَّا أُخْرِجَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «**أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ**

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥١)، «الكامل» (٢/ ٣٧)، «شذرات الذهب» (١/ ١٦).

(٢) **انظر**: «زاد المعاد» (١/ ١٧٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢١٢٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه أحمد شاكر.

أَخِي، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»[١].

٢٢ - «وفي هذِهِ السَّنةِ: كَتبَ رسولُ اللهِ ﷺ المَعَاقلَ فَكانَ مُعَلَّقًا بسيفِهِ»[٢].

كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: «أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ[٣]، وَأَنْ يَفْدُوا عَانِيَهُمْ[٤] بِالْمَعْرُوفِ[٥]، وَالْإِصْلاحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»[٦].

وجاءَ في هذَا الكِتابِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ يَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ، فَجَلَّ مَعَهُمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ.

الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ رِبَاعَتِهِمْ[٧]، يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَىٰ[٨]، وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو عَوْفٍ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَىٰ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٢٠٦)، عن المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥١)، «الكامل» (٢/ ٣٧).

(٣) **يعقلوا معاقلهم**: أي يؤدوا دياتهم، والمعاقل: الديات، جمع معقلة.

(٤) **عانيهم**: أي أسيرهم، بأن يسعوا في خلاصه بمال، أو غيره، وكذا يخلصون من أصابه تعب، أو مشقَّة بحسب الطاقة.

(٥) **بالمعروف**: بحيث لا يرتكبون في ذلك محرمًا، بل يحافظون علىٰ إزالة تعب من أصابه مصيبة، مع رعاية قوانين الشرع.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٢٤٤٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٧) **رباعتهم**: أي أمرهم القديم الذىٰ كانوا عليه.

(٨) **يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولىٰ**: أي يكونون علىٰ ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها.

وَكَذَلِكَ بَنُو الْخَزْرَجِ، وَبَنُو سَاعِدَةَ، وَبَنُو جُشَمٍ، وَبَنُو النَّجَّارِ، وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَبَنُو النَّبِيتِ، وَبَنُو أَوْسٍ كُلٌّ بِمِثْلِ بَنِي عَوْفٍ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا[١] مِنْهُمْ، أَنْ يُعِينُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ[٢]، وَلَا يُحَالِفُ مُؤْمِنٌ مَوْلَىٰ مُؤْمِنٍ دُونَهُ[٣].

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ مِنْهُمْ، أَوِ ابْتَغَىٰ دَسِيعَةَ ظُلْمٍ[٤] أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعِهِمْ وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ.

وَلَا يُنْصَرُ كَافِرٌ عَلَىٰ مُؤْمِنٍ.

وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ.

وَأَنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنَّ لَهُ الْمَعْرُوفَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرٍ عَلَيْهِمْ.

وَأَنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدٌ، وَلَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا عَلَىٰ سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ.

وَأَنَّ كُلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ يَعْقُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[٥].

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَىٰ أَحْسَنِ هُدًىٰ وَأَقْوَمِهِ.

وَأَنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ، وَلَا يُعِينُهَا عَلَىٰ مُؤْمِنٍ.

---

(١) مفرَحا: المفرَح هو كل ما لا تحمله العاقلة، ومنه المثقَّل بالدين، وكثرة العيال.

(٢) عقل: أي دية.

(٣) لا يحالف مؤمن مولىٰ مؤمن دونه: أي ألا يكون بين مؤمن وآخر ولاء، فيجيء مؤمن ويأخذ الولاء؛ لأنه لُحمة كلحمة النسب.

(٤) دسيعة ظلم: أي عظيمة من الظلم.

(٥) يعقب بعضهم بعضا: أي يكون الغزو بينهم نوبا، فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلَّف أن تعود ثانية حتىٰ يعقبها غيرها.

وَأَنَّهُ مَنِ اعْتَبَطَ[١] مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوَدٌ[٢]، إِلَّا أَنْ يُرْضِيَ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ بِالْعَقْلِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً.

وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، أَوْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا[٣] وَلَا يُؤْوِيَهُ[٤]، فَمَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ[٥].

وَأَنَّكُمْ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ حُكْمَهُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَى الرَّسُولِ.

وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ.

وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ، وَمَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يَوْتِغُ[٦] إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ، وَلِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ، وَلِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَلِيَهُودِ الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، فَإِنَّهُ لَا يَوْتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

عَلَىٰ الْيَهُودِ نَفَقَتُهُمْ، وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ

---

(١) اعتبط: أي: قتل بلا جناية.

(٢) قود: أي قصاص.

(٣) محدثا: الحدث هو الأمر الحادث المنكر، والمراد هنا القتل.

(٤) يؤويه: أي يمنعه من السلطان أن يقيم عليه الحد.

(٥) صرف ولا عدل: أي نفل، ولا عبادة.

(٦) لا يوتغ: أي لا يهلك.

عَلَىٰ مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.

وَأَنَّ بَيْنَكُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالنَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ.

وَأَنَّ الْمَدِينَةَ جَوْفُهَا حَرَمٌ لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.

وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوِ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ أَمْرَهُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ.

وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ.

وَأَنَّهُمْ إِذَا دَعَوُا الْيَهُودَ إِلَىٰ صُلْحٍ حَلِيفٍ لَهُمْ بِالْأُسْوَةِ فَأَنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ، وَإِنْ دَعَوْنَا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ الدِّينَ، وَعَلَىٰ كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنَ النَّفَقَةِ.

وَأَنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ مَعَ الْبِرِّ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَنَّ بَنِي الشُّطْبَةِ بَطْنٌ مِنْ جَفْنَةَ.

وَأَنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَلَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ.

وَأَنَّ اللهَ عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، لَا يُحَوَّلُ الْكِتَابُ عَنْ ظَالِمٍ وَلَا آثِمٍ.

وَأَنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ بِالْمَدِينَةِ أُمِّنَ أَبَرَّ الْأَمْنِ، إِلَّا ظَالِمًا وَآثِمًا، وَأَنَّ أَوْلَاهُمْ بِهَذِهِ الصَّحِيفَةِ الْبَرُّ الْمُحْسِنُ[1].

٢٣- «وفي عِيدِ الأَضْحَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: ضَحَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَبْشَينِ، أحدُهُمَا عَن أُمَّتِهِ، والآخَرُ عَنْ مُحَمَّدٍ وآلِهِ»[2].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٠١-٥٠٤)، و«الأموال»، لابن زنجويه (٢/ ٤٦٦).

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٢).

ضَحَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ[١] أَقْرَنَيْنِ[٢]، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّىٰ وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَىٰ صِفَاحِهِمَا[٣][٤]، وَقَالَ عَنْدَ الذَّبْحِ الْأَوَّلُ: «**عَنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ**» وَقَالَ عَنْدَ الذَّبْحِ الْآخَرُ: «**عَمَّنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي مِنْ أُمَّتِي**»[٥].

وأَمَرَ ﷺ مَرَّةً بِكَبْشٍ أَقْرَنَ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، هَلُمِّي الْمُدْيَةَ**[٦]»، ثُمَّ قَالَ: «**اشْحَذِيهَا**[٧] **بِحَجَرٍ**».

فَفَعَلَتْ، ثُمَّ أَضْجَعَ الْكَبْشَ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَذَبَحَهُ، وَقَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ ضَحَّىٰ بِهِ**»[٨].

وَهذَا مِن خَصَائصِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لأنَّ الشَّاةَ لَا تُجْزئُ عَنْ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ، وإنَّما يَجُوز إِشراكُ الغَيرِ في الأَجْرِ[٩].

---

(١) **أملحين**: الأملح هو الأبيض الخالص البياض.

(٢) **أقرنين**: أي لكل واحد منهما قرنان حَسَنَان.

(٣) **صفاحهما**: أي صفحة العنق، وهي جانبه، وإنما فعل هذا؛ ليكون أثبت له، وأمكن لئلا تضطرب الذبيحة برأسها فتمنعه من إكمال الذبح أو تؤذيه.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٦٥)، ومسلم (١٩٦٦)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **حسن**: رواه أبو يعلىٰ في «مسنده» (١٤١٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٩٠٠٩)، عن أبي طلحة، وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١)، وضعفه حسين سليم أسد.

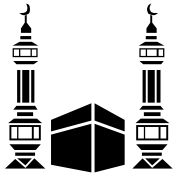
(٦) **اشحذيها**: أي حدديها.

(٧) **هلمي المدية**: أي هاتيها، والمدية السكين، وهي بضم الميم وكسرها وفتحها.

(٨) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٦٧)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٩) **انظر**: «فتح الباري» (٩/ ٥٩٥).





السَّنَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

وَفِيهَا ثلاثةَ عَشَرَ حَدَثًا:

١- «في المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقعتْ غَزوةُ نَجْدٍ عندَ ماءٍ يقالُ له: ذُو أَمَرٍّ»[(١)].

لمَّا رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ غزوةِ السَّويقِ بلَغَه أنَّ جمعًا مِن غَطَفَانَ مِن بَني ثَعلبةَ بنِ مُحارِبٍ تَجمَّعُوا بذِي أَمَرٍّ يُريدُون حَربَهُ، وَأنْ يُصيبُوا مِن أطرافِ المَدينةِ، فحثَّ رسولُ اللهِ ﷺ المُسلمينَ علىٰ الخُروجِ، وخرجَ إليهم مِنَ المَدينةِ[(٢)] نَحو نَجْدٍ، واستعملَ علىٰ المَدينةِ عُثمانَ بنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي طريقِهم أمْسكَ المُسلِمونَ برجلٍ مِن بني ثَعْلَبَةَ، فأُدْخِلَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأخبرَه خبرَهُم، وقالَ: لنْ يلاقُوكَ، ولوْ سَمِعُوا بِمَسيرِكَ لهَربوا في رؤُوسِ الجبالِ، وأنا سائرٌ مَعَك، فدعاهُ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ الإسلامِ، فأسلمَ[(٣)].

وَأقامَ ﷺ بنَجدٍ صَفرًا كلَّهُ أو قَريبًا مِن ذلك، ثمَّ رجعَ إلىٰ المَدينةِ،

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٢)، «الكامل» (٢/ ٣٨)، «البداية» (٤/ ٣)، «سبل الهدىٰ» (٤/ ١٧٦).

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣١٢)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٨)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٣١٤).

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣١٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٨)، و«عيون الأثر» (١/ ٣٥٥).

ولم يَلْقَ حَرْبًا[١].

٢- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قُتِلَ كَعبُ بنُ الأَشْرفِ اليَهُودِيُّ بأَمْرِ رَسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

كانَ كعبُ بنُ الأشرفِ رَجلا يَهوديًّا، وكانَ شَديدَ الأذىٰ لرسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ يتغَزَّلُ في أشْعارِه بنساءِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلمَّا كانتْ وقعةُ بدرٍ ذهبَ إلىٰ مكةَ، وجعلَ يحرِّضُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وعَلىٰ المؤمنينَ، ثم رجعَ إلىٰ المَدينةِ علىٰ تلكَ الحالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟، فَإِنَّهُ قَدْ آذَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ**».

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا[٣].

قَالَ: «**قُلْ**».

فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ[٤] قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا[٥]، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ.

قَالَ: وَأَيْضًا، وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ[٦].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣١٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٢)، «الكامل» (٢/ ٣٨)، «البداية» (٤/ ٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٥).

(٣) **فأذن لي أن أقول شيئًا**: أي ائذن لي أن أقول عني وعنك ما رأيته مصلحة من التعريض، وغيره.

(٤) **إن هذا الرجل**: أي النبي ﷺ.

(٥) **عنانا**: أي أوقعنا في العناء، وهو التعب والمشقة، وكلفنا ما يشق علينا.

(٦) **لتملنه**: أي لتضجرن منه أكثر من هذا الضجر.

قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا[١]، أَوْ وَسْقَيْنِ.

فَقَالَ: نَعَم، ارْهَنُونِي.

قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ.

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا، وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ.

قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ.

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ[٢].

فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ.

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ.

قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ.

قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَىٰ طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ.

وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِلرَّجُلَيْنِ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ.

---

(١) وسقا: الوسق: ستون صاعًا، والصاع أربعة أمداد، والمُد: ملء كفيِّ الرجل المعتدل.

(٢) اللأمة: أي السلاح.

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا[١] وَهُوَ يَفُوحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ.

فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ رِيحًا أَعْطَرَ[٢].

فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟.

قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ.

ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟.

قَالَ: نعَمْ.

فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ[٣]، قَالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ اللهِ، فَضَرَبُوهُ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَذَكَرْتُ مِغْوَلًا[٤] فِي سَيْفِي، حِينَ رَأَيْتُ أَسْيَافَنَا لَا تُغْنِي شَيْئًا، فَأَخَذْتُهُ.

وَقَدْ صَاحَ عَدُوُّ اللهِ صَيْحَةً شَدِيدَةً أَفْزَعَتْ مَنْ حَوْلَهُ، فَلَمْ يَبْقَ حَوْلَهُمْ حِصْنٌ إِلَّا وَقَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نَارٌ؛ لِيَرُوا مَا الخَبَرُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَوَضَعْتُهُ فِي ثُنَّتِهِ[٥] ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ بَلَغْتُ عَانَتَهُ فَوَقَعَ عَدُوُّ اللهِ.

وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ومَعَهُ الرَّجُلَانِ حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللهِ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ، فَأَصْبَحُوا، وَقَدْ خَافَتْ

---

(١) **متوشحًا**: أي متلبسًا بثوبه، وسلاحه. والمتوشح: هو الذي يخالف بين طرفي ثوبه.

(٢) **ما رأيت كاليوم ريحا أعطر**: أي ما رأيت ريحًا أطيب في يوم مثل هذا اليوم.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **مغولًا**: أي السكين التي تكون في السوط.

(٥) **ثنته**: أي ما بين سرته، وعانته.

يَهُودُ لِوَقْعَتِهِم بِعَدُوِّ اللهِ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ عَلَىٰ نَفْسِهِ[١].

٣- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: عَقَدَ عَثمانُ بنُ عفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ بعدَ وفاةِ أختِها رُقيةَ، وبَنى بِها في جُمَادَى الآخرَةِ»[٢].

زوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ بنتَهُ أمَّ كُلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعثمَانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدَ موتِ أختِها رُقَيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقَدْ توفيتْ أمُّ كُلثوم، ولمَ تَلدْ[٣].

وكانتْ قبلَ النُّبوةِ زَوجةً لعُتَيبَةَ بنِ أبي لَهَبٍ، فَأمَرَه أَبُوهُ أَنْ يُفَارِقَها؛ لأَجلِ الإسلامِ، فَفَارَقَها ولم يكنْ دخلَ بِهَا[٤].

٤- «وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقعتْ غزوةُ الفُرُعِ مِنْ بُحْرَانَ»[٥].

خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثَلاثِمِائةٍ مِن أصحابِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يريدُ قريشًا وبَني سُليم، واستخلفَ علىٰ المَدينةِ ابنَ أمِّ مَكتُوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبلغَ بُحْرانَ من نَاحيةِ الفُرُعِ[٦]، فَأقَامَ هُناكَ شهرَ ربيعٍ الآخرِ، وجُمَادَىٰ الأُوْلَىٰ، ثمَّ رجعَ إلىٰ المَدينةِ ولم يَلْقَ حَرْبًا[٧].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦-٥٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٣).

(٢) «البداية» (٤/ ٦، ٦٤)، «شذرات الذهب» (١/ ١٧).

(٣) انظر: «المعرفة والتاريخ»، للفسوي (٣/ ١٥٩).

(٤) انظر: «البدء والتاريخ»، للمطهر المقدسي (٥/ ١٧)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، لابن الجوزي (٣/ ٣٧٥).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٢)، «البداية» (٤/ ٣)، «سبل الهدىٰ» (٤/ ١٧٨).

(٦) الفرع: قرية في ناحية المدينة.

(٧) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣١٣)، و«مغازي الواقدي» (١/ ١٩٦-١٩٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٦).

٥- «وَفِي جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى القِرَدَةِ، فَغَنِمُوا عِيرًا ومَالًا لِقُرَيشٍ»[١].

بعدَ غزوةِ بدرٍ خَافتْ قُريشٌ طَريقَهُم الذي كانوا يَسلُكُونَ إلىٰ الشامِ، فَسلكُوا طريقَ العراقِ، فخَرجَ منهم تُجارٌ، فيهم: أَبُو سفيانَ بنُ حَربٍ، ومعَهُ فِضةٌ كثيرةٌ، وهي عِظَمُ تجارتِهم.

فبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أَمْرُهُم، فبعثَ ﷺ زيدَ بنَ حَارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مِائةِ راكبٍ إلىٰ القِردَةِ؛ لِيعترضَ عيرَ قُريشٍ، فلمَّا جاءهُمْ زَيدُ بنُ حارِثَةَ هَرَبُوا، وتَرَكُوا العِيرَ ومَا فيها، فقدمَ بالعِيرِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فَخمَّسَهَا[٢].

وتخميسُ الغنيمةِ يكونُ بِتقسيمِ أربعةِ أخمَاسِها علىٰ المُجاهِدِينَ، وصرفِ الخُمُسِ الخامسِ للهِ، ورسولِهِ ﷺ.

٦- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَفْصَةَ بنتَ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[٣].

كَانتْ حَفْصَةُ بِنتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُتَزَوِّجَةً مِنْ خُنَيْسِ بنِ حُذَافةَ السَّهْمِيِّ، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٤)، «الكامل» (٢/ ٤٠)، «البداية» (٤/ ٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢).

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣١٦)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ٣٦).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٨)، «الإصابة» (٢٩٤).

قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي.

فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ.

فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا(١)، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ(٢) مِنِّي عَلَىٰ عُثْمَانَ.

فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ.

فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا(٣)، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا(٤).

وتَزوَّجهَا رسولُ اللهِ ﷺ بعدَ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومَاتَ رَسولُ اللهِ ﷺ، ولمْ تَلدْ مِنهُ(٥).

٧ - وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَينبَ بنتَ خُزَيْمةَ أُمَّ المَسَاكِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»(٦).

---

(١) **فلم يرجع إليَّ شيئًا**: أي فلم يرد علي بقبول، أو رفض.

(٢) **أوجد مني**: أي أشد حزنا؛ لما كان بينهما من مزيد المحبة، فكان حزنه لعدم قبوله أشد. أشد.

(٣) **ذكرها**: أي بما يدل علىٰ أنه يرغب في زواجها.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٠٥).

(٥) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٢٥٧).

(٦) «الطبقات» (١٠/ ١١٢)، «الإصابة» (٤٧٧)، «شذرات الذهب» (١/ ١٧).

تَزوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ زَينبَ بنتَ خُزَيمَةَ الهِلاليَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانتْ تُسَمَّىٰ أمَّ المَساكينَ؛ لِرحْمتِها إيَّاهُم، ورقَّتِها عَلَيهم، زوَّجَهُ إياهَا قَبيصَةُ بنُ عَمرٍو الهِلَاليُّ، وأصدَقَها رسولُ اللهِ ﷺ أربعَ مائةِ دِرْهم، وكانتْ قَبلَهُ مُتَزوِّجةً منْ عُبَيدةَ بنِ الحَارثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، وكَانتْ قَبلَ عُبَيدَةَ مُتَزوِّجةً مِنْ ابْنِ عَمِّها جَهْمِ بنِ عَمْرٍو[1].

مَاتتْ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ بِالمَدِينةِ، وهيَ أَوَّلُ نِساءِ النَّبي ﷺ مَوتًا، ولم تَلدْ لهُ ﷺ[2].

٨ - «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وُلِدَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[3].

لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

قَالَ عَلِيٌّ: حَرْبًا.

قَالَ: «**بَلْ هُوَ حَسَنٌ**».

فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

قَالَ عَلِيٌّ: حَرْبًا.

قَالَ: «**بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ**».

فَلَمَّا وُلِدَ الثَّالِثُ سَمَّاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرْبًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

قَالَ عَلِيٌّ: حَرْبًا.

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٢٥٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٧).

(٢) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٢٥٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٨)، «الإصابة» (٢٩٤).

قَالَ: «**بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ**»، ثُمَّ قَالَ: «**سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ شَبَّرَ، وَشَبِيرٍ، وَمُشَبِّرٍ**»(١).

ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

وصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ مَرَّةٍ المِنْبَرَ، وَالحَسَنُ إِلَىٰ جَنْبِهِ، فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَىٰ النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ**(٣)»(٤).

وقد بشَّرهُ النَّبِيُّ ﷺ بالجَنةِ، بِقولِهِ ﷺ: «**الحَسَنُ، وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٥).

٩- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَعَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ»(٦).

لمَّا قُتِلَ أشرافُ قُريشٍ ببدرٍ، وأُصِيبُوا بمصيبةٍ لم يُصابُوا بمثْلِها، ورَجعَ مُنْهَزِمُوهُمْ إِلىٰ مَكَّةَ، ورَجَعَ أَبُو سُفيَانَ بنُ حَربٍ بِعِيرِهِ، سَعىٰ عَبدُ اللهِ بنُ أبي رَبيعَةَ، وعِكْرمةُ بنُ أبي جَهْلٍ، وصفوانُ بنُ أُميَّةَ، في رجالٍ من قريشٍ ممَّن أُصيبَ آبَاؤُهُم وأَبناؤُهُم وإِخْوانُهُم يومَ بدرٍ،

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٧٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤١٠)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه شعيب الأرنؤوط، وضعفه الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٨/ ١٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **فئتين من المسلمين**: أي الفئة التي من جهته، والتي من جهة معاوية عند اختلافهما علىٰ الخلافة، وكان هذا بتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٤٦)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٦٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨١١٣)، وأحمد (١٠٩٩٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه (١١٨)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني.

(٦) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٨)، «الكامل» (٢/ ٤٤)، «البداية» (٤/ ١٠).

فكلَّموا أبا سُفيانَ بنَ حَربٍ، ومن كانتْ لهُ في تلكَ العِيرِ مِنْ قُريشٍ تجارةٌ، فقالوا: يا معشرَ قريشٍ، إنَّ محمدًا قَدْ وَتَركم[١]، وقَتلَ خِيارَكُم، فَأَعِينُونَا بهذَا المالِ عَلىٰ حَربِهِ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أصابَ مِنَّا، فَفَعَلُوا[٢].

قالَ اللهُ تَعالىٰ في ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال:٣٦].

قُرَيشٌ تَجتَمِعُ عَلى حَربِ رسولِ اللهِ ﷺ:

فاجْتَمعتْ قريشٌ لحَربِ رَسولِ اللهِ ﷺ، واجْتمعَ قريبًا مِن ثَلاثةِ آلافٍ مِن قُريشٍ، وحُلفَائِهم، والأحَابِيشِ[٣]، فَخَرجُوا بِنسائِهِم؛ لئَلَّا يَفِرُّوا، وليُدَافِعُوا عَنْهُنَّ[٤].

التَّخْطِيطُ لِقَتلِ حمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ:

ودَعَا جُبيرُ بن مُطْعِمٍ غُلامًا له يقالُ لهُ: وَحْشِيٌّ، فقالَ لهُ: اخْرُجْ معَ النَّاسِ، فَإِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ محمدٍ كمَا قَتلَ عَمِّي طُعَيْمَةَ بنَ عَدِيٍّ يومَ بَدْرٍ، فَأَنْتَ حُرٌّ[٥].

---

(١) وتركم: أي ظلمكم، وجنىٰ عليكم، وانتقصكم.

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠)، و«زاد المعاد» (١٧٢).

(٣) الأحابيش: أي من انضم إلىٰ العرب ممن ليس منهم.

(٤) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠-٦٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٢).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (٤٠٧٢)، من حديث وحشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٣)، و«مغازي الواقدي» (١/ ١٤٨).

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرَى رُؤيَا:

رأَىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ وهُو بالمَدِينةِ رؤيَا، رَأىٰ أَنَّ في سَيفِهِ كَسْرًا، ورَأَىٰ أنَّ بَقرًا تُذْبحُ، وأنَّه أَدخلَ يدَهُ في دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فتأوَّلَ الكَسْرَ في سَيفِه برجلٍ يُصابُ مِنْ أهلِ بَيتِهِ، وتَأوَّلَ البقرَ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقتلُونَ، وتأوَّلَ الدِّرعَ بالمَدِينةِ[1].

رَسولُ اللهِ ﷺ يَستَشيرُ أَصْحَابَه في الخُروجِ لصدِّ عُدوانِ المُشرِكِينَ:

لمَّا فَرَغَ رسولُ اللهِ ﷺ من صلاةِ الجُمعَةِ استَشَارَ أصْحَابَه أَيخرجُ إِلىٰ المُشرِكينَ، أمْ يمكثُ في المَدينةِ؟.

وَكانَ رأيُهُ ﷺ ألَّا يخرجُوا مِنَ المَدِينةِ، وأنْ يَتحصَّنُوا بِها، فإنْ دَخلُوهَا، قاتَلَهُمُ المُسلمونَ، والنِّساءُ مِن فوقِ البُيوتِ، وكانَ ﷺ يَكرَهُ الخروجَ، وكانَ زَعِيمُ المُنَافِقينَ عبدُ اللهِ بن أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ يَرَىٰ رَأْيَ رسولِ اللهِ ﷺ في ذَلكَ.

فَأَشَارَ جماعةٌ مِن فُضَلاءِ الصَّحَابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِمَّنْ فاتَهُ الخُروجُ يومَ بَدرٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بالخروجِ، وألَحُّوا عليهِ في ذَلكَ، وقالوا: يَا رسولَ اللهِ، اخرُجْ بنَا إِلىٰ أَعدَائِنا؛ لِئَلَّا يَرَوا أنَّا جَبُنَّا عَنهُم، وضَعُفْنَا؟.

فقالَ عبدُ اللهِ بن أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ: يَا رسولَ اللهِ، أَقِمْ بالمَدينةِ، لا تَخرجْ إِليهِم، فواللهِ ما خَرَجْنا مِنها إِلىٰ عَدُوٍّ لنَا قَطُّ إلا أَصابَ مِنَّا، ولا دَخلَها علينَا إلا أَصَبْنا مِنه، فدَعْهُم يا رسولَ اللهِ، فَإِنْ أقامُوا أَقَامُوا بِشرِّ محْبَسٍ، وإنْ دَخلُوا قَاتَلَهم الرِّجالُ، ورماهُم النِّساءُ والصِّبيانُ بالحجارةِ مِن فَوقِهِم، وإنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كما جَاءُوا.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢-٦٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٣).

وتَابَعَه علىٰ ذلك بعضُ الصَّحَابةِ، فألحَّ المُؤَيِّدُونَ للخُروجِ عَلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فنَهضَ ودَخَلَ بيتَه ولَبِسَ لأَمَتَهُ[١].

وَقدْ ندِمَ الذينَ أَشَارُوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ بالخُرُوجِ وَأَلَحُّوا عَليهِ، وَقالُوا: أَكْرَهْنا رسولَ اللهِ ﷺ علىٰ الخُرُوجِ، ولمْ يكنْ لنَا ذلكَ.

فلمَّا خرجَ عَليهِم رسول اللهِ ﷺ، قالُوا: يا رسولَ اللهِ: اسْتَكْرَهْنَاكَ، ولمْ يَكُنْ لنَا ذلكَ، فإنْ شِئتَ، فَاقْعُدْ.

فَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ينبغي لنبيٍّ إذا لَبِسَ لأَمَتَهُ أَنْ يَضَعَها حَتَّىٰ يَحكُمَ اللهُ بَينَهُ، وَبَينَ عَدُوِّهِ**»[٢].

فَخَرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ الجُمُعةِ، في أَلْفٍ مِنَ أَصْحَابِهِ[٣]، واسْتَعْملَ عَلىٰ المَدِينَةِ، وعَلَىٰ الصَّلاةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ[٤].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَفَقَّدُ الجَيْشَ:

تَفَقَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الجَيشَ، فَردَّ عَنِ القِتالِ مَن اسْتَصْغَرَهُ، وكانَ مِنهُم: أُسَامَةُ بنُ زيدٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، والبراءُ بنُ عازبٍ، وعمرُو بنُ حَزمٍ، وأَسيدُ بنُ ظَهيرٍ، ثم أَجَازَهم يومَ الخَندقِ، وهُم أَبناءُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وأَجَازَ مَنْ رَآهُ مُطِيقًا، وكانَ مِنهُم: سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ، ورافعُ بنُ خَدِيجٍ، وهُما ابنَا خمسَ عَشْرَةَ سنةً، وكانَ قَدْ ردَّهُمَا، فَقِيلَ لهُ: يَا رسولَ

---

(١) **لأمته**: أي درعه، وقيل: سلاحه. ولأمة الحرب: أداته.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٣-٣٢٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٣).

(٣) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٤).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٣).

اللهِ إنَّ رافِعًا رام، فأجَازَهُ، فقِيلَ لهُ: يا رسولَ اللهِ، فإنَّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ[١].

زَعِيمُ المُنَافِقِينَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ يرجِعُ بثُلثِ الجيشِ:

بَينَما رَسولُ اللهِ ﷺ بأصْحَابِه في أثناءِ الطَّرِيقِ أمَرَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ قومَه منْ أهلِ النفاقِ بالرُّجوعِ، فرجَعَ بثُلُثِ الجيشِ، وقَالَ لهُمْ: أطَاعَهُم وعَصَاني، واللهِ ما نَدْري علامَ نَقتُلُ أنْفُسَنَا هَهُنا أيُّها النَّاسُ؟.

فاتَّبَعَهُمْ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ حَرَامٍ يَقُول لَهُمْ: يَا قوم أُذَكِّرُكُم اللهَ أنْ تَخْذُلُوا نَبِيَّكُم، وقَومَكُم عِنْدَ مَا حَضَرَ مِن عَدُوِّهِمْ.

قَالُوا: لَو نَعلمُ أنَّكُم تُقَاتِلُون لَمَا أَسْلَمْنَاكُم، ولكنَّا لا نَرَىٰ أنَّهُ يكونُ قِتالٌ.

فلما استَعْصَوا عَليه وأَبَوا إلَّا الانْصِرَافَ عنهم قال: أبعدَكُم اللهُ أعداءَ اللهِ، فَسَيُغْني اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ[٢].

وَقالتِ الأنصارُ لرسولِ اللهِ ﷺ: يا رسولَ اللهِ ألا نَستعينُ بحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟.

فَقالَ: «**لا حَاجَةَ لنَا فِيهِمْ**»[٣].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنزِلُ بِالشِّعْبِ، وَيَتَجَهَّزُ للقِتالِ:

وَمَضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلَ الشِّعْبَ مِن أُحدٍ في عُدْوَةِ الوَادي إلىٰ الجَبَلِ، فَجَعَلَ ظهرَه وجَيشَه إلىٰ جَبَلِ أُحُدٍ، وقَالَ: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ**

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٤-١٧٥).

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٤-٣٢٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤).

مِنكُم حَتَّىٰ نَأمُرَهُ بِالقِتَالِ».

وتجهَّزَ رَسولُ اللهِ ﷺ للقتالِ صَبيحَةَ يومِ السَّبتِ، وهُو في سَبعِمِائَةِ رَجُلٍ، ولَبسَ ﷺ دِرْعَينِ(١)، ودَفعَ اللواءَ إلىٰ مُصْعَبِ بنِ عُمَيرٍ(٢)، وَجَعَلَ علىٰ إِحْدَىٰ الْمَجْنَبَتَينِ(٣) الزُّبَيرَ بنَ العَوَّامِ، وعلىٰ الأُخْرَىٰ المُنذِرَ بنَ عَمرٍو(٤).

الأَوَامِرُ المُشَدَّدَةُ للرُّمَاةِ:

وأمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ الرُّمَاةِ عبدَ اللهِ بنَ جُبَيرٍ، وكانُوا خَمْسينَ رَجُلًا، وَقالَ: «**انْضَحْ(٥) الخَيلَ عَنَّا بِالنَّبلِ؛ لِئلَّا يأتُوا المُسلِمينَ مِن وَرائِهِم(٦)، وَلَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا(٧) عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا**»(٨).

تَجَهُّزُ قُرَيشٍ للقِتالِ:

وتَجهَّزتْ قُريشٌ للقتالِ، وهُم ثلاثةُ آلافٍ، ومَعَهُم مِائَتَا فرسٍ قَدْ جنَّبُوهَا(٩)، فجَعَلوا علىٰ مَيمَنَةِ الخيلِ خالدَ بنَ الوليدِ، وعَلىٰ مَيْسَرَتِها

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٩٠)، عن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٥-٣٢٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤-٦٦).

(٣) المجنبتين: أي الميمنة، والميسرة، وبينهما القلب.

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٧٤).

(٥) انضح: أي ادفع.

(٦) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٤).

(٧) ظهرنا: أي انتصرنا.

(٨) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) جنبوها: أي قادوها إلىٰ جنوبهم يستعملونها إذا أعيا بعض خيلهم، أو قتل.

عِكْرِمَةَ بنَ أبي جَهْلٍ[١].

ونَزلتْ قُريشٌ مَنزِلَهَا بأُحُدٍ يومَ الأَرْبعاءِ فأقامُوا بِها ذلكَ اليومَ، ويومَ الخميسِ ويومَ الجُمُعةِ، والتَقَوا بجيشِ المُسلمينَ يومَ السَّبتِ[٢].

عِصَابَةُ المَوتِ:

وبينَما رَسولُ اللهِ ﷺ يُرَتِّبُ صُفوفَ جَيشِهِ أَمْسَكَ بِسَيفِهِ، وقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيفَ بِحَقِّهِ؟**».

فقَامَ إليهِ رَجالٌ، فمَنَعَهُ عَنْهُم، حتَّىٰ قامَ إليهِ أبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ، فقَالَ: وما حقُّهُ يا رسولَ اللهِ؟.

قَالَ: «**أنْ تَضْربَ بهِ القَومَ حَتَّىٰ يَنثَنِيَ**[٣]».

قَالَ: أنا آخذُه يا رسولَ اللهِ بحَقِّهِ.

فأَعْطَاهُ إيَّاهُ، وكانَ أبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا، يَختَالُ[٤] عِندَ الحَربِ، وكانَ إذَا عَصَبَ عِصَابةً له حَمْراءَ علىٰ رأسِهِ عَلِمَ الناسُ أنَّهُ سَيُقَاتِلُ، وكَانتْ تُسَمَّىٰ بِعِصَابَةِ المَوتِ، فَلَمَّا أخذَ السَّيفَ مِن يدِ رسولِ اللهِ أَخْرجَ عِصَابَتَهُ تَلكَ فَعَصَبَ بها رَأْسَه، فَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ[٥] بينَ الصَّفَّينِ.

فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَىٰ أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: «**إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغَضُهَا اللهُ إِلَّا فِي هَذَا المَوْطِنِ**»[٦].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٦).

(٢) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٤).

(٣) **ينثني**: أي يُعْوَج، ويلتوي.

(٤) **يختال**: من الاختيال، وهو التكبر في المشي.

(٥) **يتبختر**: التبختر في المشي: هو مشْية المتكبر المُعْجب بنفسه، وهي مِشية فيها تمايل.

(٦) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦-٦٧).

دَوْرُ نِسْوةِ قُرَيشٍ في المَعْرَكَةِ:

لمَّا التقىٰ الجَيشانِ، واقْتَرَبَ بعضُهُم مِن بَعضٍ، قَامتْ هِندُ بنتُ عُتْبَةَ معَ النِّسوةِ اللَّاتي مَعَها، وأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْنَ بها خَلفَ الرِّجَالِ، ويحَرِّضْنَهُم، فقالَتْ هِندٌ:

وَيْهَـــا بَنِـــي عَبْـــدِ الـــدَّارْ وَيْهَـــا حُمَـــاةَ الْأَدْبَـــارْ[١]

ضَـــرْبًـا بِكُـــلِّ بَتَّـــارْ[٢]

وَقَالتْ:

إِنْ تُقْبِلُـــــوا نُعَـــــانِقْ وَنَفْـــــرِشُ النَّمَـــــارِقْ[٣]

أَوْ تُـــــدْبِرُوا نُفَـــــارِقْ فِـــــرَاقَ غَيْـــــرَ وَامِـــــقْ[٤][٥]

أَبُو دُجَانَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَفِي بِشَرطِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَيُقَاتِلُ قِتَالًا شَدِيدًا.

فَاقْتتلَ الناسُ حتَّىٰ حَمِيتِ الحَربُ، وَقاتَل أبو دُجَانَةَ حتَّىٰ دخلَ بينَ صُفوفِ المُشْركينَ.

قَال الزُّبيرُ بنُ العَوَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَجَدْتُ[٦] في نَفسي حينَ سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ السَّيفَ فمنَعَنِيهِ، وأَعْطَاهُ أبَا دُجَانَةَ.

وقُلتُ: أنَا ابنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، ومِنْ قُريشٍ، وقد قُمْتُ إِليهِ فَسَألتُهُ إِيَّاه

---

(١) ويها: كلمة معناها الإغراء. حماة الأدبار: أي الذين يحمون أعقاب الناس.

(٢) البتار: القاطع.

(٣) النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٧).

(٦) وجدت: أي حزنت.

قبْلَهُ، فأعطَاهُ إيَّاهُ وَتركَني، واللهِ لأَنْظرنَّ مَا يَصْنَعُ.

فَاتَّبَعْتُهُ، فرَأَيْتُهُ أَخرجَ عِصابةً له حَمراءَ، فعصَبَ بها رأسَهُ، فقَالتِ الأَنْصارُ: أَخرَجَ أبُو دُجَانَةَ عِصَابةَ المَوتِ، وهَكَذا كانتْ تقولُ لهُ إذَا تعصَّبَ بِها.

فَخَرَج وهو يَقولُ:

أَنَــا الَّــذِي عَاهَــدَنِي خَلِيلِــي وَنَحْـنُ بِالسَّـفْحِ لَـدَىٰ النَّخِيـلِ[١]

أَلَّا أَقَــوْمَ الــدَّهْرَ فِــي الْكَيُّــولِ أَضْـرِبُ بِسَـيْفِ اللهِ وَالرَّسُـولِ[٢]

قَال الزُبيرُ بنُ العَوَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَجعلَ لا يَلقَىٰ أحدًا إلا قَتَلَه، وكانَ في المُشركينَ رَجلٌ لا يَدَعُ لنَا جَريحًا إلَّا قَضىٰ عَليه، فجعلَ كلُّ واحدٍ مِنهما يدنُو من صَاحبِه.

فدَعوتُ اللهَ أنْ يجمَع بينَهُما، فالتَقيا، فاخْتَلَفَا ضَرْبَتَين، فضرَبَ المُشْركُ أبَا دُجَانةَ، فاتَّقاه بدَرَقَتِه[٣]، فَلَزِقَتْ بِسيفِهِ، وضَربَهُ أبُو دُجَانَةَ، فَقَتلَهُ.

ثم رأيتُه قَد حَملَ السَّيفَ علىٰ مَفْرِقِ رأسِ هِندِ بنتِ عُتْبَةَ، ثُم عدَلَ السيفَ عنها؛ تكرِيمًا لسيفِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤].

مَقتلُ سَيِّدِ الشهداءِ حمْزةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقاتلَ حمْزةُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ قِتَالا شَدِيدًا حتىٰ قتلَ جَمَاعَةً مِنَ المُشرِكينَ مِنهُم حَامِلُ لِوَائِهِم.

---

(١) **بالسفح**: أي سفح الجبل، وهو أسفله.

(٢) **الكيول**: أي آخر الصفوف في الحرب.

(٣) **بدرقته**: الدرقة هي ترس يصنع من جلد ليس فيه خشب، ولا عصب.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٨-٦٩).

قَالَ وَحشيٌّ: لَمَّا أَنِ اصْطَفَّ الجَيشانِ لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ[١]، أَتُحَادُّ اللهَ[٢] وَرَسُولَهُ ﷺ؟.

ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ[٣]، وَكَمَنْتُ[٤] لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ[٥] حَتَّىٰ خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ[٦].

مَقْتَلُ مُصْعَبِ بنِ عُمَيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقاتَلَ مُصْعبُ بنُ عُميرٍ قِتالًا شَديدًا دِفاعًا عنْ رسولِ اللهِ ﷺ حَتىٰ قتَلَه ابنُ قَمِئَةَ اللَّيثيُّ، وهو يَظُنُّ أنَّه رسولُ اللهِ ﷺ، فَرجعَ إلىٰ قُريشٍ، فقالَ: قَد قَتَلتُ محمَّدًا.

فأَعْطَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ اللواءَ الذِي كانَ مَعَ مُصعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٧].

عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمِلُ الراية، ويَقتلُ حاملَ رايةِ المُشْرِكينَ:

لمَّا اشتدَّ القتالُ، جَلسَ رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ رايةِ الأنصارِ، وأَرسلَ ﷺ إلىٰ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنْ قدِّمَ الرايةَ.

---

(١) **مقطعة البظور**: أي أمه كانت تختن النساء في مكة، والعرب تقول ذلك في معرض الذم والشتم. والبظور: جمع بظر وهو قطعة لحم بين شفري فرج المرأة.

(٢) **أتحاد الله**: أي تعانده، وتعاديه.

(٣) **كأمس الذاهب**: كناية عن قتله في الحال وإعدامه له.

(٤) **كمنت**: أي اختفيت.

(٥) **ثنته**: أي عانته، وقيل: ما بين أسفل سرته إلىٰ عانته.

(٦) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٩-٧٢).

(٧) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٧٢)، عن وحشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فتقدَّمَ عليٌّ، فقالَ: أنَا أبُو القُصَم[١].

فنادَاه حَامِلُ لواءِ المشركينَ: أنْ هلْ لكَ يا أبَا القُصَمِ في البِرَازِ مِنْ حَاجَةٍ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

فبرَزَا بينَ الصَّفَّينِ، فاختَلفَا ضربَتَينِ، فَضَرَبَهُ عَليٌّ، فَصَرَعَهُ، ثمَّ انْصرفَ عَنهُ ولم يُجْهِزْ عَلَيهِ[٢]، فقالَ لهُ أصْحَابُه: أفَلا أَجْهَزْتَ عَلَيه؟

فَقَال: إِنَّه اسْتَقْبَلَني بِعَوْرتِه، وَعَرَفتُ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ قَتَلَهُ[٣].

مَقْتلُ حَنْظَلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَسِيلِ المَلَائِكَةِ:

التَقىٰ حَنظَلَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبُو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، فلمَّا اسْتَعْلىٰ حَنْظَلَةُ أبَا سُفْيانَ، رَآهُ شَدادُ بنُ الأَسودِ، فَضربَه شَدادٌ، فَقَتَلَهُ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ صَاحِبَكُمْ -يَعْنِي حَنْظَلَةَ- لَتُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ**».

فَسَأَلُوا زَوْجَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ[٤][٥].

المُسلِمُونَ يَنْتَصِرونَ:

فأنزلَ اللهُ نَصْرَه عَلىٰ المُسلِمينَ، وصَدَقَهُم وَعْدَه، فَقَتَلُوهُم بالسيوفِ حتَّىٰ كانتِ الهزيمةُ لا شكَّ فِيها[٦].

فكانَ النَّصرُ أولَ النهارِ للمُسلمينَ علىٰ الكفارِ، فَهرَبُوا مِنْ أَمَام

---

(١) **القصم**: جمع القصْمَىٰ، أي الداهية التي تَقصم.

(٢) **يجهز عليه**: أي يسرع في قتله بعد أن صرعه.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٧٣-٧٤).

(٤) **الهائعة**: أي الصيحة.

(٥) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٣٢-٣٣٣).

(٦) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٧٧).

جيشِ المُسلِمينَ[١].

سَببُ الهَزيمةِ التي وقعتْ بِالمُسلِمينَ:

أَعْطَىٰ رَسولُ اللهُ ﷺ أَوَامِرَهُ للرُّمَاةِ أَلَا يَبرَحُوا أَمَاكِنَهُم، حتَّىٰ وإنْ كان النَّصرُ حَليفًا للمُسلمينَ، وَلَكنَّهم لمَّا رَأوا المُشركينَ هَرَبُوا، وَالنِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، أَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا[٢]، وَلم يسْمَعُوا، وَظنُّوا أن ليسَ للمشركينَ رجْعةٌ، فذهَبوا في طلبِ الغنيمةِ، وأَخلَوا الثَّغْرَ[٣].

فَلَمّا انْصَرَفَ الرُّمَاةُ، وَبَقِيَ مَنْ بَقِيَ، نَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَىٰ خَلَاءِ الْجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَكَرَّ[٤] بِالْخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ فِي الْخَيْلِ، فَانْطَلَقَا إِلَىٰ بَعْضِ الرُّمَاةِ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ، فَرَامُوا الْقَوْمَ حَتّىٰ أُصِيبُوا، وَرَامَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ حَتّىٰ فَنِيَتْ نَبْلُهُ، ثُمّ طَاعَنَ بِالرّمْحِ حَتّىٰ انْكَسَرَ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ بِسَيفِهِ حَتّىٰ قُتِلَ[٥].

وصَرخَ الشيطانُ بأعلىٰ صَوتِهِ: إنَّ محمَّدًا قَد قُتِل، فتقَهْقَر المُسلمونَ للخلفِ، وفر أكثرهم بعد أنْ كَانَ النصرُ حليفهم، فانكشفَ المسلمون فأصابَ منهم العدو، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة[٦].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٧٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٧٦).

(٤) كرَّ: أي رجع علىٰ العسكر.

(٥) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٣٢).

(٦) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٢٧-٣٢٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٧).

الكُفَّارُ يَصِلونَ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ:

وصلَ الكفَّارُ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فَرَمُوهُ ﷺ بالحِجارةِ حتىٰ وَقعَ عَلَىٰ شِقِّه[١]، فكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ[٢]، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ؟»[٣]، «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[٤].

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨][٥].

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: رَمَىٰ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمئِذٍ، فَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ الْيُمْنَىٰ السُّفْلَىٰ، وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلَىٰ، وَشَجَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ شِهَابٍ فِي جَبْهَتِهِ، وَجَرَحَ ابْنُ قَمِئَةَ وَجْنَتَهُ[٦] فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ المِغْفَرِ[٧] فِي وَجْنَتِهِ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ الَّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ؛ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ قَائِمًا، وَمَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ، أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ الدَّمَّ عَنْ

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٨).

(٢) رباعيته: السن التي تلي الثنية من كل جانب، والثنية إحدىٰ السنين في مقدمة الأسنان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٥/ ٩٩)، ومسلم (١٧٩١)، واللفظ له، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٥/ ٩٩)، ومسلم (١٧٩١)، واللفظ له، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) وجنته: أي أعلىٰ خده.

(٧) المغفر: ما يجعل علىٰ الرأس؛ ليتَّقىٰ به في الحرب.

وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ابْتَلَعَهُ[١].

وَسُئِلَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ[٢] عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ[٣]، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّىٰ صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ»[٤].

سَبْعةٌ مِنَ الأنصارِ يُقْتَلونَ دِفَاعًا عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ:

أُفْرِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْهُ، قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»- أَوْ «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»-، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، ثُمَّ اقْتَرَبُوا مِنْهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» - أَوْ «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»-، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا[٥]»[٦].

زِيادُ بنُ السَّكَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُشَارِكُ فِي الدِّفاعِ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ:

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٠).

(٢) البيضة: أي الخوذة.

(٣) بالمجن: أي يصب عليها بالترس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٧٩٠).

(٥) ما أنصفنا أصحابنا: أي ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال بل خرجت الأنصار واحد بعد واحد.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ حِينَ غَشِيَهُ الكُفَّارُ: «**مَنْ يَشْرِي لنَا نَفسَهُ؟**».

فقَامَ زِيادُ بنُ السَّكَنِ في خَمْسَةِ نَفرٍ مِنَ الأنصارِ، فقَاتَلوا دونَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتىٰ قُتِلُوا، ثم رَجَعتْ فِئةٌ مِن المُسلِمِينَ، فأبْعدوا الكفارَ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

دِفاعُ أبي دُجَانةَ، وسَعدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنْ رسولِ اللهِ ﷺ:

وترَّسَ أبُو دُجانةَ بنفْسِهِ دِفَاعًا عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ والنَّبلُ يقعُ في ظَهْرِهِ وهُو مُنْحَنٍ حَتَّىٰ كثُرَ فيهِ النَّبْلُ.

ودَافعَ سَعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ عَن رسولِ اللهِ ﷺ دِفَاعًا شَدِيدًا، فَكانَ النَّبيُّ ﷺ يُنَاوِلُهُ النَّبلَ، ويَقُولُ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبي وأُمِّي**»، وكانَ يُناولُهُ السَّهْمَ، فَيقولُ: «**ارْمِ بِهِ**»[2].

أنسُ بنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحُثُّ المُسلِمِينَ على القِتالِ:

ذَهَبَ أنسُ بنُ النَّضْرِ إلىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ المُهاجرين والأنْصارِ، فِيهِم: عُمرُ بنُ الخَطَّابِ، وطَلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟.

قَالُوا: قُتِلَ رسولُ اللهِ ﷺ.

قَال: فَمَا تَصْنَعُونَ بالحَياةِ بعدَهُ؟ قُومُوا، فمُوتُوا علىٰ مَا مَاتَ عَليهِ رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ اسْتَقْبلَ المُشرِكينَ[3]، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي المُسْلِمِينَ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٨).

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٢٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٢).

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٣٠).

فَمَضَىٰ فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّىٰ عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ[١]، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ، وَضَرْبَةٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ[٢].

قَالَ أَنَسٌ بنُ مَالِكٍ: «كُنَّا نُرَىٰ أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]»[٣].

الملائِكَةُ تُدافعُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ:

قَاتلتِ الملائكةُ يَوْمَئِذٍ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ كمَا قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلَانِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[٤].

نساءُ المُسلمينَ يُشارِكنَ في المَعْركةِ:

لَمَّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ تَنْقُلَانِ القِرَبَ عَلَىٰ ظُهُورِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ جَرحَىٰ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ[٥] عَنْ خَدَمِ[٦] سُوقِهِمَا[٧][١].

---

(١) **بنانه**: أي أصابعه.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٥) **لمشمرتان**: أي رافعات إزارهما.

(٦) **خدم**: جمع خدمة، وهي موضع الخلخال من الساق وهو ما فوق الكعبين.

(٧) **سوقهما**: جمع ساق.

أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ الهَزِيمةِ:

أَقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ نحْوَ المُسلمينَ، وكانَ أَوَّلَ مَن عَرَفَهُ تحتَ المِغْفَرِ كَعْبُ بنُ مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَال كَعبٌ: عَرَفتُ عَينَيهِ تُزْهِرَانِ[٢] مِن تحتِ المِغْفَرِ، فنَاديتُ بِأعلىٰ صَوتي: يَا مَعْشَرَ المُسلِمينَ أَبْشِروا هذَا رَسولُ اللهِ ﷺ، فَأشارَ إِليَّ أنْ أَنْصِتْ.

فلمَّا عرَفَ المُسلِمونَ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَضُوا بِه نحْوَ الشِّعْبِ، ومَعَه جماعَةٌ منَ المُسْلِمينَ مِنهُم أَبُو بَكْرٍ، وعُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٣].

مَقتلُ عَدُوِّ اللهِ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ:

فَلَمَّا استَنَدَ رسُولُ اللهِ ﷺ، والمُسلمونَ إِلىٰ الجَبلِ، أدْرَكَه أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ وهُو يقولُ: أَيْ مُحمدُ لا نَجَوْتُ إنْ نَجَوتَ، فقَالَ المُسلْمُونَ: أيَعطِفُ عَليه رَجلٌ مِنَّا يَا رسولَ اللهِ؟.

فقَالَ: «**دَعُوهُ**».

فلمَّا اقْتَرَبَ تَناولَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَربَةَ، فَطَعَنَهُ بِهَا، فَجَاءَتْ فِي تَرْقُوَتِهِ، فَكَرَّ عَدوُّ اللهِ مُنْهَزِمًا، فَرَجَعَ إِلىٰ المُشْرِكِينَ، فَقَالُوا لهُ: واللهِ ما بِكَ مِنْ بأسٍ.

فقالَ: قَتَلني واللهِ محمَّدٌ، إِنَّهُ قدْ كانَ قَال لي بِمَكةَ: أنَا أقتُلُكَ، فَوَ اللهِ لو بَصَقَ عَليَّ لقَتَلَني، فَمَاتَ عَدُوُّ اللهِ قَبلَ أنْ يَصِلَ إِلىٰ مَكَّةَ[٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٨٠)، ومسلم (١٨١١)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **تزهران**: أي تضيئان.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٠-٣٣١)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧٨).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٠-٣٣١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٧٨).

وُصولُ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى الشِّعْبِ:

لمَّا انتَهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ الشِّعْبِ خرَجَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ؛ ليأتيَ بماءٍ لرسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا جاءَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وجدَ للماءِ ريحًا فعافَهُ، فلمْ يَشربْ مِنه، وَغسلَ عَن وَجْهِهِ الدَّمَ، وَصَبَّ عَلىٰ رأْسِه[١]، وهُو يَقولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللهِ** ﷺ»، وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَىٰ رَبَاعِيَتِهِ[٢].

نَفرٌ مِنْ قُريشٍ يَصْعَدُونَ على الجَبلِ، والمُهَاجِرُونَ يُقَاتِلُونَهُمْ:

بَينَما رسولُ اللهِ ﷺ في الشِّعبِ معَه نفرٌ مِن أصحَابِه إذْ صَعِدَ نَفَرٌ مِنْ قُريشٍ علىٰ الجبلِ، فقالَ رسولُ اللهِ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**».

فَجاءَهم عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ورَهطٌ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرينَ فَقَاتَلُوهُمْ حتَّىٰ أهْبَطُوهُم عنِ الجَبلِ[٣].

وأرَادَ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يَعْلُوَ صَخرةً منَ الجبلِ، فلمْ يَستطعْ، فجلسَ تحتَهُ طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ، فنَهضَ به حتَّىٰ اسْتَوىٰ عَليها.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْجَبَ**[٤] **طَلْحَةُ حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللهِ** ﷺ **مَا صَنَعَ**»[٥].

وحَانتِ الصلاةُ، فَصَلَّىٰ بهِمْ رَسولُ اللهِ ﷺ جَالسًا[٦].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٢).

(٤) **أوجب**: أي وجبت له الجنة.

(٥) **انظر**: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٢).

(٦) **انظر**: «زاد المعاد» (٣/ ١٧٩).

هِندُ بِنتُ عُتْبَةَ تُمَثِّل بِالقَتْلى مِنَ المُسْلِمِينَ:

وَقفتْ هِندُ بِنتُ عُتْبَةَ والنِّسْوةُ اللَّاتي مَعَها يُمثِّلْنَ بالقَتْلىٰ مِنْ أصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يَقْطَعنَ الآذَانَ والأُنُفَ حتَّىٰ اتخذتْ هِندٌ مِن آذانِ الرِّجالِ وأُنُوفِهِمْ خَلاخِيلَ، وقَلائِدَ، وأَعْطَتْ خُلْخَالَهَا وقَلائِدَهَا وقُرْطَيْهَا وَحْشِيًّا، وشقَّتْ عِنْ كَبِدِ حَمزةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَضَغَتْهَا، فَلَمْ تستطيعْ أنْ تَبْتَلِعَها، فَلَفَظَتْها، ثم عَلَتْ علىٰ صخرةٍ مُرْتَفِعَةٍ، فَصرَختْ بأعْلىٰ صَوتِها، وَقالتْ:

نَحْــنُ جَزَيْنَــاكُمْ بِيَــوْمِ بَــدْرِ ... وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتِ سُعْرِ (١)

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلَا أَخِــي وَعَمِّــهِ وَبِكْــرِي

شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي (٢)

فَشُكْرُ وَحْشِــيٍّ عَلَــيَّ عُمْــرِي ... حَتَّىٰ تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي (٣)

فأجابَتْهَا هندُ بِنتُ أُثَاثَةَ بنِ عَبَّادِ بنِ المُطَّلبِ، فقَالتْ:

خَزِيــتِ فِــي بَــدْرٍ وَبَعْــدَ بَــدرِ ... يَــا بِنْــتَ وَقَّــاعٍ عَظِيمِ الْكُفْــرِ (٤)

صَــبَّحَكَ اللهُ غَــدَاةَ الْفَجْــرِ ... مِلْهَاشِــمَيَّيْنِ الطِّــوَالِ الزُّهْــرِ (٥)

بِكُــلِّ قَطَّــاعٍ حُسَــامٍ يَفْــرِي ... حَمْــزَةُ لَيْثِــي وَعَلِــيٌّ صَــقْرِي (٦)

---

(١) السعر: أي الالتهاب.

(٢) غليل صدري: أي حرارة صدري، أو عطش صدري.

(٣) ترم: تبلىٰ، وتفتت.

(٤) وقاع: أي كثير الوقوع في الدنايا.

(٥) ملهاشميين: أرادت من الهاشميين، فحذف النون من «من» لالتقاء الساكنين، ولا يجوز ذلك إلا في «من» وحدها لكثرة استعمالها. والزهر: البيض، الواحد: أزهر.

(٦) الحسام: أي السيف القاطع. ويفرىٰ: أي يقطع.

إِذْ رَامَ شَـــيْبٌ وَأَبُـــوكَ غَـــدْرِي فَخَضَّـبَا مِنْـهُ ضَـوَاحِي النَّحْـرِ[١]

وَنَـذْرُكَ السُّـــوءَ فَشَـــرُّ نَـــذْرِ[٢]

أبُو سُفيانَ يَشْمتُ بالمُسلمينَ:

حِينَ أرادَ أبُو سُفيانَ الانْصِرافَ علا الجبلَ ثمَّ صَرخَ بأعلىٰ صَوتِهِ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟.

فَقَالَ: «**لَا تُجِيبُوهُ**».

فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟.

قَالَ: «**لَا تُجِيبُوهُ**».

فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟.

فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا.

فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، أَبْقَىٰ اللهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ[٣].

فَقَالَ: أُعْلُ هُبَلُ[٤].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**».

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟.

قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَىٰ، وَأَجَلُّ**».

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا العُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ.

---

(١) شيب: أرادت شيبة. فرخمته في غير النداء. وضواحي النحر: ما ظهر من الصدر.

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٩١-٩٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) هبل: اسم صنم؛ أي أظْهِر دينك يا هُبل.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**».

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟.

قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**».

فأمَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ بجَوابِهِ عندَ افْتخارِه بآلهَتِهِ، وبشرْكِهِ تَعظيمًا للتوحيدِ، وإعلامًا بعزَّةِ مَن عَبدَه المُسلمونَ، وأنَّهُ لا يُغلَبُ، ونحنُ حِزبُهُ وجُندُهُ[١].

فصَرخَ أَبو سُفيانَ بِأعْلىٰ صَوتِهِ: أَنْعَمْتَ فَعَالِ[٢]، يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ[٣]، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسُؤْنِي[٤]، هَلُمَّ إليَّ يا عُمرُ.

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ: «**ائتِهِ، فانْظُرْ مَا شَأْنُهُ**».

فجاءَه عُمَرُ، فقالَ لهُ أَبُو سُفيانَ: أَنشُدُكَ اللهَ يا عُمرُ أَقَتَلنَا محمَّدًا؟.

قال: اللهم لَا، وإنَّه لَيَسْمَعُ كَلامَكَ الآنَ.

قالَ: فأنتَ واللهِ أَصدَقُ عِندي مِن ابنِ قَمِئَةَ، وَأَبرُّ[٥].

أبُو سفيانَ يتوعَّدُ المُسْلمينَ العامَ المُقبِلَ:

لمَّا انْصرفَ أبو سُفيانَ، ومَن معَهُ نَادىٰ: إنَّ مَوعِدَكُم بَدرٌ العَامَ المُقبِلَ.

فقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لرجلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**قُلْ: نَعَم هِي بيننَا، وبينَك**

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١٨١).

(٢) أنعمت فعال: قاله يخاطب نفسه ويعني به: بالغتَ في هذه الوقيعة، وأحسنتَ.

(٣) سجال: أي المكافأة في الحرب.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٣٣-٣٣٤).

مَوعِدًا»[١].

عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَتَبَّعُ آثارَ المُشْرِكِينَ:

ثم بَعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عَليَّ بنَ أبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَالَ: «**اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَمَا يُرِيدُونَ فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ**[٢]**، وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ**».

فخَرَجَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إِثْرِ المُشْرِكِينَ؛ لِينظرَ ماذَا يَصنعونَ، فَرآهُم جَنَّبُوا الخَيلَ، وامْتَطُوا الإِبلَ، ووجَّهُوا إلىٰ مَكَّةَ، فَرَجَعَ، فَأَخْبَرَ رسولَ اللهِ ﷺ[٣].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يسألُ عَنْ سَعدِ بنِ الرَّبيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟**».

فقَال أُبيُّ بنُ كعْبٍ: أنَا أَنظرُ لكَ يا رسولَ اللهِ ما فَعلَ.

فوجدَهُ جَريحًا في القَتْلىٰ، بِه رَمقٌ، فقالَ لهُ: إنَّ رسولَ اللهِ أمَرني أنْ أنظرَ لهُ في الأحياءِ أنتَ أمْ في الأمواتِ؟.

قال: فأنا في الأمواتِ، فأَبلغْ رَسولَ اللهِ ﷺ عَني السَّلامَ، وقُلْ لهُ: إنَّ سَعدَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ: جَزاكَ اللهُ عنَّا خَيرَ ما جَزَىٰ نبيًّا عن أُمَّتِه، وَأبلغْ قَومَكَ عَني السَّلامَ، وقُلْ: إنَّ سَعدَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ لَكُم: أنَّه لَا عُذْرَ لَكُمْ

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٤).

(٢) جنبوا الخيل: أي قادوها إلىٰ الجنوب.

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٤).

عندَ اللهِ إنْ خُلِصَ إلىٰ نَبِيِّكُمْ، وَمنْكُم عينٌ تَطْرِفُ.

قال أُبيُّ بنُ كعْبٍ: ثُمَّ لمْ أَبْرَحْ حَتَّىٰ ماتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجئتُ رسولَ اللهِ فأخبرتُهُ خَبرَهُ[١].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يجمعُ الشهداءَ؛ لِيدْفِنَهُمْ:

كانَ أناسٌ مِنَ المُسلِمينَ قَد احْتَمَلُوا قَتلَاهُم إلىٰ المَدينةِ، فَدَفَنُوهم بِها، ثم نَهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِك، وَقَال: «**ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا**»[٢].

وأشْرفَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ الدَّفْنِ، فكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ[٣].

وكَانُوا يَدْفِنُونَ الاثنينِ، والثَّلاثةَ فِي القبرِ الوَاحِدِ[٤].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يبحثُ عن عمِّهِ حَمزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القَتْلَى:

وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ يبْحَثُ عَنْ عَمِّهِ حمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلبِ، فوَجدَه قَدْ بُقِرَ بطنُه عَنْ كَبِدِهِ، ومُثِّلَ بِه، وجُدِعَ أنْفُهُ، وأُذُنَاهُ.

فَقالَ ﷺ: «**لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا.**

لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ، وَيَكُونُ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ فِي بُطُونِ السِّبَاعِ، وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَىٰ قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣٣٣-٣٣٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٩٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٣٤٣)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٩٨).

مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ».

فلمَّا رأَىٰ المُسلِمونَ حُزنَ رَسولِ الله ﷺ وغيْظَهُ علىٰ مَن فعل بعمِّه ما فُعِلَ، قالوا: واللهِ لَئِنْ أظفَرَنا اللهُ بهم يومًا مِنَ الدهرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ العَربِ بأَحدٍ قَطُّ.

ثمَّ نَهىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ورَسولُهُ ﷺ عَنِ التمثيلِ بالقَتْلىٰ بعدَ ذَلكَ، فلَا يَجُوزُ لأحدٍ أنْ يُمَثِّلَ بِقَتِيلٍ[(١)].

عَددُ القَتلى مِنَ الفَريقينِ:

قُتِلَ مِنَ المُسلمينَ يومئذٍ سبعونَ رَجُلًا[(٢)]: مِنَ الأنصار أَرْبعةٌ وسِتونَ رجلًا، ومِنَ المُهاجرينَ ستَّةٌ[(٣)].

وقُتِلَ منَ المشركينَ اثنانِ وعشرونَ رجلًا[(٤)].

مما يستفاد من غزوة أحدٍ:

١- لا يجب علىٰ المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم علىٰ عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

٢- لا يأذن قائد الجيش لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه.

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ(٣٣٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٩٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٤٠٤٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: سنن الترمذي (٣١٢٩)، و«السنن الكبرىٰ» للنسائي (١١٢١٥)، عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٢٩).

٣- السنة في الشهيد أنه لا يغسل، ولا يصلىٰ عليه، ولا يكفن في غير ثيابه بل يدفن فيها بدمه وجروحه.

٤- السُّنَّة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم، ولا ينقلوا إلىٰ مكان آخر، لأن قومًا من الصحابة نقلوا قتلاهم إلىٰ المدينة، فنادىٰ منادي رسول الله ﷺ بالأمر برد القتلىٰ إلىٰ مصارعهم.

٥- جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد، فإن رسول الله ﷺ كان يدفن الرجلين والثلاثة في القبر، ويقول: «**أيهم أكثر أخذا للقرآن**»، فإذا أشاروا إلىٰ رجل قدَّمه في اللحدِ[1].

١٠- «وَفِي اليومِ التَّالي لِغَزوةِ أُحُدٍ: خَرجَ المُسلِمونَ لغَزوةِ حَمْرَاءَ الأَسدِ»[2].

لمَّا انصرفَ أبو سُفيانَ وأصحابُه، وكانوا في أثناءِ الطريقِ تَلاوَمُوا فيمَا بَينهُم، وقالَ بعضُهم لبعضٍ: لمْ تصنَعُوا شيئًا، أَصبتُم شَوكَتَهُم، ثُمَّ تَركتُمُوهُم وقدْ بَقيَ مِنْهُم رُؤُوسٌ يَجمعونَ لكُم، فارجِعوا حتَّىٰ نَستَأصِلَهُمْ.

فبلغَ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ، فأرادَ ﷺ أن يُرهبَ أعداءَ اللهِ مِن كفارِ قريشٍ، ويبلِّغَهم أنَّه خرَجَ في طلبِهِمْ؛ ليظنُّوا به قُوةً، وأنَّ الذِي أصابَهم لم يوهِنْهُم عَنْ عَدُوِّهِمْ.

فلمَّا كانَ الغدُ من يومِ الأَحَدِ السَّادسَ عشرَ من شَوالٍ أمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ مؤذِّنَهُ أنْ يؤذِّنَ في الناسِ بالمَسيرِ إلىٰ لقاءِ عَدُوِّهِمْ، فأذَّن

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٨٩-١٩٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٥)، «الكامل» (٢/ ٥٧)، «البداية» (٤/ ٥٠).

مؤذِّنُهُ: «أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ القِتَالَ».

فقالَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ لرسولِ اللهِ ﷺ: أَرْكَبُ مَعَكَ؟.

قالَ: «لَا».

وَاستَجابَ المُسلِمونَ لرسولِ اللهِ ﷺ عَلىٰ ما بِهِمْ مِنَ الجُرُوحِ الشَّدِيدَةِ، وقالوا: سَمعًا وطَاعةً[1].

جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْتَأذِنُ في الخُروجِ بعدَ مَقْتلِ أَبيه في أُحُدٍ:

قَالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَا رسولَ اللهِ، إنَّ أَبي كانَ خَلَّفَنِي علَىٰ أخواتٍ لي سَبعٍ، وَقالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لا يَنبغي لي وَلا لكَ أنْ نَترُكَ هؤلاءِ النِّسْوةَ لَا رَجُلَ مَعَهُنَّ، ولَستُ بالذِي أوثِرُكَ بالجِهادِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ نفْسي، فتَخَلَّفْ علىٰ أَخَواتِك، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيهِنَّ، فأذِنَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فَخرجَ مَعَه[2].

اسْتِمَاتَةُ المُسلمينَ في نُصرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ:

شَهِدَ أَخَوانِ أُحُدًا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، فرجَعَا جَرِيحَين، فلمَّا أَذَّنَ مؤذِّنُ رسولِ اللهِ ﷺ بالخروج في طلبِ العدوِّ، قال أحدُهُمَا لأَخِيهِ: أَتَفُوتُنَا غَزوةٌ معَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ وَاللهِ ما لنَا مِنْ دابَّةٍ نَركَبُها، ومَا مِنَّا إلا جَرِيحٌ.

فخَرجَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ أحدُهُما أيْسرَ جُرحًا، فكانَ إذا

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢١٦).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠١).

سقَطَ أَخوهُ حمَلَهُ ومَشَىٰ به، حتَّىٰ انْتَهَيَا إِلىٰ حَمراءِ الأَسدِ[١].

خروجُ رسولِ اللهِ ﷺ إِلى حَمراءِ الأَسدِ:

خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ والمُسلِمونَ معَهُ حتىٰ بلغُوا إلىٰ حمْراءِ الأسدِ، وهي من المدينة علىٰ ثَمَانيةِ أميالٍ[٢]، واستَعملَ علىٰ المَدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتُومٍ[٣].

دَوْرُ مَعْبدٍ الخُزَاعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تَخْذِيلِ الكُفارِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ:

أَقبلَ مَعبدُ بنُ أَبي مَعبدٍ الخُزاعيُّ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأسْلمَ، فأمَرَهُ أنْ يَلْحَقَ بأَبي سُفيانَ، فَيُخَذِّلَهُ، فَلَحِقَ مَعْبَدٌ بأَبي سُفْيَانَ، ولَم يعلمْ أبو سفيانَ بإسلامِهِ.

فقالَ أَبُو سُفيانَ: مَا ورَاءَكَ يَا مَعبدُ؟.

فقَالَ مَعْبَدٌ: محمَّدٌ قدْ خرجَ في أصحابِه يَطلُبُكُمْ في جمعٍ لمْ أرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ[٤] عَليكُم تحرُّقًا، قَد اجْتمعَ معهُ مَن كانَ تخَلَّفَ عنهُ في يَومِكُمْ، ونَدِمُوا علىٰ ما صَنَعُوا، فيهِم مِنَ الحَنَقِ[٥] عَليكُم شيءٌ لَمْ أرَ مِثلَهُ قَطُّ.

فقالَ أَبُو سُفيانَ: وَيحَكَ ما تقولُ؟.

فقَالَ مَعْبَدٌ: واللهِ ما أرَاكَ تَرْتَحِلُ حتىٰ تَرَىٰ نَواصيَ الخَيلِ.

فقال أَبُو سُفيانَ: فو اللهِ لقدْ أجْمَعنا الكَرَّةَ عَليهِم؛ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢١٦).

(٢) أميال: جمع ميل، والميل يساوي ألف وستمائة متر تقريبا.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠١-١٠٢).

(٤) يتحرقون: أي يلتهبون غيظا.

(٥) الحنق: أي شدة الغيظ.

فقَالَ مَعْبَدٌ: فَإنِّي أنْهَاكَ عَن ذَلِك، لا تَفْعَلْ فَإنِّي لكَ نَاصِحٌ.

فأمَرَ أبُو سُفيانَ مَن مَعَهُ بالرُّجوعِ، فَرجَعُوا إلىٰ مَكةَ[١].

مُدَّةُ إقامَةِ النبيِّ ﷺ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ:

أقامَ النَّبيُّ ﷺ بحمراءِ الأسدِ ثَلَاثَةَ أيَّامٍ: الاثْنينِ، والثُّلاثاءَ، والأرْبعاءَ، ثُمَّ رَجَعَ إلىٰ المَدِينَةِ[٢].

أبُو سُفيانَ يُرسِلُ رِسالةً إلى رَسولِ اللهِ ﷺ:

مَرَّ أبُو سفيانَ ببعضِ المُشركينَ يُريدُونَ المَدينةَ، فقالَ أبُو سفيانَ لهُم: هَلْ لَكُم أنْ تبلِّغُوا محمَّدًا رسالةً، وأُحمِّلُ لكُم رَاحِلَتَكُم هذِه زَبيبًا إذَا أتَيْتُم إلىٰ مَكَّةَ؟.

قالُوا: نَعَمْ.

قالَ أبُو سُفيانَ: أبْلِغُوا مُحمَّدًا أنَّا قد أجْمَعْنَا الكَرَّةَ؛ لِنَسْتَأْصِلَهُ، وَنَستَأْصِلَ أصحابَهُ.

فلمَّا أتَوا المَدِينةَ، بلَّغُوا النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه قَولَ أبي سُفْيانَ.

فنزلَ قَولُهُ تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤][٣].

١١- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِزَينبَ بِنْتِ جَحْشٍ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢١٦-٢١٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠١-١٠٢).

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢١٦-٢١٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **بأمرِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى»**[١].

كانتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبلَ النبيِّ ﷺ مُتزوِّجةً مِنْ زيدِ بنِ حَارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَولىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**[٢]»، فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّىٰ أَتَاهَا، وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا[٣].

قَالَ زَيدٌ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي[٤]، حَتَّىٰ مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا[٥]، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ[٦] عَلَىٰ عَقِبِي.

فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ.

قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّىٰ أُوَامِرَ رَبِّي[٧]، فَقَامَتْ إِلَىٰ مَسْجِدِهَا[٨].

وَنَزَلَ الْقُرْآنُ[٩]، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ.

---

(١) «تاريخ الإسلام» (المغازي / ١٦٤)، «شذرات الذهب» (١/ ١٧) وهو قول خليفة بن خياط، وأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، وابن منده وهو أقوىٰ من قول من قال بأنه في ٥ هـ، وراجع «البداية» (٤/ ١٦٣)، و«مرويات بني المصطلق» (٩٧).

(٢) **فاذكرها علي**: أي اخطبها لنفسها عليَّ.

(٣) **تخمر عجينها**: أي تجعل في عجينها الخمير.

(٤) **عظمت في صدري**: أي هابها واستجلها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها، فعاملها معاملة من تزوجها ﷺ في الإعظام والإجلال والمهابة.

(٥) **أن رسول الله ﷺ**: أي من أجل رسول الله ﷺ.

(٦) **نكصت**: أي رجعت وانصرفت، وكان جاء إليها ليخطبها وهو ينظر إليها علىٰ ما كان من عادتهم، وكان هذا قبل نزول الحجاب، فلما غلب عليه الإجلال تأخر، وخطبها وظهره إليها؛ لئلا يسبقه النظر إليها.

(٧) **أوامر ربي**: اي أستخير ربي ﷻ.

(٨) **مسجدها**: أي المكان الذي تصلي فيه في بيتها.

(٩) **ونزل القرآن**: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا

فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا[١] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ[٢]، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟.

قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا، أَوْ أَخْبَرَنِي، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَىٰ السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ[٣].

وزوَّجَهُ إيَّاهَا أخُوها أبُو أحْمدَ بنُ جَحْشٍ، وأصدَقَهَا رسولُ اللهِ ﷺ أربعَمائةِ دِرهم[٤].

وَفِيها نزلَ قولُه تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب:٣٧][٥].

وَمَا أَوْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَىٰ زَيْنَبَ، أَوْلَمَ بِشَاةٍ[٦].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب:٣٧].

(١) **ولقد رأيتنا**: أي رأيت أنفسنا.

(٢) **حين امتد النهار**: أي ارتفع.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢٨).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٤).

(٥) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٧٨٧)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٦٨)، ومسلم (١٤٢٨)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكَانَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَفْخَرُ عَلَىٰ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ(١).

وهي أَوَّلُ نِسائِه ﷺ لحُوقًا بِه بَعدَ وفاتِهِ ﷺ، تُوُفِّيَتْ سَنةَ عِشْرينَ(٢).

ممَّا يُستفادُ مِن هذا:

استحبابُ صَلاةِ الاستخارةِ لمَنْ همَّ بأمرٍ سواء كانَ ذلك الأمر ظاهرَ الخيرِ، أمْ لا(٣).

١٢- «وَفِي صَبيحَةِ عُرسِ زَينبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَزَلَتْ آيةُ الحِجَابِ»(٤).

لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَزَوْجَتُهُ مُوَلِّيَةٌ وَجْهَهَا إِلَىٰ الْحَائِطِ، فَثَقُلُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ نِسَائِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ، ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، فَابْتَدَرُوا الْبَابَ، فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَرْخَىٰ السِّتْرَ، وَدَخَلَ فِي الْحُجْرَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّىٰ خَرَجَ، وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَرَأَهُنَّ عَلَىٰ النَّاسِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١١٠).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٩/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٤) «صحيح البخاري» (٤٧٩١، ٤٧٩٢، ٤٧٩٣، ٦٢٣٩، ٦٢٧١)، و«صحيح مسلم» (١٤٢٨)، «البداية» (٤/ ١٦٥).

﴿فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ [الأحزاب:٥٣]، وَحُجِبْنَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ[(١)].

فنَاسبَ نزولُ الحجابِ في هَذا العُرسِ صِيانَةً لهَا ولأخَوَاتِها منْ أمَّهَاتِ المُؤْمِنينَ[(٢)].

وجاءَ ذلكَ مُوافقَةً لقولِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ:

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة:١٢٥].

وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ.

وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: «**عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**»، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[(٣)].

١٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ»[(٤)].

كانتِ الخَمْرُ مِنْ أفضلِ أَشْرِبةِ الناسِ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانُوا قَدْ أَلِفُوا شُرْبَ الخَمرِ، وكانَ انْتِفَاعُهُم بِهِ كَثيرًا، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ لو مَنَعَهُم

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٩١، ٤٧٩٣)، ومسلم (١٤٢٨)، واللفظ له عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: «البداية والنهاية» (٦/ ١٥٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٩٩).

(٤) «شذرات الذهب» (١/ ١٧).

دَفْعَةً وَاحدةً لَشَقَّ عَلَيهِم[١].

لِذلكَ كانَ نزولُ تحرِيمِها علَىٰ مَراحلَ، ولو نزلَ تحْرِيمُها دَفْعةً واحدةً؛ لاسْتَعْظَمَهُ النَّاسُ، وشقَّ عَليهم تَرْكُهَا[٢].

ويُوضِّحُ ذلكَ قَولُ عَائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ[٣]، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا ثَابَ النَّاسُ[٤] إِلَىٰ الإِسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا**»[٥].

فَقَدْ نزلَ قولهُ تعالىٰ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل:٦٧]، في مَقامِ الامْتنانِ بِنعَمِهِ سُبْحَانَهُ، والمرادُ بالسُّكْرِ ما يُسْكِرُ مِنَ الخَمرِ، وبالرِّزْقِ مَا يُؤكلُ مِنْ هَاتينِ الشَّجَرَتَينِ كالتَّمْرِ والزَّبِيبِ، فَوصْفُ الرِّزْقِ بأَنَّهُ حَسَنٌ دُونَ وَصْفِ السُّكْرِ يُشْعِرُ بِمدْحِ الرِّزقِ والثَّناءِ عَليه وحْدَه دونَ السُّكْرِ.

ثمَّ نزلَ قَولُهُ تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

---

(١) **انظر**: «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز»، لرفاعة الطهطاوي، صـ(٢٦٥).

(٢) **انظر**: «بهجة المحافل» (١/ ٢٧٨).

(٣) **المفصل**: المفصل من القرآن يبدأ من سورة «ق»، وقيل غير ذلك، وسمي بالمُفصل؛ لقصر سوره وقرب انفصال بعضهن من بعض.

(٤) **ثاب الناس**: أي دخلوا، وكثروا، ورجعوا.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٩٣).

[البقرة:٢١٩]، فَقَارَنتِ الآيةُ بينَ منافعِ الخَمرِ فيما يَصدرُ عن شُرْبِها من طَرَبٍ، أو يَترَتَّبُ علىٰ الاتِّجارِ بها من رِبحٍ، ومَضَارِّهَا في إثمِ تَعَاطِيها وما يَنشَأُ عَنهُ منْ ضررٍ في الجسمِ، وضياعٍ للمالِ، ونفَّرتِ الآيةُ مِنها بترجيحِ المضارِّ علىٰ المنافعِ.

ثم نزلَ قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]، فاقْتَضىٰ هَذا الامتناعَ عَنْ شُربِ الخمرِ في الأوقاتِ التي يَستمرُّ تَأثيرُهَا إلىٰ وقتِ الصلاةِ، حيثُ جاءَ النهيُ عن قُربانِ الصلاةِ في حالِ السُّكْرِ حتىٰ يزولَ عنهم أَثرُه، ويعلمُوا ما يقولُونَهُ في صلاتِهِمْ.

ثمَّ نزلَ قولهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة:٩١]، فكان هذا تحريمًا قاطعًا للخمر في الأوقات كلها[1].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢١٩] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ.

فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢١٩].

وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ، صَلَّىٰ رَجُلٌ مِنَ

---

(١) انظر: «مباحث في علوم القرآن»، د. مناع القطان، صـ(١١٢-١١٣).

الْمُهَاجِرِينَ، أَمَّ أَصْحَابَهُ فِي الْمَغْرِبِ، خَلَطَ فِي قِرَاءَتِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهَا آيَةً أَغْلَظَ مِنْهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]، وَكَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَحَدُهُمُ الصَّلَاةَ وَهُوَ مُفِيقٌ.

ثُمَّ أُنْزِلَتْ آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة:٩٠]، فَقَالُوا: انْتَهَيْنَا رَبَّنَا(١).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢١٩].

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣].

فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ يُنَادِي: «**أَلَا لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ**».

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: اللهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٨٦٢٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: «حسن لغيره».

[المائدة:٩٠-٩١].

قَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنَا[١].

سُرْعةُ امْتِثالِ أصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ:

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَىٰ.

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ.

فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: «**أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ**».

فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا[٢].

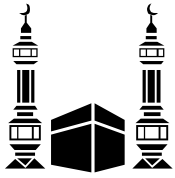
فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ**﴾ [المائدة:٩٣][٣].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠)، وأحمد (٣٧٨)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) فأهرقها: من الإهراق، وهو الإسالة والصب، وأصله الإراقة، والهاء زائدة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٢٠)، ومسلم (١٩٨٠).



السَّنَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

وَفِيها ثَلاثةَ عَشرَ حَدَثًا:

١- «فِي المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى طُلَيحَةَ الأَسَدِيِّ، فَغَنِمَ وأَسَرَ»(١).

بَلغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنَّ طُليحةَ الأَسَديَّ وأخاه سَلَمةَ ابْني خُوَيلدٍ، قدْ جَمَعا حلفاءَهُم مِنْ بَني أَسدٍ؛ لحربِ النبيِّ ﷺ، والنَّيل من أطرافِ المَدينةِ، فبعثَ رسُولُ اللهِ ﷺ أبَا سَلَمةَ وعقدَ لهُ لِوَاءً، وَقَالَ لهُ: سِرْ حتَّىٰ تأتيَ أرْضَ بني أسدٍ فأغِرْ عليهم، وأوصاهُ بتقوىٰ اللهِ، وبِمَن معهُ منَ المسلمينَ خيرًا، وخرجَ معهُ خمسونَ ومائةٌ.

فلمَّا انتهَوا إلىٰ أرضِ بني أسدٍ تفَرَّقُوا، وتركُوا إبِلًا وَغَنَمًا كثيرَةً، فأخذَ أبو سلمةَ ذلكَ كلَّهُ، وأَسرَ مِنهُم ثلاثةً، وأقبلَ راجِعًا إلىٰ المَدِينةِ(٢).

٢- «وَفِي المُحَرَّمِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عبدَ اللهِ بن أُنَيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى خالدِ بنِ سفيانَ الهُذَلِيِّ فقَتلَ خالدًا وعادَ سالِمًا»(٣).

---

(١) «البداية» والنهاية (٤/ ٧٢)، «حدائق الأنوار» (١/ ٤٧).

(٢) انظر: «المغازي»، للواقدي (١/ ٣٤٠-٣٤٢)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٤٩٥-٤٩٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢١٨).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦١٩)، و«مسند أحمد» (٣/ ٤٩٦)، «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٣)، «فقه السرايا» (١١٥).

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ في الخامسِ مِنَ المُحَرَّمِ أنَّ خالدَ بنَ سُفيانَ الهُذَليَّ قدْ جمَعَ الناسَ؛ ليغزوَ رسولَ اللهِ ﷺ، فبعثَ إليهِ عبدَ اللهِ بنَ أُنَيسٍ، وقالَ لهُ: «**فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ**».

قالَ عبدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسولَ اللهِ، انْعَتْهُ لي حَتَّىٰ أَعْرِفَهُ.

قَالَ: «**إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ أَذْكَرَكَ الشَّيْطَانَ، وَآيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشْعَرِيرَةً**[1]».

فَوصلَ إليه عندَ وقتِ العَصرِ، فلمَّا رآهُ وَجدَ مَا قَالَ لهُ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ القُشْعَرِيرَةِ، فأقبلَ نحوَهُ، وخَشيَ أنْ يَشغَلَهُ عَنِ صلاةِ العَصرِ، فصلَّىٰ وهُوَ يَمشِي نحوه، يومِئُ برأسِهِ، فلما انتهىٰ إليه، قالَ لَهُ: مَن الرَّجل؟.

قالَ عَبدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رجلٌ مِنَ العَربِ سمِعَ بكَ، وبجَمعك لهَذا الرَّجلِ، فجاءَكَ لِذلكَ.

قالَ: أَجَلْ، إني لفِي ذَلِكَ.

فمَشَىٰ معَه شيئًا، فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ، قتلهُ بسيفِهِ، ثم رجَعَ إِلىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ.

وكانت غيبةُ عبدِ اللهِ بنِ أُنَيْسٍ في هذِه السَّرِيَّةِ ثَمَانِ عَشرةَ ليلةً.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلَمَّا قَدِمْتُ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَفْلَحَ الوَجْهُ**».

قالَ عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَدَقْتَ**».

---

(١) **قشعريرة**: أي رعدة، والمعنىٰ: أن عبد الله بن أنيس سيجد رعدة وهيبة عندما يراه.

ثُمَّ قَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، وَأَعْطَاهُ عَصًا، وَقَالَ: «**أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ**».

فَخَرَجَ بِهَا عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟.

قال عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَهَا.

قَالُوا: أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذَلِكَ؟.

فَرَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟.

قَالَ: «**آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتخصِّرُون**[1] **يومئذٍ**».

فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللهِ بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّىٰ إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَضُمَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثم دُفِنَا جَمِيعًا[2].

٣- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ»[3].

قدِمَ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ قومٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ[4]، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فِينَا إسلامًا، فابعثْ معنَا نفرًا من أصحابِكَ يُفَقِّهُونَنَا في الدينِ، ويُقْرِئُونَنَا القُرآنَ، ويُعَلِّمُونَنَا شَرائِعَ الإسلامِ.

فبعثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعهُم عشرةَ نَفرٍ، وأمَّرَ عَليهم عَاصِمَ بنَ ثَابتٍ

---

(١) **المتخصرون**: أي الذين يأتون يوم القيامة، ومعهم أعمال لهم صالحة يتكئون عليهم.

(٢) **انظر**: «مسند أحمد» (١٦٠٤٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦١٩-٦٢٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢١٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٧)، «البداية» (٤/ ٧٣).

(٤) **عضل والقارة**: من بني خزيمة بن مدركة.

الأنْصاريَّ، وفِيهم مَرثدُ بنُ أبي مَرثَد الغَنَويُّ، وخُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وعَبدُ اللهِ بنُ طَارقٍ.

فَذَهَبُوا مَعهم، فلمَّا كانُوا بالرَّجِيعِ، وهُوَ ماءٌ لهُذيلٍ بِناحيةِ الحِجَازِ غَدَرُوا بِهم واستَنْصَرُوا عَلَيهم هُذَيْلًا، فَجاءَهم مِائَتَا رامٍ.

فَلمَّا رآهُم عَاصمٌ وأصْحَابُه، لجَئُوا إِلىٰ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وَأَخذُوا أَسْيَافَهُم؛ لِيُقَاتِلُوهُم، وأحاطَ بهم الكفَّارُ، وَقالُوا لهُم: انْزِلوا وأَعْطُونَا بِأَيدِيكُم، ولكُم العهْدُ والمِيثاقُ، ولا نقتلُ مِنكُم أحدًا.

فَقالَ عاصمٌ: أمَّا أنَا فواللهِ لا أَنْزلُ اليَومَ في ذمَّة[1] كافرٍ، اللهم أخبرْ عَنَّا نَبِيَّكَ.

فَرَمَوْهُم بالنَّبْلِ، فَقتَلوا عَاصمًا، وسِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ.

وبعثَ بَعضُ كفارِ قريشٍ إِليهم حِينَ عَلِمُوا بِمقتلِ عَاصمٍ؛ لِيؤتُوا بشيءٍ منهُ؛ لِيُمَثِّلُوا بِهِ، وكانَ عاصمٌ قدْ قتلَ رجلًا منْ عُظَمَائِهِمْ يومَ بَدرٍ، فبعثَ اللهُ عَلىٰ عَاصمٍ مِثلَ الظُّلَّةِ[2] مِنَ الدَّبْرِ[3]، فَلمْ يقدِرُوا عَلىٰ قطعِ شيءٍ من لحْمِهِ، فَقَالُوا: دَعُوه يُمْسِي حتَّىٰ تَذْهَبَ عَنْه، فَنَأْخُذَهُ، فبعثَ اللهُ المطرَ، فاحْتَمَلَ عَاصِمًا، فذهبَ بهِ، فَبَحَثُوا عَنْهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، وقَد كانَ عاصمٌ قد عاهَدَ اللهَ أَلَّا يَمَسَّهُ مشرِكٌ، ولَا يَمَسَّ مُشركًا أبدًا.

ورَضِيَ ثلاثةٌ مِنَ المسلمينَ بالعهدِ والمِيثاقِ، وهمْ خُبَيْبٌ الأنْصاريُّ، وزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ، ورَجلٌ آخرُ.

فلمَّا استمْكَنوا منهم قيَّدُوهُم، فقالَ الرَّجُلُ الثالثُ: هذا أولُ الغدرِ،

---

(١) ذمة: أي عهد وميثاق.

(٢) الظلة: أي السحابة المظلة.

(٣) الدبر: أي الزنابير، وذكورالنحل.

واللهِ لا أَصْحَبُكُم إنَّ لي في هؤلاءِ لأُسْوةً، فَجَرَّرُوه علىٰ أنْ يَصْحَبهُم فأَبىٰ، فقَتَلُوهُ.

وأمَّا خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ، فَقَدِمُوا بهما مكةَ، وبَاعُوهُمَا، فاشْترَىٰ بنو الحارثِ بنُ عَامرٍ خُبَيْبًا؛ لأنَّه قتلَ الحَارثَ بنَ عامرٍ يومَ بدرٍ، فَلبثَ عِندَهُم أَسِيرًا.

وأمَّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنَةِ، فَاشْتَراهُ صفوانُ بنُ أُمَيَّةَ؛ ليَقتُلَهُ بأبيهِ أُمَيةَ بنِ خَلَفٍ، وبعثَ بهِ معَ مَولَىٰ لهُ إلىٰ التَّنْعِيمِ؛ ليَقْتُلَهُ.

وقبلَ أنْ يُقْتَلَ اجْتَمعَ رَهطٌ منْ قُريشٍ، فيهمْ أبو سُفيانَ بنُ حربٍ، فقالَ لهُ أبُو سُفيانَ حينَ قُدِّمَ ليُقتلَ: أنْشُدُكَ اللهَ يا زيدُ، أَتحبُّ أنَّ محمدًا عندنَا الآنَ في مكانِكَ نَضربُ عُنُقَه، وأنَّك في أَهْلكَ؟.

قَالَ: واللهِ ما أُحبُّ أنَّ محمدًا الآنَ في مكانِه الذي هو فيهِ تصيبُه شوكةٌ تُؤذِيهِ، وأَنِّيْ جالسٌ في أهْلي.

فقال أبو سُفيانَ: ما رأيتُ مِنَ الناسِ أحدًا يُحبُّ أَحدًا كَحُبِّ أصحابِ محمَّدٍ محمدًا.

ثُمَّ قَتلَهُ مَولىٰ صَفْوانَ بنِ أُميَّةَ.

وأمَّا خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، فمَكثَ عندَ بني الحارثِ بنِ عامرٍ أَسِيرًا إلىٰ أَنْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتلِهِ، فَلَمَّا اجمعُوا علىٰ قَتلِه استعارَ مُوسَىٰ لِيَستَحِدَّ[1] بِهَا، فأخذَ ابنًا لهُم، وأُمُّهُ غَافِلةٌ عَنه حينَ أتاهُ، فَوَجَدَتْهُ قدْ أجْلَسَهُ علىٰ فَخِذِهِ والمُوسَىٰ بيدِه، ففَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفهَا خُبَيْبٌ في وَجْهِها، فقَال لهَا: تَخْشِينَ[2] أنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنتُ لأفعلَ ذلكَ.

---

(١) **يستحد**: أي يحلق شعر عانته.

(٢) **تخشين**: أي تخافين.

قالتْ هَذِهِ المَرْأَةُ: واللهِ ما رأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيبٍ، واللهِ لقدْ وَجَدْتُه يومًا يأكلُ مِنْ قِطْفِ[١] عِنَبٍ في يَدِه، وإنَّهُ لَمُوثَقٌ[٢] في الحَدِيدِ، وما بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، إنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيبًا.

ثمَّ خَرجُوا بِهِ إِلىٰ التَّنْعِيمِ؛ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ لهُم خُبَيبٌ: ذَرُوني أَركعُ رَكْعَتَينِ.

فَتَرَكُوه، فَرَكعَ رَكْعَتَينِ، ثُمَّ قالَ: لَولَا أنْ تَظُنُّوا أنَّ مَا بي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا[٣]، واقْتُلْهُمْ بَدَدًا[٤]، ولَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ قالَ:

لَقَدْ أَجْمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا ... قَبَـائِلَهُمْ وَاسْـتَجْمَعُوا كُـلَّ مَجْمَـعِ

إِلَىٰ اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي بَعْدَ كُرْبَتِي ... وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي

وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ، وَالْمَوْتُ دُونَهُ ... فَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْـزَعِ

مَـا أُبَـالِي حِـينَ أُقْتَـلُ مُسْـلِمًا ... عَلَـىٰ أَيِّ شِـقٍّ كَـانَ للهِ مَصْـرَعِي[٥]

وَذَلِـكَ فِـي ذَاتِ الْإِلَـهِ وَإِنْ يَشَـأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِـلْوٍ مُمَـزَّعِ[٦]

فقالَ لهُ أبو سُفيانَ: أَيسرُّكَ أنَّ محمَّدًا عِندَنَا تُضْربُ عنُقُه، وإنَّكَ في أَهْلِكَ؟.

---

(١) **قطف**: أي عنقود.

(٢) **لموثق**: أي مربوط.

(٣) **أحصهم عددًا**: أي استأصلهم بالهلاك، ولا تبق منهم أحدًا.

(٤) **بددًا**: أي متفرقين واحدًا تلو الآخر.

(٥) **مصرعي**: أي موتي.

(٦) **أوصال**: جمع وصل، وهو المفصل، أو مجتمع العظام. شلو: أي عضو أو قطعة من اللحم. ممزع: أي مقطع.

فقالَ: لا واللهِ، ما يَسُرُّني أَنِّي في أَهْلي، وأنَّ محمَّدًا في مَكَانِه الذِي هُو فِيه تُصِيبُهُ شَوكَةٌ تُؤْذِيهِ.

فَقتَلَهُ ابنُ الحَارثِ، فكانَ خُبَيبٌ أَولَ منْ سَنَّ هَاتينِ الركعتينِ عندَ القتلِ للمُسلمينِ.

ثُمَّ صَلَبُوا خُبيبًا ووَكَّلوا بهِ مَن يَحرسُ جُثَّتَه، فَجَاء عَمرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمْرِيُّ، فَاحْتَمَلهُ بجذعِهِ ليلًا، فَذَهبَ بِهِ، فَدَفَنَهُ.

واستجابَ اللهُ لعاصمِ بنِ ثابتٍ يومَ قُتِلَ، فَأَخْبرَ النبيُّ ﷺ أصحَابَه خبرَهُم، ومَا أُصِيبُوا[1].

٤- «وَفِي صَفَرٍ أَيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بئرِ مَعُونَةَ»[2].

قدِمَ عامِرُ بنُ مَالكٍ علىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فدعَاهُ رسولُ اللهِ ﷺ إِلىٰ الإسلامِ، فَلمْ يُسلِمْ، ولم يَبعُدْ مِنَ الإسلامِ.

وقال: يا رسولَ اللهِ لو بعثتَ رجالًا من أصحابِكَ إلىٰ أهلِ نجدٍ، فَدَعَوْهُم إِلىٰ دِينِك لرجوتُ أنْ يَستَجِيبوا لكَ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيهِم أَهْلَ نَجْدٍ**».

قالَ عَامرٌ: أنا لهُمْ جَارٌ، فابْعَثْهُم، فَليَدْعُوا الناسَ إلىٰ أمْرِكَ.

فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ سبعينَ رَجُلا من أصحابِه، وأمَّرَ عليهِم المنذِرَ ابنَ عمرٍو، وكانُوا من خيارِ المسلمينَ وفضلائِهم وقُرَّائِهم، فسارُوا حَتىٰ نَزلُوا بِئرَ مَعُونَةَ، فبعثُوا حَرَامَ بن مِلْحَانَ بكتَابِ رسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ عَامِرِ بنِ الطُّفَيلِ، فلمَّا أتاهُ لم ينظرْ في كِتَابِه، وأمَرَ رَجلًا، فَطَعَنَه مِن

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٠٤٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٦٩-١٧٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢١٩-٢٢١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٠)، «الكامل» (٢/ ٦٣)، «البداية» (٤/ ٨٠).

خَلفِهِ، فقتَلَهُ، فَقالَ حَرامُ بنُ مِلْحَانَ حِينئذٍ: اللهُ أكبرُ، فُزتُ ورَبِّ الكَعْبَةِ.

ثمَّ اسْتَنفَرَ عَدُوُّ اللهِ بني عامرٍ إلىٰ قِتالِ البَاقِين، فَلَم يُجِيبُوهُ؛ لأجلِ جِوارِ عامرِ بنِ مَالكٍ.

فاستَنْفَرَ عَدُوُّ اللهِ بني سُلَيمٍ، فَأَجَابَتْهُ عُصَيَّةُ، ورِعْلٌ، وذَكْوانُ، فجَاءوا حَتىٰ أحَاطُوا بأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقاتَلُوا حَتىٰ قُتِلُوا جميعًا إلا كَعبَ بنَ زيدٍ، فإنَّهُم تركُوه وبِه رَمَقٌ، فَرُفعَ مِن بَينِ القَتْلَىٰ، فعَاشَ حتىٰ قُتلَ يومَ الخَندقِ.

وكان عمرُو بنُ أميةَ الضَّمْرِيُّ، والمُنذِرُ بنُ مُحمدٍ، في سَرْحِ(١) المُسلِمينَ، فلمْ يُنْبِئْهُمَا بِمقتلِ أصحابِهما إلا الطيرُ تَحومُ علىٰ العَسكَرِ، فقَالا: واللهِ إنَّ لهذِه الطيرِ لشأنًا، فأقبلَا لينظُرَا، فوجدُوهُم في دِمائِهم قَد قُتِلوا، ووَجَدُوا القومَ الذِين قَتَلُوهُم لمْ يذْهَبُوا، فَقالَ المُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدٍ لعمرِو بنِ أُمَيَّةَ: مَا تَرَىٰ؟.

قالَ: أَرَىٰ أنْ نَلحَقَ برسولِ اللهِ ﷺ، فَنُخْبِرَهُ الخبرَ.

فقالَ المُنذِرُ: لكِني ما كُنتُ لأَرْغَبَ بنَفْسي عن مِثلِ هذَا الموطنِ.

ثم قاتَلَ القومَ حتىٰ قُتِلَ، وأخذُوا عمرَو بنَ أُمَيَّةَ أسيرًا، فلمَّا أخبرَهُم أنَّه مِن مُضَرَ، أطْلَقَه عامرُ بنُ الطُّفَيلِ.

ورَجعَ عمرُو بن أُمَيَّةَ، فلمَّا كانَ في طريقِه نحوَ المَدِينَةِ نَزلَ في ظِلِّ شَجرةٍ، فَجاءَ رَجُلانِ من بَني كِلابٍ فنزَلَا معَهُ، فلمَّا نامَا، فَتكَ بِهما عَمرٌو وهُو يَظُنُّ أنه قدْ أصابَ ثأرَ أَصْحَابِهِ، فَوجَدَ معهُمَا عَهدًا مِن رسولِ اللهِ ﷺ لم يعْلَمْ بهِ، فلمَّا قدم أخبرَ رسولَ اللهِ ﷺ بما فَعَل،

---

(١) سرح: هي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

فَقَال: «لَقَدْ قَتَلْتُ قَتِيلَين لأَدِيَنَّهُمَا[١]»[٢].

ونَزَلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ فَأَخْبرَه بِمَقْتَل أَصحابه قبلَ أنْ يأتِيَهُ خَبرُهُمْ، ونَزَلَ فِيهِمْ قُرآنٌ: «أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا»، ثُم نُسِخَ.

وَظَلَّ رَسولُ اللهِ ﷺ يَقْنُتُ في صَلاتِه شَهْرًا بَعدَ الركوعِ يَدعُو علىٰ الذِينَ قَتَلُوا أَصحابَهُ القُرَّاءَ ببئرِ مَعُونَةَ[٣].

٥- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عمرِو بنِ أميَّةَ الضَّمرِيِّ لقتلِ أبي سفيانَ لكنَّه لمْ يتمكَّنْ مِنْهُ»[٤].

قَالَ أَبُو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ لِنَفَرٍ مِنْ قريشٍ بِمكةَ: مَا أَحدٌ يَغْتَالُ مُحَمدًا؟ فإنَّه يَمشي في الأَسْواقِ، فنُدْرِكَ ثأرنا؟.

فأتَاهُ رجلٌ، وقالَ لهُ: إنْ أنتَ قوَّيْتَني خَرجتُ إليهِ حتَّىٰ أغْتالَهُ، فَإني هادٍ بِالطَّرِيق خرِّيتٌ[٥]، مَعي خِنجَرٌ مِثلُ خَافيةِ النَّسْرِ[٦].

فَأعطاهُ بعيرًا ونفقةً، وقال لهُ: اطْوِ أمركَ؛ فإني لا آمنُ أنْ يسمعَ هذَا أَحدٌ فيَنْمِيهِ[٧] إلىٰ محمدٍ.

---

(١) **لأديهما**: أي لأدفع ديتهما.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٨٠١، ٣٠٦٤)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٣٤٦-٣٥٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٨٢-١٨٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٢١-٢٢٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٦٤)، ومسلم (٦٧٧)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٩)، «الكامل» (٢/ ٦٠)، «البداية» (٤/ ٨٠).

(٥) **خريت**: أي دليل ماهر بالطريق.

(٦) **خافية النسر**: أي معي خنجر صغير يصلح لتنفيذ المهمة، والخافية: ريشة إذا ضم الطائر جناحيه خفيت.

(٧) **فينميه**: أي يبلغه.

فَقالَ الرَّجلُ: لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ.

فخَرجَ الرجلُ ليلا عَلىٰ رَاحِلَتِهِ نحو المَدينَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، أتىٰ المُصَلَّىٰ، فسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقيلَ لهُ: قَد تَوَجَّه إلىٰ بَني عبدِ الأَشْهل.

فَخَرَجَ الرَّجلُ حتىٰ انْتَهىٰ إلىٰ بَني عبدِ الأَشْهَل، فَأقبلَ نَحوَ رسولِ اللهِ ﷺ، فوجدَهُ في جماعةٍ من أصحابِه، يحدِّثُهُمْ، فدخلَ فلَمَّا رآهُ رسولُ اللهِ ﷺ قالَ لأصحابِه: إنَّ هذَا الرجلَ يريدُ غدرًا، واللهُ حَائلٌ بينَه وبينَ ما يُرِيدُهُ.

فَوقفَ الرَّجُلُ، وقالَ: أيُّكُمُ ابنُ عبدِ المُطَّلِب؟.

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب فذهبَ يَميلُ عَلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ كأَنَّهُ يُسَارُّهُ، فَجبَذَهُ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ، وقالَ لَهُ: تنحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، وجَذَبَ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ(١)، فإذَا الخِنْجَرُ.

فقالَ: يا رسولَ اللهِ، هذَا غَادِرٌ.

فَقالَ الرَّجُلُ: دَمي دَمي(٢) يَا مُحمَّدُ.

وأَخذَ أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ يُلبِّبُهُ(٣)، فقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: «**اصْدُقْنِي، مَا أَنْتَ وَمَا أَقْدَمَكَ؟ فَإِنْ صَدَقْتَنِي نَفَعَكَ الصِّدْقُ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدْ أُطْلِعْتُ عَلَىٰ مَا هَمَمْتَ بِهِ**».

قال الرَّجلُ: فأنَا آمِنٌ؟.

قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**فَأَنْتَ آمِنٌ**».

---

(١) **بداخلة إزاره**: أي إزاره من الداخل.

(٢) **دمي دمي**: أي اتركوا دمي، ولا تقتلوني.

(٣) **يلببه**: أي يجعل ثيابه في عنقه وصدره، ثم يقبضه، ويجره.

فأخبرَه بخبر أبي سُفيانَ، فأمَر النبيُّ ﷺ بحَبسِهِ، فَلمَّا جاءَ الغَدُ، قَالَ لَهُ النبِيُّ ﷺ: «**قَدْ آمَّنْتُكَ، فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، أَوْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ؟**».

قالَ الرَّجُلُ: ومَا هُو؟.

فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**».

فأسلمَ، ثُمَّ استأذنَ النَّبيَّ ﷺ، فَخَرجَ مِن عِندِه ولم يُسمَعْ لهُ بِذِكرٍ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لعَمرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، ولِسَلَمةَ بنِ أَسْلَمَ: «**اخْرُجَا حَتَّىٰ تَأْتِيَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، فَإِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً، فَاقْتُلَاهُ**».

قالَ عَمْرٌو: فخَرَجْتُ أنَا وصَاحِبي حَتَّىٰ أَتينا يأجَجَ[1]، فقيدنا بَعِيرَنا، وقالَ لي صَاحِبي: يَا عَمرُو، هَلْ لَك في أنْ نأتيَ مكَّةَ فَنَطوفَ بالبيتِ سَبْعًا، ونُصَلِّي رَكَعتينِ؟.

فقُلتُ: إني أَعْرَفُ بِمَكَّةَ مِنَ الفَرسِ الأبْلقِ[2]، وإنَّهم إنْ رَأَوني عَرفُوني، وأنا أَعْرِفُ أهلَ مكةَ إنَّهم إذا أَمْسَوا اضَّطَجَعُوا بأَفْنِيَتِهِم، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْبَيْتَ، فَطُفْنَا سَبْعًا، وَصَلَّينَا رَكْعَتينِ.

فَعَرَفَهُما معاويةُ بنُ أبي سُفيانَ، فأخبرَ أباهُ، فتَجَمَّعَ أهلُ مَكةَ للفَتكِ بِهِمَا، فهَرَبَ عمرٌو، وَسَلَمةُ إلىٰ الجَبلِ، وخرَجَ أهلُ مكَّةَ في طَلَبِهِمَا.

فدَخَلا غَارا فبَاتَا فيه حَتىٰ أصْبَحَا، فأقبلَ رَجلٌ مِنْ مَكَّةَ نحوَ الغَارِ، فلمَّا اقْتربَ مِنَ الغارِ قتَلهُ عمرٌو، فَسقطَ وَصاحَ، فأسمعَ أهلَ مكةَ فأقبلُوا نحوَه، ودخلَ عمرٌو وسَلمةُ الغارَ، فلمَّا أتىٰ أهلُ مكةَ سألُوا

---

(١) **يأجج**: مكان قريب من مكة.

(٢) **الفرس الأبلق**: أي الفرس المحجلة، والبلق: سواد وبياض، وارتفاع التحجيل إلىٰ الفخذين.

صَاحِبَهُم: مَن قَتَلَكَ؟.

فقالَ: عمرُو بنُ أُميةَ الضَّمْريُّ.

ولمْ يَستَطِع أنْ يُخبرَهُم بمكانِهما؛ لأنَّه كانَ بآخرِ رَمَقٍ، فمَاتَ، وشُغِلوا بهِ عنِ البحثِ عَن عمرٍو، وسَلَمَةَ.

فمَكثَا في الغارِ ليلتَينِ، ثُمَّ قالَ سلمةُ لعَمرٍو: يا عَمرُو هلْ لكَ في خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ نُنْزِلُهُ؟.

فقالَ عَمرٌو: أَينَ هُوَ؟.

قَالَ سلمةُ: هو ذَاكَ مَصْلُوبٌ، حولَه الحَرَسُ.

فقال عَمرٌو: أَمْهِلني، وتَنحَّ عَني فإنْ خَشِيتَ شَيئًا فَانحُ[1] إلىٰ بَعيرِكَ، فاقْعُدْ عَليه، فأتِ رسولَ اللهِ ﷺ، فأَخْبِرْهُ الخبرَ وَدَعْني، فَإنِّي عالمٌ بالمَدينةِ.

ثم أَسرَعَ عمرٌو نحوَ خُبَيب، فحَمَلَه بجِذْعِهِ علىٰ ظَهْرِه، فمَا مَشَىٰ به إلا عِشرِين ذِراعًا حَتىٰ استيقَظَ أهلُ مَكَّةَ عَلىٰ صَوتِ الجِذْعِ حِينَمَا وَقَعَ، فَخَرَجُوا في أَثَرِه، فألقَىٰ عمرٌو خُبَيبًا، ثمَّ أَهالَ عليهِ التُّرَابَ، ثم أَسْرعَ نحو المَدينةِ، فلمْ يستطعْ أهلُ مكَّةَ أن يَلحَقُوا به، فرَجَعُوا.

وانطلقَ سَلمةُ إلىٰ البَعيرِ، فرَكِبَهُ وأتىٰ النَّبيَّ ﷺ فأخْبَرَهُ الخَبَرَ، وفي أثناءِ طريقِ عمرٍو دَخلَ غارًا، فوجدَ فيه رجُلا مشركًا مِن بَني الدِّيلِ، يقولُ:

فَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ ما دُمْتُ حَيًّا ... ولَسْتُ أدَينُ دِينَ المُسْلِمِينَا

فقتَلَهُ، ثمَّ انْطَلَقَ نحوَ المَدينةِ، وفي طريقِه وجدَ رَجُلينِ بَعَثَتْهُمَا

---

(١) فانح: أي اقصد.

قريشٌ يَتَجَسَّسَانِ الأخبارَ، فقالَ لهمَا: اسْتَأْسِرا[١].

فأبىٰ أحدُهَما، فقتَلَه، وقيَّدَ الآخرَ، وأخذَه أسيرًا نحوَ المَدينةِ، فلمَّا قدِم المدينةَ

دعَا له النبيُّ ﷺ بخيرٍ.

وكانَ قُدومُ سَلمةَ قبلَ قُدُومِ عمرٍو بثلاثةِ أيامٍ[٢].

٦- وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ؛ غدرتْ يَهودُ بني النضيرِ، فحَاصَرَهُم النبيُّ ﷺ ثُمَّ أجْلاهم عنِ المدينةِ»[٣].

خَرجَ النبيُّ ﷺ إلىٰ يَهودِ بَني النَّضيرِ؛ ليُعينُوهُ في دِيَةِ القَتيلينِ الذينِ قَتَلَهُما عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْريُّ؛ للعَهدِ الذِي كانَ رسولُ اللهِ ﷺ عقدَ لهُما.

فلمَّا أَتاهُم رسولُ اللهِ ﷺ يَستَعِينُهُم في دِيةِ هَذَينِ القَتيلينِ، قَالُوا نَعَمْ يا أبَا القاسمِ نُعِينُكَ علَىٰ ما أحْبَبتَ، ممَّا استَعَنتَ بِنا عَليه.

وكَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ جالسًا إلىٰ جنبِ جدارٍ مِن بُيُوتِهم ومَعَهُ جَمَاعَةٌ مِن أَصحابِهِ، فخَلا بعضُ يهودِ بني النَّضِيرِ ببعضٍ، فَقَالُوا: إنَّكُم لنْ تجِدُوا الرَّجُلَ عَلىٰ مِثلِ حالِهِ هذِه فمَنْ يَعْلُو علىٰ هَذا البيتِ، فَيُلقِي عَلَيه صَخْرَةً، فَيُرِيحَنَا مِنْهُ؟.

فَصَعِدَ أَشْقَاهُم عمرُو بنُ جَحَّاشٍ عَلىٰ جدارِ البيتِ؛ ليُلْقِيَ عَلىٰ النَّبيِّ ﷺ صَخْرَةً، فنزلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ يُعلِمُهُ بِمَا

---

(١) **استأسرا**: أي كونا أسيرين لي.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٢-٥٤٥)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٤٢-٥٤٤)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٣/ ٣٣٣-٣٣٧)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٥١٧-٥١٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٨٨٤)، «صحيح مسلم» (١٧٤٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٣).

هَمُّوا بِهِ، فَنهضَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِن وقتِهِ رَاجعًا إلىٰ المَدينةِ، ثُمَّ تجهَّزَ وخرجَ بِنَفْسِه لحَرْبِهِم، واسْتَعْمَلَ عَلىٰ المَدينةِ ابنَ أمِّ مكتوم.

فتَحَصَّنَ بَنُو النَّضِيرِ بحُصونِهِمْ، فحَاصرَهُم النَّبيُّ ﷺ سِتَّ لَيالٍ، وَأمَرَ ﷺ بِقَطْعِ نَخيلِ بَنِي النَّضِير، وتَحْرِيقِهَا، فَنَادُوهُ: أَنْ يَا محمَّدُ، قد كنتَ تَنْهَىٰ عنِ الفسادِ، وتُعيبُهُ علىٰ مَنْ صَنعَهُ، فما بالُ قَطعِ النَّخِيلِ، وتَحْرِيقِهَا؟.

فَأنزلَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر:٥](١).

وأرسلَ رهطٌ مِنْ بَني عَوفٍ، منهُم عدُوُّ اللهِ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ إلىٰ يَهُودِ بني النَّضيرِ: أنِ اثْبُتُوا، فَإنَّا لنْ نُسَلِّمَكُم، إنْ قُوتِلْتُم قَاتَلْنَا مَعَكُم، وإنْ أُخْرِجْتُم خَرَجْنا مَعَكُم، فَلمْ يَفْعَلُوا.

ونَزلَ قولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾ [الحشر:١١- ١٤].

وقَذفَ اللهُ في قلوبِ بَني النَّضِيرِ الرُّعْبَ، وَسألوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أنْ

---

(١) لينة: أي شجرة صغيرة.

يُرَحَّلُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، ولا يُقْتَلُوا، عَلىٰ أنَّ لهُمْ ما حمَلتِ الإِبِلُ مِن أمْوالِهِمْ إلا السِّلاحَ، فَفَعلَ ﷺ.

فَحَمَلُوا مِنْ أمْوالِهِم مَا اسْتَطَاعُوا حمْلَهُ، فكانُوا يُخرِّبُونَ بُيُوتَهُم بِأيدِيهِم، وحمَلُوا النساءَ والصِّبيانَ، ورَحَلُوا عَلىٰ سِتِّمِائةِ بَعِيرٍ.

فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنهُم إلىٰ خَيْبَرَ مِنهُمْ: زَعِيمُهُم حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ، وسَلَّامُ بنُ أَبي الحُقَيْقِ، وذَهبتْ طائفةٌ مِنهم إلىٰ الشَّامِ، وحَزِنَ المُنَافقونَ عَليهِم حُزنًا شديدًا.

وَأَسْلمَ مِنْ بَني النَّضِيرِ رَجُلَانِ، فأَخذَا أموالَهُمَا.

وَكَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ[1] اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، مِمَّا لَمْ يُوجِفِ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ[2] بِخَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ[3]، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، يُنْفِقُ عَلَىٰ أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاَحِ وَالخَيلِ، عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ[4].

وَأَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خاصةً، ولمْ يُعْطِ أَحَدًا مِن الأَنْصَارِ إلا أبَا دُجَانةَ، وسَهْلَ بنَ حُنَيفٍ؛ لِفَقْرِهِمَا.

وَفِي هَذِه الغَزوةِ نَزلتْ سُورَةُ الحَشْرِ[5].

---

(١) **أفاء**: من الفيء، وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير قتال.

(٢) **مما لم يوجف المسلمون عليه**: أي حصل بلا قتال، والإيجاف هو الإسراع.

(٣) **ركاب**: هي الإبل التي يُسافَر عليها.

(٤) **عدة في سبيل الله**: أي استعدادا للجهاد، والعدة كل ما يُعدُّ لحوادث الدهر من سلاح وغيره.

(٥) **انظر**: «صحيح البخاري» (١٧٥٧، ٢٩٠٤، ٤٨٨٤، ٤٨٨٥)، و«صحيح مسلم» (١٧٤٦، ١٧٥٧)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤-٣٨٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٠-١٩١)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٥٧-٥٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

٧- «وَفِي جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّي أَبُو سَلَمَةَ عَبدُ اللهِ بنُ عَبدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكَانَ رَضِيعَ رَسولِ اللهِ ﷺ»[١].

ارْتَضَعَ أَبُو سَلَمَةَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ من ثُوَيبَةَ مَولَاةِ أَبي لهَبٍ، وأُمُّ أَبِي سَلَمَةَ هِيَ عَمَّةُ رَسولِ اللهِ ﷺ بَرَّةُ بِنتُ عَبدِ المُطَّلِبِ.

وكانَ إِسْلامُ أَبِي سَلَمَةَ في اليومِ الذِي أَسْلَمَ أَبُو عُبَيدَةَ، وعُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، والأَرْقمُ بنُ أَبي الأَرْقَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقدْ هَاجرَ هُو وزَوجتُه أُمُّ سَلَمَةَ إِلىٰ أرضِ الحَبَشَةِ، ثُمَّ عادَ إِلىٰ مكةَ، وقد وُلدَ لهُمَا بالحبشةِ أَولادٌ، ثُمَّ هَاجرَ مِنْ مَكةَ إِلىٰ المَدينةِ، وتَبِعَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ إِلىٰ المَدينةِ، وشهِدَ بَدرًا، وأُحدًا.

وجُرِحَ يومَ أُحُدٍ، ثُمَّ بَرِأَ، ثُمَّ خَرجَ في سَريَّة، فَغَنِمَ مِنْهَا نَعَمًا[٢]، وَمَغْنَمًا جَيِّدًا، ثمَّ أقامَ بعدَ ذلكَ سَبعةَ عَشرَ يومًا، ثمَّ انتقَضَ عَليهِ جُرْحُهُ، فمَات لِثلاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَىٰ الأُولَىٰ مِنْ هذِه السَّنَةِ[٣].

٨- «وَفِي جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: ماتَ عبدُ اللهِ بنُ عُثمانَ ابنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَعْني مِنْ رُقيَّة بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ وهو ابنُ ستِّ سنينَ»[٤].

وصَلَّىٰ عَلَيهِ رسولُ اللهِ ﷺ، ونزَلَ في حُفْرتِهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ١٠١، ١٠٢).
(٢) نعما: أي مال سائب، وأكثر ما يستعمل في الإبل.
(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٥/ ٥٨٠، ٥٨٢).
(٤) «البداية والنهاية» (٤/ ١٠١).
(٥) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٥٥).

٩- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقعتْ غزوةُ بَدرٍ الآخِرَةِ»[١].

تقدَّمَ أنَّ أَبا سُفْيَانَ قالَ عِندَ انْصِرَافِهِ مِنْ أُحُدٍ: مِوعِدُكُمْ وإيَّانَا العَامَ القَابِلَ بِبدرٍ، فلمَّا كانَ شَعْبَانُ مِنَ العَامِ القَابِلِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لمَوعِدِهِ في ألفٍ وخَمْسِمِائةٍ، وكانتِ الخَيلُ عَشْرَةَ أَفْراسٍ، وحمَل لواءَهُ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ، واسْتَخْلَفَ علىٰ المَدينةِ عَبدَ اللهِ بنَ رَواحَةَ، فانْتَهَىٰ إلىٰ بَدْرٍ، فَأَقامَ بِها ثَمَانِيةَ أيامٍ يَنتَظرُ المُشْركينَ.

وخَرَجَ أبُو سفيانَ بالمُشركينَ منْ مَكَّةَ، وهُمْ أَلفَانِ ومَعَهُم خَمْسُونَ فَرَسًا، فلمَّا انتَهَوا إلىٰ مَرِّ الظَّهْرَانِ[٢] بِمَجِنَّةَ قالَ لهُمْ أبُو سُفْيانَ: إنَّ العَامَ عَامُ جَدْبٍ، وقدْ رأيتُ أَني أَرْجعُ بِكُمْ، فَانْصَرفُوا رَاجِعِينَ، وأَخْلفُوا المَوْعِدَ، فَسُمِّيَتْ هَذِهِ بَدْرَ المَوعِدِ، وتُسَمَّىٰ بَدْرَ الآخِرَةِ[٣].

١٠- «وَفِي شَعْبانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وُلِد الحسينُ بنُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِن فَاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ»[٤].

تَقَدَّمَ أنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّاهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

فقال عليٌّ: حَرْبًا.

قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ**»[٥].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٧)، «البداية» (٤/ ٩٩).

(٢) **مر الظهران:** واد كبير من أودية تهامة، يقع غرب المملكة العربية السعودية، يبعد عن مكة نحو خمسين كيلو متر تقريبًا، ويسمىٰ الآن بوادِ فاطمة.

(٣) **انظر:** «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٣١٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٠٩-٢١٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٢٨).

(٤) «الكامل» (٢/ ٦٨)، «البداية» (٤/ ١٠٢).

(٥) **حسن:** رواه أحمد (٧٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢٣)، وابن حبان في =

وقَدْ بشَّرهُ النبيُّ ﷺ بالجَنةِ، بقولِهِ ﷺ: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

١١- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ بنتَ أَبِي أُمَيَّةَ»(٢).

كانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُتَزَوِّجَةً مِنْ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَد تقدَّمَ أَنَّهُ مَاتَ مِنْ أَثَرِ جُرحِ جُرِحَهُ فِي أُحُدٍ، فلمَّا انْتَهتْ عِدَّتُهَا(٣) فِي شَوَّالٍ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ نَفْسِها الكَرِيمَةِ(٤).

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾** [البقرة:١٥٦]، **اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».

فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ.

فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا، وَأَنَا غَيُورٌ(٥)، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ**

= «صحيحه» (١٥/ ٤١٠)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه شعيب الأرنؤوط، وضعفه الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٨/ ١٨٢).

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٦٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨١١٣)، وأحمد (١٠٩٩٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه (١١٨)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني.

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٨)، «البداية» (٤/ ١٠٢).

(٣) **عدتها**: أي عدة المتوفى عنها زوجها، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام.

(٤) **انظر**: «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨١-٢٨٢).

(٥) **غيور**: أي شديدة الغيرة.

يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»[١].

فتزوَّجَهَا النَّبيُّ ﷺ، وَوَلي عَقْدَهَا ابنُها سَلَمَةُ، وهو أكبرُ وَلَدِهَا[٢].

ولَمَّا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَخَذَتْ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ شِئْتِ زِدْتُكِ، وَحَاسَبْتُكِ بِهِ، لِلْبِكْرِ سَبْعٌ[٣]، وَلِلثَّيِّبِ ثَلَاثٌ».

قَالَتْ: ثَلِّثْ[٤].

١٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ زَيدَ بنَ ثَابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتعلَّمَ كتابَ يَهودَ، فتعلَّمَهُ في خَمسةَ عشرَ يَومًا»[٥].

لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، ذُهِبَ بِزَيدٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَىٰ كِتَابِي».

قَالَ زَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّىٰ حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ[٧].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٨).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨١-٢٨٢).

(٣) سبع: أي يجب للزوجة البكر الجديدة مبيت سبع من الليالي.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٠)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ثلث: أي اقسم لي ثلاثة أيام، ثم اقسم لباقي زوجاتك كذلك، واختارت التثليث حتىٰ لا تطول غيبته ﷺ.

(٥) «سنن الترمذي» (٢٧١٥)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٨)، «البداية» (٤/ ١٠٢) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٦) كتاب: أي خط.

(٧) صحيح: رواه البخاري مختصرًا معلقًا بصيغة الجزم (٧١٩٥)، وأحمد (٢١٦١٨)، واللفظ له.

وهَذَا ذَكاءٌ مُفْرِطٌ جِدًّا[١].

١٣- وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: رَجمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اليَهودِيَّ وَاليَهُودِيَّةَ»[٢].

جَاءَ اليَهُودُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: «**مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ[٣] عَلَىٰ مَنْ زَنَىٰ؟**».

قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا[٤]، وَنُحَمِّلُهُمَا[٥]، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا.

قَالَ: «**فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**».

فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَؤُوهَا حَتَّىٰ إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَىٰ الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَىٰ آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَمَا وَرَاءَهَا.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: مُرْهُ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ.

فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرُجِمَا.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ[٦].

---

(١) **انظر**: «البداية والنهاية» (٨/ ٣٣٧).

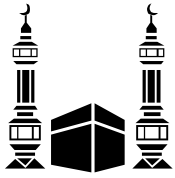
(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٢).

(٣) **ما تجدون في التوراة**: هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم.

(٤) **نسود وجوههما**: أي بالفحم.

(٥) **نحملهما**: أي علىٰ الجمال.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٥٦)، ومسلم (١٦٩٩)، واللفظ له، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



السَّنَةُ الخَامِسَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ الخَامِسَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

وَفِيها أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدَثًا:

١- «فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رَسولُ اللهِ ﷺ دُومَةَ الجَنْدَلِ»[١].

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ بدُومَةِ الجَنْدَلِ[٢] جمعًا كثيرًا يريدونَ حَربَهُ، والنَّيلَ مِنْ أَطْرَافِ المَدِينةِ، فاسْتَخْلَفَ عَلىٰ المَدِينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ، وخرَجَ في ألفٍ منَ المُسلمينَ، ومَعَهُ رَجُلٌ يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ.

فَلمَّا دنَا مِنهُم لم يَجدْهُم، فهَجَمَ عَلىٰ مَاشيتِهم ورُعَاتِهم، فأصابَ بَعْضَهُمْ، وهَربَ البعضُ الآخَرُ، ولَمَّا جَاءَ الخَبرُ أهلَ دُومَةِ الجَنْدَلِ، فتفرَّقُوا، ونزلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَاحَتِهم[٣] فلمْ يَجِدْ فِيها أحدًا، فأقامَ بها أيامًا وبَثَّ السرايَا، وفَرَّقَ الجُيوشَ، ثُمَّ رجَعَتِ الجُيُوشُ إليهِ بعْدَ يَومٍ، ولم يَأْتُوا بشيءٍ، فرجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ المَدِينةِ[٤].

٢- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفدُ مُزَيْنَةَ على رسولِ اللهِ ﷺ»[٥].

---

(١) «عيون الأثر» (٢/ ٥٤)، «الكامل» (٢/ ٦٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ١٠٤).

(٢) بينها وبين المدينة خمسَ عشرة ليلة.

(٣) بساحتهم: الساحة هي الموضع المتَّسع أمام الدَّار.

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٤٠٢-٤٠٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢١٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٢٩).

(٥) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٦٣٢).

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، وفِيهِم النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَمْرِهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا طَعَامٌ نَتَزَوَّدُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: «**زَوِّدْهُمْ**».

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عِنْدِي إِلَّا فَاضِلَةٌ[١] مِنْ تَمْرٍ، وَمَا أُرَاهَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**انْطَلِقْ فَزَوِّدْهُمْ**».

فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَىٰ عُلِّيَّةٍ[٢] لَهُ، فَإِذَا فِيهَا تَمْرٌ مِثْلُ الْبَكْرِ الْأَوْرَقِ[٣].

فَقَالَ: خُذُوا.

فَأَخَذَ الْقَوْمُ حَاجَتَهُمْ.

قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكُنْتُ أَنَا فِي آخِرِ الْقَوْمِ، فَالْتَفَتُّ، وَمَا أَفْقِدُ مَوْضِعَ تَمْرَةٍ[٤]، وَقَدْ احْتَمَلَ مِنْهُ أَرْبَعُ مِائَةِ رَجُلٍ[٥].

وقد ذكر النَّبِيُّ ﷺ أنهم مِن خَاصَّتِه؛ قَالَ ﷺ: «**قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ**[٦] **لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى**

---

(١) **فاضلة**: أي بقية.

(٢) **علية**: أي مكان مرتفع.

(٣) **البكر الأورق**: أي الجمل الأسمر.

(٤) **وما أفقد موضع تمرة**: أي لم ينقص من التمر شيء، وهذه معجزة للنبي ﷺ؛ حيث زاد القليل، وأخذ القوم ما فيه كفايتهم منه.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٧٤٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٦٥)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٦) **مواليَّ**: أي أنصاري، والمختصون بي فقد بادروا إلىٰ الإسلام، والإيمان.

دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ[١]»[٢].

٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَتْ أُمُّ سَعدِ بنِ عُبادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[٣].

تُوُفِّيَتْ أُمُّ سَعدِ بنِ عُبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ بِدُومَةِ الجَنْدَلِ، فلمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَفَنَهَا، وَصَلَّىٰ عَلَيهَا[٤].

فَقَال سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا[٥]، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟.

قَالَ: «**نَعَمْ**»[٦].

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟.

قَالَ: «**الْمَاءُ**».

فَحَفَرَ سَعْدٌ بِئْرًا، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ[٧].

٤- «وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رسولُ اللهِ ﷺ بَنِي المُصْطَلِقِ على الرَّاجِحِ»[٨].

---

(١) **ليس لهم مولىٰ دون الله ورسوله:** أي ليس لهم متكفل بمصالحهم مُتولٍّ لأمورهم غير الله، ورسوله ﷺ.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٥١٢)، ومسلم (٢٥٢٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «سنن الترمذي» (١٠٣٨)، و«البيهقي» (٤/ ٨٤)، «البداية والنهاية» (٤/ ١٠٤).

(٤) **انظر:** «السيرة النبوية»، لابن حبان (١/ ٢٥١).

(٥) **افتلتت نفسها:** أي ماتت فجأة.

(٦) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. **وانظر:** «الاستذكار»، لابن عبد البر (٧/ ٢٥٧).

(٧) **حسن:** رواه أبو داود (١٦٨١)، والنسائي (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٣٦٨٤)، وأحمد (٢٢٤٥٩)، وحسنه الألباني.

(٨) «مرويات غزوة بني المصطلق» للقريبي (٩٠: ١٠٠)، وهذا ما رجحه الذهبي في «تاريخ الإسلام» - قسم المغازي (٣٤٩).

بلغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنَّ سَيِّدَ بَني المُصْطَلِق الحَارِثَ بنَ أَبي ضِرَارٍ[١] جَمَعَ قَومَهُ، ومَنْ قدَرَ عَليهِ مِنَ العربِ؛ لِحَرْبِ رسولِ اللهِ ﷺ، فبعثَ رَسولُ الله ﷺ بُرَيْدَةَ بنَ الحُصَيْبِ؛ لِيأْتِيهِ بخبرِهِم، فأتَاهُمْ، ولَقِيَ الحارِثَ بنَ أَبي ضِرارٍ، وكلَّمَهُ، فَرجَعَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَخْبَرَهُ خَبرَهُمْ.

فَحثَّ رَسولُ الله ﷺ المُسلِمينَ عَلىٰ الخُرُوجِ، فَأَسْرَعُوا مُمْتَثِلِينَ أَمْرَهُ ﷺ، واسْتَخْلَفَ علىٰ المَدينةِ زيدَ بنَ حَارِثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخَرَجَ يومَ الاثنينِ لليلتينِ خَلَتَا منْ شَعْبانَ.

وبَلغَ الحَارثَ بنَ أبي ضِرَارٍ، ومَنْ مَعَهُ مَسِيرُ رسولِ اللهِ ﷺ، وَقَتلُ رسولِ اللهِ ﷺ للجَاسوسِ الذِي أَرْسلَهُ الحَارِثُ؛ لِيأْتِيَهُ بخَبَرِ المُسلمينَ، فَخَافوا خَوفًا شَديدًا، وتَفرَّقَ عَنْهُم مَنْ كانَ مَعَهُم منَ العَربِ، وانْتَهَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ المُرَيْسِيعِ، وهُوَ مكانُ الماءِ، فَضَربَ عَليهِ قُبَّتَهُ، وَمَعَه عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَتَهَيَّؤا للقِتَالِ، وصفَّ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه، وكانتْ رايةُ المُهاجرينَ معَ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورايةُ الأنْصارِ معَ سَعدِ بنِ عُبادَة، فترامَوا بالنَّبلِ سَاعةً، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أصحابَه، فَحَمَلوا حمْلةَ رَجُلٍ واحدٍ، فَكانتِ النُّصرةُ، وانهزمَ المُشْرِكونَ، وقُتِلَ منْ قُتِلَ مِنْهُم، وسَبىٰ رسولُ اللهِ ﷺ النِّساءَ والأطفالَ، والنَّعَمَ، والشَّاءَ.

وتُسمَّىٰ هذِه الغَزْوَةُ بالمُرَيْسِيعِ[٢].

---

(١) هو أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها النبي ﷺ.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٥٤١)، و«صحيح مسلم» (١٧٣٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٨٩-٢٩٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٢٩-٢٣١).

٥- «وَفِي شَعْبانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَعتقَ النبيُّ ﷺ جُوَيْرِيَةَ بِنتَ الحارثِ، وتَزَوَّجَهَا»[(١)].

أصابَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَني المُصْطَلِقِ سَبيًا كثيرًا، وكانَ مِنْ جُملةِ السَّبي جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الحَارِثِ[(٢)].

فَلمَّا قَسَمَ ﷺ السَّبايَا وَقَعتْ جُوَيْرِيَةُ في سَهْمِ ثَابتِ بنِ قَيسِ بنِ الشَّمَّاسِ، فَكَاتَبَتْهُ[(٣)] علىٰ عِتْقِهَا، فأَتتْ رسولَ اللهِ ﷺ تَسْتعِينُه في كِتَابتِها، فَقَالتْ: يَا رسولَ اللهِ، أنَا جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الحارِثِ بنِ أَبي ضِرارٍ سَيِّدِ قومِهِ، وَقدْ أَصَابَني مِنَ البَلاءِ مَا لمْ يَخْفَ عَلَيكَ، وَوَقَعْتُ في السَّهمِ لَثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمَّاسِ، فَكَاتَبْتُهُ عَلىٰ نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ علَىٰ كِتَابَتِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لها: «**فَهَلْ لَكِ في خَيرٍ مِنْ ذَلكَ؟**».

قَالتْ: ومَا هُوَ يا رَسولَ اللهِ؟.

قَالَ: «**أَقْضي كتابَتَكِ وأتزوَّجُكِ**».

قَالتْ: نَعَم يا رَسولَ اللهِ.

قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**».

وخَرجَ الخَبرُ إلىٰ الناسِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تزوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحَارِثِ.

فَقَالَ المُسلمونَ: أَصْهارُ رَسُولِ الله ﷺ، فأَعْتَقُوا مَا بِأَيدِهِمْ مِنْ

---

(١) «صحيح البخاري» (٤١٣٨)، «البداية» (٤/ ١٧٩).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٥٤١)، و«صحيح مسلم» (١٧٣٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٤).

(٣) كاتبته: أي جعلت له مالا تدفعه له نظير عتقها.

أُسَارىٰ بني المُصْطَلِقِ، فَقدْ أُعْتِقَ بتزويجِهِ إياهَا مِائةُ أهْلِ بيتٍ مِنْ المُصْطَلِقِ.

قالتْ عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فمَا أعلَمُ امْرأةً كانتْ أَعْظمَ بَركَةً علىٰ قَومِهَا مِنْها[1].

٦- «وَفِي مَرجِعِ النَّبيِّ ﷺ منْ غَزوةِ بَني المُصْطَلِقِ: افترَى المنافقونَ على أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حادثةَ الإفكِ، فأنزلَ اللهُ بَراءَتَها في القُرآنِ»[2].

خرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ بعَائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في غزوةِ بني المُصْطَلِقِ، بِقُرْعةٍ أصابَتْها، وكانتْ تلكَ عادتُهُ معَ نسائِه ﷺ، فلمَّا رَجَعُوا منَ الغَزوةِ نزلُوا في بَعضِ المَنَازِلِ، فَخرجَتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لقَضَاءِ حَاجَتِهَا، ثمَّ رَجَعَتْ، ففَقَدتْ عِقدًا لأخْتِها كانتْ أعَارَتْهَا إيَّاهُ، فَرَجَعَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ في المَوضعِ الذِي فَقَدَتهُ فيهِ، فَجاءَ النَّفَرُ الذِينَ كانُوا يَحْمِلُونَ هَودَجَهَا[3]، فَظَنُّوهَا فيهِ، فَحَمَلُوا الهَودَجَ، ولَا يُنْكِرُونَ خِفَّتَهُ، لأنَّها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانَتْ حَدِيثَةَ السِّنِّ لمْ يَمْلَئْهَا اللَّحْمُ الذِي كانَ يُثقِلُهَا، وأيضًا لأَنَّ النَّفرَ لمَّا حمَلُوا الهَودجَ جَمِيعًا، فَلم يُنْكِرُوا خِفَّتَهُ، ولو كانَ الذِي حمَلَهُ واحدٌ أو اثنانِ لم يَخْفَ عليهِما الحالُ.

فرجَعَتْ عائشةُ إلىٰ مَنازِلِهم، وقَدْ وَجَدَتِ العِقْدَ، فَلمْ تَجِدْ أَحَدًا، فَقَعَدتْ في المَنزِلِ، وظنَّتْ أنَّهُم سَيفْقِدُونَها، فيرجِعُونَ في طَلَبِها، واللهُ

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٢٦٣٦٥)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٢١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٦٦١، ٤٢٤١، ٤٧٥٠)، و«مسلم» (٢٢٧٠)، «البداية» (٤/ ١٨٠).

(٣) **هودجها**: الهودج: ما يوضع علىٰ الإبل لتركب فيها النساء.

غالبٌ علىٰ أمْرِه يُدبِّرُ الأمْرَ فوقَ عَرشِهِ كما يَشاءُ، فَغَلبَتها عَينَاهَا، فنَامَتْ، فلمْ تَستَيقِظْ إلَّا بِقَولِ صَفْوانَ بنِ المُعَطَّلِ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُونَ زَوْجةُ رَسولِ اللهِ ﷺ.

وكانَ صَفوانُ في أُخْرَياتِ الجيشِ؛ لأنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَجْعَلُ رَجُلًا يَتَأَخَّرُ عنِ الجيشِ إذا رَحَلَ الناسُ ثُمَّ يتَّبِعُهُم فمَنْ سَقطَ لهُ شيءٌ أتاهُ بهِ.

فلمَّا رَأَىٰ صَفْوَانُ عَائِشَةَ عَرَفَها، وكانَ يَراهَا قبلَ نُزُولِ الحِجَابِ، فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فقرَّبَها إليها، فَركِبَتْهَا ومَا كلَّمَهَا كلِمةً واحِدةً، ولمْ تسمَعْ مِنهُ إلَّا اسْترْجَاعَهُ، ثمَّ سارَ بهَا يقودُها حتَّىٰ قدِمَ بِهَا، وقدْ نزَلَ الجيشُ في مُنْتَصَفِ الظَّهيرةِ.

فلمَّا رأَىٰ ذَلك الناسُ تَكَلَّمَ كلٌّ مِنْهُم بِشَاكِلَتِهِ، ومَا يَليقُ بِهِ، ووَجَدَ الخَبيثُ عدوُّ اللهِ ابنُ أُبَيٍّ مُتَنَفَّسًا، فَتَنَفَّسَ منْ كَرْبِ النِّفاقِ والحَسَدِ الذِي بينَ ضُلُوعِهِ، فَجعلَ يسْتَحْكِي الإفْكَ ويَسْتَوشِيهِ، ويُشِيعُهُ ويُذِيعُهُ، وكانَ أصْحَابُه يَتَقَرَّبُونَ إليهِ بالحدِيثِ عنِ الإفْكِ.

فلمَّا قدِمُوا المَدِينةَ أفَاضَ أهلُ الإفكِ في الحَديثِ، ورَسولُ اللهِ ﷺ سَاكتٌ لا يَتكَلَّمُ.

وظلَّتْ عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرِيضةً شهرًا، والناسُ يُشيعونَ قولَ أصْحابِ الإفْكِ، والذِي جَعَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَشُكُّ وَتَتَوَهَّمُ حُصولَ أمرٍ أنَّها لمْ ترَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ اللُّطفَ الذي كانتْ تراهُ عندمَا تَمرَضُ، وإنمَا كانَ النبيُّ ﷺ يَدخلُ عَلَيها، ويقولُ: «**كَيْفَ تِيكُمْ**[1]».

وَلَمْ تَعْلَمْ عَائِشَةُ بالذِي يقولُه أهلُ الإفْكِ حتَّىٰ بَرِئتْ منْ مَرَضِهَا،

---

(١) تيكم: إشارة إلىٰ المؤنث.

وَخَرجتْ هيَ وأمُّ مِسْطَحٍ ليلًا لِقَضَاءِ حَاجَتِهِمَا في الصَّحراءِ، فلمَّا رَجَعَتَا، تَعَثَّرَتْ أمُّ مِسْطَحٍ في ثَوبِهَا، فَقالتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ.

فَقَالتْ لهَا عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟.

فقَالتْ: يَا هَنْتَاهْ(١)، ألمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟.

فَأَخْبَرَتْها بَمَا قالَ أهلُ الإفكِ، فازْدَادَتْ مَرضًا علىٰ مَرضِهَا، فلمَّا رجعَتْ إلىٰ بيتِها، دخلَ عليهَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيهَا، وقالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟».

فقالتْ: ائْذَنْ لِي إِلَىٰ أَبَوَيَّ.

لِتَسْتَيْقِنَ الخَبرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فأذِنَ لهَا رسولُ اللهِ ﷺ، فأتَتْ أبَوَيهَا، فَقالتْ لأُمِّهَا: مَا يَتَحَدَّثُ به الناسُ؟.

فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي علىٰ نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فواللهِ لقلَّمَا كانتِ امرأةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ(٢) عِندَ رَجُلٍ يحبُّها ولهَا ضَرَائِرُ(٣)، إلَّا أَكْثَرْنَ عليها(٤).

فقالت عائشةُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا.

فَبَاتَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحَتْ لَا يَنْقَطِعُ لهَا دَمْعٌ، وَلَا تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

فلمَّا تَأَخَّرَ نُزُولُ الوَحْيِ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طَالبٍ، وأُسامةَ بنَ زيدٍ يَستَشِيرُهُمَا في فِرَاقِهَا، فأشارَ عَليهِ أُسَامَةُ بإمْسَاكِهَا وألا يَلتفتَ إلىٰ كلامِ الأعداءِ؛ لمَّا عَلِمَ حُبَّ رَسولِ اللهِ ﷺ لها

---

(١) يا هنتاه: أي يا هذه

(٢) وضيئة: أي جميلة.

(٣) ضرائر: هن الزوجات لرجل واحد، سميت بذلك؛ لأنها تتضرر بغيرها بالغيرة والقسم، ونحو ذلك.

(٤) أكثرن عليها: أي القول في عيبها، ونقصها.

ولأَبيها، وعَلِمَ عفَّتَها وبراءَتَها وحصانتَها وديانتَها ما هيَ فوقَ ذلكَ وأعظمُ مِنهُ، وأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أكرمُ علىٰ ربِّه وأعزُّ عليهِ منْ أنْ يجعلَ تحتَه امرأةً بَغيًّا.

وأما عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، لم يُضَيِّقِ اللهُ عليكَ، والنِّساءُ سِواهَا كثيرٌ، وَسَلِ الجَاريةَ تصدُقْكَ.

فقد رَأَىٰ عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ ما قِيلَ مشكوكٌ فيهِ فأشارَ بتركِ الشَّكِّ والرِّيبَةِ إلىٰ اليَقينِ؛ لِيتَخلَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الهَمِّ والغَمِّ الذِي لحِقَهُ مِنْ كلامِ النَّاسِ، فأشارَ بِحسْمِ الدَّاءِ.

وَسَأَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ زَيْنبَ بِنتَ جَحْشٍ عَنْ أَمرِ عَائِشةَ، فَقَالَ: «**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟**».

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا.

فَقَدْ عَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ، وقَدْ كَانَتْ تُضَاهِي عَائِشَةَ فِي مَكَانَتِهَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَدعَا رَسولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «**يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟**».

فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ[1] عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[2] فَتَأْكُلُهُ.

---

(١) **أغمصه**: أي أعيبه.

(٢) **الداجن**: أي الشاة التي تألف البيت، ولا تخرج للمرعىٰ، ومعنىٰ هذا الكلام أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلا، ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين.

فَقامَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ يومِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ[١]، فَقالَ ﷺ: «**مَنْ يَعْذِرُنِي**[٢] **مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا مَعِي**».

فقامَ سَعدُ بنُ معاذ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أنَا واللهِ أعذرُكَ منْهُ[٣] إنْ كانَ مِنَ الأوسِ ضَربْنَاً عُنُقَهُ، وإن كانَ منْ إخوانِنَا مِنَ الخَزرجِ أمَرْتَنا، فَفَعَلْنَا فيهِ أمْرَكَ.

فقَامَ سعدُ بنُ عُبادَةَ - وهُو سِيدُ الخزرجِ، وقَدْ أغْضَبهُ مَا قَالَ سَعْدٌ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ[٤]، لَا تَقْتُلُهُ، ولا تقدرُ علىٰ ذلك.

فقامَ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيرِ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ[٥]، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ[٦]، فإنَّكَ مُنَافِقٌ[٧] تجادِلُ عَنِ المُنَافِقينَ.

فكادَ الأوسُ والخَزرجُ يَقْتَتِلانِ، لولَا أنَّ رَسولَ الله ﷺ نَزلَ عَنِ المِنبرِ، وتلطَّفَ بِهِمْ حتَّىٰ سَكَتُوا.

وظَلَّتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِندَ أبوَيهَا تَبْكي لَيلتينِ ويَومًا، لا يَجُفُّ لهَا

---

(١) **فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول**: أي طلب من يعذره منه، أي: من ينصفه منه.

(٢) من يعذرني: أي من يقوم بعذره فيما يأتي إلي من المكروه منه؟، وقيل: أي من يقوم بعذري إن عاقبته علىٰ سوء فعله؟، وقيل: أي من يقوم بعذري إن كافأته علىٰ قبيح فعاله، ولا يلومني.

(٣) **أنا أعذرك منه**: إنما قال ذلك؛ لأن الأوس من قومه وهم بنو النجار، ومن آذىٰ رسول الله ﷺ وجب قتله.

(٤) **لعمر الله**: هو قسم ببقاء الله ودوامه، واللام للتأكيد.

(٥) **كذبت لعمر الله**: أي كذبت إنك لا تقدر علىٰ قتله.

(٦) **لنقتلنه**: أي إن أمرنا رسول الله ﷺ قتلناه.

(٧) **منافق**: أي تفعل أفعال المنافقين، وليس المراد النفاق الحقيقي.

دمعٌ، ولا تَنامُ، وبينَما هي كَذَلِكَ إذ جاءتِ امرأةٌ من الأنصارِ فَجَلستْ تَبْكي معَها، وبَينَما هُمَا كَذَلكَ إذْ دَخَل رسولُ اللهِ ﷺ، فجَلسَ، ولم يَكنْ يجلسُ عِندَهَا من يومِ إِشَاعةِ حديثِ الإفْكِ، وقدْ مَكثَ ﷺ شَهرًا لا يُوحَىٰ إِليه في شَأنِها شيءٌ.

فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ**[1]، **فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**».

فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، انْقطَعَ دَمْعُها، وقالتْ لأَبِيهَا: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فقَالتْ لأُمِّهَا: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ.

قَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وكانتْ عائِشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَئِذٍ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، لمْ تَقْرأْ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقَالتْ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف:١٨].

ثُمَّ تحوَّلتْ علىٰ فِراشِهَا، واضَّجعَتْ، وهيَ تَرجُو أنْ يُبَرِّأَهَا اللهُ، ومَا ظَنَّتْ قطُّ أنَّ اللهَ يُنزلُ في شَأنِهَا وحيًا، وكانتْ تَرَىٰ في نَفْسِها أنَّها أَحْقَرُ

---

(١) **ألممت بذنب**: أي أتيته من غير عادة.

مِنْ أَنْ يتكلَّمَ القُرآنُ في أَمرِهَا، وإنمَّا كانتْ تَرجُو أنْ يَرَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ في النَّومِ رُؤيَا يُبَرِّؤُهَا اللهُ بِهَا.

فَما قَامَ أحدٌ مِنْ مجْلِسِهِ هَذا حَتَّىٰ نزَلَ الوَحيُ عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَلمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «**يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ**».

فَقَالتْ لها أُمُّها: قُومِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالتْ عَائِشةُ: لَا وَاللهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ.

وأَنْزلَ اللهُ قولَهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١] الآيَاتِ.

فلمَّا أنزلَ اللهُ هذَا في بَراءَتِهَا، قال أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانَ يُنفقُ عَلىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لقَرَابَتِهِ مِنهُ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ(١).

ثُمَّ خَرجَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ الناسِ، فخَطَبَهُم، وتَلا عَلَيهِم ما أنزلَ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٢٦٦١)، و«صحيح مسلم» (٢٧٧٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٣٢-٢٣٣)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٦٠-٤٦٢).

اللهُ عَليه مِنَ القُرآنِ في ذلكَ، ثم أَمَرَ بِمِسطَحِ بنِ أُثَاثَةَ، وحَسَّانَ بنِ ثَابتٍ، وحَمنَةَ بِنتِ جَحْشٍ، وكانُوا ممَّنْ أَفْصَحَ بالفَاحِشَةِ، فحُدُّوا ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وتُرِكَ الخَبيثُ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ معَ أنهُ رأسُ أهلِ الإفْكِ؛ لأنَّ الحَدَّ لا يثبتُ إلا بالإقرارِ أو ببَيِّنَةٍ، وهُوَ لم يُقِرَّ بالقَذفِ، ولا شَهِدَ به عليهِ أحدٌ، لِأَنَّهُ إنَّما كانَ يذكُرُه بينَ أصحابِهِ، ولمْ يَشْهَدُوا عَليهِ، ولمْ يكنْ يَذْكُرُه بينَ المُؤْمِنِينَ، ولأنَّ الحُدودَ تَخْفيفٌ عنْ أهْلِهَا وكَفَّارةٌ، والخَبيثُ ليسَ أهْلًا لذلكَ، وقدْ وَعَدَهُ اللهُ بالعَذابِ العَظيمِ في الآخِرةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١]، فَيَكْفِيهِ ذلكَ عَنِ الحَدِّ[1].

٧- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَعَتْ غَزْوةُ الأَحْزابِ، فَرَدَّهمُ اللهُ خَاسِئِينَ»[2].

لمَّا رأَىٰ اليهودُ انتصارَ المشركينَ علىٰ المسلمينَ يومَ أُحُدٍ، وعلمُوا بميعادِ أبي سُفيانَ لغزوِ المسلمينَ، فخرجَ لذلِك، ثم رجعَ للعامِ المُقبلِ خرجَ أشرافُهُم كسَلَّامِ بنِ أَبي الحُقَيقِ، وسَلَّامِ بنِ مِشْكَمٍ، وكِنَانَةَ بنِ الرَّبيعِ، وغيرِهم إلىٰ قُريشٍ بمكةَ يحرِّضُونَهُم علىٰ غَزوِ رسولِ اللهِ ﷺ، ووَعدُوهُم بأنَّهم سيعاونُونَهُم، وقَالُوا: إنَّا سنكُونُ معكُم عليهِ، حتىٰ نَستَأصِلهُ، فأجابتْهُم قريشٌ.

ثمَّ خَرجَ أولئكَ النَّفرُ إلىٰ غَطَفَانَ، فَدَعُوهُم إلىٰ حَربِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأخبرُوهُم أنَّهُم سَيُعَاونُونَهُم، وأنَّ قُريشًا قد تَابَعُوهُم علىٰ ذلكَ، فاجْتَمَعُوا مَعَهُم.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٣٦).

(٢) «الكامل» (٢/ ٦٩)، «البداية» (٤/ ١٠٤).

ثمَّ طَافُوا في قبائلِ العَربِ يدعُونَهُم إلىٰ ذَلكَ، فاستجابَ لهُمْ جمعٌ كثيرٌ.

فخرجتْ قُريشٌ وقائِدُهُم أبُو سُفيانَ في أَرْبعةِ آلافٍ، ووَافَتْهُم بنُو سُلَيمٍ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وخرجتْ بَنُو أَسدٍ، وفَزَارَة، وأَشْجعُ، وبَنُو مُرَّةَ، وجَاءَتْ غَطَفَانُ وقائِدُهُم عُيَينَةُ بنُ حِصْنٍ، فكانَ عَدَدُ مَن وَافىٰ الخندَقَ مِنَ الكُفارِ عَشرةَ آلافٍ[1].

سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُشيرُ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ بحَفْرِ خَنْدَقٍ:

لمَّا سَمعَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِمَسيرِهِم إليهِ استَشارَ الصَّحَابةَ، فأَشارَ عَليه سَلْمَانُ الفَارسيُّ بحفرِ خَندَقٍ يحولُ بينَ العَدوِّ وبينَ المَدينةِ، فعَمِلَ النَّبيُّ ﷺ بمَشُورَةِ سَلْمَانَ، وَأمرَ ﷺ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، فَسارعَ إليه المسلمونَ، وشاركَهُم رسولُ اللهِ ﷺ في الحَفرِ[2].

وكانتْ الأنْصارُ تقولُ:

نَحْـنُ الَّـذِينَ بَـايَعُوا مُحَمَّـدَا ... عَلَـىٰ الجِهَـادِ مَـا حَيِينَـا أَبَـدَا

والنَّبيُّ ﷺ يُجيبُهُم قائلًا:

«اللهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَـيْشُ الآخِـرَهْ ... فَـأَكْرِمِ الأَنْصَـارَ، وَالمُهَـاجِرَهْ»[3]

حالُ المُنافقينَ، والمُؤمنينَ أَثناءَ حَفرِ الخَندقِ:

كانَ المُنافقونَ يتَسلَّلُونَ إلىٰ أَهْلِيهِم بغيرِ علمٍ منْ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا إِذنٍ، أَمَّا المُؤمنونَ فَكَانُوا إذَا أَصابتْ أَحَدَهُمْ حاجةٌ لا بدَّ له مِنها،

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢١٤-٢١٥، ٢١٩-٢٢٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢١٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٢٩٦١)، و«صحيح مسلم» (١٨٠٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في اللُّحُوقِ بحاجَتِهِ، فإذَا قضَىٰ حاجتَه رجعَ إلىٰ ما كانَ فيهِ مِنْ عَمَلِهِ، رَغْبةً في الخيرِ، واحْتِسَابًا لهُ.

وَأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٢-٦٣](١).

مَا حَدثَ لرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُعْجِزَاتِ أثناءَ حَفرِ الخَنْدقِ:

أيَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه ﷺ أثناءَ حفرِ الخندقِ بمعجزاتٍ فيها مِنَ اللهِ تَعالىٰ عِبرةٌ في تصديقِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتحقيقِ نُبُوَّتِه، رَأىٰ ذلكَ المُسلِمُون، مِنهَا:

١- عَرَضَتْ للمُسلمينَ أثناءَ حَفرِ الخندقِ صخرةٌ صَلبةٌ من الأرضِ لا يؤثِّرُ فيهَا المِعوَلُ، فجاءُوا النَّبيَّ ﷺ، فذكَرُوا ذلكَ لهُ، فأخذَ النَّبيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَتَفَتَّتْ حتَّىٰ صارتْ كالرَّملِ يَنهالُ(٢).

٢- أَصابتِ المُسلمينَ مَجاعةٌ أثناءَ حَفْرِ الخَندقِ، حتَّىٰ لبثُوا ثلاثةَ أيامٍ بدونِ أكلٍ، فجاءَ جَابرٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ امْرأتَهُ، فقالَ لهَا: نريدُ أنْ نُطْعِمَ رسولَ اللهِ ﷺ، فَذَبَحَتْ أُنْثَىٰ مِنَ المَعزِ، وخَبزتْ شعيرًا، فَأخبرَ جَابرٌ رَسولَ اللهِ ﷺ بهذَا، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا**»، فقامَ

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢١٦).

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٠١)، من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المُهَاجرونَ والأنصارُ، فجعلَ النبيُّ ﷺ يَكْسِرُ الخبزَ، ويجعلُ عليهِ اللحمَ، وَيُقَرِّبُ إِلىٰ أصحابِهِ، فلم يزلْ يَكْسِرُ الخبزَ، وَيَغْرِفُ حتَّىٰ شَبِعُوا وبَقِيَ بَقِيَّةٌ[١].

خُروجُ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ، وتحصُّنهُ بالجَبلِ:

خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثَلاثةِ آلافٍ مِنَ المسلمينَ، فتحصَّنَ بجَبلِ سَلعٍ، فكانَ الجَبَلُ خَلفَ ظهورِهِم، والخندقُ أمَامَهُم بَينَهُم وبينَ الكفَّارِ.

وأمرَ النبيُّ ﷺ بالنساءِ والأطفالِ، فجُعِلُوا في حُصونِ المَدينةِ، واستخلفَ عَليها ابنَ أمِّ مَكْتومٍ[٢].

بَنُو قُرَيظَةَ يَنقُضُونَ عَهدَ رسولِ اللهِ ﷺ:

وانْطَلق حُيَيُّ بن أَخْطَبَ إِلىٰ بني قُرَيظَةَ فلَمَّا اقْتربَ من حِصْنِهِم أَبىٰ كَعبُ بنُ أَسدٍ أنْ يَفْتحَ له، فلمْ يزلْ يكلِّمُهُ حتَّىٰ فَتح لهُ، فلمَّا دخلَ عليهِ قالَ: لقَدْ جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهرِ جِئْتُكَ بِقُريشٍ وغَطَفَانَ وأَسدٍ؛ لحَربِ محمَّدٍ.

قَالَ كعبٌ: جِئْتَني واللهِ بِذلِّ الدَّهْرِ وبِجَهَامٍ[٣] قدْ أَرَاقَ ماءَهُ، فهُو يَرْعُدُ، ويَبرُقُ ليسَ فيهِ شيءٌ.

فلم يزلْ حُيَيٌّ يُكَلِّمُ كَعبًا حتَّىٰ نقَضَ كَعْبٌ العَهْدَ الذِي بينَه وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ، ودخلَ معَ المُشرِكينَ في مُحَارَبَتِه، فسُرَّ بذلكَ المُشركونَ، وشَرطَ كَعبٌ علىٰ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ أنَّه إِنْ لمْ يَنْتَصِرُوا عَلَىٰ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤١٠١)، و«صحيح مسلم» (٢٠٣٩)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢١٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٢).

(٣) بجهام: أي بسحاب رقيق لا ماء فيه. والمعنىٰ: أي الذي تعرضه عليَّ لا خير فيه.

محمدٍ أَنْ يَجيءَ حتَّىٰ يَدخلَ معَهُ في حِصنِهِ، فَيُصِيبَه ما أَصابَه، فأَجابَه إلىٰ ذَلِك، ووَفَّىٰ لهُ بِهِ[(١)].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يتحرَّى عَنْ نقضِ بني قُرَيْظَةَ لِلْعَهْدَ:

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ خَبرُ بَني قُرَيظةَ ونَقْضِهِم للعَهدِ، فبعثَ إليهِم سعدَ بنَ مُعاذٍ، وسَعدَ بنَ عُبادة، وخوَّاتَ بنَ جُبيرٍ، وعَبدَ اللهِ بن رَوَاحَةَ، فَقالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَنْظُرُوا، أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا[(٢)] أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ[(٣)] وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ**».

فلمَّا اقْتَرَبُوا مِنهُم، وَجدُوهُم عَلىٰ أخبثِ ما يَكُونُ، وجَاهَرُوهُم بالسَّبِّ والعَدَاوةِ، ونالُوا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فانْصَرفُوا عَنهم، ولحَنوا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ لحْنًا يُخْبرونَهُ أنَّهم قَد نقَضُوا العهدَ، وغَدَرُوا.

وعَظُم عندَ ذلكَ البلاءُ، واشْتدَّ الخوفُ، وأتَىٰ المُسْلِمينَ العَدوُّ منْ كُلِّ جَانِبٍ حَتىٰ ظَنَّ المؤمنونَ كلَّ ظنٍّ، فحِينئذٍ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أكبرُ، أبشرُوا يا معشرَ المسلمينَ**».

ونزلَ قولُه تَعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب:١٠-١١][(٤)].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٠-٢٢١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٢) الحنوا لي لحنا: أي تكلموا بكلام يخالف ظاهره حتىٰ لا يفهمه الناس؛ فيصبهم الوهن.

(٣) لا تفتوا في أعضاد الناس: أي لا تضعفوهم، ولا توهنوهم.

(٤) ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة.
﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: أي من غرب وهم قريش وكنانة.

وظهَرَ النِّفاقُ منْ بعضِ المنافقينَ، حتَّىٰ قالَ بعضُهم: كانَ محمَّدٌ يَعِدُنَا أنْ نأكُلَ كُنوزَ كِسْرَىٰ وقَيصَرَ(١)، وَاليومَ لا يأمنُ أَحَدُنَا علىٰ نَفْسِه أن يَذهبَ إلىٰ الغَائطِ.

واسْتأذنَ بعضُ بني حارِثةَ رَسولَ الله ﷺ في الذَّهَابِ إلىٰ المَدينةِ، وقالُوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٣]، وهمَّ بنو سَلَمةَ بالضَّعْفِ والجَزعِ، ثُمَّ ثبَّتَ اللهُ الطَّائِفَتينِ(٢).

وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَىٰ الأَحْزَابِ فَيقُولُ: «**اللهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»(٣).

حِصارُ المشركينَ للرسولِ ﷺ، وعُبورُ نفرٍ مِنهمُ الخَندقَ:

حَاصَرَ المُشرِكُونَ رسولَ اللهِ ﷺ شهرًا، ولم يكنْ بينهم قتالٌ لأجلِ الخندقِ بينَهم وبينَ المسلمينَ، إلا أنَّ فوارسَ منْ قريشٍ أقْبلُوا نحوَ الخَندقِ، فلمَّا وقفُوا عليهِ قالُوا: إن هذِه مَكِيدَةٌ ما كانتِ العربُ تعرِفُهَا، ثم قَصَدُوا مكانًا ضيِّقًا منَ الخندقِ، فاقْتَحَمُوه، وجَالتْ(٤) بهمْ خيلُهم بينَ الخَندقِ وسَلْعٍ(٥)، ودعُوا إِلىٰ المُبَارَزَةِ، فَخَرجَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُسلِمِينَ منْهُمْ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبارزُوهُمْ، فقتل عَلِيٌّ عمرَو بنَ عبدِ وُدٍّ، وكانَ من شُجعانِ المُشركينَ وأبطالِهم، فَهَرَبَتْ

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة الفزع.
﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: أي منتهىٰ الحلقوم من شدة الخوف.

(١) **كسرىٰ وقيصر**: كسرىٰ لقب ملوك الفرس. وقيصر لقب ملوك الروم.
(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢١-٢٢٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٣).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١١٥)، ومسلم (١٧٤٢)، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) **جالت**: أي دارت.
(٥) **سلع**: جبل في المدينة.

خيلُ المُشرِكينَ مُنْهَزِمَةً[١].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يدعُو على الكفارِ؛ لأجلِ أَنَّهُم شغَلُوه عنْ صَلاةِ العصرِ:

جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدَ مَا غَرَبتِ الشمسُ فَجعَل يَسُبُّ كُفَّارَ قريشٍ، وَقالَ: يا رَسولَ اللهِ ما كِدْتُ أُصَلِّي العَصرَ، حتىٰ كادتِ الشمسُ تَغْرُبُ.

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ مَا صَلَّيْتُهَا».

وَقَالَ ﷺ: «مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَىٰ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ».

فقامُوا إلىٰ بُطْحَانَ، فتوضَّأ رسولُ اللهِ ﷺ، وتوضَّأَ أَصْحَابُهُ، فَصَلُّوا العصرَ بعدَ مَا غَرَبتِ الشَّمسُ، ثُمَّ صَلُّوا بَعدَهَا المَغْرِبَ[٢].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَستشِيرُ أَصحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على مُصَالحةِ غَطَفانَ:

ولمَّا طالتْ هذِه الحالُ علىٰ المُسلمينَ أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ مُصَالَحَةَ عيينةَ بنِ حِصنٍ، والحَارثِ بنِ عوفٍ رَئِيسَي غطَفَانَ عَلىٰ ثُلثِ ثِمارِ المَدينةِ، وينْصَرِفَا بقَوْمِهِمَا، فاسْتشارَ سعدَ بنَ مُعاذٍ، وسَعدَ بن عُبادَة[٣] في ذَلكَ، فقالا: يا رَسولَ اللهِ إنْ كانَ اللهُ أمرَك بهذَا فَسَمعًا وطاعةً، وإن كانَ شيئًا تصنعُهُ لنَا فلا حَاجةَ لنا فيه، لقدْ كنَّا نحنُ وهؤلاءِ القومُ علىٰ الشركِ باللهِ وعبادةِ الأوثانِ، وهمْ لا يَطْمَعونَ أن يأكلُوا مِنها

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٤-٢٢٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٦، ٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧، ٦٣١)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سعد بن معاذ: سيد الأوس. سعد بن عبادة: سيد الخزرج.

ثَمرةً إلا قِرًى[١] أو بَيعًا، فحِين أكرمَنا اللهُ بالإسلام، وهدَانا لهُ، وأعزَّنا بكَ نُعطِيهِم أمَوالنَا؟ واللهِ لا نُعطِيهِم إلا السَّيفَ، فَصَوَّب رَسُولُ اللهِ ﷺ رأيَهُمَا.

وقَالَ: «**إنَّما هُوَ شَيءٌ أَصْنعُهُ لَكُم لَمَّا رأيتُ العَربَ قدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ**[٢]»[٣].

دورُ نُعيمِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هزيمةِ المُشرِكينَ:

ثمَّ جَاءَ رجلٌ مِنْ غَطَفَانَ يقَالُ لهُ: نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، خَذَلَ اللهُ بهِ العَدُوَّ، وهَزَمَ جمُوعَهُم، فقَالَ: يا رسولَ اللهِ إني قدْ أسْلَمتُ، وإنَّ قَومي لمْ يَعلمُوا بإسْلَامِي، فَمُرْني بمَا شِئتَ.

فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّمَا أنتَ رَجُلٌ واحِدٌ فخَذِّلْ**[٤] **عنَّا مَا استَطَعْتَ، فَإنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ**[٥]».

---

(١) **قرىٰ**: أي ضيافة.

(٢) **رمتكم عن قوس واحدة**: هذا مَثَلٌ في الاتفاق، أي اتفقوا علىٰ قتالكم.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٤).

(٤) **خذل**: أي ادخل بين القوم حتىٰ يخذِل بعضهم بعضا.

(٥) **خدْعَة**: بالفتح، هي أفصح اللغات، وأصوبها؛ لأنه لغة قريش، ومعناه: أنها تخدع أهلها. ورويت علىٰ ثلاث أوجه: خَدْعَة بفتح الخاء. وسكون الدال، وخُدْعة بضم الخاء وسكون الدال. وخُدَعة بضم الخاء وفتح الدال. [**انظر**: «معالم السنن» للخطابي (٢/ ٢٦٩)، و«إكمال المعْلِم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض (٦/ ٤٢)، و«عمدة القاري»، للعيني (١٤/ ٢٧٥)].

قال الخطابي: معنىٰ الخَدْعة: أنها هي مرة واحدة من الخداع أي إذا خُدع المقاتل مرة واحدة لم يكن له إقالة، ومن قال خُدْعة أراد الاسم كما يقال هذه لُعبة، ومن قال خُدَعة بفتح الدال كان معناه أنها تخدع الرجال وتمنيهم ثم لا تفي لهم كما يقال: رجل لعبه إذا كان كثير التلعب بالأشياء. [**انظر**: «معالم السنن» (٢/ ٢٦٩)].

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ حتَّىٰ أَتىٰ بني قُرَيظَةَ، فقالَ: يا بَني قُريظَةَ، قد عَرَفْتُم وُدِّي إيَّاكم، وخَاصةَ مَا بَيني وبَينكُمْ.

قالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِندَنا بِمُتَّهَمٍ.

فَقالَ لهُمْ: إنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ تَذْهَبُوا مِنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ نَاصَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِغَيْرِهِ فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ.

قالُوا: فمَا العمَلُ يَا نُعَيمُ؟.

قالَ: لا تُقَاتِلُوا مَعَهُم حتَّىٰ يُعْطُوكُم رَهَائنَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ.

قَالُوا: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشًا، فَقالَ لهُم: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لكُمْ ونُصْحي لَكُمْ، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أُبَلِّغَكُمُوهُ؛ نُصْحًا لَكُمْ، فَاكْتُمُوا عَنِّي.

قَالُوا: نَفْعَلُ.

قَالَ: تَعْلَمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ نَقْضِ عَهْدِ محمَّدٍ وأَصْحَابه، وإِنَّهُمْ قَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَىٰ مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ نَكُونَ مَعَكَ عَلَىٰ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْصِلَهُمْ؟، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ نَعَمْ.

فَإِنْ بَعَثَتْ إِلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ غَطَفَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي.

قَالُوا: صَدَقْتَ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ.

قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنِّي.

قَالُوا: نَفْعَلُ، فَمَا أَمْرُكَ؟.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ، وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ بَعَثُوا إِلَىٰ اليَهُودِ: إِنَّا لَسْنَا بِأَرْضِ مُقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخُفُّ وَالْحَافِرُ[1]، فَانْهَضُوا بِنَا حَتَّىٰ نُقَاتِلَ محمَّدًا.

فَأَرْسَلَ إِلَيهِمْ اليَهُودُ: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبلَنَا حَينَ أَحْدَثُوا فِيهِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّا لا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تَبْعَثُوا إِلَينَا رَهَائِنَ.

فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَاللهِ إِنَّ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ.

فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ: إِنَّا وَاللهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا.

فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ حِينَ بَلَّغَتْهُمُ الرُّسُلُ بِهَذَا: إِنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوا، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا،

---

(١) **الخف والحافر**: أي الإبل، والخيل.

وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ هَرَبُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ.

فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إِنَّا وَاللهِ مَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُعْطُونَا رُهُنًا فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، وَخَذَّلَ اللهُ بَيْنَهُمْ(١).

اللهُ عَزَّوَجَلَّ يُرسِلُ ريحًا على المُشرِكِينَ:

وأَرْسلَ اللهُ علىٰ المُشرِكينَ جُندًا منَ الريحِ، فَجعلتْ تطرحُ خِيامَهُم، ولا تَدعُ لهُمْ قِدرًا إلا كَفَأَتْهَا، ولا يَقِرُّ لهُمْ قَرارٌ، وجُندُ اللهِ مِنَ الملائكةِ يُزَلْزِلُونَهُمْ، ويُلقُونَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ والخَوفَ(٢).

رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرسلُ حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ليأتِيَهُ بخَبرِ المُشْركينَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ البَارِدَةِ شَدِيدَةِ الرِّيحِ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

فَسَكَتُوا، وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

فَسَكَتُوا، وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

فَسَكَتُوا، وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**».

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣١-٢٣٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٢٣٣٣٤)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٤٨٩-٤٩٠)، و«زاد المعاد» المعاد» (٣/ ٢٤٢-٢٤٥).

وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**[١]».

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[٢] حَتَّىٰ أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ[٣]، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ[٤]، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ[٥]، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ[٦] كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ[٧].

أَبُو سُفيَانَ يُنادِي بالرَّحِيلِ:

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفيانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ[٨]، وَالْخُفُّ[٩]، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ

---

(١) **ولا تذعرهم علي**: أي لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، والمراد: لا تحركهم عليك، فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررًا علي؛ لأنك رسولي وصاحبي.

(٢) **كأنما أمشي في حمام**: أي أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ، وذهابه فيما وجهه له ودعائه ﷺ له واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتىٰ عاد إلىٰ النبي ﷺ، فلما عاد ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس.

(٣) **يصلي ظهره**: أي يدفئه.

(٤) **كبد القوس**: أي مقبضها، وكبد كل شيء وسطه.

(٥) **قررت**: أي بردت، وهو جواب فلما أتيته

(٦) **عباءة**: أي كساء مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب.

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٨٨)، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) **الكراع**: أي الخيل.

(٩) **الخف**: الإبل.

الَّذِي نكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ؛ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا، فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ[(١)].

رَسُولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ يَرْجِعُون إلى المَدِينةِ:

لمَّا أَصْبحَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وأصحَابُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ انْصرَفُوا عن الخَندقِ رَاجِعينَ إلىٰ المَدينةِ، ووَضَعُوا السِّلاحَ، وقد ردَّ اللهُ عَدُوَّهُ بغَيظِهِ لم يَنَالُوا خيرًا، وكفَاهُ اللهُ قِتَالَهُمْ، فَصَدَقَ وَعدَهُ، وأَعزَّ جُندَهُ، ونَصرَ عبدَهُ، وهزَمَ الأحزابَ وحْدَهُ[(٢)].

وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ حِينَ هَرَبَ الأَحْزَابُ عَنْهُ: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**»[(٣)].

وهذِه الغَزوةُ مَشْهُورةٌ عندَ أهلِ السِّيَرِ والمَغَازِي بِغَزْوَةِ الخَنْدَقِ.

٨- «وَفِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقعتْ غزوةُ بني قُرَيْظَةَ، ونَالُوا جَزَاء خيانتِهم العُظْمى»[(٤)].

كانتْ بَنُو قُرَيظَةُ أشدَّ اليَهُودِ عَداوَةً لرسولِ اللهِ ﷺ، وأَغْلَظَهُمْ كفرًا، ولذلك جَرىٰ عَليهم ما لَمْ يجرِ عَلىٰ إخوانِهم.

وكان سببُ غَزوِهِم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمَّا خرَجَ إلىٰ غزوةِ الخَندقِ، نَقضتْ بنُو قُرَيْظَةَ العَهدَ الذِي كانَ بينهُم وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأظْهَروا سَبَّهُ فبَلغَ رَسولَ الله ﷺ الخَبرُ، فَلمَّا اسْتَيقَنَ أنَّهُم نقضُوا

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٢٣٣٣٤)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٤٨٩-٤٩٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤١١٠)، عن سليمان بن صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «الكامل» (٢/ ٦٩)، «البداية» (٤/ ١٠٥).

العهدَ، كبَّرَ، وقَالَ: «**أبشروا يا معشرَ المسلِمين**».

فلمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ منَ الخَندقِ إلىٰ المَدينةِ جَاءَه جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندَ الظُّهرِ، وهو يَغتسلُ، فَقالَ: «**أوَضَعْتَ السِّلَاحَ؟!، واللهِ إنَّ المَلائِكَةَ لم تَضَعْ أَسْلِحَتَها، فانْهَضْ بمَنْ مَعَكَ إلىٰ بَني قُرَيظَةَ، فَإني سَائرٌ أمامَكَ أُزَلزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُم، وأقْذِفُ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**»[1].

خُروجُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى بَني قُرَيْظَةَ مُؤيَّدًا بِمَوكِبٍ مِنَ المَلائِكَةِ عَليهِمُ السلامُ:

سَارَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْكِبِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَثَرِهِ فِي مَوْكِبِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ مُؤذِّنًا، فَأَذَّنَ فِي المُسلِمِينَ: «**من كانَ سَامعًا مُطِيعًا، فَلا يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إلَّا في بَني قُرَيظَةَ**»، فبادَرُوا إلىٰ امْتِثَالِ أَمرِهِ، وخَرجُوا سِراعًا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّيهَا إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ كَمَا أُمِرْنَا، فَصَلَّوْهَا بَعْدَ العِشَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ سُرْعَةَ الْخُرُوجِ، فَصَلَّوْهَا فِي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدَةً مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ.

وأَعْطَىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ الرايةَ عَليَّ بنَ أَبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واسْتَخْلَفَ عَلىٰ المَدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ[2].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٢٨١٣)، و«صحيح مسلم» (١٧٦٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ١١٧-١١٨).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٤-٢٣٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ١١٨، ١٢٠).

حِصَارُ رَسولِ اللهِ ﷺ لبَني قُرَيظَةَ:

حَاصَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بني قُريظةَ خمسًا وعِشرينَ ليلةً، حتىٰ جَهدَهُم الحِصارُ، وقذفَ اللهُ في قلوبِهم الرُّعبَ.

ولمَّا اشتدَّ عَليهمُ الحِصَارُ، وأيقَنُوا بأنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ غيرُ مُنْصَرفٍ عَنهُم حَتَّىٰ يُقَاتِلَهُم، قالَ كَعبُ بنُ أَسدٍ لهُم: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا، فَخُذُوا بِمَا شِئْتُمْ مِنْهَا.

قَالُوا: وَمَا هُنَّ؟.

قَالَ: نُتَابِعُ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ، فَوَاللهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّهُ لَلَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ، فَتَأْمَنُونَ بِهِ عَلَىٰ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ.

قَالُوا: لَا نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوْرَاةِ أَبَدًا، وَلَا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ.

قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ، فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَنُقَاتِلَهُ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ نَهْلِكْ نَهْلِكْ وَلَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَخْشَىٰ عَلَيْهِ، وَإِنْ انْتَصَرْنَا، فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ.

قَالُوا: أَنَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ؟! فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ!.

قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ، فَاللَّيْلَةُ لَيْلَةُ السَّبْتِ، وَإِنَّهُ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُونَا فِيهَا، فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةً.

قَالُوا: أَنُفْسِدُ سَبْتَنَا، وَنُحْدِثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَنْكَ مِنَ الْمَسْخِ.

فَقَالَ: مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنكُمْ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا[١].

بنُو قُرَيظَةَ يَطلِبُونَ من رسولِ اللهِ ﷺ أَبا لُبَابة؛ لِيَسْتَشِيرُوهُ:

ثمَّ بَعَثَ بَنُو قُرَيظَةَ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ[٢]؛ لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا.

فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَجَهَشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ وَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَتَرَىٰ أَنْ نَنْزِلَ عَلَىٰ حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ حَلْقِهِ، أَنَّهُ الذَّبْحُ.

ثمَّ عَلِمَ أَنَّهُ بِذَلِكَ قدْ خانَ اللهَ ورسولَه، فَلمْ يَرجِعْ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ حتَّىٰ أَتىٰ مَسجدَ المَدينةِ، فرَبَطَ نَفْسَه بِسَارِيةِ المَسجِدِ، وحَلَف ألا يَحِلَّهُ إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ بيدِه، وأَنَّه لا يَدخُلُ أَرضَ بَني قُرَيظَةَ أبدًا.

فلمَّا بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ خبرُه، قَالَ: «**أَمَا إِنَّه لَو جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لهُ، فأَمَّا إِذْ قدْ فَعلَ مَا فَعلَ، فما أَنَا بالذي أُطلِقُهُ من مكانِه حَتىٰ يَتُوبَ اللهُ عَليه**»، ثُمَّ تابَ اللهُ عليهِ، وَحلَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِهِ[٣].

نَزُولُ بَني قُرَيظَةَ على حُكْمِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتحكيمُ سعدِ بنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثمَّ نَزلتْ بَنُو قُريظةَ علىٰ حُكمِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقامتْ إليه الأوسُ،

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٥-٢٣٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٢١).

(٢) لأنهم كانوا حلفاء الأوس، وأبو لبابة من الأوس.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٦-٢٣٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٢١).

فقَالوا: يَا رسولَ اللهِ! قد فَعَلتَ في بَني قَينُقَاعَ مَا قدْ عَلمْتَ وهُمْ حُلفاءُ إِخْوانِنا الخَزْرجِ، وهؤلاءِ مَوالِينَا، فَأحسِنْ فِيهِم.

فقالَ: «**أَلَا تَرضَونَ أَنْ يَحكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُم؟**».

قَالوا: بَلىٰ.

قالَ: «**فَذاكَ إِلىٰ سَعْدِ بن مُعَاذٍ**».

قالُوا: قدْ رَضِينَا.

فأرسلَ إلىٰ سَعدِ بنِ مُعاذٍ، وكانَ في المَدِينةِ لم يخْرجْ مَعهُمْ؛ لجُرحٍ كانَ بِه، فأُرْكِبَ حِمارًا وجاءَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فجَعَلوا يقولُونَ لَهُ وهمْ حَولَه: يا سَعدُ أَجْمِلْ إلىٰ مَوالِيكَ، فأَحْسِنْ فيهِم، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد حَكَّمَكَ فيهِم لتُحْسِنَ فِيهِمْ.

وهُوَ سَاكتٌ لا يُجيبُهُم، فلمَّا أكثرُوا علَيه، قالَ: لقَدْ آنَ لسَعدٍ ألا تَأخذَه في اللهِ لومَةُ لَائِمٍ.

فلمَّا سمِعوا ذلكَ منْه، رجَعَ بعضُهُم إلىٰ المَدينَةِ، فنَعىٰ إليهِم القَومَ، فلمَّا انتَهىٰ سَعدٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قالَ للصَّحابةِ: «**قُومُوا إِلىٰ سيِّدِكُمْ**».

فلمَّا أَنزَلُوه قَالُوا: يا سَعدُ! إنَّ هَؤلاءِ القَومَ قدْ نَزلُوا علىٰ حُكْمِكَ.

قالَ: وحُكْمي نَافذٌ عَليهِم؟ .

قالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: وعلىٰ المُسلِمينَ؟.

قَالُوا: نَعمْ.

قالَ: عَلىٰ مَنْ هَاهُنَا؟ وأعرَضَ بوجْهِهِ، وأشارَ إلىٰ نَاحيةِ رسولِ اللهِ

ﷺ إجلالًا لهُ وتَعظيمًا.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نَعمْ، وعَليَّ**».

قالَ: فإني أحْكُم فيهِم أنْ يُقتلَ الرِّجالُ، وتُسْبَىٰ الذُّرِّيَّةُ[١]، وتُقْسَمَ الأَمْوالُ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لقد حَكَمتَ فِيهِمْ بحُكْم اللهِ مِن فَوقِ سبعِ سَمَاواتٍ**».

وأَسلمَ مِنهم تَلك الليلةَ نَفرٌ قبلَ النُّزُولِ عَلىٰ حُكمِ سَعدٍ[٢].

تَنفيذُ الحكمِ عَلى بَني قُرَيظةَ، وعددُ القَتْلى:

لمَّا حَكمَ فيهِم سعدٌ بذلكَ، أمَر رسولُ اللهِ ﷺ بقتلِ كلِّ الرجالِ البالغينَ، ومنْ لمْ يَبلغْ، أُلحِقَ بالذُّرِّية[٣].

وكانَ المُسلِمونَ إذَا شَكُّوا فِيمَنْ لا يَعرِفُونَ بُلُوغَهُ كَشَفُوا عَنْ مؤتَزِرِه، فَإنْ وَجدُوه أَنبتَ[٤] حَكَمُوا بِبُلُوغِهِ، فَقَتلُوهُ، ومنْ وَجَدُوه لم يُنبِتْ تَركُوهُ، ولمْ يَقتُلُوهُ، وكانَ ممَّن لَمْ يُنْبتْ عَطِيةُ القُرَظيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلمْ يَقْتُلُوهُ[٥].

وحُفِرتْ لَهُمْ خَنَادِقُ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، وَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَكَانُوا مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَىٰ السَّبْعِمِائَةِ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ النِّسَاءِ أَحَدٌ سِوَىٰ امْرَأَةٍ

---

(١) **الذرية**: أي النساء، والأطفال.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٢٢)، و«صحيح مسلم» (١٧٦٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٢١-١٢٢).

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٢٢).

(٤) **أنبت**: أي شعر العانة، أي صار له شعر خشِن حول قُبله.

(٥) **انظر**: «سنن الترمذي» (٢٥٤١)، و«السنن الكبرىٰ»، للنسائي (٨٥٦٧)، و«سنن ابن ماجه» (٢٥٤١)، و«مسند أحمد» (١٨٧٧٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٤).

وَاحِدَةٍ كَانَتْ طَرَحَتْ عَلَىٰ رَأْسِ سُوَيدِ بنِ الصَّامِتِ رَحًى، فَقَتَلَتْهُ، وَجُعِلَ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَىٰ الْخَنَادِقِ طَائِفَةٌ بَعدَ طائفةٍ، فَقَالُوا لِرَئِيسِهِمْ كَعْبِ بنِ أَسَدٍ: يَا كَعبُ! مَا تَرَاهُ يَصْنَعُ بِنَا؟.

فَقَالَ: أَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ؟ أَمَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ، وَالذَّاهِبَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ، هُوَ وَاللهِ الْقَتْلُ.

فَلَمْ يزلِ الأمرُ كذلكَ حتَّىٰ قُتِلُوا جَمِيعًا[1].

قِسْمَةُ رَسولِ اللهِ ﷺ لِفيءِ بَني قُرَيظَةَ:

قَسَمَ رَسولُ اللهِ ﷺ أَمْوالَ بَني قُرَيْظَةَ ونِساءَهُمْ وأَبْنَاءَهُمْ عَلَىٰ المُسْلِمينَ.

وَقَسَمَ الغَنِيمةَ خَمْسَةَ أَسْهُمٍ: للهِ ورَسُولِهِ ﷺ سَهْمٌ، وَللرَّاجَلِ وهُوَ مَنْ لَيسَ لهُ فَرسٌ سَهْمٌ، وللفَارِسِ ثَلاثَةُ أَسْهُمَ، للفَرَسِ سَهْمَانِ ولفَارِسِهِ سَهْمٌ.

فَعَلَىٰ هَذَا جَرَتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في تَقْسِيمِ الغَنَائِمِ[2].

٩- وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

رُمِيَ سَعدُ بنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومَ الخَنْدقِ في وَسَطِ ذِرَاعِهِ، فَكَوَاهُ النَّبيُّ ﷺ بِالنَّارِ، فَانْقَطَعَ الدَّمُ، واسْتَمْسَكَ الجُرْحُ، وضَربَ ﷺ لهُ خَيمَةً في المَسْجِدِ؛ ليَعُودَهُ منْ قَرِيبٍ، فَدَعَا سَعدٌ رَبَّهُ: «**اللهم إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِليَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قوم كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وأَخرجُوهُ، اللهم فَإِني أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَربَ بَيننَا وبَينَهُم، فَإِنْ**

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٠-٢٤٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٣) «الكامل» (٢/ ٧٧)، «البداية» (٤/ ١٤٨).

كانَ بَقي مِنْ حَرْبِ قُرَيشٍ شَيءٌ فَأبقِني لهُ، حَتىٰ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وإنْ كُنتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فافجُرْها[١] واجْعَلْ مَوتَتي فِيهَا، واجْعَلْهُ لي شَهَادَةً، وَلا تُمِتْني حَتَّىٰ تُقِرَّ عَيْني مِنْ بَني قُرَيظَةَ»[٢].

فاستَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ، أَقَرَّ عينَه مِنْ بَني قُرَيظَةَ؛ فَحَكَمَ فِيهِمْ بِقُدْرَةِ اللهِ وتَيسيرِه، وجَعَلَهُم همُ الذينَ يطلبونَ ذَلكَ؛ لِمَا يَرْجُونَ مِنْ حُنُوِّهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ وَمَيْلِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا بِأَنَّهُمْ أَبْغَضُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْدَادِهِمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ؛ لِشِدَّةِ إِيمَانِهِ وَصِدِّيقِيَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

فَلَمَّا حَكَمَ فِيهِمْ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَأَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ وَشَفَىٰ صَدْرَهُ مِنْهُمْ وَعَادَ إِلَىٰ خَيْمَتِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ صُحْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، دَعَا اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ، وَاخْتَارَ اللهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَانْفَجَرَ جُرْحُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمْ يَزَلْ يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّمُ حَتَّىٰ مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وَلَمَّا وُضِعَتْ جَنَازَتُهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»[٥].

ولَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَتُهُ قَالَ المُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ»[٦].

---

(١) **فافجرها**: أي الجراحة.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٢٢)، و«مسلم» (١٧٦٩، ٢٢٠٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٧٥)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٩٨).

(٣) **انظر**: «البداية والنهاية» (٦/ ٤٩، ٩٩).

(٤) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٢٢)، و«مسلم» (١٧٦٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، و«البداية والنهاية» (٦/ ٩٩).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٤٩)، وصححه الألباني.

١٠- وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قتلتِ الخزرجُ أبَا رافعٍ سلَّامَ ابنَ أَبي الحُقَيقِ اليَهوديَّ بإذنِ رسولِ اللهِ ﷺ»[1].

لما انتَهىٰ النَّبيُّ ﷺ منْ غَزوةِ بني قُرَيظةَ، وكَانَ أَبُو رَافعٍ سلَّامُ بنُ أَبي الحُقَيقِ اليَهوديُّ مِمَّنْ جمعَ وحرَّضَ الأحزابَ عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، ولم يُقْتَلْ معَ بني قُرَيظةَ كَما قُتِل صَاحبُهُ حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ، ورَغِبتِ الخَزرجُ في قتلِهِ مُسَاواةً للأوسِ في قتلِ كَعبِ بن الأَشْرفِ، وقدْ كَانَ هَذَين الحيَّين يَتَنافَسَانِ في فِعلِ الخَيراتِ، فَاستأذَنُوا النبيَّ ﷺ في قتلِه، فأذِنَ لهُم، ونهَاهُم ﷺ عَنْ أنْ يَقْتُلُوا وليدًا أو امرأةً.

فَخَرجَ إليهِ رِجالٌ مِنْ الخَزْرجِ، وهُمْ عَبدُ اللهِ بنُ عَتِيكٍ، وهُو أَمِيرهُم، وعبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ، وأَبُو قتَادةَ الحَارِثُ بنُ رِبعيٍّ، ومَسعُودُ بن سِنانٍ، وخُزاعيُّ بنُ أَسْودَ، فَسَارُوا حَتَّىٰ أتوه لَيلًا في خَيبرَ في دَارٍ له، فلمْ يَدَعُوا بيتًا في الدارِ إلا أغْلَقُوه عَلىٰ أَهْلِهِ.

وكانَ أَبُو رافعٍ في غُرفَةٍ عَاليةٍ، فَصَعِدُوا إليهِ حتَّىٰ قامُوا علىٰ بابِه، فَاستَأذَنُوا عليهِ، فخَرجتْ إليهِم امرأتُه، فقالتْ: مَنْ أنتُم؟.

قالُوا: ناسٌ مِنَ العربِ نَلْتَمِسُ الطعامَ.

قَالتْ: ذَاكُمْ صَاحِبُكُمْ، فَادْخُلُوا عَليه.

فَلمَّا دَخَلُوا علَيه، أغْلقُوا البابَ عَليهم، فصَاحتِ امرأتُه، فأَسْرعُوا إليهِ، وهو علىٰ فِراشِه بأسيافِهِم، فمَا دَلَّهُم عليهِ في سوادِ الليلِ إلا ثِيابٌ بَيضَاء مُلقَاة.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٠٣٨، ٤٠٣٩)، «البداية» (٤/ ١٥٤)، «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (٤٦٥).

ولمَّا صَاحتْ بِهمُ امرأتُه، ما مَنَعَهُمْ مِنْ قَتْلِهَا إِلَّا نَهيُ رسولِ اللهِ ﷺ.

فَلمَّا ضَربُوهُ بأسْيَافِهِم تَحاملَ عَليهِ عبدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ بسيفِهِ في بَطْنِهِ حتَّىٰ أنْفَذَهُ.

وَلَمَّا خَرجُوا، وَقَعَ عبدُ اللهِ بنُ عَتِيك مِنَ السُّلَّمِ، فَجُرِحَتْ رِجلهُ جُرْحًا شَديدًا، فَحَملُوهُ.

فَأَوْقَدَ النَّاسُ النيرانَ، وأسرَعُوا في البَحثِ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عَتِيك وأصْحَابِهِ، فَلَمَّا يَئِسُوا رَجَعُوا إلىٰ أَبي رَافِعٍ، فاجْتَمَعُوا حولَه وهو يَمُوتُ.

فقالَ عبدُ اللهِ بنُ عَتِيكٍ وَأَصْحَابُهُ: كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ عَدُوَّ اللهِ قَدْ مَاتَ؟.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ.

فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ دَخَلَ فِي النَّاسِ، قَالَ: فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ، وَرِجَالَ يَهُودَ حَوْلَهُ، وَفِي يَدِهَا الْمِصْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَتُحَدِّثُهُمْ، وَتَقُولُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكٍ.

فقالَ: أَنَّىٰ ابْنُ عَتِيكٍ بِهَذِهِ الْبِلَادِ؟.

ثمَّ قَالتِ امرأتُهُ: ماتَ، وإله يَهُودَ.

فرجَعَ إلىٰ أصحابِهِ مَسْرُورًا، وأخبرَهُمْ خَبرَ موتِ عَدُوِّ اللهِ، فاحْتَمَلُوا عبدَ اللهِ بنَ عَتِيكٍ حتَّىٰ قَدِمُوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأخبرُوه بقتلِ عَدُوِّ اللهِ، وَكُلُّ وَاحدٍ ادَّعىٰ قَتلَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرُونِي أَسْيَافَكُمْ**».

فَلمَّا أَرَوهُ إيَّاها قالَ لسَيفِ عَبدِ اللهِ بنِ أُنَيسٍ: «**هَذَا الذي قتَلَهُ، أَرَىٰ فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ**»[١].

١١- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وَفدُ رَبيعَةَ: عَبدِ القَيسِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٢].

أَتَىٰ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ، وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ الوَفْدُ؟**[٣]».

قَالُوا: رَبِيعَةُ.

قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا نَدَامَىٰ**[٤]».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ[٥]، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ[٦]، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا[٧]، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ[٨].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٧٣-٢٧٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٤٦).

(٢) «الطبقات» (١/ ٢٧١).

(٣) **الوفد**: هم الجماعة المختارة من قومهم؛ لينوبوا عنهم في الأمور المهمات.

(٤) **غير خزايا ولا ندامىٰ**: غير أذلاء بمجيئكم ولا نادمين علىٰ قدومكم.

(٥) لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام: أي إنا لا نقدر علىٰ الوصول إليك خوفا من أعدائنا الكفار إلا في الشهر الحرام، فإنهم لا يتعرضون لنا كما كانت عادة العرب من تعظيم الأشهر الحرام وامتناعهم من القتال فيها، وشهر الحرام المراد به جنس الأشهر الحرم، وهي أربعة أشهر كما نص عليه القرآن العزيز وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، وسمي الشهر شهرًا؛ لشهرته وظهوره.

(٦) **فصل**: أي واضح بحيث ينفصل به المراد عن غيره.

(٧) **وراءنا**: أي خلفنا من قومنا الذين خلفناهم في بلادنا.

(٨) **الأشربة**: أي التي تكون في الأواني المختلفة.

فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**[(١)]».

وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ[(٢)]، وَالدُّبَّاءِ[(٣)]، وَالنَّقِيرِ[(٤)]، وَالمُزَفَّتِ[(٥)]، وَالمُقَيَّرِ[(٦)]، وَقَالَ: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»[(٧)].

وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَشَجُّ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**[(٨)]»[(٩)].

وَالنَّهْيُ عَنِ الِانْتِبَاذِ فِي هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ كَانَ مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ مُسْكِرًا فيها، وَرُبَّمَا شَرِبَهُ الْإِنْسَانُ ظَانًّا أَنَّهُ لَمْ يَصِرْ مُسْكِرًا فَيَصِيرُ شَارِبًا لِلْمُسْكِرِ وَكَانَ الْعَهْدُ قَرِيبًا بِإِبَاحَةِ الْمُسْكِرِ، فَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ وَاشْتَهَرَ تَحْرِيمُ الْمُسْكِرِ وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ فِي نُفُوسِهِمْ نُسِخَ ذَلِكَ

---

(١) **تعطوا من المغنم الخمس**: أي تدفعوا خمس ما تغنمون في الجهاد للإمام ليصرفه في مصارفه الشرعية.

(٢) **الحنتم**: جِرار كانت تعمل من طين وشعر ودم.

(٣) **الدباء**: أي اليقطين إذا يبس اتخذ وعاء.

(٤) **النقير**: أي أصل النخلة يُنقر، ويجوف فيتخذ منه وعاء.

(٥) **المزفت**: أي ما طلي بالزفت.

(٦) **المقير**: أي ما طلي بالقار، وهو نبت يحرق إذا يبس، وتطلىٰ به الأوعية والسفن.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣، ٨٧)، ومسلم (١٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. **وانظر**: «فتح الباري» (٨/ ٨٥).

(٨) **الحلم والأناة**: أما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وترك العجلة.

(٩) **صحيح**: رواه مسلم (١٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأُبِيحَ لَهُمُ الِانْتِبَاذُ فِي كُلِّ وِعَاءٍ بِشَرطِ أَنْ لا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا، وَهَذَا صَرِيحُ قَوْلِهِ ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا**»[(١)][(٢)].

ممَّا يستفادُ من هذا:

١- الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال المذكورة في الحديث السابق من القول والعمل، كما علىٰ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم كلهم.

٢- لم يَعُدَّ النبي ﷺ الحج في هذه الخصال، لأنه لم يكن فُرض بعد، وأنه إنما فُرض في العاشرة، ولو كان فرض لعده من الإيمان، كما عد الصوم والصلاة والزكاة[(٣)].

١٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفدُ أَشْجعَ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ»[(٤)].

قدِمَ وَفدُ أَشْجَعَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وهُمْ مائةُ رَجل، وقيلَ: سَبْعِمِائَةٍ، ورئِيسُهُم مَسعُودُ بنُ رُخَيْلَةَ، فنَزلوا شِعْبَ سَلْعٍ، فخَرَجَ إليهِمْ رسولُ اللهِ ﷺ، وأمَرَ لهُمْ بأَحْمَالِ التمرِ، فَحَالَفَهُم، ورجَعُوا، ثم أَسْلَمُوا بعدَ ذَلكَ[(٥)].

١٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: سَابقَ النَّبِيُّ ﷺ بينَ الخَيلِ»[(٦)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٧)، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٥٩).
(٣) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٣١).
(٤) «الطبقات» (١/ ٢٦٤).
(٥) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٣٦٠).
(٦) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٣).

سَابقَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ الخيلِ التي أُضْمِرَتْ[١] من الحَفْيَاءِ[٢] إلىٰ ثَنِيَّةِ[٣] الوَداعِ، وكان بينهُما سَبعةُ أميَالٍ[٤].

وسَابقَ ﷺ بينَ الخَيلِ التي لمْ تُضَمَّرْ مِنْ ثَنيةِ الودَاعِ إلىٰ مَسْجِدِ بني زُرَيقٍ، وكانَ بينهمَا ميلٌ، وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيمنْ سَابقَ بِهَا[٥].

والمرادُ بالمسابقةِ بالخيلِ كونُها مركوبةً لا مجردَ إرسالِ الفرسينِ بغيرِ راكبٍ[٦].

ممَّا يستفاد من هذا:

١- مشروعيةُ المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرِها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك، وتدريب الخيل ورياضتها وتمرُّنها علىٰ الجري، وإعدادها لذلك؛ لينتفع بها عند الحاجة في القتال كرا وفرا[٧].

٢- تنزيل الخلق منازلهم لأن النبي ﷺ غاير بين منزلة الخيل المضمَّر، والخيل غيرِ المضمَّر، ولو خلطهما؛ لأتعب غير المضمَّر[٨].

١٤- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: زُلْزِلَتِ المَدِينَةُ»[٩].

---

(١) **أضمرت**: أي التي ذهب رهلُها، فقوي لحمها، واشتد جريها.

(٢) **الحفياء**: موضع بالقرب من المدينة.

(٣) **ثنية الوداع**: الثنية هي الطريق في الجبل، وبين ثنية الوداع وبين الحفياء أحد عشركيلو متر تقريبًا.

(٤) **أميال**: جمع ميل، وهو يساوي ١٦٠٠ متر.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٧٠)، ومسلم (١٨٧٠)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) **انظر**: «فتح الباري» (٦/ ٧٣).

(٧) **انظر**: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (١٣/ ١٤).

(٨) **انظر**: «فتح الباري» (٦/ ٧٣).

(٩) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٣).

زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: «**اسْكُنِي، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكِ بَعْدُ**».

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ**[(١)]»[(٢)].

قالَ الإمامُ ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لمْ يأتِ عَنِ النبيِّ ﷺ مِنْ وَجْهٍ صَحِيحٍ أنَّ الزَّلْزَلَةَ كانتْ في عَصْرِهِ، ولا صَحَّتْ عَنهُ فِيهَا سُنَّةٌ**»[(٣)].

وقَدْ أَثبتَ بَعضُ أَهْلِ السِّيرِ زَلْزلةَ المَدِينةِ عَلىٰ عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ[(٤)].

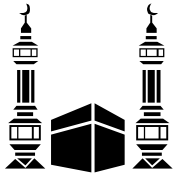
---

(١) **يستعتبكم فأعتبوه**: أي إن الله غضب منكم، فأرسل إليكم الزلزلة حتىٰ تستغفروه، وتطلبوا منه العفو.

(٢) **مرسل ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٣٣٤)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٨).

(٣) **انظر**: «الاستذكار»، لابن عبد البر (٢/ ٤١٨).

(٤) **انظر**: «أُسْد الغابة» (١/ ٢٩)، و«عيون الأثر» (٢/ ٣٥٣)، و«سبل الهدىٰ والرشاد» (١٢/ ٦٣)، و«سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، للعصامي (٢/ ١٧٤).



السَّنَةُ السَّادِسَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ السَّادِسَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

وَفِيهَا تِسْعَةٌ وعِشرُونَ حَدَثًا:

١- «وَفِي المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ سَرِيَّةُ مُحَمدِ بنِ مَسلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى القُرَطَاءِ»[١].

في العَاشِرِ مِنَ المُحَرَّمِ بَعثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحمَّدَ بنَ مَسْلَمةَ في ثَلاثِينَ راكبًا إلىٰ القُرَطاءِ؛ لتأديبِ بني بكرٍ؛ لأنَّهم تَآمَرُوا علىٰ قَتلِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأمَرَه أنْ يَشُنَّ عَليهمُ الغَارةَ، فكانَ يَسيرُ باللَّيلِ، ويَستريحُ بالنَّهارِ، فَأغارَ عليهِم، فقتلَ نفرًا منهُم، وأسَرَ ثُمَامةَ بنَ أُثَالٍ الحَنَفيَّ، وهرَبَ سائِرُهُم، واسْتاقَ نَعَمًا وشَاءً، ورجَعَ إلىٰ المَدينةِ، فخمَّسَ رسولُ اللهِ ﷺ، ما جاءَ بِهِ، وغابَ تسعَ عشرةَ ليلةً[٢].

ولمَّا قدِمُوا المَدِينَةَ رَبَطُو ثُمَامةَ بنَ أُثَالٍ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**[٣]».

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ[٤]، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٧٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١١٢).

(٢) **انظر:** «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣٤-٥٣٥)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٧٨)، و«المنتظم في تاريخ الأمم والملوك»، لابن الجوزي (٣/ ٢٤٩).

(٣) **ما عندك يا ثمامة؟:** أي من الظن بي أن أفعل بك؟.

(٤) **إن تقتلني تقتل ذا دم:** أي ذا قدر يشتفىٰ بدمه وقتله؛ لرياسته وفضيلته، وقيل: أي إن تقتلني فذلك عدل منك، ولم تعاملني إلَّا بما أستحق، لأني مطلوب بدم، فإن قتلتني قتلتني قصاصًا، ولم تظلمني أبدا.

عَلَىٰ شَاكِرٍ[١]، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتُرِكَ حَتَّىٰ كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ.

فَتَرَكَهُ حَتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ.

فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَىٰ الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَىٰ؟.

فَبَشَّرَهُ[٢] رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قِيلَ لَهُ: صَبَوْتَ[٣].

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ[٤].

---

(١) **وإن تُنْعِمْ تنعم علىٰ شاكر**: أي وإن تحسن إليَّ بالعفو عني فالعفو من شيم الكرام، ولن يضيع معروفك عندي؛ لأنك أنعمت علىٰ كريم يحفظ الجميل، ولا ينسىٰ المعروف أبدًا.

(٢) **فبشره**: أي بمغفرة ذنوبه.

(٣) **صبوت**: أي تركت دينك، ودين آبائك.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ممَّا يستفاد من هذا:

١- مشروعيةُ ربطِ الكافر في المسجد.

٢- مشروعيةُ المَنِّ علىٰ الأسير الكافر.

٣- تعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل.

٤- أن الإحسان يزيل البغض، ويثبت الحب.

٥- أن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شُرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير.

٦- الملاطفة بمن يُرجىٰ إسلامه من الأسارىٰ إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه علىٰ إسلامه العدد الكثير من قومه.

٧- مشروعية بعث السرايا إلىٰ بلاد الكفار، وأسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه[١].

٢- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: تَسَرَّى رَسولُ اللهِ ﷺ بِرَيْحَانةَ، وهِيَ مِن سَبي بَني قُرَيظَةَ بَعدَما أسلَمَتْ، وظَلَّت مَعه حَتَّى ماتَتْ في السَّنةِ العاشرةِ للهجْرَةِ»[٢].

اصطَفىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ لنَفْسِهَ منَ سَبي بَني قُرَيظَةَ رَيحَانَةَ بِنتَ زيدِ بنِ عَمْرٍو، ولمْ تَزلْ عندَ رَسولِ اللهِ ﷺ حتَّىٰ مَاتَتْ في مَرجِعِهِ مِنْ حَجَّةِ الوَداعِ، فدَفَنَهَا بِالبَقيعِ[٣].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٨٧-٨٨)، و«فتح الباري» (٩/ ٨٨-٨٩).

(٢) «الإصابة» (٤٤٤)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٨/ ١٢٩-١٣٠)، و«تاريخ الطبري» (١١/ ٥٩٦). =

٣- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ الأسديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الغَمْرِ، فغنِمُوا ورَجَعُوا سَالِمِينَ»[(١)].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عُكَّاشَةَ بنَ مِحْصَنٍ الأسديَّ في أربعينَ رجلًا إلىٰ الغَمْرِ، فَخرجَ سريعًا، وَعلِمَ المشركونَ بهِ فهربُوا، فنزَل علىٰ مِياهِهِمْ، وبعثَ الطلائعَ، فوجدُوا مائتي بعيرٍ، فساقُوها إلىٰ المَدينةِ، ولم يُصَبْ منهمْ أحدٌ، ولمْ يَلقَوا حَرْبًا[(٢)].

٤- «وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ذِي القَصَّةِ فَقُتِلوا جميعًا إلا محمَّدَ بْنَ مَسلَمَةَ حُمِلَ جَرِيحًا»[(٣)].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ في عَشرةِ نفَرٍ إلىٰ بَني ثَعلبةَ

= قيل: لما سُبيت بنو قريظة عُرض السبي علىٰ رسول الله ﷺ، فكانت ريحانة فيمن عرض عليه ﷺ، فأمر به فعزلت، ثم دخل عليها رسول الله ﷺ، فانقبضتْ منه حياء، فدعاها فأجلسها بين يديه، فقال: «**إن اخترتِ اللهَ ورسولَه اختارَك رسولُ اللهِ ﷺ لنفسِه**».

فقلتُ: إني أختار الله ورسوله ﷺ.

فلما أسلمتْ أعتَقها رسول الله ﷺ، وتزوجها، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية، وكان يقسم لها كما يقسم لنسائِه، وضرب عليهَا الحجاب، وكانت لا تسأل رسول الله ﷺ شيئًا إلا أعطاها، فقيل لها: لو كنت سألتِ رسول الله ﷺ بني قُريظة لأعتقهم.

وماتت في مرجعه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع. [انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٣٠٦)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٢٣٥)].

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨١)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٢)، «البداية» (٤/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥٠-٥٥١)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٠).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٨١)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٢)، «البداية» (٤/ ٢٠٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٢٧).

وهم بذِي القَصَّةِ[١]، فأَتوهُم ليلًا، فكمَن بَنُو ثَعْلَبَةَ حتَّىٰ نامَ مُحمدُ بنُ مَسلَمَةَ وأصحابُهُ، فاجتَمَعَ حولهُم مائةُ رَجلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ، فما شعرَ المُسلمونَ إلا بالنَّبلِ قَدْ خَالَطَتهُمْ.

فقامَ محمدُ بنُ مَسلَمةَ، فصاحَ بأصحابِه: السِّلاحَ! فقامُوا فترامَوا ساعةً مِنَ الليلِ، ثُم قاتَلهم بَنُو ثَعْلَبَةَ بالرماحِ فقَتَلوا مِنهُم ثلاثةً، ثم انحازَ أصحابُ محمدٍ إليهِ فَقتلُوا من بَني ثَعْلَبَةَ رَجُلًا، ثم قَتَلَ بَنُو ثَعْلَبَةَ من بَقي مِنَ المُسْلِمينَ إلا محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ وَقَعَ جَريحًا لا يَتَحَرَّكُ، وَجَرَّدُوهُمْ منَ الثيابِ وانْطلقُوا.

فمَرَّ رجلٌ مسلمٌ علىٰ القَتلىٰ فاسترجَعَ، فلمَّا سمِعَهُ محمدٌ تحَرَّكَ لهُ، فعَرَضَ علىٰ محمدٍ طعامًا وشرابًا وحمَلَهُ حتىٰ قدِمَ بهِ المَدينةَ[٢].

٥- «وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أبي عبيدةَ بنِ الجرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ذِي القَصَّةِ فَغَنِمُوا وسَلِمُوا»[٣].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أبَا عُبَيدةَ بنَ الجرَّاحِ إلىٰ ذِي القَصَّةِ في أَرْبعينَ رَجُلا، فسارُوا لَيلَتَهُم مُشَاةً، ووافَوا مَصَارِعَ أصحابِ مُحمدِ بن مَسْلَمَةَ مع الصُّبحِ، فأغارُوا عليهِمْ، فهربُوا منهم في الجِبالِ، وأسَرُوا رجلًا واحدًا، فأَسلَمَ، ووَجدُوا نَعَمًا وشَاءً، فساقُوهَا إلىٰ المَدِينَةِ، ورَجَعُوا[٤].

٦- «وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ

---

(١) **ذو القصة:** موضع بينها وبين المدينة أربعةٌ وعشرون مِيلا.

(٢) **انظر:** «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥١)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٥).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٨١)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٣)، «البداية» (٤/ ٢٠٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٠).

(٤) **انظر:** «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥١)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٠).

حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ بَالجَمُومِ، فأسَرُوا وغَنِمُوا وسَلِمُوا»[(١)].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ إلىٰ بَني سُلَيْمٍ فَسارَ حَتَّىٰ أَتىٰ الجَمُومَ، فأصابُوا امرأةً من مُزينةَ، فدلَّتهُم علىٰ مَحلَّةٍ مِن محالِّ بَني سُلَيمٍ، فأصابُوا نَعَمًا وشَاءً وأَسْرَىٰ، ثم رجَعُوا إلىٰ المَدِينةِ[(٢)].

٧- «وَفِي جُمَادَى الأول مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى العِيصِ، فغَنِمَتْ وسَلِمَتْ»[(٣)].

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أن عيرًا لقريشٍ قد أقبلتْ منَ الشامِ، فبعثَ زيدَ بنَ حارثةَ إلىٰ العِيصِ[(٤)]، في سبعينَ ومائةِ راكبٍ؛ ليتعرَّضَ لعيرِ قريشٍ، فأخذُوهَا وما فِيها وأَخذُوا يَومئذٍ فِضَّةً كَثيرةً لصَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ، وأسرُوا ناسًا ممَّنْ كانَ في العِيرِ، منهم أَبُو العاصِ بنُ الرَّبيعِ، فلمَّا قدِمُوا بهمُ المَدينةَ استَجارَ أَبُو العَاصِ بِزَينبَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ، فأَجَارَتْهُ ونادتْ في الناسِ حينَ صَلىٰ رسولُ اللهِ ﷺ الفَجْرَ: إِنِّي قد أَجرتُ أَبَا العَاصِ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّها النَّاسُ، هَلْ سَمِعتُم ما سَمِعتُ؟**».

قالوا: نَعَم.

قال: «**فَوَ الَّذي نَفْسي بيدِهِ، ما عَلِمتُ بِشيءٍ ممَّا كَانَ حَتىٰ سَمِعتُ الذِي سَمِعتُم، المؤْمِنُونَ يدٌ علىٰ مَنْ سِواهُم**[(٥)]**، يجيرُ عَلَيهِمْ أَدْنَاهُم**[(٦)]،

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٨٣)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٣)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٢)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧١).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ٨٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥١).

(٣) «طبقات بن سعد» (٢/ ٨٣)، «الكامل» (٢/ ٩٤)، «مغازي الذهبي» (٣٥٤، ٣٥٨)، «الصالحي» (٦/ ١٣٣).

(٤) العيص: موضع بينها وبين المدينة أربع ليال.

(٥) يد علىٰ من سواهم: أي يجب علىٰ كل واحد نصرة أخيه.

(٦) يجير عليهم أدناهم: أي الأدنىٰ كالأعلىٰ يعطي الأمان لمن شاء.

وقدْ أجَرنَا مَنْ أَجَارتْ[١]».

فلمَّا انصرفَ النبيُّ ﷺ إلىٰ منزلِه دخلتْ عليهِ زَينبُ فسألَتْه أن يردَّ إلىٰ أَبي العاصِ ما أخذَ منهُ منَ المَالِ، ففعَلَ وردَّ عليهِ ما أخذَ منهُ.

ثم كلَّمَ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه، فردُّوا إليهِ كلَّ شيءٍ أَخَذُوهُ مِنهُ.

فَلَمَّا رجعَ أَبو العاصِ إلىٰ مَكَّةَ أدَّىٰ إلىٰ كلِّ ذِي حقٍّ حقَّهُ، وَقَالَ: يا مَعْشرَ قُريشٍ، هلْ بَقي لأحَدٍ مِنكُم شيءٌ؟.

قالوا: لا واللهِ.

قالَ: فإني أشهدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رَسولُ اللهِ، لقدْ أَسلمتُ بالمدينةِ، ومَا مَنَعني أنْ أُقِيمَ بالمَدِينةِ إلَّا أَنْ خَشِيتُ أَنْ تَظُنُّوا أَني أَسْلَمتُ؛ لأنْ أَذْهبَ بالذِي لَكُمْ[٢].

٨- «وَفِي جُمَادَى الأُولى أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانتْ غَزوةُ بَني لِحْيَانَ بِنَاحيةِ عُسْفَان، فَلم يَلقَوا أحدًا»[٣].

خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ بَني لِحْيَانَ؛ لِيغزُوهُم، فخَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في مِائَتي رجل، وأظهرَ أنَّهُ يُريدُ الشَّامَ؛ ليُصِيبَ القَومَ وهُمْ في غَفْلةٍ، واسْتَخْلفَ علىٰ المدينةِ ابنَ أمِّ مكتوم، ثمَّ أسرعَ السيرَ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مُصابِ أصحابِ الرَّجيع، فترحَّمَ عَليهِمْ، ودَعا لهُمْ، وسَمعتْ بَنُو لِحْيانَ بمَجِيءِ رسولِ اللهِ ﷺ، فهَربُوا في رُؤُوسِ الجبالِ، فلمْ يقدِرْ النبيُّ ﷺ عَلىٰ أحدٍ منهُم، فأقامَ يومينَ بأرْضِهم، وبعثَ السَّرايا، فلمْ

---

(١) **أجرنا من أجارت**: أي أمَّنَّا من أَمَّنَتْ.

(٢) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥٣-٥٥٤)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٧).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠٥)، «الكامل» (٢/ ٩٤)، «الذهبي» (٢٤٥)، «البداية» (٤/ ١٦٩)، «الصالحي» (٥/ ٥٠)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٦٨).

يَقْدِرُوا عَلَيهِم، فسارَ إِلىٰ عُسْفَانَ.

وَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكرٍ: «**إِنَّ قُرَيشًا قدْ بَلَغَهُم مَسيرِي وإِني قدْ وَرَدْتُ عُسْفَانَ، وهمْ يَهَابُونَ أَنْ آتيهِم، فاخْرُجْ في عَشرةِ فَوارِسَ**».

فخرجَ أَبُو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عَشْرَةِ فَوَارِسَ حَتىٰ أَتَوا الغَميمَ، فلمْ يَلْقَ أحدًا، ثمَّ رجعَ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ إِلىٰ المَدينةِ، وكانتْ غيبتُه عنْها أربعَ عشرةَ ليلةً[(١)].

٩- «وَفِي جُمَادَى الآخِرةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى الطَّرفِ، فَغَنِمُوا وَسَلِمُوا»[(٢)].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ إِلىٰ الطَّرفِ إِلىٰ بَني ثَعلبَةَ، فخَرَجَ في خمْسةَ عشرَ رجُلًا، حتَّىٰ إِذَا كانُوا بالطَّرفِ أَصَابَ نَعَمًا وشَاءً.

وهَربتْ بَنُو ثَعْلَبَةَ، وخافُوا أَنْ يَكونَ رسولُ اللهِ ﷺ قدْ سارَ إِليهمْ، فرجَعَ زيدُ بنُ حَارثةَ إِلىٰ المَدينةِ بالنَّعَمِ في صبيحةِ اليومِ التَّالي، وخرجَ بَنُو ثَعْلَبَةَ في طلبِهِ فلمْ يلْحقُوا بهِ، وَكَانَتْ غَيبَتُهُ أَرْبعَ ليالٍ[(٣)].

١٠- «وَفِي جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى حِسْمَى»[(٤)].

لمَّا رجعَ دِحيةُ بنُ خَليفةَ الكَلبيُّ من عِندِ قَيصرَ، وقد أبلغَه كِتابَ

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣٦-٥٣٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٧٩-٢٨٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ٢٤٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٦)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «الذهبي» (٣٥٣)، «الصالحي» (٦/ ١٣٩)، «فقه السرايا» (١٣٧).

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥٥)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥١).

(٤) «طبقات» (٢/ ٨٤)، «سبل» (٦/ ١٤٠).

رَسولِ اللهِ ﷺ يدعُوه إلىٰ اللهِ، فأعطاهُ تُحَفًا وهَدَايَا، فلمَّا بَلغَ وَاديًا في أرْضِ بَني جُذَام، لَقِيهُ الْهُنَيْدُ بْنُ عَارِضٍ وابنُهُ عَارِضُ بنُ الهُنَيْدِ في نَاسٍ مِنْ جُذَام بِحِسْمَىٰ، فَقَطَعُوا عليهِ الطَّرِيقَ، وأَخَذُوا مَا مَعَهُ، فَسَمِعَ بذلكَ نَفَرٌ مِنْهُمْ قدْ أَسْلمُوا، فَاسْتَنقَذُوا مَا كانَ أُخِذَ لِدِحيةَ فَرَدُّوهُ عَلَيهِ.

فلمَّا رَجَعَ دِحْيةُ إِلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرهُ الخبر، فبَعثَ حِينئذٍ زَيدَ بنَ حَارِثةَ في خَمْسِمِائةِ رَجُلٍ وَرَدَّ مَعهُ دِحيةَ، فَكانَ زَيدٌ يَسيرُ الليلَ ويَكْمُنُ النَّهَارَ.

فهَجَمُوا علىٰ القَومِ معَ الصُّبحِ، وقَتلُوا الهُنَيدَ وابْنَه وثَلاثَةَ رِجالٍ، وأغَارُوا عَلىٰ مَاشِيتِهِمْ ونَعَمِهِم ونِسَائِهِم، فَأخذُوا مِنْ النَّعَمِ ألفَ بَعيرٍ، ومِنَ الشَّاءِ خَمْسَةَ آلافِ شَاةٍ، ومِنَ النِّسَاءِ والصِّبْيانِ مائةً.

فلمَّا احْتازَ زيدٌ أموالَهُم وذَرَاريَّهمْ اجتَمعَ نفرٌ منهمْ بِرِفَاعةَ بنِ زيدٍ، وكانَ قدْ جاءَه كتابٌ من رسولِ اللهِ ﷺ يدْعُوهُم إلىٰ اللهِ، فقرأَه عليهم رِفاعةُ، فاستجَابَ له طائفةٌ مِنهم، ولم يكنْ زيدُ بنُ حَارثةَ يَعلمُ بذلكَ، فأتَوا رسولَ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، فأعطَوهُ الكتابَ، فأمرَ بقراءَتِه جَهرةً علىٰ الناسِ، ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كَيفَ أَصْنعُ بالقَتْلَىٰ؟**» ثلاثَ مرَّاتٍ.

فقالَ رجلٌ مِنهُم: أَطْلِقْ لنَا يا رسولَ اللهِ من كانَ حَيًّا، ومنْ قُتلَ فهُو تَحْتَ قَدَمي هذِهِ.

فبعثَ مَعهُم رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ إلىٰ زيدِ بنِ حارثةَ يأمرُه أنْ يخلِّيَ بينهُم وبينَ ما أَخَذَ، فتوجَّه عليٌّ فَلَقِيَ زيدًا وجيشَهُ، فأبلغهَ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، فَردَّ إلىٰ الناسِ كلَّ ما كانَ أخذَه مِنهمْ[1].

---

(١) **انظر:** «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥٥-٥٥٦)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٨)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٣-١٤).

١١- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا إِلى وَادِي القُرَى، فَلَمْ يَلْقَ كَيدًا»[(١)].

أرادَ النبيُّ ﷺ أنْ يُرهِبَ أعداءَ اللهِ تَعالىٰ، ويُنذرهُم بأنْ يُخلُّوا بينهُ وبينَ دعوةِ الناسِ لعبادةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وحدَه، فأرسلَ عِدَّةَ سرايَا مِنهَا: سريةُ زيدِ بنِ حارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلىٰ وادِي القُرَىٰ، وقدْ تجمَّع بهَا بعضُ المُشرِكينَ مِنْ مَذْحِجٍ، وقُضَاعَةَ، ومُضَرَ، فلمْ يَلقَ حَربًا[(٢)].

١٢- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى دُومَةِ الجَندلِ، وأمرَه النَّبيُّ ﷺ أنْ يتزوجَ ابنَةَ مَلِكِهِم فأسلَمُوا، وتزوَّجَهَا»[(٣)].

أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ يتجهَّزَ للخروجِ إِلىٰ دُومَةِ الجَندلِ؛ لِيدعُوهُم إِلىٰ الإسلامِ، فلما أصبحَ أمرَ بلالًا أنْ يدفعَ إليهِ اللواءَ، فدفعَهُ إليهِ، وأمرَهُ أَنْ يغزُوا في سبيلِ اللهِ، ويقاتِلُوا منْ كفرَ باللهِ، ولا يخُونُوا في المَغانمِ، ولا يغدِرُوا، ولا يمثِّلُوا، ولا يقْتُلوا وليدًا، وقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنْ أطاعُوكَ فتزوَّجِ ابنةَ مَلكِهِم**».

فسارَ حتَّىٰ قدِمَ دُومَةَ الجَندَلِ، فلمَّا حلَّ بها ظَلَّ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ الإسلامِ ثَلاثةَ إِيَّامٍ، وقد كانوا أَبَوا أولَ ما قدِمَ يعطونَه إلا السَّيفَ، فأسلمَ فِي اليومِ الثالثِ مَلِكُهُمْ الأَصبغُ بنُ عَمرٍو الكلبيُّ، وكانَ نَصرانيًّا.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٦)، «الكامل» (٢/ ٩٣)، «الذهبي» (٣٥٥)، «الصالحي» (٦/ ١٤٨)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧٣).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٩)، و«سبل الهدىٰ والرشاد» (٦/ ٩٣).

(٣) «طبقات بن سعد» (٢/ ٨٥)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٦)، «الكامل» (٢/ ٩٣)، الذهبي» (٣٥٥)، «الصالحي» (٦/ ١٤٩).

فأسلم القومُ، وتزوج عبدُ الرحمنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُمَاضِر بنتَ الأصبغ[١].

١٣- «وَفِي شَعْبانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى بَني سعدِ بنِ بَكرٍ بِفَدَكَ، فَشَتَّتَ شَمْلَهُم، وَغَنِمَ وَسَلِمَ»[٢].

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أن بَني سَعدِ بنِ بَكْرٍ بِفَدَكَ يريدونَ أن يُسَاعِدُوا يَهودَ خيبرَ، فبعثَ إِليهِم عَليَّ بنَ أبي طالبٍ في مِائةِ رَجلٍ فكانَ يسيرُ الليلَ ويَكْمُنُ النهارَ، حتىٰ انتهىٰ إِلىٰ ماءٍ بينَ خيبرَ وفَدَكَ[٣]، فوجدُوا به رَجلًا فسألوه عنِ القومِ فقالَ: أُخبرُكم علىٰ أنَّكم تؤمِّنُوني، فأمَّنوهُ، فدَلَّهمْ، فأغارُوا عليهمْ، فأخذُوا خمْسَمِائةِ بعيرٍ وألفَ شاةٍ، وهَربتْ بَنُو سَعدٍ بالنساءِ، وقدِمُوا المدينةَ، ولم يلقَوا حربًا[٤].

١٤- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى أُمِّ قِرْفَةَ بِنَاحيةِ وَادِي القُرَى، فقَتَلُوا وأَسَرُوا، وغَنِمُوا وسَلِمُوا»[٥].

خرجَ زَيدُ بنُ حارثةَ في تجارةٍ إِلىٰ الشام، ومعهُ بضائعُ لأصحابِ النبيِّ ﷺ، فلمَّا اقتربَ من وادِي القُرىٰ لقيَهُ ناسٌ مِنْ فَزَارَةَ، فضَربُوه وضَربُوا أصحابَه، وأخذُوا ما كانَ معهُم.

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٠-٥٦٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٣٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٤).

(٢) «طبقات بن سعد» (٢/ ٨٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٧)، «الكامل» (٢/ ٩٣)، «الذهبي» (٣٥٥)، «الصالحي» (٦/ ١٥٤)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧٣).

(٣) فدك: موضع بينه، وبين المدينة ست ليال.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٨٩).

(٥) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٧)، «صحيح مسلم» (٢/ ٨٩)، «الصالحي» (٦/ ١٥٧)، «السيرة في المصادر» (٤٧٤)، «فقه السرايا» (١٤١).

فَقدِمَ زيدُ بنُ حارثةَ المَدينةَ، فَلَمَّا بَرأَ مِن جِراحَتِهِ بعَثَه رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ بَني فَزَارَةَ في جَيشٍ، فقَتَلهُم بوادِي القُرَىٰ، وأَسَر أمَّ قِرْفَةَ وكانتْ عجوزًا كبيرةً، فأمَرَ زيدٌ بقتلها، ثمَّ قدِمُوا المدينةَ[1].

١٥- «وَفِي رَمَضَانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أجدَبَ الناسُ جَدبًا شَديدًا، فَاسْتسقَى بِهِم رسولُ اللهِ ﷺ، فنزَل المَطَرُ»[2].

أصابَ الجَدبُ أهلَ المَدينةِ، فأتوا رَسولَ اللهِ ﷺ، فشَكَوا ذلكَ إليهِ، وقَالُوا: «**يَا رَسُولَ اللهِ، قَحَطَ الْمَطَرُ، وَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ، وَهَلَكَ الْمَالُ**»، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، وَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّىٰ، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷺ، وَحَمِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ[3] عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**».

ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللهُمَّ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ**».

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّىٰ بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَىٰ النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ،

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٩٠).

(٢) «الكامل في التاريخ لابن الأثير» (٢/ ٩٤)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٣).

(٣) إبان زمانه: أي وقت زمانه.

ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ.

فمَا لبِثَ أنْ أتاهُ الناسُ يَشكُون منه الغَرَقَ، فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، اللهم حَوَالَينا ولا عَلَينا**»، فَانجَابَ[1] السَّحابُ عنِ المدينةِ فَصارَ حَوالَيهَا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو أدْرَكَ أبو طالبٍ هذا اليومَ لسرَّهُ**»[2].

١٦- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ أَبِي رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى أُسَيرِ بنِ زَارِمٍ اليهوديِّ، فقتلُوه وسلِمُوا»[3].

لمَّا قُتِل أبُو رافعٍ سلَّامُ بنُ أَبي الحُقَيقِ أَمَّرَت يهودُ عليهم أُسَيرَ بنَ زارِمٍ[4] فسارَ في غطَفَانَ وغيرهم يجمَعُهم لحربِ رسولِ الله ﷺ، وبلغ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ، فبعثَ عبدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ في ثلاثةِ نفرٍ سرًّا؛ ليأتيَ بخَبرِ أُسَير، فقدم علىٰ رسول الله ﷺ، فأَخبرَه بأَنَّهُ يجمعُ الناسَ؛ ليغزُوَهُ بهم، فَحثَّ رسولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، فخرَجَ له ثلاثونَ رجلا، فأَمَّرَ عليهم عبدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ.

فقدمُوا علىٰ أُسَيرٍ، فقالوا: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَنا إليكَ؛ لتَخْرُجَ إليهِ فيستَعْمِلَكَ علىٰ خَيبرَ، ويُحسِن إليكَ.

فلمْ يزالُوا بهِ حتَّىٰ تَبِعَهُم، وخرجَ معهُ ثلاثونَ رجلًا مِنَ اليَهودِ معَ

---

(١) **انجاب**: أي انجمع وتقبض بعضه إلىٰ بعض، وانكشف عنها.

(٢) **انظر**: «سنن أبي داود» (١١٧٣)، وقال: «إسناده جيد»، وحسنه الألباني، و«سنن النسائي» (١٥٢٧)، و«مسند أحمد» (١٢٠١٩)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٨٠-٢٨١).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨٨)، «تاريخ الإسلام» للذهبي قسم المغازي (٣٦١)، «الصالحي الشامي» (٣/ ٢٠٧) (٦/ ١٧٦)، «فقه السرايا» (١٤١)، «السيرة في المصادر» (٤٧٦).

(٤) **أسير بن زارم**: ذكر بعض المؤرخين أن اسمه «يُسَيْر بْنِ رِزَام». [**انظر**: «تاريخ الطبري» (٣/ ١٥٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣١٨)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٨)].

كلِّ رجل رَدِيفٌ منَ المسلمينَ حتَّىٰ إذا اقتربُوا منْ خيبرَ ندِمَ أُسَيرٌ.

ثم قتَلَهُ عبدُ اللهِ بن أُنَيسٍ بعدَ أنَّ همَّ أُسَيْرٌ بقتلِهِ، ثمَّ قتلَ كلَّ مُسلمٍ رَديفَهُ مِنَ اليهودِ، غيرَ رجلٍ واحدٍ هَرَبَ، ولم يُصَبْ مِنَ المسلمينَ أحدٌ، ثُم أقبلُوا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فحدَّثُوه الحديثَ، فَقَال: «**قد نجَّاكُم اللهُ منَ القومِ الظَّالمين**»(١).

١٧- «وَفِي شَوَّالٍ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ كُرْزِ بن جابرٍ الفِهْرِيِّ إِلى العُرَنِيِّينَ، فأتَوا بِهِم فَقتَلَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ»(٢).

قدم ثَمانيةُ نفرٍ مِنْ عُكْلٍ، وعُرَيْنَةَ علىٰ رسولِ الله ﷺ، فأظهروا الإسلامَ، ثمَّ قَالُوا بَعدَ مُدَّةٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ(٣)، وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا المَدِينَةَ(٤)، فأمر لهم رسول الله ﷺ بإبل وراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبَانِها وأبوالِهَا، وكانتْ تَرعَىٰ علىٰ بُعْدِ سِتَّةِ أَميالٍ منَ المدينةِ، فكانُوا فيها حَتىٰ صَحُّوا وسمِنُوا، فَكَفَرُوا بعدَ إسلامِهِم، وقطَعوا يدَ ورِجلَ رَاعي النبيِّ ﷺ وغَرَزُوا الشَّوكَ في لِسانِه وعَينَيه حتَّىٰ ماتَ، وأخَذُوا الإبلَ.

وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ الخبرُ، فبعثَ في آثَارِهِمْ عِشرينَ فارسًا وأَمَّرَ عليهِم كُرْزَ بنَ جابرٍ الفِهرِيَّ، فأدْرَكُوهُم فأحاطُوا بِهِمْ وأسَرُوهُم

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٦-٥٦٩)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٩٢)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨٩)، «صحيح البخاري» (٢٣٣، ١٥٠١، ٣٠١٨، ٤١٩٣، ٦٨٠٢)، «صحيح مسلم» (١٦٧١)، «الكامل» (٢/ ٩٤)، الذهبي في «المغازي» (٣٦١)، «سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد» للصالحي (٦/ ١٨٦).

(٣) أهل ضرع: أي أهل ماشية وإبل، أي أهل البادية.

(٤) استوخموا المدينة: أي لم توافقهم وكرهوها لسُقم أصابهم.

ورَبَطُوهُم وأردَفُوهُم علىٰ الخيل حَتىٰ قدِموا بِهِمُ المَدينةَ.

فأمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بِهِمْ فَفَقَؤا أعيُنَهُمْ بمَسَامِيرَ مَحْمِيَّةٍ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وأرجُلَهم، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الحَرَّةِ[1] حَتَّىٰ مَاتُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ، وأَنزلَ اللهُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ قولَه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة:٣٣]، فَلَمْ يفْقَأ عَينًا بِمَساميرَ محْميَّةٍ بعدَ ذلكَ[2].

١٨- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَبلَ صُلحِ الحُدَيْبِيَةِ كَانَتْ سَرِيَّةُ الخَبَطِ علَى الرَّاجِحِ»[3].

بعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ أبَا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ في ثلاثِمائةِ رجلٍ منَ المهاجرينَ والأنصارِ، ليرصدُوا إبلًا لقريشٍ، وَزَوَّدَهُم جِرَابًا[4] مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَهم غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِيهم تَمْرَةً تَمْرَةً، فكان كلُّ واحدٍ يمصُّ تَمرتَه كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِيه يَوْمَه إِلَىٰ اللَّيْلِ، فأصابَهمْ جُوعٌ شديدٌ حتىٰ أَكَلوا الخَبَطَ[5]، فكانوا يَضْربُون الخبَطَ بِعِصيِّهم،

---

(١) **الحرة**: هي أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة، وإنما ألقُوا فيها؛ لأنها قرب المكان الذي فعلوا فيه ما فعلوا.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٩٢)، و«مسلم» (١٦٧١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٢/ ٩٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٢٤٨٣، ٢٩٨٣، ٤٣٦٠، ٤٣٦١)، «صحيح مسلم» (١٩٣٥)، «الصالحي» (٦/ ٢٧٥ - ٢٨٦)، «زاد المعاد» (٣/ ٣٢٥/ رجب).

(٤) **جربا**: أي وعاء من جلد.

(٥) **الخبط**: أي ما يسقط من ورق الشجر إذا ضربتها بالعصا.

ثم يبلُّونَه بالماءِ، فيَأكلونَه، فسمِّي جَيشُ الخَبَطِ، ونحرَ رجلٌ ثلاثَ جَزَائرَ[(١)]، ثم نحرَ ثلاثَ جزائرَ، ثمَّ نحرَ ثلاثَ جَزائرَ، ثم إنَّ أبا عُبيدةَ نهاهُ.

فانْطلقُوا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فألقَىٰ إليهمُ البحرُ حوتًا ضخمًا ميِّتا لم يُرَ مِثْلُهُ، فَأَتَوه فَإِذَا هُو العَنبرُ.

فقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ، فَكُلُوا.

فأكَلوا منها نصفَ شهرٍ حتَّىٰ سَمِنوا، وكانوا يَدَّهِنُونَ مِن دُهْنِها وشَحْمِها حَتىٰ رَجعتْ إليهِم قُواهم.

وكانوا يغترفُونَ الدُّهنَ منْ داخلِ عينِ الحُوتِ بالقِلالِ[(٢)]، ويقطَعُونَ منه القِطعَ مثلَ الثَّورِ.

وأخذَ أَبو عُبيدةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فأقعدَهُم في داخلِ عينِهِ، وأَخذَ ضِلعًا منْ أضلاعِه فَنَصَبَهُ، ثمَّ ركبَ أطولُ رَجلٍ منهُم أعظَمَ بَعيرٍ معهُم فمرَّ تحتَهُ.

وتزوَّدُوا مِن لحمِهِ إلىٰ المَدينةِ، فلمَّا قدِمُوا المدينةَ، أَتَوا رسولَ اللهِ ﷺ، فذكَروا له ذلكَ فقالَ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**»، فأرْسلُوا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ منه فأكَلَه[(٣)].

---

(١) **جزائر**: جمع جزور، وهو الناقة الفتية.

(٢) **القلال**: جمع قُلة، وهي الجرة الكبيرة التي يحملها بين يديه.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٣٦١، ٤٣٦٢، ٥٤٩٣)، و«صحيح مسلم» (١٩٣٥)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فائدة: سياق هذه السرية يدل علىٰ أنها كانت قبل الهدنة التي كانت مع قريشٍ، وقبل عمرةِ الحُديبية، فإن النبيّ ﷺ من حين صالَح أهل مكةَ بالحديبية لم يكن يرصد لهم عيرا، بل كان زمن أمنٍ وهدنةٍ إلىٰ حين فتح مكةَ. [**انظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٣٤٤)].

١٩- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْسٍ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ»[١].

وَفَدَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةُ رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ، فَأَسْلَمُوا، فَدَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ[٢].

٢٠- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بَنِي عَبْسٍ على الغَالبِ»[٣].

بَلغَ رَسولَ الله ﷺ أنَّ عيرًا لقريش أقبلتْ من الشام، فبعثَ إليهم بني عَبْسٍ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ كيف نَقْسِمُ غنيمةً إنْ أَصَبْنَاها ونحنُ تِسعةٌ قالَ: «**أَنَا عَاشِرُكُمْ**»[٤].

٢١- «وَفِي ذي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ فتحًا مُبِينًا»[٥].

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ذي القَعْدَةِ معتمِرًا، لا يريدُ حربًا، واستخلفَ علىٰ المدينةِ نُمَيلةَ بنَ عبدِ اللهِ الليثيَّ، واستنفَرَ العَربَ ومَنْ حولَهُ منْ أهلِ البوادِي مِنَ الأعرابِ؛ ليَخْرُجُوا معَهُ؛ لأنَّه يخْشَىٰ منْ قُريشٍ أن يَعرِضُوا لهُ بحربٍ، أو يصدُّوه عنِ البيتِ، فأبطَأَ عَليهِ كثيرٌ منَ الأعرابِ، وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ بمَن معهُ منَ المهاجرينَ والأنصارِ ومنْ لحِقَ به مِنَ العربِ، وساقَ معهُ الهَدْيَ، وأحرمَ بالعُمرةِ؛ ليأمَنَ المشركونَ منْ حَربِهِ، وليَعلمُوا أنَّه إنَّما خرجَ زائرًا لهذا البيتِ ومعظِّما لهُ.

---

(١) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٦٦).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٩٥).

(٣) «طبقات» (١/ ٢٥٦)، «أسد الغابة» (٤/ ٤٢٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٦٧).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٢٩٦)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٨٨)، و«سبل الهدىٰ والرشاد» (٦/ ٣٧٥)،

(٥) «طبقات» (٢/ ٩١)، «صحيح البخاري» (١٦٩٥، ٢٧٣٤، ٤١٧٩، ٤١٨١)، «الكامل» (٢/ ٨٦)، الذهبي (٣٦٣)، «المصادر الأصلية» (٤٨١).

وكانَ عَددُ المسلمينَ الذينَ خرجُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ ألفًا وأَرْبَعمِائَةٍ.

فلمَّا كانُوا بذِي الحُلَيفَةِ قلَّدَ[١] رسولُ اللهِ ﷺ الهَدْيَ وأشعَرَه[٢]، وأحرَم بالعُمْرَةِ[٣].

قريشٌ تَسمَعُ بمقدَمِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتتَجَهَّزُ لمُلاقَاتِهِ:

وبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أمامَهُ رجُلًا يُخبِرُه عن قُريش، حتَّىٰ إذا كان قريبًا منْ عُسْفَانَ[٤] أتاهُ هذا الرجلُ فقالَ: يا رسولَ اللهِ هذِه قريشٌ قد سمِعتْ بمَسِيرِك، فخرجُوا مَعهُم العُوذُ المطَافِيلُ[٥]، وجمعُوا لكَ جموعًا، قد لبِسُوا جُلودَ النُّمُورِ[٦]، وقدْ نزلُوا بذِي طُوًىٰ[٧]، وهم مقاتِلُوكَ وصادُّوكَ عن البيتِ ومانِعُوكَ، يعاهِدونَ اللهَ لا تدْخُلُها عليهِم أبدًا، وهذا خالدُ بنُ الوليدِ في خَيلِهِم قد قدَّمُوهَا إلىٰ كُرَاعِ الغَميمِ[٨].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَستَشيرُ أصحابَهُ:

استَشارَ النبي ﷺ أصْحابَه، وقالَ: «**أَتَرَونَ أنْ نَمِيلَ إلىٰ ذَرَارِيِّ**

---

(١) **قلد**: أي علق في عنقها شيء؛ ليعلم أنها هدي.

(٢) **أشعره**: أي طعن في سنامها بحيث سال دمها؛ ليكون علامة للهدي.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٥٤)، و«صحيح مسلم» (١٨٥٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٤) **عسفان**: مكان قريب من مكة.

(٥) **معهم العوذ المطافيل**: أي أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها، ولا يرجعون حتىٰ يقاتلوا رسول الله ﷺ، ويمنعوه من الدخول إلىٰ مكة. والعوذ: هي النوق التي ولدت حديثًا فهي ذات لبن. والمطافيل: هي النوق التي معها أولادها وأصله الأمهات التي معها أطفالها.

(٦) **لبسوا جلود النمور**: هذا مَثَلٌ يُكْنَىٰ به عند إظهارِ العدَاوَة.

(٧) **بذي طوىٰ**: أي بالقرب من مكة.

(٨) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٧).

هؤلاءِ الذينَ أَعانُوهم فَنُصِيبَهُم، فإنْ قَعَدُوا قعدُوا موتُورينَ محْروبينَ[١]، وإنْ يجيئُوا تكنْ عُنقًا قطعَهَا اللهُ، أمْ تَرونَ أنْ نَؤمَّ البَيتَ، فمَنْ صَدَّنَا عنْهُ قَاتَلْنَاهُ؟».

فقال أبو بكرٍ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، إنَّما جِئنا مُعْتمِرينَ، ولم نَجِئْ لقتالِ أحدٍ، ولكن مَن حالَ بينَنا وبينَ البيتِ قَاتَلْنَاهُ.

فقالَ النبيُّ ﷺ: «**فَرُوحُوا إذًا**»، فرَاحُوا[٢].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يتجنَّبُ قتالَ قريشٍ:

ثم قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرَجُ بِنَا عَلَىٰ طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا؟**».

فقالَ رجلٌ: أَنا يا رسولَ اللهِ، فسلكَ بهم طريقًا وَعْرًا كَثيرَ الحجارةِ بينَ شِعابٍ.

فقالَ: اسْلُكُوا ذاتَ اليمينِ، فَسلكَ الجيشُ ذلكَ الطريقَ، حتىٰ إذا كانُوا ببعضِ الطَّريقِ، قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[٣] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ[٤]، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ**».

فلمَّا رأَتْ خيلُ قريشٍ قَتَرَةَ الجيشِ[٥] قدْ خالفُوا عن طريقِهم، رَجعَ خالدٌ ومنْ معهُ رَاكِضِينَ[٦] نذيرًا إلىٰ قريشٍ.

---

(١) **موتورين محروبين**: أي مسلوبين منهزمين.

(٢) **انظر**: «مسند أحمد» (١٨٩٢٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٧).

(٣) **الغميم**: مكان قريب من الحديبية، والحديبية: مكان قريب من مكة.

(٤) **طليعة**: أي في مقدمة الجيش.

(٥) **قترة الجيش**: أي الغبار الأسود الذي أثارته حوافر خيل الجيش.

(٦) **راكضين**: أي يضربون بأرجلهم علىٰ دوابهم؛ لاستعجالها في السير.

وسارَ النبيُّ ﷺ حتىٰ إذا كانَ بالثَّنِيَّةِ(١) التي يَهبِطُ عَليهِم منهَا بَرَكَتْ بِهِ راحِلَتُه، فقالَ الناسُ: حَلْ حَلْ(٢).

فألحَّت(٣)، فقالُوا: خَلأَتِ(٤) القَصْوَاءُ(٥)، خَلأَتِ القَصْوَاءُ.

فقالَ النبيُّ ﷺ: «**مَا خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ(٦)، وَلَكِنْ حَبَسَهَا(٧) حَابِسُ الفِيلِ(٨)**».

ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً(٩) يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**».

ثُمَّ قالَ: «**والذِي نَفْسي بِيدِه لا يَسألُوني خُطَّةً يُعظِّمُونَ فيهَا حُرُمَاتِ اللهِ(١٠) إِلَّا أَعْطَيتُهُم إِيَّاهَا**».

ثم زَجَرَها فوَثبتْ به، فَعدَل عَنهُم(١١) حَتىٰ نزَلَ بأَقْصَىٰ الحُديبيةِ(١٢)

---

(١) **بالثنية**: هي الطريق في الجبل، وقيل: هي موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

(٢) **حلْ حلْ**: صوت تزجر به الدابة لتحمل علىٰ السير.

(٣) **فألحت**: لزمت مكانها ولم تنبعث.

(٤) **خلأت**: أي حزنت، وتصعبت.

(٥) **القصواء**: من القصو، وهو قطع طرف الأذن سميت به ناقة رسول الله ﷺ؛ لأن طرف أذنها كان مقطوعا.

(٦) **بخلق**: أي بعادة.

(٧) **حبسها**: أي منعها من السير، ودخول مكة.

(٨) **حابس الفيل**: أي الله تعالىٰ الذي حبس الفيل حين جيء به لهدم الكعبة.

(٩) **خطة**: أي حالة، وقضية.

(١٠) **يعظمون فيها حرمات الله**: أي يكفون فيها عن القتال تعظيما لحرم الله تعالىٰ.

(١١) **فعدل عنهم**: أي ولىٰ راجعا.

(١٢) **حديبية**: تصغير حدباء، سميت بذلك؛ لوجود شجرة حدباء في هذا الموضع بعضها في الحِل وبعضها في الحرم، وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت، وهي الموضع الذي صد فيه المشركون رسول الله ﷺ عن زيارة البيت.

علىٰ حُفْرةٍ فيها ماءٌ قليلٌ، وجعلَ الناسُ يأخذونَ مِن مَائِها قليلًا قليلًا، فلمْ يَتركْهُ الناسُ حتَّىٰ نزَحُوهُ، فَشكَوا إِلىٰ رسولِ الله ﷺ العَطشَ، فانتزعَ سهْمًا مِنْ كِنانَتِهِ ثمَّ أمرَهُم أن يجعلُوه فيه، فمَا زالَ يفورُ لهُمْ بالماءِ حتىٰ رَجعُوا عنْه[١].

بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ ورجالٌ مِن خُزَاعَةَ رُسُلٌ بينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقريشٍ، وتَتابعُ رُسلِ قُريشٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ:

لمَّا اطْمأنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ أتاهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ في نَفرٍ مِن خُزَاعَةَ، وكانُوا مَحَلَّ نُصحِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فقالَ: إني تَركتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نزلوا أعْدادَ مِياهِ[٢] الحُدَيبيةِ معهم العُوذُ المطَافِيلُ، وهم مقاتِلُوك وصادُّوكَ عن البيتِ، فمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ[٣] الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً[٤]، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ[٥]: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا[٦]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي**

---

(١) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٧٣١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٩-٣١٠).

(٢) **أعداد**: جمع عِدّ، وهو الماء الذي لا انقطاع لمادّته كالعين والبئر، وفيه أنه كان بالحديبية مياه كثيرة وأن قريشًا سبقوا إلىٰ النزول عليها، ولذا عطش المسلمون.

(٣) **نهكتهم**: أي أضعفت قوتهم، وأموالهم، وأهزلتهم.

(٤) **مادتهم مدة**: أي جعلت بيني وبينهم مدة صلح، وهدنة.

(٥) **أظهر**: أي غلبت عليهم. وهذا ليس شكًّا في وعد الله أنه سينصره ويظهره بل علىٰ طريق التنزيل وفرض الأمر علىٰ ما زعم الخصم.

(٦) **جموا**: أي استراحوا من جهد الحرب.

نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَىٰ أَمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[١]، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ».

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

فانطلق حتىٰ أتىٰ قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نَعرِضه عليكم فعلنا.

فقال سفهاؤهم: لا حاجةَ لنَا أنْ تخبرنا عنه بشيء.

وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ.

قال: سمعتُه يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال النبي ﷺ.

فَاتَّهَمُوهُ وَخَاطبوه بما يكرهُ، وَقَالُوا: وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَوَ اللهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا، وَلَا تَحَدَّثَ بِذَلِكَ عَنَّا الْعَرَبُ.

فقام عُروةُ بن مسعودٍ فقال: يَا قومِ، ألستُم بالوالد[٢]؟.

قالوا: بَلىٰ.

قال: أَوَلَسْتُ بالولدِ[٣]؟.

قَالُوا: بَلَىٰ.

قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟.

قالوا: لَا.

قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا[٤] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بأهلي وولدي ومن أطاعني؟.

---

(١) تنفرد سالفتي: أي حتىٰ ينفصل مقدم عنقي، أي حتىٰ أقتل.

(٢) بالوالد: أي مثل الوالد في الشفقة والمحبة.

(٣) بالولد: أي مثل الولد في النصح لوالده.

(٤) بلحوا: أي امتنعوا.

قَالُوا: بَلَىٰ.

قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ[١]، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ.

قَالُوا: ائْتِهِ.

فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ.

فَقَالَ عُرْوَةُ عِندَ ذَلِكَ: يَا مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ[٢]، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ[٣] أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَىٰ، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَىٰ وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَىٰ أَوْشَابًا[٤] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا[٥] أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ[٦]، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟.

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟

قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ.

قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ[٧] لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا[٨] لَأَجَبْتُكَ.

---

(١) **خطة رشد**: أي خصلة خير، وصلاح، وإنصاف.

(٢) **استأصلت أمر قومك**: أي استهلكتهم بالكلية.

(٣) **اجتاح**: أي أهلك.

(٤) **أشوابا**: أي أخلاطا.

(٥) **خليقا**: أي حقيقا.

(٦) **امصص ببظر اللات**: البظر قطعة لحم بين جانبي فرج المرأة، وكان من عادة العرب أن يقولوا لمن يسبونه: امصص بظر أمه، فاستعار أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك في اللات لتعظيمهم إياها فقصد المبالغة في سبه، واللات اسم لصنم من أصنام قريش.

(٧) **يد كانت لك**: أي نعمة لك علي.

(٨) **لم أجزك بها**: أي لم أكافئك عليها.

وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ(١)، فَكُلَّمَا أَهْوَىٰ عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَىٰ لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ(٢) ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ(٣)، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ(٤)، أَلَسْتُ أَسْعَىٰ فِي غَدْرَتِكَ؟.

وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**(٥)».

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ(٦) أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ(٧) رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ(٨)، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ

---

(١) **المغفر**: أي ما يوضع علىٰ الرأس تحت الخوذة، ويسدل علىٰ الوجه ليحميه من ضربات السلاح.

(٢) كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان النبي يُغْضي لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفا، والمغيرة يمنعه إجلالا للنبي وتعظيما.

(٣) **بنعل السيف**: أي أسفل السيف.

(٤) **غدر**: صيغة مبالغة من الغدر.

(٥) **فلست منه في شيء**: أي لا أتعرض له لكونه أخذه غدرا.

(٦) **يرمق**: أي يلحظ.

(٧) **تنخم**: أي أخرج نخامة، وهي ما يخرج من الصدر إلىٰ الفم.

(٨) **ابتدروا أمره**: أي أسرعوا في تلبيته، وتنفيذه.

عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ[١] النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ، وَكِسْرَىٰ، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ**[٢]، **فَابْعَثُوهَا**[٣] **لَهُ**».

فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ[٤]، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ[٥] وَأُشْعِرَتْ[٦]، فَمَا أَرَىٰ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.

---

(١) **يحدون**: أي لا يتأملونه، ولا يديمون النظر إليه.

(٢) **يعظمون البُدن**: أي يعظمون ما أهدي إلىٰ البيت احتراما للبيت، وليسوا ممن يستحلها. والبُدن: هي من الإبل، والبقر.

(٣) **فابعثوها**: أي أثيروها أمامه.

(٤) **يلبون**: أي بالعمرة.

(٥) **قلّدت**: أي عُلِّق في عنقها شيء؛ ليعلم أنها هدي.

(٦) **أشعرت**: أي طُعن في سنامها بحيث سال دمها؛ ليكون علامة للهدي.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ**[(١)]»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِبُدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ[(٢)].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرسلُ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَفيرًا لقُريشٍ:

أحبَّ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يَبعثَ إلىٰ كفارِ قريشٍ رجلًا من أصحابِه يخبرُهُم بأنَّه ما جاءَ إلا للعُمرةِ، فدعَا عُمرَ بنَ الخَطَّابِ؛ ليبعثَه إليهِم، فقالَ: يا رسولَ اللهِ ليسَ لي بمكةَ أحدٌ من بَني كَعبٍ يَغضبُ لي إنْ أُوذِيتُ، فأَرْسلْ عُثمانَ بنَ عفانَ فإنَّ عَشِيرتَه بهَا، وإنَّه مُبَلِّغٌ ما أردتَ.

فدَعَا رسولُ اللهِ ﷺ عُثمانَ بنَ عَفان فأرسلهُ إلىٰ قريشٍ، وقالَ: «**أخبِرْهُم أنَّا لم نأتِ لِقتالٍ، وإنَّما جِئْنا عُمَّارًا، وادعُهُم إلىٰ الإسلام، وأمرَه أن يأتيَ رجالًا بمكَّةَ مؤمنينَ ونساءَ مؤمناتٍ فيدخلَ عليهم، ويبشِّرُهُم بالفتحِ، ويخبرهم أن الله عَزَّوَجَلَّ مُظْهِرٌ دينَه بمكة، حتىٰ لا يُستَخْفَىٰ فيها بالإيمان**»[(٣)].

فانطلقَ عُثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولقيَهُ أبَانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ فرحَّبَ به وأَسْرَجَ[(٤)] فرسَه، فحَمَلَ عثمانَ علىٰ الفَرسِ، وأجارَهُ حتىٰ بلَّغَ رسالةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأردَفهُ أبانُ حتَّىٰ جاءَ مكَّةَ.

---

(١) **فاجر**: أي غادر؛ لأنه كان مشهورا بالغدر.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١١-٣١٤).

(٣) **انظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٢٥٨).

(٤) **أسرج**: أي وضع السرج، وهو ما يجلس عليه فوق الدابة.

فَانطلقَ عُثمانُ حتَّىٰ أتىٰ أبا سُفيانَ وعُظماءَ قُريشٍ، فقَالوا: أينَ تُريدُ؟.

فقال: بعثَني رسولُ اللهِ ﷺ أدْعُوكُم إلىٰ اللهِ وإلىٰ الإسْلامِ، وأخبرُكُم أنَّا لمْ نأتِ لقتالٍ، وإنَّما جِئنَا عُمَّارًا.

فقالوا: قد سمِعنَا ما تقولُ، فانفُذْ لحَاجتِكَ، وإنْ شِئتَ أنْ تَطوفَ بالبيتِ فطُفْ.

فقالَ: ما كنتُ لأفعلَ حتىٰ يطوفَ به رسول الله ﷺ.

وقالَ المُسلمونَ قبلَ أن يرجِع عُثمانَ: خَلَصَ عثمانُ قَبْلَنَا إلىٰ البَيتِ، وطافَ بهِ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما أَظُنُّه طافَ بالبيتِ ونحنُ محْصُورُونَ**[1]».

فقالُوا: وما يمنعُهُ يا رَسولَ الله وقد خَلَصَ؟.

قال: «**ذاكَ ظَنِّي به أَلَّا يطوفَ بالكعبةِ حتَّىٰ نطوفَ معهُ**»[2].

قريشٌ ترسلُ نفرًا للعُدوانِ على رسولِ اللهِ ﷺ، وإشاعَةُ مقتلِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثمَّ إنَّ قريشًا بعثوا أربعينَ رجلًا، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا، فرمَىٰ رجلٌ منْ أَحدِ الفَريقينِ رجلًا منَ الفريقِ الآخرِ، وترامَوا بالنَّبلِ والحِجَارةِ، وكانتْ مَعركةً، فأُتيَ بهِمْ إِلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فعَفَا عنهُم، وخَلَّىٰ سبيلَهُم.

وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ عُثمانَ قدْ قُتِلَ[3].

---

(١) **محصورون**: أي ممنوعون من دخول الحرم.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٤-٣١٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٩).

٢٢- «وَفِي الحُدَيْبِيَةِ كَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحتَ الشَّجَرَةِ»[(١)].

لمَّا أُشيع مَقتلُ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**لَا نَبرَحُ حَتَّىٰ نُنَاجِزَ القَومَ**»، فدعَا رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ البَيْعةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَبايَعَ المسلمونَ رسولَ اللهِ ﷺ وهُو تحتَ الشجرةِ عَلىٰ ألا يَفِرُّوا، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمَوْتِ.

وأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِ نفسِه، وقالَ: «**هذِه عنْ عُثمَانَ**».

وكانَ أولَ مَنْ بايعَ رسُولَ اللهِ ﷺ أبو سِنَانٍ الأسديُّ، وبايَعَه سَلمةُ بنُ الأكْوعِ ثلاثَ مَرَّاتٍ في أولِ الناسِ، وأوسطِهِم، وآخرِهِم.

ولما تمَّتْ البيعةُ رجعَ عثمانُ فقالَ له المُسلِمونَ: اشتَفَيتَ يا أبَا عبدِ اللهِ منَ الطَّوافِ بالبيتِ؟.

فقالَ: بئسَ مَا ظنَنتُم بي، والذِي نفْسي بيدِه لو مَكَثتُ بها سَنةً، ورسولُ اللهِ ﷺ مُقيمٌ بالحديبيةِ ما طُفتُ بها حتَّىٰ يطوفَ بها رَسولُ اللهِ ﷺ، ولقدْ دَعَتْني قُريشٌ إلىٰ الطوافِ بالبيتِ فأبيتُ.

فقال المُسلمونَ: رسولُ اللهِ ﷺ كانَ أعلمَنَا باللهِ وأحْسَنَنَا ظنًّا[(٢)].

وسُميت ببيعةِ الرِّضوانِ؛ لقولِه تَعالىٰ فيها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨][(٣)].

وقد أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ بأنَّه لنْ يدخل النارَ أحدٌ من أهل بيعة

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ٩٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٥-٣١٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٧٨).

الرضوان: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(١).

كمَا أخبرَ ﷺ «**أنهم خيرُ أهلِ الأرضِ**»(٢).

عَقْدُ الصُّلْحِ:

ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامه هَذَا، فو الله لَا تُحَدِّثُ الْعَرَبُ عَنَّا أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا.

فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، قَالَ: «**قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ، لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**».

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**».

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو**».

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩٦)، عن أم مبشِّر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ»، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَىٰ أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ».

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً(١)، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَىٰ المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟(٢).

بُنودُ الصُّلحِ:

جرَىٰ الصلحُ بينَ المسلمينَ، وأهلِ مكةَ علىٰ:

١- وضعُ الحَربِ بينَهُمْ عشرَ سنينَ.

٢- وأنْ يأمنَ الناسُ بعضُهُم من بعضٍ.

٣- وأنْ يرجعَ النبيُّ ﷺ عَنْهم عامَه ذلكَ، حتىٰ إذا كانَ العامُ المُقبلُ قَدِمَها وخلَّوا بينَه وبينَ مكةَ فَيُقيمُ بِها ثلاثا.

٤- وأنْ لا يدخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ إلا بسلاحِ الراكبِ والسُّيُوفُ في القُرُبِ.

---

(١) ضغطة: أي مفاجأة، وقهرا.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٦-٣١٧).

٥- وأنَّ مَن أتانَا من أصحابِك لم نردَّهُ عليكَ، ومَن أتاكَ من أصحابِنا رَدَدْتَهُ عَلَينَا.

٦- وأنَّه لَا سَرِقةَ، ولا خِيانةَ.

فقَالَ الصَّحَابةُ: يا رسولَ اللهِ، نُعْطيهِم هَذا؟.

فَقالَ: «**مَن أتاهم منَّا فأبعدَه اللهُ، ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجا ومخرجا**»(١).

أبو جَنْدلِ بنُ سُهيلٍ يَأتي رسولَ اللهِ ﷺ بقيودِهِ مِنْ مكةَ، ويأْبى الكفارُ إلَّا ردَّهُ:

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ(٢) فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّىٰ رَمَىٰ بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ**».

قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**».

قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ.

قَالَ: «**بَلَىٰ فَافْعَلْ**».

قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.

قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ.

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَىٰ المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٧-٣١٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٦٦).

(٢) يرسف: أي يمشي مشيا بطيئا بسبب القيود.

مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟، أَأُرَدُّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟، وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ[1].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ**».

فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ يَمْشِي إِلَىٰ جَنْبِهِ، وَيَقُولُ: اصْبِرْ يَا أَبَا جَنْدَلٍ، فَإِنَّمَا هُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ، وَيُدْنِي قَائِمَ السَّيْفِ مِنْهُ.

يَقُولُ عُمَرُ: رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبُ بِهِ أَبَاهُ، فَضَنَّ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ، وَنَفَذَتِ الْقَضِيَّةُ[2].

عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْكرُ الصُّلحَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟.

قَالَ: «**بَلَىٰ**».

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ البَاطِلِ.

قَالَ: «**بَلَىٰ**».

قُلْتُ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟.

قَالَ: «**بَلَىٰ**».

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٨-٣١٩).

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟.

قَالَ: «**يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا**».

قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: «**بَلَىٰ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ**».

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**».

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟.

قَالَ: بَلَىٰ.

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ البَاطِلِ؟.

قَالَ: بَلَىٰ.

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[1] فِي دِينِنَا إِذًا؟.

قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[2]، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ، وَنَطُوفُ بِهِ؟.

قَالَ: بَلَىٰ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟.

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

---

(١) **الدنية**: أي النقيصة، والمذلة.

(٢) **استمسك بغرزه**: أي تمسك بأمره، ولا تخالفه.

قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا[١]، فمَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأَصُومُ وَأُصَلِّي وَأُعْتِقُ، مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ! مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ، حَتَّىٰ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا[٢].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يأمرُ أصحابَه بالنَّحرِ، والحَلقِ؛ ليتحلَّلوا عنِ العُمرةِ:

فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كتَابةِ العقدِ، والإشهادِ عليهِ قالَ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**».

فَمَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّىٰ تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ.

فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا من شِدَّةِ الازْدِحَامِ علىٰ النَّحْرِ والحَلْقِ[٣].

رَسُولُ اللهِ ﷺ يأبى ردَّ النساءِ المؤمناتِ المُهاجراتِ:

ثُمَّ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ من مكةَ مُهاجراتٍ بعد انْعِقَادِ العَقدِ، فأبىٰ رسولُ الله ﷺ ردَّهُنَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ

---

(١) **فعملت لذلك أعمالا**: أي أعمالًا صالحة؛ ليكفر الله عنه ما مضىٰ من التوقف في الامتثال ابتداءً.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٧٣١، ٣١٨٢)، من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [الممتحنة:١٠]، فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَىٰ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ(١).

رسولُ اللهِ ﷺ يُبطلُ عَقِيدةَ المُشركينَ بأنَّ المَطرَ يَنزلُ بواسطةِ النَّجْمِ:

بَينَما المُسْلِمُونَ فِي الحُدَيْبِيَةِ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمُ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَقَالَ: «**قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللهِ، وَبِرِزْقِ اللهِ، وَبِفَضْلِ اللهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي**»(٢).

مَجيءُ أبي بَصيرٍ إلى رسولِ اللهِ، وبهِ تَنفكُّ أزمةُ المُسْتَضْعَفينَ:

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ المَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا(٣)، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ الرَّجُلَيْنِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٤٧)، ومسلم (٧١)، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **العهد الذي جعلت لنا**: أي نطالبك بالوفاء بالعهد الذي أعطيته لنا، وهو أن ترد إلينا من جاءك منا، ولو كان مسلمًا.

فَخَرَجَا بِهِ حَتَّىٰ بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَىٰ سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ[١] الآخَرُ.

فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَبُو بَصِيرٍ مِنَ السَّيفِ، قَتَلَ أَحَدَهُمَا، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّىٰ أَتَىٰ المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: «**لَقَدْ رَأَىٰ هَذَا ذُعْرًا**[٢]».

فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ[٣].

فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ وَاللهِ أَوْفَىٰ اللهُ ذِمَّتَكَ[٤]، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْلُ أُمِّهِ**[٥] **مِسْعَرَ حَرْبٍ**[٦]، **لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**[٧]».

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ سِيفَ البَحْرِ[٨].

---

(١) **فاستله**: أي أخرجه من غمده.

(٢) **ذعرا**: أي فزعًا وخوفًا.

(٣) **وإني لمقتول**: أي سيقتلني إن لم تردوه عني.

(٤) **قد والله أوفى الله ذمتك**: أي ليس عليك عتاب منهم فيما صنعت أنا.

(٥) **ويل أمه**: الويل العذاب، وهي كلمة أصلها دعاء عليه، ولكنها استعملت هنا للتعجب من عمله.

(٦) **مسعر حرب**: أي محرك لها وموقد لنارها، والمسعر في الأصل العود الذي تحرك به النار.

(٧) **لو كان له أحد**: أي لو وجد معه أحد ينصره ويعاضده.

(٨) **سيف البحر**: أي ساحله.

وفَرَّ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ(١)، فَمَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ(٢) خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَىٰ الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ(٣) أَنْ يُرْسِلَ إِلَىٰ أَبِي بَصِيرٍ وَأَصْحَابِهِ بِالامْتِنَاعِ عَنْ إِيذَاءِ قُرَيْشٍ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ.

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح:٢٤-٢٦]، وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ(٤).

تفسير الآيات: هَذَا امْتِنَانٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ كَفَّ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ سُوءٌ، وَكَفَّ أَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمْ يُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، بَلْ صَانَ

---

(١) **عصابة:** أي جماعة أربعون فما فوق.

(٢) **بعير:** أي بخبر عير، وهي القافلة من الإبل المحملة بالبضائع والأموال.

(٣) **تناشده بالله، والرحم:** أي يسألونه بحق الله تعالىٰ، وبحق القرابة بينهم وبينه.

(٤) **صحيح:** رواه البخاري (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كُلًّا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَأَوْجَدَ بَيْنَهُمْ صُلْحًا فِيهِ خيرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَاقِبَةٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

هؤلاءِ المُشركونَ منْ قُريشٍ هُمُ الذِين جحدَوا توحيدَ اللهِ، وصدُّوكُم عنْ دخولِ المسجدِ الحرامِ، وأنتُم أحقُّ بِه، وأنتُم أهلُه في نفسِ الأمرِ، وصدُّوا الهَدْيَ أنْ يَصلَ إلىٰ محلِّ نحرِه وهُو الحَرمُ، وهذَا من بَغْيِهم وعنادِهم، وكانَ الهَدْيُ سَبعِينَ بَدَنةً.

ولَولا رِجَالٌ مُؤمنونَ ونساءٌ مُؤمِناتٌ بينَ أظهُرِهم ممَّن يَكْتُم إيمانَهُ، وَيُخْفِيهِ مِنْهُمْ خِيفَةً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، لَكُنَّا سَلَّطناكُمْ عَلَيْهِمْ فَقَتَلْتُمُوهُمْ، وَلَكِنْ بَيْنَ أَفْنَائِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَقْوَامٌ لَا تَعْرِفُونَهُمْ حَالَةَ الْقَتْلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ أَيْ: إِثْمٌ وَغَرَامَةٌ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أَيْ: يُؤَخِّرُ عُقُوبَتَهُمْ لِيُخَلِّصَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَرْجِعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ قالَ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أَيْ: لَوْ تَمَيَّزَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ لَسَلَّطْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ فَلَقَتَلْتُمُوهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا.

وَقولُه: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾، وذلكَ حينَ أبَوا أنْ يَكْتُبُوا «**بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ**»، وأبَوا أنْ يَكتُبوا: «**هذا ما قاضىٰ عليهِ محمدٌ رسولُ اللهِ**»، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وهي قولُ: «**لا إله إلا اللهُ**»، وكانَ المسلمونَ أحقَّ بِها، وكانُوا أهْلَهَا [1].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٣٦-٢٥٦)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٤٢-٣٤٦).

بعضُ الحِكَمِ التي تَضمَّنها صُلحُ الحُدَيبيةِ:

١- أنه كان مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجا.

٢- أنه كان من أعظم الفتوح؛ فإن الناس أمن بعضهم بعضا، واختلط المسلمون بالكفار، وبادءوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن، وظهر من كان مختفيا بالإسلام، ودخل فيه من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله فتحا مبينا[1].

ممَّا يُستفاد ممَّا سبقَ:

١- أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن النبي ﷺ اتخذ عَينًا كافرا إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلىٰ اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم.

٢- أن أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو.

٣- استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه.

٤- رد الكلام الباطل، ولو نسب إلىٰ غير مكلف، فإنهم لما نسبوا إلىٰ الناقة ما ليس من خلقها، وطبعها بقولهم: «**خلأت القصواء**»، رده عليهم، فقال: «**ما خَلأتْ وما ذاك لها بخُلُقٍ**».

٥- إذا طلب المشركون ونحوهم أمرا يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالىٰ، أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه.

٦- جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو، إذا رأىٰ المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك علىٰ أن يكون ابتداء الطلب منهم.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

٧- في قول الصدِّيق لعروة: «**امصُصْ بظْرَ اللَّات**»، دليل علىٰ جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال.

٨- طهارة النخامة التي تخرج من الفم.

٩- طهارة الماء المستعمل.

١٠- استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المكروهة؛ لقوله ﷺ لما جاء سهيل: «**سهُل أمركم**».

١١- أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم علىٰ المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلىٰ المفسدتين باحتمال أدناهما.

١٢- أن المحصَر ينحر هديه حيث أحصر من الحل أو الحرم.

١٣- أن المُحصَر لا يجب عليه القضاء؛ لأنه ﷺ أمرهم بالحلق والنحر، ولم يأمر أحدا منهم بالقضاء.

١٤- أن الأمر المطلق علىٰ الفور؛ لأن النبي ﷺ غضبَ؛ لتأخيرهم الامتثال عن وقت الأمر[١].

٢٣- «وَفِي مَرْجِعِهِمْ مِنَ الحُدَيْبِيةِ عندَ ضَجْنانِ نَزَلَتْ سورَةُ الفَتحِ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهَنَّأهُ المُسْلمونَ»[٢].

أُنْزِلَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١-٢] فِي مَرْجِعِهِ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، وَأَصْحَابُهُ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ**

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٧-٢٧٣).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ٩٤).

إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»، ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالُوا: هَنِيئًا مَرِيئًا[١] يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ مَاذَا يُفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يُفْعَلُ بِنَا؟.

فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح:٥][٢].

فَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ عُمَرَ إِلَىٰ آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[٣].

قَالَ البَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ[٤].

٢٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: نَزَلَ فَرْضُ الحَجِّ»[٥].

الحجُّ أحدُ أركانِ الإسلام وقواعِدِهِ، أَجمعَ المسلمونَ علىٰ ذلكَ، وإنما يجبُ علىٰ المُكَلَّفِ في العمرِ مرةً واحدةً بالنصِّ والإجماعِ[٦].

فرضَ اللهُ علىٰ الأمةِ الإسلاميةِ حجَّ البيتِ مَن استطاعَ إليهِ سبيلًا، لِيجتمعَ المسلمونَ من جميعِ الأقطارِ، فيتَّجِهوا إلىٰ اللهِ ويبْتهِلُوا إليه أنْ يؤيدَهُم بنصرِه ويُعِينَهُم علىٰ اتباعِ دينِهِ القويمِ، وفي ذلكَ مِن تقويةِ

---

(١) هنيئا مريئا: الْهَنِيءُ: كلّ ما لا يلحق فيه مشقّة، ولا يعقب وخامة. والمريء: المحمود العاقبة الذي لا داء فيه، وهما في الأصل لما يؤكل ويشرب ويستعاران للمعاني كما هنا.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٦)، والترمذي (٣٢٦٣)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٣٦٣٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣١٨٢)، عن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤١٥٠).

(٥) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٠٢)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٠).

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨١).

الرابطةِ، واتحادِ القلوبِ ما فيه للمسلمينَ الفائدةُ العُظمىٰ[١].

ولا خلافَ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يحجَّ بعدَ هجرتِه إلىٰ المدينةِ سِوىٰ حَجةٍ واحدةٍ وهي حجةُ الوداعِ، ولا خَلافَ أنَّها كانتْ سنةَ عشرٍ[٢].

وقد حَجَّ ﷺ قبلَ الهِجرَةِ أكثرَ مِن مَرَّةٍ عَلَىٰ الصَّحِيحِ؛ لأنَّه كانَ ﷺ يخرجُ لَيالِيَ المَوسِمِ يَدعُو الناسَ إلىٰ اللهِ تعَالىٰ[٣].

ونزلَ قولُه تعَالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦][٤].

ومتَّىٰ وَجبَ الحجُّ علىٰ مسلمٍ وجبَ عليهِ أن يُسَارِعَ إليهِ؛ لقولِ اللهِ تعَالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، والأمرُ عَلىٰ الفورِ[٥].

ولقولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ»[٦].

٢٥- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: حُرِّمَتِ المُسلِماتُ علَى المشركينَ»[٧].

وذلكَ تخصيصًا لعمومِ ما وقعَ به الصلحُ عامَ الحديبيةِ علىٰ أنَّه: لا يأتِيك منَّا أحدٌ وإنْ كانَ علَىٰ دِينكَ إلا رَدَدْتَهُ علينَا، فنزلَ قولهُ تعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ

---

(١) انظر: «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين»، صـ(١٥٦).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٩٦).

(٣) انظر: «الفصول في السيرة»، لابن كثير، صـ(٢٢٧).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٩٦).

(٥) انظر: «المغني»، لابن قدامة (٥/ ٣٦-٣٨).

(٦) حسن: رواه أبو داود (١٧٣٢)، وابن ماجه (٢٨٨٣)، وأحمد (١٨٣٤)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٩٩٠).

(٧) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٠٢).

أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

[الممتحنة: ١٠][(١)].

فهذه الآيةُ هيَ التي حَرَّمتِ المسلماتِ علىٰ المشركينَ، وقد كانَ جائزًا في ابتداء الإسلام أن يتزوَّجَ المشركُ المُؤمنةَ[(٢)].

٢٦- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: أَرسَلَ رسولُ اللهِ ﷺ كُتبًا إِلى ملوكِ العَالمِ يَدْعُوهُم فيْهَا إِلى الإسلامِ»[(٣)].

لمَّا رجعَ النبيُّ ﷺ منَ الحديبيةِ، وهدأتِ الأحوالُ، وجدتِ الدعوةُ الإسلاميةُ متنفَّسًا ومجالًا للتقدُّم، فكتبَ رسولُ الله ﷺ كتبًا إلىٰ ملوكِ العالمِ وأمراءِ العربِ، وكتبَ إلَىٰ كِسْرَىٰ، وإلىٰ قَيصرَ، وإلىٰ النجاشِيِّ[(٤)]، وإلَىٰ كلِّ جَبارٍ يدعُوهُم إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإلىٰ سبيل ربِّه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ[(٥)]، واهتمَّ اهتمامًا كبيرًا، فاختارَ لكلِّ واحدٍ مِنهمْ رسولًا يليقُ به، ويعرفُ لغتَه وبلادَهُ[(٦)].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»، لابن كثير (٦/ ٢٤٧).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٩٣).

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد حيث ذكر فيها أكثر من خمسين كتابًا للرسول ﷺ (١/ ٢٢٢-٢٥٢)، «الكامل» (٢/ ٩٧)، «البداية والنهاية» (٤/ ٢٠٣)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٥١٣).

(٤) ليس بالنجاشي الذي صلىٰ عليه النبي ﷺ. [انظر: «صحيح مسلم» (١٧٧٤)].
فائدة: كل من تولىٰ ملك الروم لُقِّب بـ «قيصر»، ومن تولىٰ ملك فارس لُقِّب بـ «كسرىٰ»، ومن تولىٰ ملك الحبشة لُقِّب بـ «النجاشي»، ومن تولىٰ ملك مصر لُقِّب بـ «فرعون».

(٥) انظر: «صحيح مسلم» (١٧٧٤)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (١/ ٢٥٨)، و«السيرة النبوية»، لأبي الحسن الندوي، صـ (٣٩١).

(٦) انظر: «السيرة النبوية»، لأبي الحسن الندوي، صـ (٣٩١).

فقيلَ لهُ: إن الملوكَ لا يقْرؤُونَ كتابًا إلا مختومًا، فاتَّخَذَ خاتَمًا من فِضةٍ، نَقشُهُ: محمدٌ رسولُ اللهِ، وختمَ به الكُتبَ[١].

وقد دلَّتْ هذه الكتبُ علىٰ أنَّ هذَا الدِّينَ ليسَ دينَ العربِ، أو دينَ الجزيرةِ العربيَّةِ، وإنما هو دينُ البشريَّةِ ودينُ الإنسانيَّةِ[٢].

ومِن هؤلاءِ الملوكِ: ملِكُ الروم «**هِرَقْل**»، ومَلِكُ فَارسٍ «**كِسْرَىٰ**»، ومَلِكُ الحَبشةِ «**النّجَاشيُّ**»، ومَلِكُ مِصرَ «**المقوقس**».

١- كتابُه ﷺ إلى ملِكِ الرُّومِ «هِرَقْل».

أرسلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ «**هِرَقلَ**» كتَابًا مع دِحْيةَ الكلبيِّ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَىٰ إِلَىٰ هِرَقْلَ، **وهذا نصُّ الكتابِ**:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ،

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ[٣]، فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٤].

و ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤**﴾ [آل عمران:٦٤].

---

(١) **انظر**: «صحيح البخاري» (٦٥)، و«صحيح مسلم» (٢٠٩٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: «السيرة النبوية»، لأبي الحسن الندوي، صـ(٣٩١).

(٣) **توليت**: أي أعرضت عن الإسلام، ورفضت الدخول فيه.

(٤) **الأريسيين**: أي الفلاحين، والزراعين، ومعناه: إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبه بهؤلاء علىٰ جميع الرعايا؛ لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقيادا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا. وقيل: اليهود والنصارىٰ، وهم أتباع عبد الله بن أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارىٰ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، فَأُخْرِجَ[(١)].

٢- كتابُه ﷺ إلى ملِكِ فارسِ «كِسرَى».

أرسلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ «كِسرَىٰ» كتَابًا مع عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ أَبْرَوِيزَ بْنِ هُرْمُزَ، **وهذا نصُّ الكتابِ:**

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلىٰ كِسْرَىٰ عظيم فارس، سَلَامٌ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ».

فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[(٢)].

فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ ابْنَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَتَلَ إِخْوَتَهُ حَتَّىٰ أَفْضَىٰ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَىٰ تَأْمِيرِ الْمَرْأَةِ، فَجَرَّ ذَلِكَ إِلَىٰ ذَهَابِ مُلْكِهِمْ وَمُزِّقُوا كَمَا دَعَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ[(٣)].

ولمَّا مزَّق كسرىٰ كتاب النبي ﷺ، بعثَ إلىٰ بَاذانَ عاملِه باليمنِ، أنِ ابعثْ إِلىٰ هذا الرجلِ الذي في الحجازِ، فبعث باذانُ إِلىٰ النبيِّ ﷺ اثنين، وكتب معهما يأمرَ النبي ﷺ بالمسيرِ إِلىٰ كِسرَىٰ، فدخَلا علىٰ

---

(١) **انظر**: «صحيح البخاري» (٧)، و«صحيح مسلم» (١٧٧٣)، من حديث أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٤٢٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٤).

(٣) **انظر**: «فتح الباري» (٨/ ١٢٨).

النبيِّ ﷺ وقد حَلقَا لحاهُمَا وشوارِبَهما، فكَرِه النبيُّ ﷺ النظرَ إليهما وقال: وَيلكُما مَنْ أمركُمَا بهذَا قالا: ربُّنا، يَعنيانِ كِسرَىٰ.

فقالَ النبيُّ ﷺ: «**لكنَّ ربِّي أمَرني أنْ أعفُ عَنْ لحْيتي، وأَقصَّ شَاربي**».

فأَعْلَمَاه بمَا قَدِما لهُ، وقالا: إنْ أبيتَ فهُو يُهلِكُكَ.

فأَخَّرَ النبيُّ ﷺ الجوابَ إلىٰ الغَدِ، وأتىٰ الخبرُ منَ السماءِ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، أنّ اللهَ قد سلَّطَ علىٰ كِسرَىٰ ابنَه شِيروَيه فَقتلَه.

فدعاهُمَا رسولُ اللهِ ﷺ، وأخبرهُمَا بذلكَ، وقال لهُما: «**إنَّ دِيني، وَسُلطَاني سيبلغُ ما يَبلغُ مُلكُ كِسرَىٰ، فقُولا لبَاذانَ أَسْلِمْ**».

فرَجَعا إلىٰ بَاذَانَ وأخْبراهُ بذلك، ثُمَّ جاءَ الخبرُ إلىٰ باذانَ بقتل كِسْرَىٰ، وأنْ لا يتعَرَّضَ إلىٰ النبيِّ ﷺ فأَسلمَ باذانُ، وأسلمَ معَه ناسٌ منْ فارسٍ[(١)].

٣- كِتابُه ﷺ إلى ملِكِ الحَبشةِ «النَّجَاشيِّ».

أَرسلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ «**النَّجَاشيِّ**» كتَابًا مع عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، **وهذا نصُّ الكتابِ**:

«**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ عَظِيمِ الْحَبَشَةِ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُهُ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ**.

---

(١) **انظر**: «المختصر في أخبار البشر»، لصاحب حماة ابن أيوب (١/ ١٤١).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران:٦٤].

فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ النَّصَارَىٰ مِنْ قَوْمِكَ»[(١)].

٤- كتابُه ﷺ إلى ملِكِ القِبطِ «المُقَوقِسِ».

أَرسلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ «المُقَوقِسِ» كتَابًا مع حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، فَخَرَجَ بِهِ حَاطِبٌ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيْهِ الإِسْكَنْدَرِيَّةَ، فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ حَاجِبِهِ، فَدَفَعهُ إليهِ، وهذا نصُّ الكتابِ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ اللهِ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ،

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ القِبْطِ.

و﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران:٦٤]».

وَقَالَ حَاطِبٌ لِلْمُقَوْقِسِ لَمَّا لَقِيَهُ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الأَعْلَىٰ، فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ، فَانْتَقَمَ بِهِ ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ، وَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ وَلا يُعْتَبَرُ بِكَ.

فَقَالَ الْمُقَوْقِسُ: إِنَّ لَنَا دِينًا لَنْ نَدَعَهُ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

فَقَالَ حَاطِبٌ: نَدْعُوكَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ، وَهُوَ الإِسْلَامُ الْكَافِي بِهِ اللهُ فَقَدْ

---

(١) انظر: «مستدرك الحاكم» (٢/ ٦٧٩)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٣٠٨-٣٠٩)،

مَا سِوَاهُ، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ ﷺ دَعَا النَّاسَ فَكَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ، وَأَعْدَاهُمْ لَهُ يَهُودُ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ النَّصَارَىٰ، وَلَعَمْرِي مَا بِشَارَة مُوسَىٰ بِعِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ إِلَّا كَبِشَارَةِ عِيسَىٰ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا دُعَاؤُنَا إِيَّاكَ إِلَىٰ الْقُرْآنِ إِلَّا كَدُعَائِكَ أَهْلَ التَّوْرَاةِ إِلَىٰ الإِنْجِيلِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ أَدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، فَالْحَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَأَنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ هَذَا النَّبِيَّ، وَلَسْنَا نَنْهَاكَ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّا نأمُرُكَ بِهِ.

فَقَالَ الْمُقَوْقِسُ: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النَّبِيِّ فَوَجَدْتُهُ لا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ فِيهِ، وَلا يَنْهَىٰ إِلَّا عَنْ مَرْغُوبٍ عَنْهُ، وَلَمْ أَجِدْهُ بِالسَّاحِرِ الضَّالِّ، وَلا الْكَاهِنِ الْكَاذِبِ، وَوَجَدْتُ مَعَه آيَةَ النُّبُوةِ.

وَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ[1] مِنْ عَاجٍ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَىٰ جَارِيَةٍ لَهُ، **ثمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكتب بِالْعَرَبِيَّةِ، فكتب إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ**:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ مِنَ الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلامٌ، أَمَّا بَعْدُ،

فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٍ، وَبِكِسْوَةٍ، وَأَهْدَيْتُ لَكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ.

وَلَمْ يُسْلِمْ، وأَهدَىٰ للنبيِّ ﷺ جَارِيَتَينِ أُختين، هما: مَارِيَةَ، وسِرِينُ، وَجارية أُخرَىٰ، وغُلامًا خَصيًّا يُقالُ له مَابُورٌ، وَبَغْلَةً هيَ دُلْدُلٌ، وحِمارًا هو عُفيرٌ، وفَرسًا هو اللزَّازُ، وكِسْوةً، وأَلفَ مِثقالٍ ذَهبًا، وعِشرينَ ثوبًا

---

(١) حُق: أي وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج، أو زجاج، أو غيرهما.

مِنْ قَبَاطِيِّ مِصْرَ، وقَدَحًا مِن زُجاجٍ، وعَسَلًا، وَبَقِيَتْ الْبَغْلَةُ دُلْدُلٌ إِلَىٰ زَمَنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ حَاطِبٌ: فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لرسولِ اللهِ ﷺ فقال: «**ضَنَّ الْخَبِيثُ بِمُلْكِهِ، وَلا بَقَاءَ لِمُلْكِهِ**»(١).

٥- كِتابُه ﷺ إلى عاملِ البَحرَينِ «المُنذِرِ بنِ سَاوَى».

أَرسلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ «**المُنذِر بنِ سَاوَىٰ**» كتَابًا مع العلاءِ بنِ الحَضْرَمي يدعُوه فيه إلىٰ الإسلام، فكتبَ المُنذرُ إلىٰ رسول الله ﷺ: أَمَّا بعدُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ، وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبِأَرْضِي مَجُوسٌ وَيَهُودُ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ المنذر بن ساوىٰ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ،**

فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَىٰ يَهُودِيَّةٍ أَوْ

---

(١) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ، والثلاثة الخلفاء، للكلاعي الحميري (٢/ ١٣-١٤)، و«عيون الأثر» (٢/ ٣٣٢)، و«زاد المعاد» (١/ ١١٨، ٣/ ٦٠٣).

مَجُوسِيَّةٍ فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ»[١].

٢٧- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَسَفَتِ الشَّمسُ»[٢].

لمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ[٣] عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ المسجدِ مُسْرِعًا فزِعا يجرُّ رداءَه، وكان كُسوفُها في أولِ النهارِ علىٰ مقدارِ رُمحَينِ أو ثلاثةٍ منْ طلوعِها، فتقدَّم فصَلَّىٰ ركعتينِ، قرأَ في الأولىٰ بفاتحةِ الكتابِ، وسُورةٍ طويلةٍ، جَهرَ بالقراءةِ، ثمَّ ركعَ، فأطالَ الركوعَ، ثم رفع رأسَهُ منَ الركوعِ، فأطال القيامَ وهو دونَ القيامِ الأولِ، ثم أخذَ في القراءة، ثم ركعَ فأطالَ الركوعَ وهو دونَ الركوعِ الأولِ، ثم رفعَ رأسه من الركوعِ ثم سجدَ سجدة طويلةً فأطال السجُود، ثم فعلَ في الركعةِ الأخرىٰ مثلَ ما فعلَ في الأُولىٰ فكانَ في كلِّ ركعةٍ ركوعانِ وسجودانِ، فاستكملَ في الرَّكعتين أربعَ ركعاتٍ وأربعَ سجداتٍ.

ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا حَتَّىٰ يُفْرَجَ عَنْكُمْ.**

لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ[٤] بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٥٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٦٠٤-٦٠٥).

(٢) «شذرات الذهب» (١/ ٢٠).

(٣) كسفت الشمس: أي اسودت، وذهب شعاعها.

(٤) يحطم: أي يكسر.

لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ[١].

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[٢].

وقد اختلفَ العُلماءُ في عَددِ الكُسوفاتِ التي صلَّىٰ فيها رسولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الكسوفِ، والصَّوابُ أنَّ النبي ﷺ صَلَّىٰ في كُسوفاتٍ كثيرةٍ[٣].

٢٨- «وفي هَذِه السَّنَةِ نَزلَ حُكْمُ الظِّهارِ»[٤].

كانَ الرجلُ في الجاهليةِ إذا قالَ لامرأتِه: أنتِ عليَّ كَظَهرِ أُمي حرُمَتْ عَلَيهِ، وكان أول من ظاهر في الإسلام أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ، وكانت تحتَه ابنةُ عمٍّ له يقال لها خُوَلَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ لَهَا: أَنْت عَلَيَّ كَظهر أُمِّي، وقال: ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليَّ، وقالتْ لهُ مثلَ ذلكَ، قال: فانْطَلقي إلىٰ رسولِ الله ﷺ.

فَجَاءتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ، وقَالتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَ

---

(١) **سيب السوائب**: أي سيب النوق، وسنَّ لهم هذه العادة، والسوائب: جمع سائبة، وهي الناقة التي تترك، فلا تركب ولا تصد عن ماء أو مرعىٰ يفعلون ذلك نذرا وتقربا لآلهتهم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٤٤، ١٢١٢)، ومسلم (٩٠١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. **وانظر**: «زاد المعاد» (١/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٣) **انظر**: «الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف»، لابن المنذر (٥/ ٣١٥)، و«بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، لابن رشد (١/ ٢٩٢).
وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية أن النبي ﷺ لم يصلِّ الكسوف إلا مرة واحدة، فقال: «والصواب أنه لم يصل إلا بركوعين وأنه لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة يوم مات إبراهيم». [**انظر**: «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (١/ ٢٥٦)].

(٤) «شذرات الذهب» (١/ ٢٠).

شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي[١] حَتَّىٰ إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ.

فَجَادَلَها رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ، وَقَالَ لَهَا: «**اتَّقِي اللهَ فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ**».

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ: «**قَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ**»، فَجعلت تَقول: وَاللهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا، فَكلَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**قَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ**»، تَقولُ: وَاللهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا، فَهَذِهِ كَانَتْ مُجَادَلَتَهَا.

فَمَا بَرِحَتْ حَتَّىٰ نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة:١-٤].

فَقَالَ: «**يُعْتِقُ رَقَبَةً**».

قَالَتْ: لَا يَجِدُ.

قَالَ: «**فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ.

قَالَ: «**فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا**».

قَالَتْ: مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ.

---

(١) **ونثرت له بطني**: أي أكثرت له الأولاد، تريد أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده.

فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَاعَتَئِذٍ بِعَرَقٍ[١] مِنْ تَمْرٍ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «قَدْ أَحْسَنْتِ، اذْهَبِي فَأَطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَارْجِعِي إِلَىٰ ابْنِ عَمِّكِ»[٢].

قَالَتْ عَائِشَةُ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة:١]»[٣].

والظِّهَارُ: هُوَ أَنْ يُشَبِّهَ الزَّوْجُ امْرَأَتَهُ، أَوْ يُشَبِّهَ عُضْوًا مِنْهَا بِظَهْرِ مَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ عَلَىٰ التَّأْبِيدِ، كَأُمِّهِ وَأُخْتِهِ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رَضَاعٍ، أَوْ حَمَاتِهِ[٤].

فَإِنْ قَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، أَوْ: ظَهْرِ مَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ عَلَىٰ التَّأْبِيدِ، كَجَدَّتِهِ وَسَائِرِ مَحَارِمِهِ مِنَ النَّسَبِ وَالرَّضَاعِ أَوْ الْمُصَاهَرَةِ، فَهُوَ مُظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَهَا بِظَهْرِ مَنْ هِيَ مَحَلُّ اسْتِمْتَاعٍ، وَتَحْرُمُ عَلَيْهِ عَلَىٰ التَّأْبِيدِ، فَكَانَ مُظَاهِرًا كَمَا لَوْ قَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي[٥].

وَأجمَعَ العُلمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ صَرِيحَ الظِّهَارِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ:

---

(١) بعرق: أي بستين صاعا.

(٢) انظر: «سنن أبي داود» (٢٢١٤)، و«مسند أبي يعلىٰ» (٤٧٨٠)، من حديث خولة بنت ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني، و«سنن ابن ماجه» (٢٠٦٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني، و«تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٤٨)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين»، لابن الجوزي (٤/ ٣٩١).

(٣) صحيح: رواه البخاري مختصرًا (٩/ ١١٧)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، واللفظ لهما، وأحمد (٢٤١٩٥)، وصححه الألباني.

(٤) انظر: «المطلع علىٰ أبواب المقنع»، صـ(٣٤٥).

(٥) انظر: «الكافي في مذهب الإمام أحمد»، لابن قدامة (٤/ ٥٥٠)، و«كشاف القناع عن الإقناع»، للبهوتي (١٢/ ٤٦٩).

أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي[(١)].

والظِّهَارُ مُحَرَّمٌ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ [المجادلة:٢][(٢)].

الوَاجِبُ عَلَىٰ المُظَاهِرِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، كَمَا تقدَّم في قَولِ النبيِّ ﷺ لخولَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢٩- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفدُ جُذَامٍ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ»[(٣)].

قدِم رِفَاعةُ بنُ زَيدِ الجُذاميُّ وافدًا علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ في الهُدْنةِ قَبلَ خيبرَ، وأهدىٰ لهُ عبدًا، وأسلَمَ، وأقامَ بالمدينةِ.

ثم سَأَلَ النبيَّ ﷺ أنْ يَكتبَ معَه كتابًا، فكتبَ له رسولُ الله ﷺ كتابًا: «**بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَىٰ قَوْمِهِ عامةً، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ وإلىٰ رَسُوْلِهِ، فَمَنْ أَقْبَلَ فَفِي حِزْبِ اللهِ وحزبِ رسولِهِ، وَمَنْ أَبَىٰ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ**».

فلمَّا قدِم رِفَاعةُ علىٰ قومِه بكتابِ النبيِّ ﷺ قرأهُ عليهِم فأجابُوه، وأسلَمُوا[(٤)].

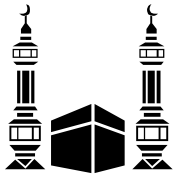
---

(١) **انظر**: «الإجماع»، رقم «٤٧٧».

(٢) **انظر**: «الكافي في مذهب الإمام أحمد»، لابن قدامة (٤/ ٥٥٠)، و«كشاف القناع عن الإقناع»، للبهوتي (١٢/ ٤٦٩).

(٣) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٤٧١).

(٤) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥٧)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٥٤).



السَّنَةُ السَّابِعَةُ لِلهِجْرَةِ

السَّنةُ السَّابِعَةُ للهِجْرَةِ

وَفِيها تِسْعَةٌ وَعِشرُونَ حَدثًا:

١- «في المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: ردَّ النبيُّ ﷺ ابْنتَهُ زَينبَ علَى أَبي العَاصِ بنِ الرَّبيعِ بالنِّكاحِ الأوَّلِ»[١].

رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَىٰ أَبِي الْعَاصِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ نِكَاحًا[٢].

ولم يجدِّدِ النبيُّ ﷺ نكاحَها؛ لأنَّ تحريمَ المُسلماتِ علىٰ المشركينَ إنَّمَا نزلَ بعد صلحِ الحُديبيةِ لا قَبلَ ذلك، فلمْ ينفسخِ النكاحُ في تلكَ المدةِ لعدمِ شَرعيَّةِ هذا الحكمِ فيها، ولما نزلَ تحريمَهُنَّ علىٰ المشركينَ أَسلمَ أبو العاصِ، فَرُدَّتْ عَليه[٣].

٢- «وَفِي المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ غزوةُ ذِي قَرَدٍ على الرَّاجِحِ»[٤].

لمَّا قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ بعدَ صُلحِ الحُديبيةِ، لمْ يقمْ بها إلَّا لياليَ قلائلَ[٥].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١)، «الكامل» (٢/ ١٠٥).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» (٢٢٤٠)، و«سنن الترمذي» (١١٤٣)، و«مسند أحمد» (١٨٧٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٥/ ١٢٥).

(٤) هذا ما جزم به البخاري في المغازي (٤١٩٤) ورجحه ابن كثير في «البداية» (٤/ ١٧٤) والحافظ في «الفتح» (٧/ ٥٢٦) خلافًا لابن إسحاق وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٧٦).

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٨١).

فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِظَهْرِهِ(١) مَعَ غُلَامِهِ رَبَاحٍ، وَمَعَهُ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ، وَخَرَجَ سَلَمَةُ مَعَهُ قَبْلَ الفَجْرِ بِفَرَسِ طَلْحَةَ يُسْقِيهِ وَيَرْعَاهُ مَعَ الإِبِلِ بِذِي قَرَدَ(٢).

فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَىٰ لِقَاحِ(٣) رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ.

فَقَالَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ: يَا رَبَاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَىٰ سَرْحِهِ.

ثُمَّ قَامَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ(٤) عَلَىٰ أَكَمَةٍ(٥)، فَاسْتَقْبَلَ الْمَدِينَةَ، فَصَرَخَ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ(٦)، فَأَسْمَعَ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ(٧) المَدِينَةِ ثُمَّ خَرَجَ فِي آثَارِ الْقَوْمِ يَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَيَرْتَجِزُ(٨)، يَقُولُ:

أَنَـــا ابْـــنُ الْأَكْـــوَعِ وَالْيَـــوْمُ يَـــوْمُ الرُّضَّـــعِ(٩)

---

(١) **بظهره**: أي الظهر الإبل تعد للركوب، وحمل الأثقال.

(٢) **ذي قرد**: موضع ماء علىٰ ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر.

(٣) **اللقاح**: أي الإبل ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(٤) **الأكوع**: لقب، واسمه سنان بن عبد الله.

(٥) **أكمة**: أي مكان مرتفع.

(٦) **يا صباحاه**: كلمة يقولها المستغيث؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح، فكأن المستغيث يقول: قد غَشينا العدو. وقيل: هو نداء المقاتل عند الصباح، يعني: قد جاء وقت الصباح فتهيئوا للقتال.

(٧) **لابتي المدينة**: أي: جانبيها من الجبال. وقيل: اللابة الحرة، وهي الأرض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار، وأراد بهما حرتين تكتنفانها.

(٨) **يرتجز**: الرجز نوع من الشعر، وزنه مُسْتَفْعلن ست مرات.

(٩) **واليوم يوم الرضع**: أي يوم هلاك اللئام.

فكانَ يَقتلُ خُيولَهُم، وَيلحقُ الرَّجُلَ منْهُم فَيَضْرِبُهُ بالسَّهمِ، وَيَقُولُ: خُذْهَا.

أَنَـــا ابْـــنُ الْأَكْـــوَعِ وَالْيَـــوْمُ يَـــوْمُ الرُّضَّـــعِ

قال سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ: فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ[١]، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّىٰ إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، وَاسْتَتَروا بِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِم بِالْحِجَارَةِ الَّتِي تُهْلِكُهُم.

فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّىٰ أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً[٢]، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ[٣]، وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا[٤] إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ عَلَامَاتٍ مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ[٥]، فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَغَدَّوْنَ، وَجَلَسْتُ عَلَىٰ رَأْسِ قَرْنٍ[٦].

قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَىٰ؟.

قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الشِّدَّةَ، وَاللهِ مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ[٧] يَرْمِينَا حَتَّىٰ انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا.

---

(١) **أعقر بهم**: أي أقتل مركوبهم وأجعلهم راجلين بعقر دوابهم.
(٢) **بردة**: أي شملة مخططة، أو كساء أسود مربع صغير يلبسه الأعراب.
(٣) **يستخفون**: أي يطلبون الخفة بإلقائها في الفرار.
(٤) **ولا يطرحون شيئًا**: أي من البرد والرمح وغيرهما.
(٥) **أتوا متضايقا من ثنية**: أي لجئوا إلىٰ مكان ضيِّق بين جبلين.
(٦) **علىٰ رأس قرن**: أي جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير.
(٧) **منذ غلس**: أي منذ ظلمة الفجر.

قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ.

قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ.

فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟.

قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟.

قال سَلَمَةُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ.

فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ[1] مَكَانِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ فَوَارِسَ[2] رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ[3]، فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَىٰ إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَىٰ إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ[4] الْأَخْرَمِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ.

فَقَالَ سَلَمَةُ: يَا أَخْرَمُ، احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

قَالَ الْأَخْرَمُ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ.

فَخَلَّيْتُهُ، فَالْتَقَىٰ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ.

---

(١) برحت: أي زلتُ.

(٢) فوارس: جمع فارس.

(٣) يتخللون الشجر: أي يدخلون بينها.

(٤) بعنان: أي بلجام.

فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَىٰ رِجْلَيَّ حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّىٰ يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرَدٍ؛ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَأَجْلَيْتُهُمْ[١] عَنْهُ، فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً.

وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ، فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ[٢] بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ[٣]، فَأَقُولُ: خُذْهَا

أَنَـــا ابْـــنُ الْأَكْـــوَعِ وَالْيَـــوْمُ يَـــوْمُ الرُّضَّـــعِ

قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ[٤]، أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ؟[٥].

فَقَالَ سَلَمَةُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ.

وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ[٦] عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ، فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ[٧] فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ[٨]، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا

---

(١) **فأجليتهم**: أي طردتهم.

(٢) **فأصكه**: أي أضربه.

(٣) **نغض كتفه**: أي أعلىٰ كتفه.

(٤) **يا ثكلته أمه**: أي فقدته أمه، وهذا دعا عليه بالموت لسوء فعله. وربما لا يراد بها الدعاء، كقولهم تربت يداك، وقاتلك الله، فيكون من الألفاظ التي تجري علىٰ ألسنة العرب.

(٥) **أكوعه بكرة**: أي أنت الأكوع الذي كان قد تبعنا بكرة اليوم؛ لأنه كان أول ما لحقهم صاح بهم «أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع» فلما عاد قال لهم هذا القول آخر النهار، قالوا: أنت الذي كنت معنا بكرة؟.

(٦) **أردوا فرسين**: أي أتعبوهما حتىٰ أسقطوهما، وخلفوهما.

(٧) **سطيحة**: أي مزادة، وهي من أواني المياه، وإنما سميت بذلك؛ لأنه إذا سقط انسطح، أي امتد.

(٨) **مذقة من لبن**: أي لبن مخلوط بماء.

مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ.

ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُهُمْ(١) عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ(٢) مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَىٰ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ(٣).

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: «**يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟**».

قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ.

فَقَالَ: «**إِنَّهُمُ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ(٤) فِي أَرْضِ غَطَفَانَ**».

فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ**».

ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَىٰ الْعَضْبَاءِ(٥)

---

(١) **حلأتهم**: أي منعتهم.

(٢) **خلني فأنتخب**: أي دعني واتركني أختار، وأنتقي.

(٣) **فلا يبقىٰ منهم مخبر إلا قتلته**: أي أقتلهم جميعًا، فلا يوجد منهم أحد يخبر عنهم أنهم قُتلوا.

(٤) **يُقرَون**: أي يضافون، والقِرىٰ: الضيافة.

(٥) **العضباء**: لقب ناقة النبي ﷺ، وسميت بذلك؛ لنجابتها.

رَاجِعِينَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ[١].

وكانت هذه الغَزوةُ قبلَ غَزوةِ خيبرَ بثلاثةِ أيامٍ[٢].

٣- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: تزوَّجَ النبيُّ ﷺ أمَّ حَبيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[٣].

تزوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ أمَّ حَبيبةَ واسمُها رَمْلَةُ بنتُ أَبي سُفيانَ بنِ حربٍ الأُمَويَّةُ، وكانتْ مُتَزَوِّجَةً قَبْلَهُ منْ عبيدِ اللهِ بن جَحشٍ، وكانَ لهُ مِنها حَبِيبَةٌ، فماتَ عَنها بأرضِ الحبشةِ بعدَ أنْ تنَصَّرَ بعدَ إِسلامِهِ.

وَتزوَّجَها رَسُولُ اللهِ ﷺ وهيَ ببلادِ الحبشةِ، زوَّجهُ إِيَّاهَا خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، وأصدَقَها عنه النجاشيُّ أربعَمِائةِ دينارٍ، ولمْ تَلِدْ لِرسولِ اللهِ ﷺ[٤].

حكايةُ زواجِ النبيِّ ﷺ بأمِّ حَبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ زَوْجِي بِأَسْوَءِ صُورَةٍ وَأَشْوَهِهَا، فَفَزِعْتُ، فَقُلْتُ: تَغَيَّرَتْ وَاللهِ حَالُهُ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ حَيْثُ أَصْبَحَ: يَا أُمَّ حَبِيبَةَ إِنِّي نَظَرْتُ فِي الدِّينِ فَلَمْ أَرَ دِينًا خَيْرًا مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ، وَكُنْتُ قَدْ دِنْتُ بِهَا، ثُمَّ دَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ.

فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا خَيْرٌ لَكَ، وَأَخْبَرْتُهُ بِالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتُ لَهُ فَلَمْ يَحْفَلْ

---

(١) «صحيح البخاري» (٤١٩٤)، و«صحيح مسلم» (١٨٠٦، ١٨٠٧)، واللفظ له.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١٣٠).

(٣) «الطبقات» (١٠/ ٩٤)، «خلاصة سيرة سيد البشر» (١/ ٥٩٥)، «البداية» (٤/ ١٦١) «الإصابة» (٤٣٢)، «شذرات» (١/ ٢١).

(٤) انظر: «سيرة ابن إسحاق»، صـ (٢٥٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٥)، و«زاد المعاد» (١/ ١٠٦).

بِهَا وَأَكَبَّ عَلَىٰ الْخَمْرِ حَتَّىٰ مَاتَ، فَأَرَىٰ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ آتِيًا يَقُولُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَفَزِعْتُ فَأَوَّلْتُهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ يَتَزَوَّجُنِي.

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنِ انْقَضَتْ عِدَّتِي فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ النَّجَاشِيِّ عَلَىٰ بَابِي يَسْتَأْذِنُ فَإِذَا جَارِيَةٌ لَهُ كَانَتْ تَقُومُ عَلَىٰ ثِيَابِهِ وَدَهْنِهِ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ، فَقَالَتْ: إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَكَهُ.

فَقَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: بَشَّرَكِ اللهُ بِخَيْرٍ.

قَالَتْ الجَارِيَةُ: يَقُولُ لَكِ الْمَلِكُ: وَكِّلِي مَنْ يُزَوِّجُكِ.

فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَوَكَّلَتْهُ وَأَعْطَتْ الجَارِيَةَ سِوَارَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَخَدَمَتَيْنِ[1] كَانَتَا فِي رِجْلَيْهَا، وَخَوَاتِيمَ مِنْ فِضَّةٍ كَانَتْ فِي أَصَابِعِ رِجْلَيْهَا سُرُورًا بِمَا بَشَّرَتْهَا.

فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أَمَرَ النَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا فَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَأَجَبْتُ إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ وَقَدْ أَصْدَقْتُهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ.

ثُمَّ سَكَبَ الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَنْصِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ

---

(١) خدمتين: أي خُلْخَالين.

وَزَوَّجَتْهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَبَارَكَ اللهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

وَدَفَعَ النَّجَاشِيُّ الدَّنَانِيرَ إِلَىٰ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَقَبَضَهَا، ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا، فَقَالَ: اجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَىٰ التَّزْوِيجِ فَدَعَا بِطَعَامٍ، فَأَكَلُوا، ثُمَّ تَفَرَّقُوا(١).

٤- «وَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ غَزوةُ خَيبرَ»(٢).

لمَّا قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ من غَزوة ذِي قَرَدٍ مَا لَبِثَ إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ خَيْبَرَ، وكان الله عَزَّوَجَلَّ وَعَدَهُ إياهَا وهُو بالحُديبيةِ.

قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح:٢٠](٣).

خُروجُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى خَيبرَ:

استَخلفَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ المَدينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ، وسارَ ﷺ بجيشِه إلىٰ خيبرَ، حتىٰ نزلَ بوادِ الرَّجيعِ(٤)، فنزلَ بينهُم وبينَ غَطَفَانَ، ليَحُولَ بينَهُم وبينَ أنْ يَمَدُّوا أهلَ خيبرَ، وكانوا لهُم مُعَاوِنِينَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فباتَ رسولُ اللهِ ﷺ بوادِ الرَّجيعِ حتىٰ أصبحَ فغدَا إليهِم(٥).

قالَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ، فَسِرْنَا

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٨/ ٩٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٣٩)، «الكامل» (٢/ ٩٩)، «البداية» (٤/ ١٨١)، «شذرات» (١/ ٢١).

(٣) انظر: «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٨١).

(٤) الرجيع: واد بين خيبر، وغطفان.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٨١-٢٨٢).

لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الأَكْوَعِ: أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟[١].

قَالَ: وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو[٢] بِالقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا[٣]

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا[٤]

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا السَّائِقُ**».

قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ.

فَقَالَ: «**يَرْحَمُهُ اللهُ**».

وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ.

فَنَادَىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ: وَجَبَتْ[٥] يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا[٦] بِعَامِرٍ[٧].

غَطَفَانُ تَسعَى لمنعِ رسولِ اللهِ ﷺ من غَزوِ خيبرَ:

لما سَمعتْ غطفانُ بمنزلِ رسولِ اللهِ ﷺ مِن خَيبرَ، جمَعُوا لهُ،

---

(١) **هنيهاتك**: أي أراجيزك.

(٢) **يحدو**: أي يحث إبلهم علىٰ السير، ويغني لها.

(٣) **اقتفينا**: أي اتبعنا أمر رسول الله ﷺ، أو أمر القرآن الكريم المنزل عليه.

(٤) **عولوا علينا**: أي استغاثوا بنا.

(٥) **وجبت**: أي ثبتت له الشهادة التي يعقبها دخول الجنة ببركة دعائك.

(٦) **متعتنا**: أي هلا أبقيته لنا لنتمتع بشجاعته.

(٧) **انظر**: «صحيح البخاري» (٦١٤٨)، و«صحيح مسلم» (١٨٠٢، ١٨٠٧)، من حديث سلمة بن الأكوع.

ثمَّ خرجُوا؛ ليعَاونُوا يهودَ عليهِ، فلمَّا كانُوا في بعضِ الطريقِ سمِعوا حسًّا خلفَهُم في أموالِهم وأهليهم، فظنُّوا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابه قدْ رَجعُوا إليهم، فَرَجَعُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَيْنَ خَيْبَرَ(١).

دعاءُ رسولِ اللهِ ﷺ عندَما أشرفَ على خَيبرَ:

وَلَمَّا دَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَشْرَفَ(٢) عَلَىٰ خَيبرَ قَالَ: «قِفُوا»، فَوَقَفَ الْجَيْشُ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ**(٣)، **وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ**»، وَكَانَ يَقُولُهَا لِكُلِّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا(٤).

فزعُ يَهودِ خَيبرَ وفِرارُهُم عندَ رؤيةِ جيشِ المُسلمينَ:

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ صَلَّىٰ بِهَا الصُّبْحَ، وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَخَرَجَ أَهْلُ خَيْبَرَ بِمَسَاحِيهِمْ(٥)، وَمَكَاتِلِهِمْ(٦)، وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَلْ خَرَجُوا لِأَرْضِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا الْجَيْشَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ(٧)، ثُمَّ رَجَعُوا هَارِبِينَ إِلَىٰ حُصُونِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٠).

(٢) **أشرف**: أي اطلع.

(٣) **أقللن**: أي حملن.

(٤) **انظر**: «سنن النسائي الكبرىٰ» (١٠٣٠٢)، و«السنن الكبرىٰ»، للبيهقي (١٠٣٢٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٢٩).

(٥) **بمساحيهم**: جمع مسحاة، وهي آلة من آلات الزراعة.

(٦) **مكاتلهم**: جمع مكتل، وهو وعاء مثل القُفَّة.

(٧) **الخميس**: الجيش، سمي به؛ لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة، والساقة، والميمنة، والميسرة، والقلب. وقيل: لأنه تخمس فيه الغنائم.

ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»(٢).

حُصونُ خَيبرَ:

كانتْ خيبرُ مُنقَسِمةً إلىٰ شَطْرينِ:

الشطرُ الأَوَّلُ: فيه خمْسةُ حُصُونٍ:

١- حِصْنُ ناعمٍ.

٢- حِصْنُ الصَّعبِ بنِ مُعاذٍ.

٣- حِصْنُ قَلْعةِ الزُّبيرِ.

٤- حِصْنُ أُبَيٍّ.

٥- حِصْنُ النِّزَارِ.

والحصونُ الثلاثةُ الأُولىٰ تقعُ في منطقةٍ يقال لهَا «النَّطَاةُ»، وأمَّا الحِصْنَانِ الآخرانِ فيقعانِ في مَنْطقةٍ تُسَمَّىٰ بـ «الشَّقِّ».

الشَّطْرُ الثَّاني: فيه ثلاثةُ حُصونٍ، ويُعرفُ بالكَتِيبةِ:

١- حِصْنُ القَمُوصِ «كانَ لبني أَبي الحُقَيقِ مِن بَني النَّضيرِ».

٢- حِصْنُ الوَطِيحِ.

٣- حِصْنُ السُّلَالِمِ.

وفي خيبرَ حصونٌ وقلاعٌ غيرُ هذِه الثَّمانيةِ، إلا أنَّها كانتْ صغيرةً لا تبلغُ إلىٰ درجةِ هذِه القِلاعِ في مَنَاعَتِها وقوَّتِها.

والقتالُ المَريرُ إنَّما دارَ في الشطرِ الأولِ منها، أما الشطرُ الثاني

---

(١) **بساحة**: الساحة المكان المتسع بين دور الحي ونحوه.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٩٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَحُصُونُها الثلاثةُ معَ كثرةِ المُحَاربينَ فيها سُلِّمَتْ دُونَما قِتالٍ[١].

تَسليمُ النبيِّ ﷺ الرايةَ لِعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ دُخُولِ خَيْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**».

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[٢] أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ.

قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ.

فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا؟.

قَالَ: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ[٣] حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[٤]**»[٥].

---

(١) **انظر**: «الرحيق المختوم»، صـ(٣١٨-٣١٩).

(٢) **يدوكون**: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك.

(٣) **علىٰ رسلك**: أي تمهل في السير.

(٤) **حمر النعم**: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وإنه ليس هناك أعظم منه.

(٥) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢١٠)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَدءُ الحِصارِ، ومَقتلُ عامرِ بنِ الأَكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا تَصَافَّ القَوْمُ، خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ(١)، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ(٢)

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

وَبَرَزَ لَهُ عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ(٣)

فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وكَانَ سَيْفُ عَامِرٍ فِيهِ قِصَرٌ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يضرِبُهُ مِنْ أَسفَلِهِ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ فَمَاتَ مِنْهُ.

قَالَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ.

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: فِدًىٰ لَكَ أَبِي وَأُمِّي، زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟**».

قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ.

قَالَ: «**كَذَبَ(٤) مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ(٥)**

---

(١) **يخطر بسيفه**: أي يهزه معجبا بنفسه متعرضا للمبارزة، أو أنه كان يخطر في مشيته: أي يتمايل ويمشي مشية المعجب وسيفه في يده، أي أنه كان يخطر وسيفه معه.

(٢) **شاكي السلاح**: أي تام السلاح. بطل مجرب: أي مجرب بالشجاعة، وقهر الفرسان. والبطل: الشجاع.

(٣) **بطل مغامر**: أي يركب غمرات الحرب وشدائدها ويلقي نفسه فيها.

(٤) **كذب**: أي أخطأ.

(٥) **لجاهد**: أي يجهد نفسه بالطاعة.

مُجَاهِدٌ[١]، قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ[٢] بِهَا[٣] مِثْلَهُ»[٤].

افتتاحُ حُصونِ خَيبرَ:

أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ الأَدْنىٰ فالأدْنىٰ من أموالِ اليهودِ وحُصونِهم، فافتتحَ حُصُونَهم حِصنًا حِصنًا، فكانَ حِصنُ نَاعِمٍ أولَ حُصونِهم افتتحَ، وعندَه قُتِل محمودُ بنُ مَسلمة، أُلقِيتْ عليهِ منهُ رَحًى فقتلتْهُ، ثم حِصنُ القَمُوصِ، وأصابَ رسولُ اللهِ ﷺ منهم سبايَا، منهنَّ صفيةُ بنتُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، وبِنتَي عَمٍّ لهَا، فاصطفَها رسولُ اللهِ ﷺ لنَفسِه، وفَشتِ السبايَا من خيبرَ في المُسلمينَ[٥].

قتلُ مَرْحَبٍ مَلِكِ اليَهودِ على يَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لمَّا افتتحَ رسولُ اللهِ ﷺ بَعْضَ حُصونِ خيبرَ، وحازَ مِنَ الأموالِ ما حَازَ لَجَأَ اليَهُودُ إلىٰ حِصْنَيهِمُ الوَطِيحِ، والسُّلَالِمِ، وكانَ آخرَ حُصونِ أهلِ خيبرَ افتتاحًا، فحَاصرهُم رسولُ اللهِ ﷺ بِضعَ عشرةَ ليلةً[٦].

فَخَرَجَ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ، وَهُوَ يَقُولُ:

---

(١) **مجاهد**: أي في سبيل الله تعالىٰ.
(٢) **نشأ**: أي كبر، وشبَّ.
(٣) **بها**: أي بهذه الخصلة الحميدة، وهي الجهاد مع الجهد.
(٤) «صحيح البخاري» (٦١٤٨)، و«صحيح مسلم» (١٨٠٢، ١٨٠٧).
(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٠-٢٣١).
(٦) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٣).

أَنَـا الَّـذِي سَـمَّتْنِي أُمِّـي حَيْـدَرَهْ كَلَيْـثِ غَابَـاتٍ كَرِيـهِ الْمَنْظَـرَهْ[١]
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْـلَ السَّنْـدَرَهْ[٢]

فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَىٰ يَدَيْهِ[٣].

قَتلُ ياسرٍ أَخي مَرحَبٍ عَلى يدِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خَرجَ بعد مَقتَلِ مَرْحَبٍ أخوهُ ياسرٌ، وهو يقولُ: مَن يبارِزُ؟.

فَخرجَ إليهِ الزُّبَيرُ بنُ العَوامِ، فقالتْ أمُّه صَفيةُ بنتُ عبدِ المطَّلبِ: يُقتلُ ابني يا رسولَ اللهِ!.

قالَ: «بَلْ ابْنُكَ يَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ».

فخرجَ الزبيرُ، فقَتلَ يَاسِرًا[٤].

يهودُ خيبرَ يطالبونَ النبيَّ ﷺ بالجَلَاءِ:

لمَّا حاصرَ رسولُ اللهِ ﷺ، أهلَ خيبرَ في حِصنَيهِم الوَطيحِ والسُّلالِمِ، أيقَنوا بالهَلكةِ، فَسألُوه أنْ يُجْلِيَهُم، وأنْ يحقِنَ لهُم دماءَهُم، ففَعلَ ﷺ.

وكان رسولُ اللهِ ﷺ قدْ حازَ الأموالَ كلَّها، وجميعَ حُصونِهم، إلا ما كانَ من ذَينِكَ الحِصْنَينِ.

فلمَّا نزلَ يهودُ خَيبرَ علىٰ ذلكَ، سَألُوا رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يعاملَهم في الأموالِ علىٰ النِّصفِ، وقَالوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْأَرْضِ مِنْكُمْ، دَعُونَا نَكُونُ فِيهَا وَنَعْمُرُهَا لَكُمْ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فقسم رسول الله ﷺ

---

(١) **حيدره**: الحيدرة: الأسد، سمي به؛ لغلظ رقبته.

(٢) **أوفيهم بالصاع كيل السندره**: أي أقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة: مكيال واسع، وقيل: هي العجلة أي أقتلهم عاجلًا.

(٣) **انظر**: «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، من حديث سلمة بن الأكوع.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٤).

شَطْرَ خَيْبَرَ، وَتَرَكَ شَطْرَهَا[١].

كثرةُ غنائمِ خيبرَ:

غنِمَ المسلمونَ منْ خيبرَ غنائمَ كثيرةً، حتىٰ قَالَ أَصْحَابُ رسولِ اللهِ ﷺ: مَا شَبِعْنَا حَتَّىٰ فَتَحْنَا خَيْبَرَ[٢].

عددُ القَتلَىٰ منَ الفَرِيقَين:

عددُ مَن قُتِلَ مِن المُسلمينَ خمسةَ عشرَ رجلا.

وأما اليَهودُ فقُتلَ منهم ثلاثةٌ وتِسعونَ رجلا[٣].

رجوعُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى المَدينةِ:

لمَّا فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ من خيبرَ انصرفَ إلىٰ وادِي القُرَىٰ[٤]، فَحاصرَ أهلَهُ ليالِيَ، ثم انْصرفَ راجعًا إلىٰ المَدينة[٥].

وفِي طَرِيقِ رُجُوعِهِمْ مِنْ خَيْبَرَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَىٰ وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْبَعُوا[٦] عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**».

وكَانَ أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لَهُ: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**».

---

(١) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٣٢٨)، و«صحيح مسلم» (١٥٥١)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٨).

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٤٣).

(٣) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ٦٩٩-٧٠٠).

(٤) سيأتي الحديث عن وادي القرىٰ فيما بعد إن شاء الله.

(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٩٢).

(٦) **اربعوا**: أي ارفقوا، وهوِّنوا.

فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**».

فَقَالَ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(١).

٥- «**وَفِي غَزوةِ خَيبرَ: حُرِّمتْ لحُومِ الحُمُرِ الأهْليةِ**»(٢).

كانتِ لحومُ الحُمُرِ الأهلية مباحًا أكْلُهَا في بدايةِ الإسلَامِ ثمَّ حرَّمَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ يوم خيبر(٣).

فقَدْ أَصَابَتِ النَّاسَ مَجَاعَةٌ لَيَالِيَ خَيْبَرَ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَىٰ النَّاسُ اليَوْمَ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، نَحَرُوا الْحُمُرَ الْأَهْلِيَّةَ، وَأَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَلَمَّا غَلَتْ بِهَا الْقُدُورُ، مَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ النِّيرَانُ، عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟**».

قَالُوا: عَلَىٰ لَحْمٍ.

قَالَ: «**عَلَىٰ أَيِّ لَحْمٍ؟**».

قَالُوا: عَلَىٰ لَحْمِ حُمُرٍ إِنْسِيَّةٍ(٤).

فَنَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**أَنِ اكْفَئُوا الْقُدُورَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٠٥)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فائدة: قال بدر الدين العيني: «إنما وقع ذلك حال رجوعهم؛ لأن أبا موسىٰ إنما قدم بعد فتح خيبر مع جعفر، فحينئذ يحتاج إلىٰ تقدير ليصح الكلام، تقديره: لما توجه النبي ﷺ، إلىٰ خيبر فحاصرها ففتحها ففرغ، فرجع فأشرف الناس ... إلىٰ آخره». [**انظر**: «عمدة القاري» (١٧/ ٢٤١)].

(٢) «الكامل» (٢/ ٩٩)، «البداية» (٤/ ١٨٢، ١٩٢).

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٦٩٦١)، و«صحيح مسلم» (١٤٠٧). وحمر: جمع حمار.

(٤) **إنسية**: نسبة إلىٰ الإنس، وهي الحمر التي يستأنسها الناس.

لُحُومِ الْحُمُرِ شَيْئًا، أَلَا إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْهَا، فَإِنَّهَا رِجْسٌ[١] مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

فَأُكْفِئَتِ[٢] الْقُدُورُ[٣] بِمَا فِيهَا، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِمَا فِيهَا[٤].

الحِكمةُ من تحريم أكل لحوم الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ:

مِنَ الحِكَمِ الَّتي مِنْ أَجْلِهَا نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الأهليةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحمِلُ النَّاسَ، فَكَرِهَ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ[٥].

ممَّا يُستَفادُ من هذا:

١- إذا غُسِل الإناء النجس، فلا بأس باستعماله[٦].

٣- تحريم لحوم الحمر الأهلية.

٣- ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالذكاة[٧].

٦- «وَفِي غَزوةِ خَيبرَ: قدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، ومَن مَعَهُ مِن مُهَاجِرِي الحبَشَةِ ومَعهُم أبُو مُوسَى، ومَنْ مَعَهُ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ»[٨].

في غَزوةِ خيبرَ قدِمَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ابنُ عمِّهِ جَعفرُ بنُ أبي

---

(١) رجس: أي قذر، ونتن.

(٢) فأكفئت: أي قُلبت.

(٣) القدور: أي الأواني التي يُطبخ فيها.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٤١٩٨، ٦١٤٨)، و«صحيح مسلم» (١٩٣٧، ١٩٣٩، ١٩٤٠)، من حديث أنس، وابن أبي أوفىٰ، وسلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (٤٢٢٧)، و«صحيح مسلم» (١٩٣٩)، من قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (١٣/ ٩٤).

(٧) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٤٩٨).

(٨) «البداية» (٤/ ٢٣١)، «شذرات الذهب» (١/ ٢١).

طَالِبٍ، وأصحابُهُ، ومعَهُم الأشعريُّونَ أبو مُوسَىٰ وأصحَابُه، وكانَ فيمنْ قدِم معهُمْ أَسماءُ بنتُ عُمَيسٍ(١).

وَلَمَّا قَدِمَ جَعفرُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تَلَقَّاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: «**وَاللهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ؛ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَر**»(٢).

قال أبُو موسىٰ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، فِي بِضْعٍ وَخَمْسِينَ، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ(٣).

وقد بعثَ إليهمْ رسولُ اللهِ ﷺ عمرَو بنَ أُميَّةَ الضَّمريَّ إلىٰ النَّجاشيِّ؛ ليأتيَ بالمسلمينَ، فحملَهُم في سفينتينِ، فقدِمَ بهمْ عليهِ وهوَ بخيبر، وكانَ جميعُ من قدِمَ في السَّفِينَتَينِ ستَّةَ عشرَ رجلًا(٤).

٧- «وَفِي غَزوةِ خَيبرَ: قَدِم أَبُو هُرَيرَةَ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ مُسْلِمًا»(٥).

لمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٥٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٦٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٩٣١). و**انظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٢٩٥-٢٩٦)، و«السلسلة الصحيحة»، للألباني (٦/ ٣٣٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٣٦)، ومسلم (٢٥٠٢).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٥٩)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٣٤٣).

(٥) «البداية» (٤/ ٢٠٧)، «شذرات الذهب» (١/ ٢١).

سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ، قَدِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْمَدِينَةَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَافِدِينَ، فَأَتَوا سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ، وَهُوَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١]، وَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطفِّفين:١][(١)].

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي نَفْسِهِ: وَيْلٌ لِأَبِي فُلَانٍ لَهُ مِكْيَالَانِ إِذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بِالْوَافِي، وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنَّاقِصِ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَتَىٰ سِبَاعًا، فَزَوَّدَهُ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَكَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَشْرَكُوهُ وَأَصْحَابَهُ فِي سُهْمَانِهِمْ[(٢)].

٨- «وَفِي غزوةِ خَيبرَ: اصْطَفَى رسولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ مِنَ السَّبْيِ، فَأَعْتَقَها وتزوَّجَهَا»[(٣)].

سَبىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ صَفيةَ بَنتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، وكانتْ صَفيةُ متزوجةً مِنْ كِنانةَ بنِ أَبي الحُقَيقِ، وكانتْ عَروسًا حَدِيثةَ عَهْدٍ بالدخول، فأمَر رسول اللهِ ﷺ بلالا أن يذهب بها إلىٰ رحْله، فمر بها بلالٌ وَسطَ القتلىٰ، فَكرِه ذلكَ رَسولُ الله ﷺ، وقال: «**أَذَهَبَتِ الرَّحْمَةُ مِنْكَ يَا بِلالُ؟**».

---

(١) **أي:** الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون، يعني: للذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء. [**انظر:** «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٨٥)].

(٢) **انظر:** «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٣٢٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٨٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٢٠٠)، «صحيح مسلم» (٨٤، ٨٥، ١٣٦٥)، «البداية» (٤/ ٢٢٠)، «الكامل» (٢/ ١٠٢)، «شذرات الذهب» (١/ ٢١)، «الطبقات» (٨/ ١٢٠)، «الاستيعاب» (٤/ ١٨٧١).

فَعَرَضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الإسلام، فَأَسْلَمَتْ، فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ، وَأَعْتَقَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، وَبَنَىٰ بِهَا فِي الطَّرِيقِ، وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا، وَرَأَىٰ بِوَجْهِهَا خُضْرَةً، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُرِيتُ قَبْلَ قُدُومِكَ عَلَيْنَا كَأَنَّ الْقَمَرَ زَالَ مِنْ مَكَانِهِ فَسَقَطَ فِي حِجْرِي، وَلَا وَاللهِ مَا أَذْكُرُ مِنْ شَأْنِكَ شَيْئًا، فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ زَوْجِي فَلَطَمَ وَجْهِي وَقَالَ: تَمَنَّيْنَ هَذَا الْمَلِكَ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ!.

وَشَكَّ الصَّحَابَةُ هَلِ اتَّخَذَهَا سُرِّيَّةً أَوْ زَوْجَةً؟ فَقَالُوا: انْظُرُوا إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَىٰ نِسَائِهِ، وَإِلَّا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمَّا رَكِبَ جَعَلَ ثَوْبَهُ الَّذِي ارْتَدَىٰ بِهِ عَلَىٰ ظَهْرِهَا وَوَجْهِهَا، ثُمَّ شَدَّ طَرَفَهُ تَحْتَهُ، فَتَأَخَّرُوا عَنْهُ فِي الْمَسِيرِ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا إِحْدَىٰ نِسَائِهِ، وَلَمَّا قَدِمَ لِيَحْمِلَهَا عَلَىٰ الرَّحْلِ أَجَلَّتْهُ أَنْ تَضَعَ قَدَمَهَا عَلَىٰ فَخِذِهِ ﷺ، فَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَىٰ فَخِذِهِ ثُمَّ رَكِبَتْ.

وَلَمَّا بَنَىٰ بِهَا بَاتَ أبو أيوب لَيْلَتَهُ قَائِمًا قَرِيبًا مِنْ قُبَّتِهِ، آخِذًا بِقَائِمِ السَّيْفِ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَبَّرَ أبو أيوب حِينَ رَآهُ قَدْ خَرَجَ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا أبا أيوب؟**».

فَقَالَ لَهُ: أَرِقْتُ لَيْلَتِي هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَمَّا دَخَلْتَ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ، ذَكَرْتُ أَنَّكَ قَتَلْتَ أَبَاهَا وَأَخَاهَا وَزَوْجَهَا وَعَامَّةَ عَشِيرَتِهَا، فَخِفْتُ أَنْ تَغْتَالَكَ.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ مَعْرُوفًا[1].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٥١٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٣٦٥)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٧٠٧-٧٠٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٩٠-٣٩١)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٥-٣٣٦).

ممَّا يستفاد من هذا:

١- مشروعيةُ قتال الكفار في أشهر الحرم، والإغارة علىٰ من بَلغتْه الدعوة بغير إنذار.

٢- إذا حضر مدد الجيش بعد انقضاء الحرب يسهم له إن رضي الجماعة كما وقع لجعفرٍ، والأشعريين.

٣- الإمام مخير في الأرض التي فتحها المسلمون عَنوة بينَ قسمتها وتركها.

٤- جواز البناء بالأهل بالسفر[١].

٩- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبَانَ بنِ سَعيدِ بنِ العاصِ قِبَلَ نَجْدٍ»[٢].

أَرادَ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُرْهبَ أعداءَ اللهِ ممنْ حولَ المدينةِ حَتىٰ لا يغيروا عَليها أَثناءَ حِصَارِه لخَيبرَ، فبَعَثَ ﷺ أَبَانَ بنَ سعيدٍ عَلَىٰ سَرِيَّةٍ مِنَ المَدِينَةِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَقَدِمَ أَبَانُ وَأَصْحَابُهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحَهَا، وَإِنَّ حُزُمَ[٣] خَيْلِهِمْ لَلِيفٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا لَمْ يَقْسِمْ لَهُمُ النَّبيُّ ﷺ منْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ[٤].

١٠- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: أهدتْ يهوديةٌ شاةً مَصْليَّةً مَسمُومةً إِلى رسولِ اللهِ ﷺ فَأَخذَ لُقْمَةً فَأَخبرَتْه الشَّاةُ بأَنَّهَا مَسْمُومَةٌ»[٥].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٤٩٨).

(٢) البخاري في «المغازي»، باب غزوة خيبر، سبل الهدىٰ والرشاد في السرايا، سرية أبان بن بن سعيد (٦/ ٢٠٢).

(٣) حُزم: جمع حزام.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٤٢٣٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) «صحيح البخاري» (٢٦١٧، ٣١٦٩، ٤٢٤٩، ٥٧٧٧)، مسلم (٢١٩٠)، والقصة في «البداية» (٤/ ٢٣٤ - ٢٣٨)، «الكامل» (٢/ ١٠٣).

لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، وَاطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً(١)، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيُّ عُضْوٍ مِنَ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟.

فَقِيلَ لَهَا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، فَلَاكَ(٢) مِنْهَا مُضْغَةً، فَلَمْ يُسِغْهَا(٣)، وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَفَظَهَا.

ثُمَّ قَالَ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**».

فَأَرْسَلَ إِلَىٰ الْيَهُودِيَّةِ، فَاعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: «**مَا حَمَلَكِ عَلَىٰ الَّذِي صَنَعْتِ؟**».

قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ.

قَالَ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ**».

وَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ مِنْ أَكْلَتِهِ الَّتِي أَكَلَ.

قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟.

قَالَ: «**لَا**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: «**مَازِلْتُ أَجِدُ مِنَ**

---

(١) مصلية: أي مشوية.
(٢) فلاك: أي مضغ.
(٣) يسغها: أي يبلعها.

الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي[١]»[٢].

ممَّا يستفاد من هذا:

١- عصمةُ النبيِّ ﷺ من الناسِ كلِّهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

٢- فيه معجزة لرسول الله ﷺ في سلامته من السُّم المهلك لغيره، وفي إعلام الله تعالىٰ له بأنها مسمومة، وكلام عضو منها له ﷺ[٣].

٣- مشروعية الأكل من طعام أهل الكتاب، وقبول هديتهم.

٤- عظيم معاندة اليهود؛ لاعترافهم بصدقِ رسول اللهِ ﷺ.

٥- فيه دليل علىٰ نبوة النبي ﷺ حيث أخبر ﷺ عن الغيب.

٦-الأشياء كالسموم وغيرها لا تؤثر بذواتها بل بإذن الله؛ لأنَّ السُّمَّ أثر في بِشرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يؤثر في رسول الله ﷺ إلا عند موته[٤].

١١- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ مِن عِندِ المَقَوْقِسِ، وقدْ أَرْسَلَ مَعَهُ للنبيِّ ﷺ ماريَةَ وأُخْتَها سيرينَ، وَبَغلةً وحِمارًا وكِسْوةً، فأسْلَمَتْ مَارِيَةُ وأُخْتُهَا قَبلَ قُدُومِهمَا عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأخذَ ماريَةَ لنَفْسِهِ فوَلَدَتْ لهُ إبراهيمَ، ووهبَ سيرينَ لحسانَ بنِ ثابتٍ فَهِيَ أُمُّ ابْنِه عبدِ الرَّحمَنِ، فهُو وإبراهِيمُ ابنَا خَالَةٍ»[٥].

---

(١) أبهري: الأبهر عرق مرتبط بالقلب، إذا انقطع مات الإنسان، وقيل: عرق في الظهر.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٢٨)، ومسلم (٢١٩٠)، وأبو داود (٤٥١٢). وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٧٩).

(٤) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٤٩٨، ١٠/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٥) «الكامل» (٢/ ١٠٥)، «البداية» (٤/ ٢٣٣)، «شذرات الذهب» (١/ ٢١).

تقدَّمَ في السنةِ السَّادِسَةِ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أَرْسلَ حَاطبَ بنَ أَبي بَلْتَعَةَ إلىٰ المقَوقِسِ ملكِ القِبْطِ بمصرَ، فقالَ لهُ خيرًا، ولم يُسلِمْ، وأَهدَىٰ للنبيِّ ﷺ جَارِيَتَينِ أُختينِ، همَا: مَارِيَةُ، وسِرِينُ، وَجَارية أُخرَىٰ، وغُلامًا خَصيًّا يُقالُ له مَابُورٌ، وَبَغْلَةً هيَ دُلْدُلٌ، وحِمارًا هو عُفيرٌ، وفَرسًا هُو اللزَّازُ، وكِسوةً، وألفَ مِثْقَالٍ ذَهبًا، وعِشرينَ ثوبًا من قَبَاطِيِّ مصرَ، وقَدحًا من زُجاجٍ، وعَسَلًا.

فَتَسرَّىٰ النبيُّ ﷺ بماريَةَ، فوَلدَتْ لهُ إبراهيمَ، ووهبَ سيرينَ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ، فولدتْ لهُ ابنَه عبدَ الرحمنِ[(١)].

١٢- «ولمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ خيبرَ بعثَ مُحَيِّصَةَ بنَ مَسعُودٍ إلى فَدكَ يدعُوهُم إلى الإسلامِ، فصالحُوا رسولَ الله ﷺ على نصفِ الأرضِ، فقَبِلَ ذلكَ مِنْهُم وكانَ نصفُ فَدَكَ خَالصًا لرسولِ اللهِ ﷺ؛ لأنَّهُ لمْ يُوجِفِ المُسْلمونَ عَلَيه بخيلٍ ولَا رِكابٍ، فكانَ يَصرِفُ ما يأتِيه منْه على أبناءِ السبيلِ»[(٢)].

لمَّا فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ من خَيبرَ قذَف اللهُ الرُّعبَ في قلوبَ أهلِ فَدَك حينَ بلغَهُم ما أوقعَ اللهُ بأهلِ خيبرَ، فبعثُوا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ يصالحُونَه علىٰ النصفِ من فَدكَ، كَما عاملَ يهودَ خَيبرَ.

فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ إليهم مُحَيِّصَةَ بنَ مَسعُودٍ، فصالحَ أهلَ فَدَكَ علىٰ ذلكَ، فكانتْ فَدَكُ خَالصةً لرسولِ الله ﷺ، لأنَّهم لم يجلِبُوا عَليها بخيلٍ، ولا رِكابٍ[(٣)].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ٢٤٠)، و«زاد المعاد» (١/ ١١٨، ٣/ ٦٠٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٠)، «الكامل» (٢/ ١٠٤).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٢٧)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٢٠).

١٣- «وَفِي مُنْصَرَفِه مِن خَيبرَ أيضًا فَتَحَ وادِي القُرَى، وغَنِمَ أمْوالَها وتَرَكَ أرْضَها معَ اليَهُودِ على شَطْرِ ما يخرُجُ مِنْها كأهْلِ خَيْبرَ»[1].

انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن خَيبرَ إلىٰ وادِي القُرَىٰ، وكانَ بها جمَاعةٌ من اليهودِ، وقد انْضافَ إليهمْ جماعةٌ مِنَ العَربِ، فلمَّا نزلُوا استقبَلَهُم يهودُ بالرَّمي، والمُسلمونَ علىٰ غَيرِ تَعبئةٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَ ذَلِكَ العَبْدُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**».

فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِرَاكٍ[2] أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شِرَاكٌ - أَوْ شِرَاكَانِ - مِنْ نَارٍ**».

فَعبَّأَ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ للقتالِ، وصفَّهُم ودفعَ لواءَه إلىٰ سَعدِ بنِ عُبادةَ، ورايةً إلىٰ الحُبابِ بنِ المُنذِرِ، ورايةً إلىٰ سَهلِ بنِ حُنيفٍ، ورايةً إلىٰ عَبَّادِ بن بِشْرٍ.

ثمَّ دعاهُم إلىٰ الإسلامِ، وأخبرَهُم أنَّهُم إنْ أسلمُوا أحْرَزُوا أموالهُم، وحَقنُوا دماءَهم، وحسابُهم علىٰ اللهِ.

فبرزَ رجلٌ منهُم فبرزَ إليه الزبيرُ بن العوامِ فقتَلهُ، ثم برزَ آخرُ فقتلهُ، ثُم برزَ آخرُ فبرزَ إليهِ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ فقتلَهُ، حتىٰ قَتلَ منهم أحدَ عشرَ رَجلًا، كلمَّا قُتلَ منهُم رجلٌ دعَا مَن بقيَ إلىٰ الإسلامِ، وكانتْ الصلاةُ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٣٨)، «سبل الهدىٰ والرشاد» (٥/ ١٤٨).

(٢) **بشراك**: أي بسير النعل علىٰ ظهر القدم.

تحْضُر ذلكَ اليومَ، فيُصَلِّي ﷺ بأصحابِهِ ثم يعودُ فيدعُوهُم إلىٰ الإسلام، وإلىٰ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، فقاتَلَهُم حتَّىٰ أمسَوا وغَدا عَلَيهِم، فلمْ تَرتفعِ الشمسُ قِيدَ رُمحٍ حتَّىٰ أَعْطَوا مَا بأيدِيهم، وفتَحَهَا رسُولُ اللهِ ﷺ عَنوةً، وغَنَّمَهُ اللهُ أموالَهُم، وأصابُوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا.

وأقامَ رسولُ اللهِ ﷺ بوادِي القُرَىٰ أربعَةَ أيام، وقسمَ ما أصابَ علىٰ أصحابِه بوادِي القُرَىٰ، وتركَ الأرضَ والنَّخلَ بأيدِي اليهودِ، وعامَلَهُمْ عَلَيها[1].

١٤- «ولمَّا عَلِمَ يهودُ تيماءَ ما جَرى لإخوانِهم في خَيبرَ وفَدَكَ ووادِي القُرَى صَالحُوا رسولَ اللهِ ﷺ وأقامُوا بأموالِهم»[2].

لمَّا بلغَ يَهودَ تيماءَ ما فعَلهُ رسولُ اللهِ ﷺ في خَيبرَ وفدَكَ ووادِي القُرَىٰ، صالحُوا رَسولَ الله ﷺ علىٰ الجِزيةِ.

وانصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ من وادِي القُرىٰ رَاجِعًا إلىٰ المَدينةِ بعدَ أنْ فرغَ مِن خيبرَ، ومنْ وادِي القُرَىٰ، وغنَّمَه اللهُ[3].

١٥- «وَفِي مَرجِعِهم إلى المدينةِ نامَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه عنْ صلاةِ الفَجرِ حتَّى طَلعتِ الشمسُ»[4].

فِي طَرِيقِ رُجُوعهمْ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، سَارَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَهُ حَتَّىٰ إِذَا

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٢٣٤)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٧٠٩-٧١١).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٣١٤).

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧١١).

(٤) «الموطأ» (١/ ١٣)، «صحيح مسلم» (٦٨٠)، أبو داود (٤٣٥)، الترمذي (٣١٦٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٣٩)، «الكامل» (٢/ ١٠٣)، «زاد المعاد» (٣/ ٣١٥)، «سبل الهدىٰ والرشاد» (٥/ ١٤٩).

أَدْرَكَهُ النُّعَاسُ نَزَلَ للنَّومِ فِي آخِرِ الليْلِ، وَقَالَ لِبِلَالٍ: «**اكْلَأْ**[١] **لَنَا اللَّيْلَ**».

فَصَلَّىٰ بِلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا بِلَالٌ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّىٰ ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيْ بِلَالُ**».

فَقَالَ بِلَالٌ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ - بِنَفْسِكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْتَادُوا**[٢]».

فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّىٰ بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَىٰ الصَّلَاةَ، قَالَ: «**مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**»، فَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾ [طه:١٤][٣].

ممَّا يستفاد من هذا:

١- أن من نام عن صلاة أو نسيها، فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها.

٢- أن الصلاة الفائتة يؤذن لها ويقام، فإنه أَمر بلالا فأذن وأقام.

٣- مشروعية قضاء الصلاة الفائتة جماعة.

٤- قضاء الصلاة الفائتة علىٰ الفور؛ لقوله ﷺ: «**فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**»، وإنما أخرها عن مكان استراحتهم قليلًا، لكونه مكانًا فيه

---

(١) **اكلأ**: أي احفظ، وارقب.

(٢) **اقتادوا**: أي قودوا رواحلكم.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٨٠)، وأبو داود (٤٣٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شيطان، فارتحل منه إلىٰ مكان خير منه، وذلك لا يفوت المبادرة إلىٰ القضاءِ، فإنهم في شُغل الصلاة وشأنها[١].

١٦- «وبعدَ فتحِ خَيبرَ احتالَ الحجَّاجُ بنُ عِلَاطٍ السُّلَميُّ عَلى مُشْرِكي مَكَّةَ حتَّى استنقَذَ مَالَهُ مِنْهُم»[٢].

تَراهنَ كفارُ قريشٍ فيما بينهُم حينَ سمِعوا بخروجِ رسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ خَيبرَ، فَمِنهُم من قالَ: سَيَنْتَصِرُ محمدٌ وأصحابُه، ومنهُم قال: سَيَنْتَصرُ اليهودُ.

وكان الحَجَّاجُ بنُ عِلَاطٍ السُّلَميُّ قد أَسلمَ وشَهِدَ فتحَ خيبرَ، وكانَ كثيرَ المالِ، فلمَّا انتصرَ النبيُّ ﷺ علىٰ خَيبرَ، قال لرسولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا، وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ، وإن تعلمْ امرأتي وأهلُها بإسلامي فلا مالَ لي، فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْكَ، أَوْ قُلْتُ شَيْئًا؟، فأْذَنْ لي فَلأُسرعِ السيرَ وأَسبقِ الخبرَ، ولأُخبرَنَّ أَخبارًا إِذَا قَدِمتُ أَدْرأُ بها عَن مَالي ونَفسِي.

فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ، فلمَّا قدِمَ مكَّةَ قال لامرأتِه: أَخْفي عليَّ واجمَعي ما كانَ لي عندَك منْ مالٍ؛ فإني أُريدُ أنْ أشتريَ منْ غنائمِ محمدٍ وأصحابِه؛ فإنَّهم قد اسْتبيحُوا وأُصِيبتْ أموالُهُم، وإنَّ محمَّدًا قد أُسِرَ وتفرَّق عنهُ أصحابُه، وإنَّ اليهودَ قد أَقسمُوا لتَبعَثَنَّ به إلىٰ مكةَ ثُمَّ لتقتُلنَّهُ بقتلاهُم بالمَدينةِ.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣١٦-٣١٧).

(٢) القصة رواها الإمام أحمد قال: حدثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، سمعت ثابتًا يحدث عن أنس به، وهذا سند صحيح علىٰ شرط الشيخين كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية» (٤/ ٢١٥)، وانظر: «سبل الهدىٰ» (٥/ ١٣٩).

وانتشرَ ذلك الخبرُ بمكَّةَ، وحَزِنَ المُسْلِمُونَ حُزْنًا شَدِيدًا، وأظهرَ المُشركونَ الفرحَ والسرورَ.

فبلغَ العباسَ عمَّ رسولِ الله ﷺ الخبرُ، وإظهارُ الكفارِ السرورَ، فأرادَ أنْ يقومَ ويخرجَ، فلم يَقدرْ علىٰ القيامِ، فدَعا ابنًا له يقالُ له: قُثَمٌ، وكانَ يشبهُ رسولَ اللهِ ﷺ، فجعلَ العباسُ يرتجِزُ ويرفعُ صوتَهُ؛ لئلَّا يَشمتْ به أعداءُ اللهِ:

حِبِّـــي قُـــثَمْ حِبِّـــي قُـــثَم ... شَـــبِيهُ ذِي الْأَنْـــفِ الْأَشَـــمْ[1]

نَبِـــيُّ رَبِّـــي ذِي الـــنِّعَمْ ... بِـــرَغْمِ أَنْـــفِ مَـــنْ رَغَـــمْ

واجتمعَ إلىٰ بابِ دارِه رجالٌ كثيرونَ من المُسلمينَ والمشركينَ، منهم المُظْهِرُ للفرحِ والسرورِ، ومنهم الشامتُ، ومِنهم مَن به مِثلُ المَوتِ من الحُزنِ والبَلاءِ، فلما سَمِعَ المسلمُونَ رَجَزَ العباسِ وتجلُّدَه، طابتْ نفوسُهُم، وظنَّ المشركونَ أنَّه قدْ أتاهُ ما لمْ يأتِهِم.

ثم أرسلَ العباسُ غلامًا له إلىٰ الحجَّاجِ، وقالَ له: اخْلُ بِه، وقُلْ لهُ: وَيلكَ ما جئتَ به وما تقولُ؟ فالذِي وَعَدَ اللَّهُ خيرٌ ممَّا جئتَ بِهِ.

فلمَّا كلَّمه الغلامُ قالَ لهُ: اقرأْ علىٰ أبي الفَضْلِ[2] السَّلامَ، وقلْ لهُ: فَلْيَخْلُ بي في بعضِ بيوتِه حتَّىٰ آتيَه؛ فإنَّ الخبرَ علىٰ ما يسُرُّهُ.

فلما بلغَ العبدُ بابَ الدارِ قالَ: أَبشرْ يا أبا الفَضلِ.

فقَامَ العباسُ فرحًا كأنه لمْ يصبْه بَلاءٌ قطُّ حتىٰ جاءَه وقبَّل ما بينَ

---

(١) **الأشم**: كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس. والشمم: ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلًا.

(٢) **أبي الفضل**: كنية العباس عم النبي ﷺ.

عَينَيه، فأخبرَه بقولِ الحجَّاجِ فأعتقَه، ثم قالَ: أخبرْني.

فأخبرَهُ بقولِ الحجَّاجِ، فلما جاءَه الحجَّاجُ وخَلا به أخذَ عليهِ لَتكْتُمَنَّ خَبري، فوافقَه العبَاسُ علىٰ ذلكَ.

فأخبرهُ الحَجاجُ بأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ افتتحَ خيبرَ وغنمَ أموالَهُم، وقال لهُ: ولكنْ جئتُ لمَالي أرَدتُ أنْ أجمعَهُ وأذهبَ به، وإني استأذنتُ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ أقولَ، فأذِنَ لي أنْ أقولَ ما شئتُ، فأَخفِ عليَّ ثلاثًا ثمَّ اذكرْ ما شِئتَ.

فجمَعَتْ له امرأتُه مَتاعَه، ثمَّ رجعَ سريعًا إلىٰ المَدينةِ.

فَلمَّا كانَ بعدَ ثلاثٍ أَتىٰ العَباسُ امْرأةَ الحجَّاجِ، فقالَ: ما فعلَ زوجُكِ؟.

قَالتْ: ذهَبَ، لا يحزُنْكَ اللهُ يا أبَا الفضلِ، لقدْ شقَّ عَلينا الذِي بلغَكَ.

فقَال: أجَلْ، لا يحزُنُني اللهُ، ولم يكنْ بحمدِ اللهِ إلا مَا أحبُّ.

وأخبرَها بأنَّ رسول الله ﷺ افتتحَ خيبرَ، وغنمَ أمْوالَهُم.

وقالَ لهَا: فإن كانَ لكِ في زوجِك حَاجةٌ فالحَقي بِه.

قالتْ: أظنُّكَ واللهِ صادقًا.

قالَ: فإني واللهِ صادقٌ، والأمْرُ علىٰ ما أقولُ لكَ.

قالتْ: فمن أخْبرَكَ بهذَا؟.

قالَ: الذِي أَخْبَرَكِ بمَا أَخْبرَكِ.

ثمَّ ذَهبَ حتىٰ أتىٰ مجَالسَ قُريشٍ، فلمَّا رأَوْه قالُوا: هذا واللهِ التَّجَلُّدُ يَا أبا الفَضلِ، ولا يُصِيبُكَ إلا خَيرٌ.

قالَ: أجلْ، لم يُصِبْني إلا خَيرٌ، والحمدُ للهِ أخبَرني الحجَّاجُ بكذَا وكذَا، وقدْ سَأَلني أن أكْتُمَ عليه ثلاثًا لحَاجةٍ.

فردَّ اللهُ مَا كانَ للمُسلمينَ منْ كآبةٍ وحُزنٍ علىٰ المُشركينَ، وخَرجَ المُسلمونَ مِن مواضِعِهِم حتَّىٰ دَخَلوا علىٰ العَباسِ، فأخبرَهُم الخَبرَ، فَسُرَّ المُسلِمونَ[1].

١٧- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كانتْ غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ على الرَّاجحِ»[2].

غَزا النبيُّ ﷺ بنفسِه غَزوةَ ذاتِ الرِّقاعِ، فسَارَ نحوَ نَجْدٍ، يُريدُ بَني مُحَارِبٍ، وبَني ثَعْلَبَةَ مِن غَطَفَانَ، واسْتَخْلَفَ علىٰ المَدينةِ أبا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ، وخرجَ في أَربَعِمائةٍ من أصحابِهِ.

وإنما قِيلَ لهَا: غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ؛ لأنَّهم تَشقَّقتْ أقدامُهم، وسقطتْ أظفارُهُم، فكانُوا يَعصبونَ أرجلَهُم بالخِرَقِ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ.

فلقِيَ النبيُّ ﷺ بنَجدٍ جمعًا عَظيمًا مِن غَطَفَانَ، فتقاربَ النَّاسُ، وتَواقَفُوا، ولمْ يكنْ بينَهم حَربٌ، ولا قتالٌ، وقد خافَ الناسُ بعضُهُم بَعضًا، حتىٰ صلَّىٰ رسولُ اللهِ ﷺ بالناسِ صلاةَ الخوفِ، ثمَّ انصرفَ بالنَّاسِ[3].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١٢٤٠٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٩٩-٣٠١)، و«البداية النهاية» (٦/ ٣٤٦-٣٤٨).

(٢) وممن رجح ذلك البخاري في «صحيحه» (٧/ ٣٢٢) باب غزوة ذات الرقاع، وابن حجر في «الفتح» وابن كثير في «البداية» (٤/ ٨٥)، وابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٥).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١١٣-١١٤)، و«صحيح مسلم» (١٨١٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٠٢-٢٠٣)، «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٤).

كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ الخَوفِ:

صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الخَوْفِ، فصَفَّتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ العَدُوِّ، فَصَلَّىٰ بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَصَفُّوا وِجَاهَ العَدُوِّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَىٰ فَصَلَّىٰ بِهِمُ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ[١].

وفي مَرجعهم من غزوة ذاتِ الرِّقاعِ أَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ[٢]، فَأَتَوا عَلَىٰ شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ فتَرَكُوهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ[٣]، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فنَامُوا نَوْمَةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَسَلَّهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟.

قَالَ: «**لَا**».

قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟.

قَالَ: «**اللهُ**».

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**».

قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ.

قَالَ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**».

قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ.

---

(١) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٢٩)، من حديث صالح بن خوَّات.

(٢) **القائلة**: أي النوم وقت الظهيرة.

(٣) **العضاه**: أي شجر عظيم له شوك.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ[١] سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا[٢]، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ**».

وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وإنَّما خَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَذَهَبَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فقَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ[٣].

وفي مَرجِعِهِم أيضًا سَبَوا امْرأةً مِنَ المُشركينَ، فنَذرَ زوجُها ألا يَرْجعَ حتَّىٰ يَقتُلَ أَحدَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجاءَ ليلًا، وقدْ أَرْصدَ رَسولُ الله ﷺ رَجُلينِ رَبيئَةً[٤] للمُسلمينَ مِنَ العَدوِّ، وهمَا عبَّاد بن بِشر، وعَمَّارُ بنُ يَاسرٍ، فضرَبَ عبَّادًا وهُو قائمٌ يُصَلِّي بِسهمٍ، فنزَعَهُ عَبَّادٌ، ولَمْ يَخْرُجْ مِنْ صَلَاتِهِ حتىٰ رمَاهُ بثلاثةِ أَسْهمٍ، فلمْ يَنصرفْ مِنها حتَّىٰ سلَّمَ، فأيقظَ صاحِبَه، فقالَ: سُبحانَ اللهِ، هَلَّا أَنْبَهْتَني؟.

فَقالَ عَبَّادٌ: إِنِّي كُنتُ أَقْرَأُ فِي سُورةِ الكَهفِ، فَكَرِهتُ أنْ أَقْطَعَهَا[٥].

١٨- «وَفِي هذه الغَزْوَةِ نَزلتْ آيةُ التَّيمم»[٦].

خَرَجَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقاعِ،

---

(١) **اخترط**: أي استل.

(٢) **صلتا**: أي مسلولًا.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤١٣٥، ٤١٣٦)، و«صحيح مسلم» (٨٤٣)، و«مسند أحمد» (١٤٩٢٩)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **ربيئة**: أي شخص مخصص للمراقبة.

(٥) **انظر**: «سنن أبي داود» (١٩٨)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٣٩٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٦) «مرويات غزوة بني المصطلق» (٣٣٥: ٣٤٦).

حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ[١] انْقَطَعَ عِقْدٌ لِعَائِشَةَ، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ التِمَاسِهِ وَطَلَبِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيسَ فِي المكانِ الَّذي أقامُوا فِيهِ مَاءٌ، فَأَتَىٰ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَىٰ مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَىٰ فَخِذِ عَائِشَةَ قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ!!.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة:٦].

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[٢].

فَأَقَامُوا البَعِيرَ الَّذِي كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَيْهِ عَائِشَةُ، فَوَجَدُوا العِقْدَ تَحْتَهُ[٣].

مما يستفاد من هذا:

١- مشروعية التيمم عند فقد الماء.

---

(١) بالبيداء، أو بذات الجيش: موضعان بين مكة والمدينة، وقيل: البيداء أدنىٰ إلىٰ مكة من ذي الحليفة.

(٢) **ما هي بأول بركتكم**: أي ليس هذا أول خير يكون بسببكم والبركة كثرة الخير.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (٣٦٧)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، و«فتح الباري»، لابن حجر (١/ ٤٣٤-٤٣٥).

٢- مشروعية السفر بالنساء.

٣- مشروعية اتخاذ الحُلي للنساءِ تجمُّلا لأزواجِهنَّ.

٤- تقرير قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢١٦].

متى يكونُ التيممُ؟

التيممُ يكونُ عندَ فقدِ الماءِ، أو عندَ عدم القدرةِ علىٰ استِعمَالِه، كالمَرض، وشدةِ البردِ؛ لقولِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [النساء:٤٣].

وقدْ أجمَعَ أهلُ العلمِ علىٰ مَشروعيةِ التيمم للمسافرِ إذَا كان معهُ ماءٌ يَكْفي شُربَه فقَطْ، ويخْشَىٰ العَطَشَ إنْ تَطَهَّرَ بِه[1].

كَيفيةُ التَّيمُّمِ:

١- تَقولُ «بسمِ اللهِ»، وتضربُ بِيدَيكَ علىٰ التُّرابِ ضربةً واحدةً.

٢- تَنفضُ يَدَيكَ مِنَ التُّرابِ.

٣- تَمسحُ ظهرَ كفِّكَ اليُمْنىٰ بباطنِ يدِكَ اليُسرَىٰ.

٤- تَمسحُ وجْهَكَ[2].

١٩- «وَفِي مرجِعِهِم من ذَاتِ الرِّقَاعِ اشترَى النَّبيُّ ﷺ جمَلَ جابرِ

---

(١) انظر: «الإجماع»، لابن المنذر، رقم (٢٨).

(٢) كما روىٰ البخاري (٣٤٧)، ومسلم (٣٦٨)، عنْ عَمَّارٍ، قَالَ: أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الماءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَىٰ الأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ، أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ».

ابنِ عبدِ اللهِ، ثُمَّ أعطاهُ ثَمنَه وردَّه عَلَيْهِ»[١].

خَرَجَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ ضَعِيفٍ قَدْ أَعْيَا، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَقَ النَّاسُ جَمَلَ جَابِرٍ حَتَّىٰ صَارَ فِي مُؤَخِّرَتِهِمْ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**».

فَقَالَ جَابِرٌ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ.

قَالَ: «**مَا لَكَ؟**».

فَقَالَ جَابِرٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا.

قَالَ: «**أَمَعَكَ قَضِيبٌ؟**».

فَقَالَ جَابِرٌ: نَعَمْ.

قَالَ: «**أَعْطِنِيهِ**».

فَأَعْطَاهُ، فَضَرَبَهُ فَدَعَا لَهُ، فَزَجَرَهُ، فَسَارَ بِسَيْرٍ لَيْسَ يَسِيرُ مِثْلَهُ، حَتَّىٰ كَانَ فِي أَوَّلِ القَوْمِ.

وَتَحَدَّثَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟**».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ أَهَبُهُ لَكَ.

قَالَ: «**بَلْ بِعْنِيهِ قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ**».

فَقَالَ جَابِرٌ: فَهُوَ لَكَ، وَاسْتَثْنَىٰ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُمْلَانَهُ إِلَىٰ أَهْلِهِ.

قَالَ: « **قَدْ أَخَذْتُهُ، وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَىٰ المَدِينَةِ**[١]».

---

(١) الحديث في «الصحيحين» دون تعيين الغزوة، ولكن أخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٠٦) عن ابن إسحاق، حدثني وهب بن كيسان عن جابر به وَفِيه تعيين الغزوة، وهذا سند صحيح. وراجع: «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٧).

قَالَ جَابِرٌ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّىٰ أَنَخْتُهُ عَلَىٰ بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرَأَىٰ الْجَمَلَ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ.

قَالَ: «**فَأَيْنَ جَابِرٌ؟**».

قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بن أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ، فَهُوَ لَكَ**»، وَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ لَهُ: «**يَا بِلَالُ، اقْضِهِ وَزِدْهُ**».

فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ، وَزَادَهُ قِيرَاطًا[٢]، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ إِثْرِي، قَالَ: «**مَا كُنْتُ لِآخُذَ جَمَلَكَ، فَخُذْ جَمَلَكَ ذَلِكَ، فَهُوَ مَالُكَ**»، فو الله مَا زَالَ يَنْمِىٰ عِنْدِي، لَا تُفَارِقُنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنِ القِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٣].

ممَّا يستفاد من هذا:

١- جواز ابتداء المشتري بذكر الثمن.

٢- جواز ضرب الدابة للسير وإن كانت غير مكلفة إذا عُلم أن ذلك منها ليس تعبًا وإعياءً.

٣- جواز الوكالة في وفاء الديون والوزن علىٰ المشتري.

٤- جواز الشراء بالنسيئة.

---

(١) **ولك ظهره إلىٰ المدينة**: أي لك أن تركب البعير إلىٰ المدينة.

(٢) **قيراطًا**: القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عُشْرِه في أكثر البلاد.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٣٠٩، ٢٧١٨)، و«صحيح مسلم» (٧١٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

٥- القبض ليس شرطا في صحة البيع إلا في الأموال الرِّبوية.

٦- تفقد الإمام والكبير لأصحابه وسؤاله عما ينزل بهم، وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء.

٧- مشروعية ردِّ العطية قبل القبض؛ لقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**هُو لَكَ**»، قال «**لا بلْ بِعْنِيه**».

٨- تواضع النبي ﷺ[١].

٢٠- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إلى بَني عبدِ بنِ ثَعْلَبَةَ»[٢].

قال يَسَارٌ مَولىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، إني أَعلم غِرَّةً من بني عبدِ بنِ ثَعلبةَ، فأَرْسلَ رسولُ اللهِ ﷺ مَعهُ غالبَ بنَ عبدِ اللهِ الليثيَّ في مائةٍ وثلاثينَ رَجُلًا، حتىٰ أغارُوا علىٰ بَني عبدٍ، فاسْتَاقُوا نَعَمَهُمْ، وَشَاءَهُمْ، ورجعُوا إلىٰ المَدينةِ[٣].

٢١- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى نَجدٍ»[٤].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سريَّةٍ إلىٰ نجدٍ قِبَلَ بَني فَزارةَ، وأمَّرهُ عَليها، ومعه سَلمةُ بن الأَكوعِ، فلمَّا اقتربُوا مِن بَني فَزَارَةَ في آخرِ الليلِ نزلُوا؛ لِيستريحُوا، ثم أغارُوا عَليهِم، فقتلُوا منهُم، وسبَوا، وقتلَ سَلَمَةُ بيدِه سبعةَ أهلِ أبياتٍ منَ المشرِكين.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٥/ ٣٢١).
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٢)، «الكامل» (٢/ ١٠٦).
(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٣).
(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١).

وبينَما همْ في ساحةِ القِتالِ أبْصرَ سَلَمةُ جماعةً من الناسِ فيهمْ الأطفالُ، والنساءُ يُريدونَ الهُرُوبَ، فرمَاهُم بِسهمٍ، فوقَفُوا، فجاءَ بهم يَسوقُهم إلىٰ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيهم امرأةٌ من بَني فَزارَةَ معَها ابنةٌ لهَا مَن أحسنِ العربِ، فأعطىٰ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنَتَها لِسَلَمَةَ.

ثم لَقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ سَلَمَةَ مِن الغَدِ في السُّوقِ، فقالَ لهُ: «**يا سَلمَةُ، هبْ لي المرأةَ، للهِ أبوكَ**[1]».

فقالَ سَلَمَةُ: هيَ لكَ يا رسولَ اللهِ، فواللهِ ما كَشَفْتُ لهَا ثوبًا[2].

فبعثَ بها رَسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ أهلِ مَكةَ، فَفدَىٰ بها نَاسًا مِنَ المُسلمينَ كانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ[3].

٢٢- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى تُرْبَةَ»[4].

بَعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثَلاثينَ رَجُلا إلىٰ هَوَازِنَ بتُرْبةَ، فخَرَجَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعَهُ دَليلٌ، فكانوا يَسيرُونَ الليلَ وَيَكْمُنُونَ النهارَ، فلمَّا عَلمتْ بهمْ هَوَازنُ هَربُوا، وجَاءَ عُمَرُ مَساكِنَهم فلم يَلقَ منهُم أحدًا، فانصرفَ رَاجعًا إلىٰ المَدينةِ.

وفي طريقِهم إلىٰ المدينةِ قالَ الدَّليلُ لِعُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هلْ لكَ في قِتالِ خَثْعَمٍ، وقدْ أَجْدَبتْ بِلادُهُمْ؟.

---

(١) **لله أبوك**: كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها مثل قولهم: لله درك، فإن الإضافة إلىٰ العظيم تشريف، فإذا وجد من الولد ما يحمد، يقال: لله أبوك حيث أتىٰ بمثلك.

(٢) **ما كشفت لها ثوبًا**: أي لم أجامعها.

(٣) **انظر**: «صحيح مسلم» (١٧٥٥)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٧٢٢).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «البداية» (٤/ ٢١٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٠).

فَقالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِتالُ خَثْعَمٍ؟.

فَقال الدليلُ: نَعَمْ.

فَقالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يَأْمُرَني إلا بقتالِ هَوَازِنَ في أرْضِهِمْ[١].

٢٣- «وَفِي شَعْبانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بَشيرِ بنِ سعدٍ والدِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ الأنصاريِّ إلى بَني مُرَّةَ بِنَاحيةِ فَدَكَ»[٢].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ بَشيرَ بنَ سعدٍ الأنصاريَّ إلىٰ بَني مُرَّةَ بِفدَكَ في ثلاثينَ رجلًا، فخرَج إليهم، فلقيَ رعاءَ الشاءِ، فسألَ: أَينَ الناسُ؟.

فقالُوا: هُم في بَوَادِيهِمْ.

فاسْتَاقَ بَشيرٌ النَّعَمَ والشَّاءَ، ورجعَ إلىٰ المَدينةِ، فأتىٰ الصَّرِيخُ الْمُرِّيِّنَ، فَأَخْبرَهُمْ بما فَعلَ بشيرٌ وأصْحابُه، فخرَجوا إليهِ، فأدْرَكُوه عندَ الليلِ، فباتُوا يَرمُونَهم بالنَّبلِ حتىٰ فَني نَبلُ بَشيرٍ وأصْحابِه، فلمَّا أصْبحُوا حملَ الْمُرِّيُّونَ علىٰ أصحابِ بَشيرٍ فَقَتَلُوهم جميعًا، وقاتلَ بَشيرٌ قتالًا شديدًا حتىٰ ضُربَ كَعبُهُ، ورجعَ القومُ بِنَعَمِهِم وشائِهِمْ، وتحاملَ بشيرٌ حتَّىٰ انْتَهىٰ إلىٰ فَدك، فأقامَ عندَ يهودَ أيامًا حَتىٰ بَرِئَتْ جِرَاحُهُ، ثمَّ رجعَ إلىٰ المَدينةِ[٣].

٢٤- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبدِ اللهِ

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٢٢)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١١٧)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «البداية» (٤/ ٢٢٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٢).

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٢٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١١٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣١٩).

الليثيِّ إلى بَنِي مُرَّةَ، وَفِيها قَتلَ أسامةُ بنُ زيدٍ رَجلًا بعدَ أنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ فَأَنْكَرَ عَلَيهِ النَّبيُّ ﷺ»[1].

أرادَ النَّبيُّ تأديبَ الأعرابِ الذين أصابوا سَرِيَّةَ بَشيرِ بنِ سعدٍ، فبعثَ غالبَ بنَ عبد اللهِ في مائةٍ وثلاثينَ رجُلًا إلىٰ بني مُرَّةَ، وَهِيَ الحُرُقاتُ[2]، فهجَمُوا عَليهم جميعًا، وقتلوا مَن خَرجَ لهم، واستاقوا نَعَمًا وشَاء إلىٰ المدينة، ولم يَأْسروا أحدا.

وفي هذه السَّريةِ لَحِقَ أُسامَةُ بنُ زيدٍ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا، فقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنَهُ أُسامةُ بِرُمْحِهِ حَتَّىٰ قَتَلَهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لأُسَامَةَ: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا[3].

قَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**».

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١، ١٤٢)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «زاد المعاد» (٣/ ٣١٩) وراجع: «صحيح البخاري» في المغازي، باب بعثة النبي ﷺ أسامة إلىٰ الحرقات، وَفِي الديات (٦٨٧٢)، ومسلم في الإيمان (٩٦).

(٢) **فائدة:** ورد في الصحيحين، وغيرهما من كتب السنة: أنَّ البعث كان إلىٰ الحُرقات من جهينة، وورد في كتب «السير والمغازي» أنه كان لبني مُرَّة بالقربِ من فدكَ، فما وجهُ الجمع بين ذلك؟.

الجواب: الذي تشير إليه كتب الأنساب أنَّ ديار الحُرقات كانت قريبة من ديار بني مُرة، بدليل أنَّ الحرقة، وهم بنو الحميس لُقِّبوا بالحُرقة؛ لأنهم أحرقوا بني مرّة قتلاً بالنبل في حربٍ دارت بينهما، ومعلومٌ بداهةً أنَّ كلتا القبيلتين غطفانيتان، ومنازل غطفان تمتد حولَ منطقة خيبر، ووادي القرىٰ، وفدك. [انظر: «غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية»، للدكتور بريك العمري، صـ(١٥٦-١٥٧)].

(٣) **متعوذا**: أي معتصما.

قَالَ أُسَامَةُ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ[(١)].

ممَّا يستفاد من هذا:

١- إذا نطق الكافر بالشهادة وجب الكفُّ عَنهُ، والوقوفُ عن قتله سواء أكان بعد القدرة أم قبلها.

٢- اللوم في الموعظة تعليمٌ وإبلاغٌ حتىٰ لا يقدم أحَد علىٰ قتلِ مَنْ تلفَّظ بالتوحيد.

٣- تكرير النبي ﷺ ذلك، وإعراضه عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام علىٰ مثل ذلك.

٤- الأحكام يعمل فيها بالظواهر، والله يتولَّىٰ السرائر.

٥- الأحكام تترتب علىٰ الأسباب الظاهرة دون الباطنة[(٢)].

٢٥- «فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بَشِيرِ بنِ سَعدٍ أيضًا إلى يَمَنٍ، وجَبَارٍ»[(٣)].

بلغَ رَسولَ اللهِ ﷺ أنَّ جمعًا من غَطَفانَ قد واعَدَهُم عُيَينَةُ بنُ حِصنٍ؛ ليكونَ مَعَهُم؛ ليزحَفوا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فدعَا رسولُ اللهِ ﷺ بشيرَ بنَ سَعدٍ، فعقدَ له لواءً، وبعثَ معه ثلاثَمِائةِ رجلٍ، فَكانُوا

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٢٦٩)، و«صحيح مسلم» (٩٦)، من حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٤٢٣-٤٢٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٢)، و«غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية»، للدكتور بريك العمري، صـ(١٦١).

(٢) انظر: «معالم السنن» (٢/ ٢٧٠)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٠٧)، و«فتح الباري» (١٢/ ١٩٥-١٩٦).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٢)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «زاد المعاد» (٣/ ٣٢١)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٤).

يَسيرُونَ بالليل، ويستريحونَ بالنَّهارِ حَتىٰ أَتَوا إلىٰ يَمَنٍ، وجَبَارٍ، ثم دَنوا من القومِ فأصَابُوا لهم نَعَمًا كثيرًا، وتفرَّق الرِّعَاءُ، فَحذَّرُوا الجَمعَ، فهَربُوا.

وخرجَ بشيرُ بنُ سَعدٍ في أصحابِه حتَّىٰ أَتىٰ محَالَّهُمْ، فلمْ يجدْ فيها أحدًا، فرجعَ بالنَّعم، وأَسرَ منهُم رَجلينِ، وقدِمَ بهما إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأسْلَمَا، فتَرَكَهُمَا[1].

٢٦- «فِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ عُمرةُ القَضَاءِ»[2].

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ معتمِرًا عُمرةَ القَضاءِ، مكانَ عُمرتِه التي صدَّهُ عَنها المشركونَ، واسْتَخْلَفَ علىٰ المدينةِ عُوَيْفَ بْنَ الْأَضْبَطِ الدِّيلِيَّ.

وخرجَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ المُسلمونَ الذينَ صُدُّوا معَه في عمرتِه تلكَ، وتحدثتْ قريشٌ بينَها أنَّ محمدًا وأصحابَه في عُسرَةٍ وجَهدٍ وشِدَّةٍ، وقالُوا: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَتْهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِبَ.

ولمَّا قدِمَ رسُولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه وقفَ الكفارُ الرِّجالُ والنساءُ والصبيانُ ينظرونَ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه وهُم يَطُوفُون بالبيتِ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ، وتغيَّبَ رجالٌ منَ المشركينَ كَراهيةَ أنْ ينظُروا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ غَيظًا.

ولمَّا دَخلَ رسولُ اللهِ ﷺ المَسجدَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ؛ لِيَرَىٰ الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُمْ وَصَبْرَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّىٰ قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٢٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٢)، «الكامل» (٢/ ١٠٦).

يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ.

واضطبع بردائه[١]، وأخرجَ عَضُدَه اليُمنىٰ، ثم قالَ: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً**».

ثمَّ استلَمَ الركنَ، وخرجَ يُهَرْوِلُ[٢]، ويُهَرْوِلُ أصحابُه معَه، حتَّىٰ إذَا سَترهُ البيتُ مِنهم، واسْتَلَم الرُّكْنَ اليَمَانيَّ، مَشىٰ حتَّىٰ يَستَلِمَ الركنَ الأسودَ، ثم هَرْوَلَ كذلكَ ثلاثةَ أطوافٍ، ومَشَىٰ سائِرَهَا.

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْترونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ المُشْرِكِينَ وَغِلْمَانِهِمْ؛ لِئَلَّا يُؤْذُوهُ ﷺ[٣].

وسمِّيتْ هذِه العُمرةُ بِعُمرَةِ القَضَاءِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قاضَىٰ أهلَ مكةَ عَليها، فالقَضَاء هُنا مِنَ المُقَاضَاةِ، لا مِن قَضَىٰ قَضَاءً، ولذلكَ سُمِّيَتْ أَيضًا بالقصَاصِ، وَبِعُمْرَةِ القَضِيَّةِ[٤].

٢٧- «فِي ذِي القَعدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تزوَّجَ ﷺ بِمَيمونَةَ بنتِ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[٥].

عندمَا أشرفَ رَسولُ اللهِ ﷺ علىٰ مَكةَ بَعثَ جَعفَرَ بنَ أبي طالبٍ

---

(١) **اضطبع بردائه**: أي أدخل بعضه تحت عضده اليمنىٰ، وجعل طرفه علىٰ منكبه الأيسر.

(٢) **يهرول**: الهرولة: فوق المشي، ودون الجري.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٥١، ٤٢٥٥، ٤٢٥٦)، و«صحيح مسلم» (١٢٦٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٠-٣٧٢)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٧٦-٣٨٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ٨٦).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٣)، «الكامل» (٢/ ١٠٧)، «شذرات الذهب» (١/ ٢١) وراجع: «صحيح البخاري» في المغازي: باب عمرة القضاء، وَفِي الحج: باب تزويج المحرم، وَفِي النكاح: باب نكاح المحرم، و«صحيح مسلم» في النكاح: باب تحريم نكاح المحرم (١٤١٠) «زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧ - ٣٣١).

أَمَامَهُ إلىٰ مَيمونَةَ بنتِ الحارثِ العَامِرِيَّةِ، فخَطَبها إليهِ، فَجعلتْ أمْرَها إلىٰ العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، وكانتْ أختُهَا أمُّ الفَضْلِ زَوْجةَ العبَّاسِ، فزوَّجَها العباسُ رسولَ اللهِ ﷺ، وأصدَقَها عن رسولِ اللهِ ﷺ أربعَمِائةِ دِرهمٍ[1].

وأقامَ رسولُ الله ﷺ بمَكَّة ثَلاثًا، فلما أَصبحَ مِنَ اليومِ الرابعِ، أتاهُ سُهَيلُ بنُ عَمرٍو، وحُوَيطبُ بنُ عَبدِ العُزَّىٰ في نفرٍ من قُريشٍ، وكانتْ قريشٌ قد وكَّلتْهُ بإخراجِ رسولِ اللهِ ﷺ من مكَّةَ، وكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ في مجلسِ الأنصارِ يتحدَّثُ مع سَعدِ بن عُبادَة، فصَاحَ حُويطبٌ: نُنَاشِدُكَ اللهَ وَالْعَقْدَ لَمَا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا، فَقَدْ مَضَتِ الثَّلَاثُ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَا أُمَّ لَكَ، لَيْسَتْ بِأَرْضِكَ وَلَا أَرْضِ آبَائِكَ، وَاللهِ لَا نَخْرُجُ.

ثُمَّ نَادَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ حويطبا أَوْ سهيلا، فَقَالَ: «**إِنِّي قَدْ نَكَحْتُ مِنْكُمُ امْرَأَةً فَمَا يَضُرُّكُمْ أَنْ أَمْكُثَ حَتَّىٰ أَدْخُلَ بِهَا، وَنَضَعُ الطَّعَامَ فَنَأْكُلُ وَتَأْكُلُونَ مَعَنَا**».

فَقَالُوا: نُنَاشِدُكَ اللهَ وَالْعَقْدَ إِلَّا خَرَجْتَ عَنَّا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أبَا رافعٍ، فَأَذَّنَ بِالرَّحِيلِ.

وَأَبَىٰ المُشركُونَ إلَا أنْ يخرجَ النبيُّ ﷺ قبلَ أنْ يَبنيَ بِمَيمونَةَ بِمكةَ بعدَ عُمرَتِه، فرَكِبَ رسولُ اللهِ ﷺ حتىٰ نَزَلَ سَرِفَ[2]، فأقامَ بِها، وخلَّفَ أبَا رَافعٍ في مَكَّةَ؛ لِيحملَ ميمونةَ إليهِ حين يُمْسي، فأقامَ حتىٰ قَدِمَتْ ميمونةُ ومنْ مَعَها، وقدْ لَقَوا أذًىٰ وعَناءً مِن سُفهاءِ المُشركينَ

---

(١) الدرهم يساوي ثلاث جرامات فضة عيار ألف تقريبًا.

(٢) سَرِف: موضع قرب التنعيم.

وصِبْيانِهم، فبَنىٰ رسولُ اللهِ ﷺ بها بسَرِفَ، ثمَّ أدْلَجَ[١]، ثمَّ انْصرفَ رَسولُ الله ﷺ إلىٰ المدينةِ في ذِي الحِجَّةِ[٢].

٢٨ - «في ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ ابنِ أَبِي العَوجَاءِ السُّلَمِيِّ إلى بَنِي سُلَيمٍ»[٣].

لمَّا رجعَ رَسولُ الله ﷺ مِن عُمرةِ القَضاءِ بعثَ ابنَ أبي العَوجاءِ السُّلَميَّ في خمسينَ رجُلًا إلىٰ بَني سُلَيمٍ؛ لِيَدْعُوهُم إلىٰ الإِسْلَام، وكانَ معهُ عينٌ لبني سُليمٍ، فلمَّا خَرَجَ من المَدينةِ ذَهَبَ العينُ إلىٰ قومِهِ فحذَّرَهُم وأخبرَهُم، فجَمَعُوا جمْعًا كثيرًا، فَجاءَهم ابنُ أَبي العَوجاءِ، وبَنُو سُلَيمٍ مُعِدُّونَ لهُ، فلمَّا رآهُم أصْحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ورَأَوا جمْعَهُم دَعَوهُم إلىٰ الإسلامِ، فرشَقُوهُم بالنَّبلِ ولم يَسمَعوا قولَهُم، وقالُوا: لا حَاجةَ لنَا إلىٰ مَا دَعَوتُم إليهِ.

فترامَوا بالنَّبلِ ساعةً، وجَعلتِ الأمْدادُ تَأتي بَني سُلَيمٍ حتَّىٰ أحَاطُوا بالمُسلمينَ منْ كَلِّ ناحيةٍ، فقاتلَ المُسلمونَ قِتالا شَديدًا حتىٰ قُتِلَ عامتُهم، وأُصيبَ ابنُ أبي العَوجَاءِ جَريحًا مع القَتلىٰ، ثمَّ تَحاملَ حتىٰ أَتىٰ المَدِينَةَ[٤].

٢٩- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: أَسْلَمَ عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ وأَبُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[٥].

جاءت قريشٌ إلىٰ حُصَينٍ، وكانت تعظِّمُهُ وتجلُّهُ، فَقَالُوا لَهُ: كَلِّمْ

---

(١) **أدلج**: أي سار من أول الليل.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٢)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٧٩-٣٨٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧-٣٢٩).

(٣) «البداية» (٤/ ٢٣٣).

(٤) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٤١)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٢٣).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٨).

لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا وَيَسُبُّهُمْ، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّىٰ جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ الْحُصَيْنُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ**».

فَقَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي يَبْلُغُنَا عَنْكَ، إِنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا وَتَذْكُرُهُمْ؟

فَقَالَ: «**يَا حُصَيْنُ، كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟**».

قَالَ: سَبْعَةً فِي الْأَرْضِ، وَإِلَهًا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: «**فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ مَنْ تَدْعُو؟**».

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: «**فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟**».

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: «**فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟، يَا حُصَيْنُ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ**».

فأَسلَم، وأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنُهُ عِمْرَانُ بنُ حُصَينٍ.

فقَالَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِيَ الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي.

فَقَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**».

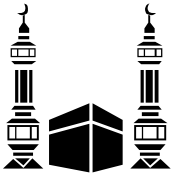
فلمَّا أرادَ حُصينٌ الخُروجَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحَابِه: «**شَيِّعُوه**[1] **إِلَىٰ مَنزِلِهِ**».

فلمَّا خَرجَ مِن عَتبةِ البابِ رأتْهُ قُريشٌ، فَقَالُوا: قدْ صَبَأَ، وتفرَّقوا عَنهُ[2].

---

(١) **شيعوه**: أي امشوا معه.

(٢) **انظر**: «سنن الترمذي» (٣٤٨٣)، و«التوحيد»، لابن خزيمة (١/ ٢٧٧)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٢٠٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٧٧)، و«السيرة الحلبية» (١/ ٤٠٢)، وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سنن الترمذي».



السَّنَةُ الثَّامِنَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

السَّنَةُ الثَّامِنَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

وَفِيهَا أَرْبَعَةٌ وخَمْسُونَ حَدَثًا:

١- «في صَفرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَسْلَمَ عَمرُو بنُ العاصِ، وخَالدُ بنُ الوليدِ وعثمانُ بنُ طَلحةَ، وهَاجَروا إلى المَدِينةِ»[١].

أما قِصَّةُ إِسْلامِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيحْكِيها لنَا قائلًا: كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُجَانِبًا مُعَانِدًا حَضَرْتُ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَنَجَوْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ أُحُدًا فَنَجَوْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ الْخَنْدَقَ فَنَجَوْتُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَمْ أُوضِعُ[٢]!، وَاللهِ لَيَظْهَرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ قُرَيْشٍ.

فَلَحِقْتُ بِمَالِي بِالْوَهْطِ[٣]، وَأَقَلَلْتُ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ، فَلَمَّا حَضَرَ الْحُدَيْبِيَةُ، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الصُّلْحِ، وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ مَكَّةَ، جَعَلْتُ أَقُولُ: يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ قَابِلًا مَكَّةَ بِأَصْحَابِهِ، مَا مَكَّةُ بِمَنْزِلٍ وَلَا الطَّائِفُ، وَلَا شَيْءَ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ.

وَأَنَا بَعْدُ بَعِيدٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَرَىٰ لَوْ أَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا لَمْ أُسْلِمْ، فَقَدِمْتُ مَكَّةَ وَجَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِي، وَكَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، وَيُقَدِّمُونَنِي فِيمَا نَابَهُمْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: كَيْفَ أَنَا فِيكُمْ؟.

قَالُوا: صَاحِبُ رَأْيِنَا، وأَشْرَفُنَا.

---

(١) «الكامل» (٢/ ١٠٩)، «مغازي الذهبي» (٤٦٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ٢٦٥).

(٢) أوضع: أي أُسرع في الشر.

(٣) الوهط: بستان كان لعمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطائف.

قُلْتُ: تَعْلَمُونَ أَنِّي وَاللهِ لَأَرَىٰ أَمْرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا.

قَالُوا: وَمَا هُوَ؟.

قُلْتُ: نَلْحَقُ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ مَعَهُ، فَإِنْ يَظْهَرْ مُحَمَّدٌ كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَنَكُونُ تَحْتَ يَدِ النَّجَاشِيِّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدِ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ تَظْهَرْ قُرَيْشٌ فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا.

قَالُوا: هَذَا الرَّأْيُ.

قُلْتُ: فَاجْمَعُوا مَا نُهْدِيهِ لَهُ.

وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَىٰ إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ[1]، فَجَمَعْنَا أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ، فَوَاللهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ بِكِتَابٍ كَتَبَهُ، يُزَوِّجُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَلَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ سَرَرْتُ قُرَيْشًا، وَكُنْتُ قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.

فَدَخَلْتُ عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟.

قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَهْدَيْتُ لَكَ أَدَمًا كَثِيرًا.

ثُمَّ قَدَّمْتُهُ فَأَعْجَبَهُ، وَفَرَّقَ مِنْهُ شَيْئًا بَيْنَ بَطَارِقَتِهِ[2]، وَأَمَرَ بِسَائِرِهِ

---

(١) **الأدم**: أي الجلد المدبوغ.

(٢) **بطارقته**: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب، وأمورها بلغة الروم.

فَأُدْخِلَ فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ وَيُحْتَفَظَ بِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ طِيبَ نَفْسِهِ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ عَدُوٍّ لَنَا قَدْ وَتَرَنَا[1]، وَقَتَلَ أَشْرَافَنَا وَخِيَارَنَا، فَأَعْطِنِيهِ فَأَقْتُلَهُ.

فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَرَفَعَ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفِي ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَسَرَهُ، فَابْتَدَرَ مَنْخَرَايَ، فَجَعَلْتُ أَتَلَقَّىٰ الدَّمَ بِثِيَابِي، فَأَصَابَنِي مِنَ الذُّلِّ مَا لَوِ انْشَقَّتْ بِيَ الْأَرْضُ دَخَلْتُ فِيهَا، فَرَقًا[2] مِنْهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ مَا قُلْتُ مَا سَأَلْتُكَ.

فَاسْتَحْيَا، وَقَالَ: يَا عَمْرُو، تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ مَنْ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ[3] الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَىٰ، وَالَّذِي كَانَ يَأْتِي عِيسَىٰ لِتَقْتُلَهُ؟!.

قَالَ عَمْرٌو: فَغَيَّرَ اللهُ قَلْبِي عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: عَرَفَ هَذَا الْحَقَّ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ وَتُخَالِفُ أَنْتَ؟!.

ثُمَّ قُلْتُ: أَتَشْهَدُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِهَذَا؟.

قَالَ: نَعَمْ، أَشْهَدُ بِهِ عِنْدَ اللهِ يَا عَمْرُو، فَأَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَعَلَىٰ الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَىٰ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

قُلْتُ: أَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَنِي عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ دَعَا بِطَسْتٍ، فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمَ وَكَسَانِي ثِيَابًا، وَكَانَتْ ثِيَابِي قَدِ امْتَلَأَتْ بِالدَّمِ فَأَلْقَيْتُهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَىٰ

---

(١) **وترنا**: أي جنىٰ علينا، وانتقصنا.

(٢) **فرقا**: أي خوفا.

(٣) **الناموس الأكبر**: أي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَصْحَابِي، فَلَمَّا رَأَوْا كِسْوَةَ النَّجَاشِيِّ سُرُّوا بِذَلِكَ، وَقَالُوا: هَلْ أَدْرَكْتَ مِنْ صَاحِبِكَ مَا أَرَدْتَ؟.

فَقُلْتُ لَهُمْ: كَرِهْتُ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، وَقُلْتُ: أَعُودُ إِلَيْهِ.

فَقَالُوا: الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ.

فَفَارَقْتُهُمْ وَكَأَنِّي أَعْمِدُ لِحَاجَةٍ، فَعَمَدْتُ إِلَىٰ مَوْضِعِ السُّفُنِ، فَأَجِدُ سَفِينَةً قَدْ شُحِنَتْ تُدْفَعُ، فَرَكِبْتُ مَعَهُمْ وَدَفَعُوهَا، حَتَّىٰ انْتَهَوْا إِلَىٰ الشُّعَيْبَةِ[1]، وَخَرَجْتُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَعِي نَفَقَةٌ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا، وَخَرَجْتُ أُرِيدَ الْمَدِينَةَ، حَتَّىٰ مَرَرْتُ عَلَىٰ مَرِّ الظَّهْرَانِ، ثُمَّ مَضَيْتُ، حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ بِالْهَدَةِ، فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ يُرِيدَانِ مَنْزِلًا، وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي الْخَيْمَةِ، وَالْآخَرُ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟.

قَالَ: مُحَمَّدًا، دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَعْمٌ، وَاللهِ لَوْ أَقَمْتُ لَأُخِذَ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا.

قُلْتُ: وَأَنَا وَاللهِ قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّدًا، وَأَرَدْتُ الْإِسْلَامَ.

فَخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَرَحَّبَ بِي، فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ، ثُمَّ تَرَافَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَمَا أَنْسَىٰ قَوْلَ رَجُلٍ لَقِينَاهُ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ يَصِيحُ: يَا رَبَاحُ، يَا رَبَاحُ، يَا رَبَاحُ، فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ وَسُرِرْنَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمَقَادَةَ[2] بَعْدَ هَذَيْنِ.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي، وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَوَلَّىٰ مُدْبِرًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ

---

(١) **الشعيبة**: هي مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة، ومرسىٰ سفنها قبل جدة.

(٢) **المقادة**: أي الانقياد، والمذلة.

سَرِيعًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِنَا، فَكَانَ كَمَا ظَنَنْتُ، وَأَنَخْنَا بِالْحَرَّةِ، فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا، ثُمَّ نُودِيَ بِالْعَصْرِ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ وَإِنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلًا، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي إِلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُ.

فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ فَقَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**».

فَوَاللهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرٍ حَزَبَهُ مُنْذُ أَسْلَمْنَا، وَلَقَدْ كُنَّا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ، وَلَقَدْ كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بِتِلْكَ الْحَالَةِ، وَكَانَ عُمَرُ عَلَىٰ خَالِدٍ كَالْعَاتِبِ[1].

وأَمَّا قِصةُ إسلامِ خَالدِ بنِ الوَليدِ فَيحْكِيهَا لَنَا قَائلًا: لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِي مَا أَرَادَ مِنَ الْخَيْرِ، قَذَفَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي، فَقُلْتُ: قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَيْسَ فِي مَوْطِنٍ أَشْهَدُهُ إِلَّا أَنْصَرِفُ وَأَنَا أَرَىٰ فِي نَفْسِي أَنِّي مَوْضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَظْهَرُ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَةِ خَرَجْتُ فِي خَيْلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ، فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ، وَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَصَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ أَمَامَنَا، فَهَمَمْنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ، فَلَمَّا صَالَحَ قُرَيْشًا بِالْحُدَيْبِيَةِ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ؟ أَيْنَ الْمَذْهَبُ؟ إِلَى النَّجَاشِيِّ؟ فَقَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا،

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١٧٧٧٧)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٧٤١-٧٤٥)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٩٩-٤٠٣).

وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ آمِنُونَ، فَأَخْرُجُ إِلَىٰ هِرَقْلَ؟ فَأَخْرُجُ مِنْ دِينِي إِلَىٰ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ، فَأُقِيمُ فِي عَجَمٍ تَابِعًا، فَأُقِيمُ فِي دَارِي فِيمَنْ بَقِيَ؟.

فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ، تَغَيَّبْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ! وَمِثْلُ الْإِسْلَامِ جَهِلَهُ أَحَدٌ؟! وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْكَ، وَقَالَ: «**أَيْنَ خَالِدٌ؟**».

فَقُلْتُ: يَأْتِي اللهُ بِهِ.

فَقَالَ: «**مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَحَدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ**».

فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ، فَقَدْ فَاتَكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ.

فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَسَرَّنِي سُؤَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِّي، وَأَرَىٰ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلَادٍ ضَيِّقَةٍ مُجْدِبَةٍ، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ بِلَادٍ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا، فَلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قُلْتُ: لَأَذْكُرَنَّهَا لِأَبِي بَكْرٍ.

فَقَالَ: مَخْرَجُكَ الذِي هَدَاكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ.

فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ: مَنْ أُصَاحِبُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، فَلَقِيتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا وَهْبٍ، أَمَا تَرَىٰ

مَا نَحْنُ فِيهِ، إِنَّمَا نَحْنُ أَكَلَةُ رَأْسٍ[١]، وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَاتَّبَعْنَاهُ، فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ.

فَأَبَىٰ أَشَدَّ الْإِبَاءِ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مَا اتَّبَعْتُهُ أَبَدًا.

فَافْتَرَقْنَا، وَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ قُتِلَ أَخُوهُ، وَأَبُوهُ بِبَدْرٍ.

فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، قُلْتُ: فَاكْتُمْ عَلَيَّ.

قَالَ: لَا أَذْكُرُهُ.

فَخَرَجْتُ إِلَىٰ مَنْزِلِي، فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي، فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَىٰ أَنْ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا لِي صَدِيقٌ، فَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أَرْجُو.

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُذَكِّرَهُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ، لَوْ صُبَّ فِيهِ ذَنُوبٌ مِنْ مَاءٍ لَخَرَجَ.

وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبِي، فَأَسْرَعَ الْإِجَابَةَ، وَقَالَ: إِنِّي غَدَوْتُ الْيَوْمَ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ، وَهَذِهِ رَاحِلَتِي.

فَاتَّعَدْتُ أَنَا وَهُوَ يَأْجَجَ، إِنْ سَبَقَنِي أَقَامَ، وَإِنْ سَبَقْتُهُ أَقَمْتُ عَلَيْهِ، فَأَدْلَجْنَا سَحَرًا، فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّىٰ الْتَقَيْنَا بِيَأْجَجَ، فَغَدَوْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْهَدَةِ، فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِهَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ.

فَقُلْنَا: وَبِكَ.

فَقَالَ: إِلَىٰ أَيْنَ مَسِيرُكُمْ؟.

فَقُلْنَا: وَمَا أَخْرَجَكَ.

---

(١) إنما نحن أكلة رأس: أي نحن قليل يشبعنا رأس واحد.

فَقَالَ: وَمَا أَخْرَجَكُمْ؟.

قُلْنَا: الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي.

فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّىٰ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ، فَأَنَخْنَا بِظَهْرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا، فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسُرَّ بِنَا، فَلَبِسْتُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَقِيَنِي أَخِي، فَقَالَ: أَسْرِعْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ، فَسُرَّ بِقُدُومِكَ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ.

فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّىٰ وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ: «**تَعَالَ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ، قَدْ كُنْتُ أَرَىٰ لَكَ عَقْلًا رَجَوْتُ أَنْ لَا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَىٰ خَيْرٍ**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا لِلْحَقِّ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَىٰ ذَلِكَ[1].

قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ**».

قَالَ خَالِدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ وَعَمْرٌو، فَبَايَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ،

---

(١) **يا رسول الله علىٰ ذلك**: أي ادع الله أن يغفر لي هذا الشيء بعينه.

فَوَاللهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْدِلُ بِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ[١].

٢- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبد اللهِ الليثيِّ إلى بَنِي المُلَوَّحِ بالكَدِيدِ، فغَنِمُوا وسلِمُوا»[٢].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ غالبَ بنَ عبدِ اللهِ إلىٰ بَني المُلَوَّحِ بالكَدِيدِ، وأمَرَه أنْ يُغِيرَ عَليهم.

قالَ جُنْدُبُ بنُ مَكِيثٍ الجُهَنيُّ: كنتُ في سريَّتِهِ، فمضَينا حتَّىٰ إذَا كنَّا بقُدَيدٍ[٣] لَقِينا به الحَارثَ بنَ مَالكٍ، فأَخَذناهُ، فقالَ: إنَّمَا جِئتُ لأُسلِمَ، فقالَ لهُ غالبُ بنُ عبدِ اللهِ: إنْ كُنتَ إنَّمَا جِئتَ لتُسْلِمَ، فَلا يَضرُّكَ رِباطُ يَومٍ وَليلةٍ، وإنْ تكُ علىٰ غيرِ ذلكَ كنا قدْ استوثَقْنا مِنكَ، فَقيَّدْنَاهُ، ثمَّ خلَّفْنَا عليهِ رَجلًا منْ أصْحابِنا، وقلنا لهُ: إنْ غالبكَ فاحْتزَّ رأسَهُ، فَمَضَينَا حتىٰ أتينَا الكَدِيدَ، فَنزَلْناهُ عَشيةً بعدَ العَصرِ، فبعثَني أصحابي إليهِ، فعَمِدتُ إلىٰ تلٍّ يُطْلِعُني علىٰ الحَاضرِ[٤]، فانْبَطَحْتُ عليهِ، وذلكَ قبلَ غروبِ الشمسِ، فخرجَ رجلٌ منهُم فنظرَ فرَآني منبطِحًا علىٰ التلِّ، فقالَ لامْرأتِهِ: إني لأَرَىٰ سَوادًا علىٰ هَذَا التَّلِّ مَا رأيتُه في أَولِ النَّهارِ، فانْظُري لا تَكُونُ الكِلابُ اجْترَّتْ بعضَ أوعِيتِكِ.

فَنَظَرتْ فقَالتْ: لَا واللهِ لا أفقِدُ شيئًا.

قال: فنَاوِليني قَوسِي، وَسهْمينِ مِن نَبْلي.

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٤٦-٧٤٩)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٢٥٢)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٤٠٥-٤٠٨).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١١٦)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٣)، «الكامل» (٢/ ١٠٨)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٧).

(٣) قديد: موضع بين مكة، والمدينة.

(٤) الحاضر: أي القوم النزول علىٰ ماء يقيمون به، ولا يرحلون عنه.

فنَاولتْه، فرَمَاني بسهْم فوضَعَه في جنْبي، فنزعْتُهُ، فوضعتُه ولمْ أتحرَّكْ، ثمَّ رَمَاني بالآخَرِ، فَأَصَابَ رأسَ مَنْكِبي، فنزعْتُه فوضَعتُه، ولمْ أتحرَّكْ، فقالَ لامْرأتِه: أمَا واللهِ، لقد خالطَهُ سِهامي، ولوْ كانَ رَبيئةً[1] لتَحَرَّكَ، فإذَا أَصْبحْتِ فابتَغي سَهْمَيَّ، فخُذِيهِمَا؛ حَتَّىٰ لَا تَمْضُغْهُمَا الكِلابُ.

فأَمْهَلنَاهُمْ حتَّىٰ إذَا رَاحَتْ روائِحُهُم، واحتَلبُوا وسكَنُوا، وذهبتْ عَتَمَةُ الليلِ، شنَنَّا عَليهِم الغَارةَ، فقَتلنَا مَنْ قَتَلنَا، واستَقْنَا النَّعَمَ، فَرَجَعْنَا قَافِلِينَ بِهِ، وخرجَ صَرِيخهم إلىٰ قَومِهِم، وخرجنا سِراعًا حَتَّىٰ نَمُرَّ بالحارثِ بنِ مَالكٍ وَصَاحِبِهِ، فَانْطَلَقْنَا بِهِ مَعَنَا، فجَاءُونَا بمَا لا قِبلَ لنا بِهِ، حتَّىٰ إذا لمْ يكنْ بيننَا وبينَهُم إلَّا وادِي قُدَيدٍ أَرْسلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ سَيلًا، مِن غيرِ سحابةٍ نَراهَا، فجَاءَ بشيءٍ ليسَ لأحدٍ به قُوةٌ، ولا يقدِرُ علىٰ أنْ يجَاوِزَهُ، فوقَفُوا يَنظرونَ إلينَا، وإنَّا لَنَسُوقُ نَعَمَهُم، وَلَمْ يَستَطِعْ أَحَدٌ مِنهُمْ أنْ يُجِيزَ إلينَا، ونحنُ نسوقُها سِراعًا، حَتَّىٰ فُتْنَاهُم، فلمْ يَقدِرُوا علىٰ طلبِنَا، وقدِمْنَا المَدينةَ[2].

٣- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ أيضًا إلى فدَكَ، فأصابُوا نَعَمًا وقَتَلوا وسلِمُوا»[3].

هيَّأَ رسولُ اللهِ ﷺ الزُّبيرَ بنَ العوَّامِ وقالَ لهُ: «**سِرْ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللهُ بِهِمْ فَلَا تُبْقِ فِيهِمْ**»، وهيَّأَ مَعهُ مِائَتَي رَجلٍ، وعقدَ لهُ لِواءً، فقدِمَ غالبُ بنُ عبدِ اللهِ الليثيُّ

---

(١) ربيئة: أي طليعة الجيش.

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٠-٧٥٢)، «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٩-٦١١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٠-٣٢١).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١١٧)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٠).

منَ الكَدِيدِ منْ سَريَّةٍ قدْ ظفَّرَهُ اللهُ عَليهم، فقالَ رسولُ الله ﷺ للزُّبيرِ: «اجْلسْ».

وبَعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ غالبَ بنَ عَبدِ اللهِ في مِائَتي رجل، فلَمَّا دَنا مِنْ فَدَكَ بَعثَ الطلائع؛ ليَأتُوا بخبر القَوم، ثمَّ أقبلَ يَسيرُ إليهِم حَتىٰ إذا كانَ مِنْهُم بمنْظَرِ العينِ ليلًا، وقد نَامُوا، وهدَأُوا، قامَ فحَمِدَ اللهَ وأثْنىٰ عليهِ بما هُو أهلُه، ثم قَالَ: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوىٰ الله وحده لا شريك له، وأن تطيعوني، ولا تعصوني ولا تخالِفُوا لي أمرًا، فإنَّه لا رَأيَ لمنْ لا يُطاعُ.

ثم ألَّفَ بينَهم، فقالَ: يَا فُلَانُ أَنْتَ وَفُلَانٌ، وَيَا فُلَانُ أَنْتَ وَفُلَانٌ، لَا يُفَارِقْ كُلٌّ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ وَزَمِيلَهُ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَرْجِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَأَقُولُ: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَإِذَا كَبَّرْتُ فَكَبِّرُوا، وَجَرِّدُوا السُّيُوفَ.

فَكبَّرَ وكبَّرُوا، وأخْرجُوا السُّيُوفَ، فأَحاطُوا بالقَومِ، فخرجَ إليهمُ الرِّجالُ فَقاتَلُوا سَاعَةً، فقَتَلَ المُسلِمُونَ مِنْهُم، وأصابُوا مِنهُم نَعَمًا[1].

مما يستفاد من هذا:

١- جواز تبييت الكفار، وأخذهم علىٰ غفلة في ديارهم، إذا كانت قد بلغتهم الدعوة، وقد كانت سرايا رسول الله ﷺ يبيِّتُون الكفار ويُغيرون عليهم بإذنه بعد أن بلغتهم دعوته[2].

٢- وجوب السمع والطاعةِ للأميرِ إن لم يكنْ في شيءٍ فيه معصيةٌ.

٤- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ شُجاعِ بنِ وَهبٍ الأَسديِّ إِلى بَني عامرٍ بالسِّي، نَاحيةَ رُكْبةَ مِن وراءِ المَعْدِنِ

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٢٣-٧٢٥)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٢٦).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٧١).

فأصابُوا نَعَمًا كثيرةً وَشَاءً»[١].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ شُجاعَ بنَ وهبٍ في أربعةٍ وعِشرينَ رجلًا إلىٰ جمعٍ مِن هَوازنَ بالسِّيِّ، وأمَرَه أنْ يُغيرَ عليهِم، فَخرجَ، فكانَ يَسيرُ الليلَ ويَسْتَرِيحُ النَّهارَ حتىٰ صبَّحهُم وهمْ غَافِلونَ، فأصابُوا نَعمًا كثيرًا وشاءً، فاستَاقُوا ذلكَ كلَّه حتَّىٰ قَدِمُوا المدينةَ، واقتَسَمُوا الغنيمةَ، وَكانتْ غَيبَتُهُمْ خمسَ عشرةَ لَيلةً[٢].

٥- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ كَعْبِ بنِ عُمَيرٍ الغِفَارِيِّ إِلى ذَاتِ أَطْلاحٍ فقُتِلتِ السَّرِيَّةُ إِلَّا رَجلًا جَرِيحًا»[٣].

بعثَ رسولُ الله ﷺ كَعبَ بنَ عُمَيرٍ الغِفَاريَّ في خَمسةَ عَشرَ رجلًا؛ ليدْعُوا إلىٰ الإسلامِ، فَلَمَّا انتَهَوا إلىٰ ذَاتِ أَطلاحٍ من أرضِ الشامِ، وجدوا جمعًا مِن جَمْعهم كثيرا، فدَعُوهُم إلىٰ الإسلامِ فلمْ يَستجِيبُوا لهُمْ، ورَشَقُوهُم بالنَّبلِ.

فلَمَّا رَأىٰ ذلكَ أصحابُ النبيِّ ﷺ قَاتلُوهُم قِتَالًا شَدِيدًا حتَّىٰ قُتِلَ المُسْلِمُونَ جَميعًا إلَّا رجُلًا أفلَتَ جَرِيحًا حَتىٰ أَتَىٰ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرَه الخبرَ، فشقَّ ذلكَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وهمَّ أَنْ يُرْسِلَ إليهمْ بَعْثًا آخَرَ، وَلكنْ بلغَهُ أنَّهُم قدْ سارُوا إلىٰ موضعٍ آخرَ، فتركَهُم[٤].

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١١٨)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٥)، «الكامل» (٢/ ١٠٩)، «مغازي الذهبي» (٤٧٦)، «البداية» (٤/ ٢٦٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٢).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٣-٧٥٤)، و«الطبقات» الكبرىٰ (٢/ ١٢٧).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١١٩)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٦)، «الكامل» (٢/ ١٠٩)، «مغازي الذهبي» (٤٤٧)، «البداية» (٤/ ٢٧٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٣).

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٢-٧٥٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢١)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٢٧).

٦- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حارثةَ إِلى مَدينَ فَأصابُوا سَبْيًا مِن أَهلِ مِينَاءَ»[١].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ زيدَ بنَ حَارثةَ نحوَ مَدْينَ، ومَعَهُ ضُمَيرَةُ مَوْلَىٰ عَليِّ بنِ أَبي طالبٍ، وأخٌ لهُ، فأصابَ سبيًا مِن أهلِ مِينَاءَ، فبيعُوا، فَفُرِّقَ بينَهُم، فخرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَليهِمْ وهمْ يَبكونَ، فَقالَ: «**مَا لَهُم؟**».

فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، فُرِّقَ بينَهُم.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَبِيعُوهُم إِلَّا جَميعًا**»، أي الأمَّهَاتِ، والأَوْلادَ[٢].

٧- «وَفِي جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ مُؤتَةَ، فقُتِلَ الأُمراءُ الثلاثةُ ثُمَّ فَتَحَ اللهُ على يدِ خالدِ بنِ الوَليدِ»[٣].

كانَ سببُ هذه السَّريةِ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ الحارثَ بنَ عُمَيرٍ الأَزْدِيَّ بكتابِه إلىٰ الشَّامِ، إلىٰ مَلكِ الرُّومِ أو بُصْرَىٰ، فعَرَضَ لهُ شُرحبيلُ بنُ عَمرٍو الغَسَّانيُّ، فَقَتَلَهُ، ولم يُقْتَلْ لرسولِ اللهِ ﷺ رَسولٌ غيرُه، فاشتدَّ ذلكَ علىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حينَ بلغَهُ الخبرُ، فبعثَ هَذِهِ السَّرِيَّةَ، وَأَمَّرَ عَلَيهِمْ زيدَ بنَ حَارِثةَ، وقالَ: «**إِنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»[٤].

---

(١) «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٥٣)، «السيرة في ضوء المصادر» (٥٤١).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٣٥).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١١٩)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٩)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٦)، «الكامل» (٢/ ١١٢)، «صحيح مسلم» (١٧٥٣)، «مغازي الذهبي» (٤٧٩)، «البداية» (٤/ ٢٧٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٤).

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٥-٧٥٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٦-٣٢٧).

تَجَهُّزُ الجيشِ الإسلاميِّ للخُروجِ:

تجهَّز ثلاثةُ آلافٍ مِنَ المُسْلِمينَ؛ للخُرُوجِ في هَذِهِ السَّرِيَّةِ، فلَمَّا حَضرَ خروجُهم، ودَّعَ الناسُ أمراءَ رسولِ اللهِ ﷺ وسلَّمُوا عليهِمْ، فبَكىٰ عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ، فقالُوا: ما يُبكِيكَ؟.

فقالَ: أمَا واللهِ ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صَبَابةٌ بكمْ، ولكنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقرأُ آيةً مِنْ كتابِ اللهِ يَذكرُ فيهَا النَّارَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١]، فَلستُ أدْري كيفَ لي بالصَّدْرِ[١] بعدَ الوُرُودِ؟.

ثُمَّ قالَ المُسلمونَ: صَحِبَكُمُ اللهُ بالسَّلامةِ، ودفعَ عَنكمْ، وردَّكُمْ إلينَا صَالحينَ، فأَنْشَدَ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[٢]

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا[٣]

حَتَّىٰ يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَىٰ جَدَثِي ... يَا أَرْشَدَ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[٤]

وَأَتىٰ عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ رسولَ الله ﷺ فودَّعَه، ثم خرجُوا، وخرجَ معهُم رَسولُ الله ﷺ يُودِّعُهُم[٥].

---

(١) **الصدر**: أي الرجوع، والانصراف.

(٢) **ذات فرغ**: أي ذات سعة. الزبدا: أي رغوة الدم.

(٣) **حران**: أي ملتهب الجوف. مجهزة: أي سريعة القتل. وتنفذ الأحشاء: أي تخترقها.

(٤) **جدثي**: أي قبري.

(٥) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٦-٧٥٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٣-٣٧٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧).

تحرُّكُ الجيشِ الإسلاميِّ، وانعِقَادُ المَجلِسِ الاسْتِشاريِّ:

مَضَىٰ الجيشُ الإِسْلَاميُّ حتىٰ نَزَلَ مَعَانَ[١]، فبلغَ الناسَ أنَّ هِرَقْل بالبَلقاءِ في مائةِ ألفٍ مِنَ الروم، وانضمَّ إليهمْ مِنْ لَخْمٍ، وَجُذَام، وَبَلْقَيْنَ، وَبَهْرَاءَ، وَبَلِيٍّ، مِائةُ ألفٍ، فلمَّا بلغَ ذلكَ المُسلِمينَ، أقامُوا علىٰ مَعَانَ لَيلتينِ ينظرُونَ في أمْرِهِم، وقَالوا: نكتبُ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فنُخبرُه بعَددِ عَدوِّنا فإمَّا أنْ يَمُدَّنَا بالرِّجالِ، وإمَّا أنْ يأمُرنَا بأمْرِه فنَمضِي لهُ.

فشجَّعَ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ الناسَ، فقالَ: يا قومِ: واللهِ إنَّ الذِي تكرهُونَ للذِي خَرجتُم تَطلبونَ: الشَّهادةُ، وما نُقاتلُ الناسَ بعَدَدٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، ما نقاتِلُهم إلا بهذَا الدِّين الذِي أكرمَنا به اللهُ، فانْطلِقوا فإنَّما هي إحدَىٰ الحُسنَيينِ: إما النَّصْرُ، وإما شَهادةٌ[٢].

التِقَاءُ الجَيشينِ:

مضَىٰ المُسلمونَ حتَّىٰ إذَا كانُوا علىٰ حدودِ البَلقاءِ[٣]، لَقيتهُم الجُموعُ بقَريةٍ يقالُ لهَا: مَشَارِفُ، فدَنا العَدوُّ، وانحَازَ المُسلِمونَ إلىٰ مُؤْتَةَ[٤]، فالتَقىٰ النَّاسُ عندها، فتَعبَّأَ المُسلِمونَ، ثم اقْتَتَلُوا، والرَّايةُ في يدِ زيدِ بنِ حَارثةَ، فلمْ يزلْ يُقاتِلُ بها حَتىٰ شاطَ[٥] في رِماحِ القومِ، وَخرَّ صريعًا.

---

(١) معان: مدينة أردنية تقع في الجهة الجنوبية من البلاد.

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٩-٧٦٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧).

(٣) البلقاء: هي إحدىٰ محافظات الأردن في العصر الحديث.

(٤) مؤتة: تقع في محافظة الكرك في الأردن، وتبعد عن العاصمة الأردنية «عُمَان» ١٤٠ كيلو متر.

(٥) شاط: أي سال دمه، ومات.

فَأخذَ الرايةَ جَعفرٌ، فقاتلَ بها حتَّىٰ إذا أرْهقَه القِتالُ نَزَلَ عنْ فَرسِهِ، فَعقَرَهَا[١]، ثم قَاتلَ حتىٰ قُتِل، فكانَ جعفرٌ أولَ مَن عُقِرَ فرسُهُ في الإسلام عندَ القِتالِ، فقُطِعتْ يَمِينُه، فأخذَ الرايةَ بيَسارِه، فقُطِعتْ يَسَارُه، فاحتَضَنَ الرَّايةَ حتىٰ قُتِلَ، وله ثَلاثٌ وثلاثونَ سَنةً.

ثمَّ أخَذَها عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ وتقدَّم بهَا وهُو علىٰ فرسِهِ، فجَعلَ يتردَّدُ بعضَ التَّرَدُدِ، ثمَّ نزلَ فأتاهُ ابنُ عمٍّ لهُ بعَرَقٍ[٢] منْ لحْمٍ، فقالَ: شُدَّ بها صُلبَك، فإنَّك قَدْ لَقيتَ في أيامِك هذِه ما لَقِيتَ، فأخذَهَا من يدِهِ، فانتَهَسَ منهَا نَهْسَةً، ثمَّ سَمِعَ الحَطْمَةَ[٣] في ناحيةِ النَّاسِ، فقالَ: وأنتَ في الدُّنيَا، ثم ألقَاهُ مِن يدِه، ثم أخذَ سيفَهُ، وتقدَّمَ فَقاتَل حتَّىٰ قُتِلَ.

ثم أخذَ الرايةَ ثابتُ بنُ أَقْرمَ، فقالَ: يا مَعشرَ المُسلمينَ اصْطلِحُوا علىٰ رَجلٍ مِنكُم.

قالُوا: أَنتَ.

قالَ: مَا أنَا بفَاعلٍ، فاصْطَلَحَ النَّاسُ علىٰ خَالدِ بنِ الوَليدِ[٤].

فباتَ خالدُ بنُ الوَليدِ يُفكِّرُ في مَكِيدةٍ ينجُو بها بِالمُسلِمينَ منْ جَحَافِلِ الروم، فهدَاهُ اللهُ إلىٰ تَغييرِ أوضاعِ جيشِه بجعلِ مَيمَنةِ الجيشِ مكانَ مَيْسَرَتِه، وجَعْلِ ساقةِ الجَيشِ[٥] مكانَ مُقَدِّمتِه حتَّىٰ يَظُنَّ العدوُّ أنَّ المُسلمينَ أتاهُم مددٌ، فيخافُوا.

---

(١) عقرها: أي ضرب قوائمها، وهي قائمة بالسيف.

(٢) عرق: أي عظم عليه بعض اللحم.

(٣) الحطمة: أي زحام الناس، وحطم بعضهم بعضا.

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٦٠-٧٦٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٧٧-٣٨٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٥) ساقة الجيش: أي مؤخرته.

فلَمَّا أصبحَ نفَّذَ مكيدَتَهُ، فَجعلَ مقدِّمَتَهُ سَاقَتَهُ، وساقتَه مقدِّمتَه، وميمنَتَه مَيسرتَه، ومَيسرتَه ميمنَتَه، فلَمَّا رأَىٰ الرومُ ذلكَ أنْكَروا ما كانُوا يعْرِفُون منْ رايَاتِ المُسْلِمِينَ وهيأَتِهم، وقالُوا: قد جاءَهُم مَدَدٌ! فَرُعِبُوا، فهَربُوا مُنْهَزِمِينَ، ثمَّ انصرفَ خالدُ بنُ الوليدِ بالمُسلمينَ راجعًا إلىٰ المَدينةِ[١].

وقد قُتلَ منَ المُسلمينَ في هذه السَّرِيَّةِ اثْنا عَشرَ رجُلًا[٢].

رسولُ اللهِ ﷺ يحدِّثُ المسلمينَ بما وَقعَ في أرضِ المَعركةِ قبلَ مجيئِهم إليهِ:

وأطلعَ اللهُ ﷻ رَسولَهُ ﷺ علىٰ ذلكَ من يومِهم ذلكَ قَبلَ أن يأتِيَهُ خبرُهُم، فقَالَ لأصْحَابِه: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ**» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[٣]: «**حَتَّىٰ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**»[٤].

وَقالَ ﷺ: «**لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَىٰ النَّائِمُ عَلَىٰ سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَارًا**[٥] **عَنْ سَرِيرِ صَاحِبَيْهِ، فَقُلْتُ: عَمَّ هَذَا؟، فَقِيلَ لِي: مَضَيَا، وَتَرَدَّدَ عبدُ اللهِ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ مَضَىٰ**»[٦].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ في جَعْفرٍ: «**إِنَّ اللهَ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ**

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٦٤).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٧٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٣) تذرفان: أي تسيلان بالدموع.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) ازورارا: أي ميلًا، وعوجًا.

(٦) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٨٠).

بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ»[١].

وكانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِذَا سَلَّمَ عَلَىٰ ابْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الجَنَاحَيْنِ»[٢].

وصولُ الجيشِ الإسلاميِّ إلى المدِينَةِ:

لَمَّا دَنا الجيشُ الإسلَاميُّ مِنَ المدينةِ تلقَّاهُم رسولُ الله ﷺ، والمُسلمونَ، وجعلَ الناسُ يحثُونَ علىٰ الجَيشِ التُّرابِ، ويَقُولُونَ: يا فُرَّارُ، فَرَرْتُمْ في سَبيلِ اللهِ!.

فيقُولُ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارُ[٣] إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ»[٤].

حُزنُ النبيِّ ﷺ على مقتلِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا أَتَىٰ قَتْلُ جَعْفَرٍ، عُرِفَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْحُزْنُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ غَلَبْنَنَا، وَفَتَنَّنَا.

قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهِنَّ، فَأَسْكِتْهُنَّ».

فَذَهَبَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ: «فَاذْهَبْ فَأَسْكِتْهُنَّ، فَإِنْ أَبَيْنَ، فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ»[٥].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ»[٦].

---

(١) رواه الهيثمي في «المجمع» (١٥٤٩٥)، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٣٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٧٠٩).

(٣) الكرار: أي الرَّجاعون إلىٰ القتال. يقال للرجل: كرار، إذا ولىٰ عن الحرب ثم رجع إليها.

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٦٤-٧٦٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٨٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٦٣٦٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٦) حسن: رواه أبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨)، وابن ماجه (١٦١٠)، وأحمد =

٨- «وَفِي جُمَادَى الآخرة مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عَمرِو بنِ العاصِ إِلى ذاتِ السَّلاسلِ، فنَصَرَهُمُ اللهُ»[١].

بَلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أن جمعًا من قُضَاعَةَ قد تجمَّعوا يريدونَ أن ينالوا منْ أطرافِ المَدينةِ، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ عمرَو بن العاصِ، فعقدَ له لواءً أبيضَ، وجعلَ معهُ رايةً سوداءَ، وبعثَه في ثلاثِمِائةٍ منَ المهاجرينَ والأنصارِ، ومعهُم ثلاثونَ فرسًا، وأمَرَه أن يستعينَ بمَنْ مرَّ بِه مِن بَلِيٍّ، وعُذْرَة، وبَلْقَينَ، فكانَ يسيرُ الليلَ، ويستريحُ النهارَ، فلمَّا قَرُبَ مِنَ القوم بلَغَهُ أنَّ لهُم جمعًا كثيرا، فبعثَ رافعَ بنَ مَكِيثٍ الجُهَنيَّ إلىٰ رَسولِ الله ﷺ يَسْتمدُّه[٢].

فبعثَ إليهِ رسولُ اللهِ ﷺ أبَا عبيدةَ بنَ الجرَّاحِ في مِائَتينِ، وعقدَ له لِواءً، وبعثَ معه المهاجرينَ الأَولينَ، وفيهِم أبو بكرٍ وعُمرُ، وأمرَه أن يلحقَ بعمرٍو، وأنْ يكونَا جميعًا ولا يختلِفَا، فلَمَّا لَحِق بهِ أرادَ أبو عُبيدةَ أنْ يَؤمَّ الناسَ، فقالَ عمرٌو: إنَّما قَدِمتَ عليَّ مَدَدًا، وأنَا الأميرُ، فأطَاعَه أبو عُبيدةَ، فكانَ عمرٌو يُصَلِّي بالناسِ، وسارَ حتَّىٰ وَطِئ بلادَ قُضاعَةَ، فدوَّخَها[٣] حتىٰ أتىٰ إلىٰ أقصىٰ بلادِهِم، وكلمَّا انتهىٰ إلىٰ موضعٍ بلغَه أنَّه كانَ بهذا المَوضعِ جمعٌ، فلَمَّا سمِعُوا به تفرَّقُوا، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أقْصىٰ بلادِ بَلِيٍّ، وعُذْرَةَ، وبَلْقَينَ، ولَقِيَ في آخرِ ذلكَ جمعًا ليسَ بالكثيرِ، فقاتَلوا ساعةً وتَرامَوا بالنَّبلِ، فحمَلَ عليهِمُ المسلمونَ، فهربُوا

= (١٧٥١)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(١) «الطبقات» (٢/ ١٢١)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٠٢)، «الكامل» (٢/ ١١٠)، «مغازي الذهبي» (٥١٣)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٦٧).

(٢) **يستمده**: أي يطلب منه مددًا.

(٣) **فدوخها**: أي قهرها، واستولىٰ علىٰ أهلها.

في البلادِ، وتفرَّقُوا، ولم تَكنْ غنائمُ تُقسَمُ، وبَعثَ عوفَ بنَ مالكٍ الأشجعيَّ بَرِيدًا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأخبرَه بِخَبَرِهِمْ.

وسمِّيتْ هذِه السَّرِيةُ بذاتِ السَّلَاسِلِ؛ لأنَّهم نزلُوا علىٰ ماءٍ لجُذَامٍ، يقالُ لهُ: السَّلْسَلُ[(١)].

وإنَّما أمَّرَ النَّبيُّ ﷺ عمرَو بنَ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ هذِه السَّرِيةِ؛ لأنَّ عَمرَو بنَ العاصِ كانَ ذَا رَحمٍ بهم، فَبَنُو بَكرٍ الذينَ أرسلَهُ إليهِم منْ أَخْوالِهِ، وأمُّهُ مِن قَبِيلَةِ بَلِيٍّ، فبعثَهُ رسولُ اللهِ ﷺ إليهِم يَستَألِفُهُم لذَلكَ[(٢)].

٩- «وَفِي هذه السَّرِيةِ أَجْنبَ عَمرُو بنُ العاصِ، فتيمَّمَ مِن شِدَّةِ البَردِ، فأقرَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ»[(٣)].

في سَرِيَّةِ ذاتِ السَّلاسِلِ احْتَلمَ أمِيرُهَا عَمْرُو بنُ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ليلةٍ شَديدةِ البَردِ.

قالَ عَمْرٌو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟**».

فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ:

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٦٩-٧٧١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٣-٦٢٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٤١).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (١٦٩٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٣).

(٣) صحيح: أبو داود (٣٣٤)، وعلقه البخاري (١/ ٣٥٨)، وصححه الحاكم (١/ ١٧٧) والذهبي والألباني.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء:٢٩]، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَلَمْ يُعَنِّفْهُ[١].

١٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وفدُ سُلَيمٍ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَسَمِعَ كَلَامَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ، وَوَعَىٰ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ تَرْجَمَةَ الرُّومِ، وَهَيْمَنَةَ[٣] فَارِسٍ، وَأَشْعَارَ الْعَرَبِ، وَكَهَانَةَ الْكَاهِنِ، وَكَلَامَ مَقَاوِلِ[٤] حِمْيَرَ، فَمَا يُشْبِهُ كَلَامُ مُحَمَّدٍ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمْ، فَأَطِيعُونِي، وَخُذُوا بِنَصِيبِكُمْ مِنْهُ.

فَلَمَّا كَانَ عَامُ الْفَتْحِ خَرَجَتْ بَنُو سُلَيْمٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَقَوهُ بِقُدَيْدٍ[٥]، وَهُمْ تِسْعُمِائَةٍ، فَأَسْلَمُوا، وَقَالُوا: اجْعَلْنَا فِي مُقَدِّمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِوَاءَنَا أَحْمَرَ، وَشِعَارَنَا مُقَدَّمًا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ، فَشَهِدُوا مَعَهُ الْفَتْحَ، وَالطَّائِفَ، وَحُنَيْنًا[٦].

١١- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبي قَتَادَةَ إِلى خَضِرَةَ وهي أرضُ مُحَارِبٍ بِنجدٍ، فغَنِمُوا، وأَسَرُوا»[٧].

---

(١) صحيح: رواه البخاري معلقًا (١/ ٧٧)، وأبو داود (٣٣٤)، وأحمد (١٧٨١٢)، وصححه الألباني.

(٢) «الطبقات» (١/ ٢٦٥).

(٣) هيمنة: الهيمنة هي القيام علىٰ الشيء، جعل الفعل لها، وهو لأربابها القوامين بالأمور.

(٤) مقاول: أي ملوك.

(٥) قديد: موضع بين مكة، والمدينة.

(٦) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٠٧).

(٧) «الطبقات» (٢/ ١٢٣)، «عيون الأثر» (٦/ ٢٠٦)، «الكامل» (٢/ ١١١)، «مغازي الذهبي» (٥١٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٨٧).

بعثَ رَسولُ الله ﷺ أبَا قَتادةَ بنَ رِبْعِيٍّ الأنْصاريَّ، ومعَهُ خمْسةَ عَشرَ رجُلًا إلىٰ غَطَفانَ، وأَمَرَهُ أنْ يَشُنَّ عليهِم الغَارةَ، فكانَ يسيرُ الليلَ، ويَستريحُ النهارَ، وقَدْ أتَوهُم ليلًا، فجرَّدَ المسلمونَ سُيُوفَهم، وكبَّروا، وَهجَمُوا علىٰ جمعٍ عظيمٍ مِنهُم، وأحاطُوا بهم، فقَتَلُوا مَنْ أَشْرَفَ لهُم، واستَاقُوا نَعَمًا، وشَاءً كثيرةً، وسبَوا سبيًا كثيرًا، وجمعُوا الغنائمَ فأخْرجُوا الخُمُسَ فَعَزَلُوهُ، وقَسَمُوا ما بَقي علىٰ أهلِ السَّريَّةِ، وغابوا في هذِه السَّرِيةِ خمسَ عَشْرةَ لَيلةً[1].

١٢- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ ابنِ أَبِي حَدْرَدٍ إلى الغَابَةِ، فَقَتَلُوا رَئيسَ القومِ وغَنِمُوا»[2].

تَزوَّجَ ابنُ أَبي حَدْرَدٍ امْرأةً من قومِهِ، وأصدَقَهَا مِائَتَي درهمٍ، فجَاءَ رسولَ اللهِ ﷺ يَسْتَعِينُه علىٰ نكاحِها، فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «**وكَمْ أَصْدقتَ؟**».

فقال: مِائتي دِرهَم يا رسولَ اللهِ.

قال: «**وَاللهِ مَا عِنْدِي مَا أُعِينُكَ بِهِ**».

فلَبِثَ ابنُ أَبي حَدْرَدٍ أَيامًا حتَّىٰ بلغَ رَسولَ اللهِ ﷺ أنَّ بَني جُشْمٍ أقبلُوا في عددٍ كثيرٍ قِبَلَ المَدينةِ يريدُونَ أنْ يجْمَعُوا قَيْسًا علىٰ حَربِ رَسولِ الله ﷺ، فدعَا رَسولُ اللهِ ﷺ ابنَ أبي حَدْردٍ ورَجُلينِ معَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «**اخْرُجُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ حَتَّىٰ تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ، وَعِلْمٍ**».

وقدَّمَ لهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ ناقةً مُسِنَّةً مَهْزُولةً، فَحُمِلَ عَليها أحدُهُم، فمَا قَامتْ بهِ؛ لأَجْلِ ضَعْفِهَا حتَّىٰ أقامَهَا الرِّجالُ مِنْ خَلفِها بأيدِيهِم،

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٧٧-٧٧٩)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٣٢-١٣٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٨٧).

حتىٰ نَهضَتْ وما كادتْ، ثمَّ قالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَبَلَّغُوا عَلَيْهَا، وَاعْتُقِبُوهَا**[(١)]».

فخرجُوا ومعهُم سِلاحُهُم مِنَ النَّبلِ والسيوفِ، حتَّىٰ دَنَوا مِنَ القومِ مع غُروبِ الشَّمسِ.

قال ابنُ أَبي حَدْرَدٍ: كَمَنْتُ في نَاحيةٍ، وأَمرتُ صاحِبيَّ، فَكَمَنَا في نَاحيةٍ أخرَىٰ مِنَ القوم، وقلتُ لهُمَا: إذَا سَمِعْتُمَاني قدْ كبَّرتُ وأسْرعتُ في ناحيةِ العَسْكَرِ فكبِّرَا وأسْرِعَا مَعي.

فانْتظرنَا غَفْلةَ القومِ، فلَمَّا دخلَ الليلُ، وذَهبَ أوَّلُهُ، تأخَّرَ عنِ القَومِ راعٍ لهم، فتَخوَّفوا عَليهِ، فأخَذَ رجلٌ مِنهُم سَيفَهُ؛ لِيَبْحَثَ عَنْهُ، وأَبَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَعهُ أَحَدٌ، فَخَرجَ حتَّىٰ مرَّ بِي، فرمَيْتُهُ بِسَهْمِي، واحْتَزَزْتُ رَأْسَهُ.

ثُمَّ أَسرعتُ في ناحيةِ العَسكَرِ، وكبَّرتُ، وأَسرَعَ صَاحِبَايَ، وكبَّرَا، فهَزَمْنَاهُمْ، وهربُوا بَكلِّ مَا قدَرُوا عليهِ من نِسائِهم وأبنائِهم، وما خَفَّ معهُم مِنْ أموالِهم، واستَقْنَا إبلًا عَظيمةً، وغَنمًا كثيرةً، فجئنَا بها إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأعَانَني رسولُ اللهِ ﷺ من تلكَ الإبلِ بثلاثةَ عَشرَ بَعيرًا في صَدَاقي، فتَزَوَّجْتُ[(٢)].

١٣- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نَقضتْ قريشٌ عَهْدَهَا مَع رسولِ اللهِ ﷺ»[(٣)].

كَانتْ بينَ قَبيلَتَي: بَني بَكْرٍ، وخُزَاعَةَ عَدَاوةٌ قُبَيلَ الإسلامِ، وسببُهَا أنَّ رجُلًا مِنْ بَني الحَضْرميِّ خَرجَ تاجِرًا، فلَمَّا تَوسَّطَ أرضَ خُزَاعَةَ،

---

(١) **اعتقبوها**: اركبوها معاقبة، أي واحدا بعد الآخر.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٩-٦٣١).

(٣) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١١٦)، «سبل الهدىٰ» (٥/ ٢٠٠).

عَدَوا عليهِ فقتَلُوه، وأخذُوا مالَه، وكانَ بين هذا الرجل ورَجل من بَني بَكرٍ حِلْفٌ، فعَدَتْ بنُو بكرٍ علىٰ رَجل من خُزَاعَةَ فقتَلُوه، فَعَدَتْ خُزَاعَةُ علىٰ بَني الأَسودِ الدِّيلي فقتَلُوهُم بعَرَفَةَ بينَ الحِلِّ والحرم.

فلَمَّا ظَهرَ الإسْلامُ تشاغَلُوا به عمَّا كانَ بينهُم من عَداوةٍ حتَّىٰ كانَ صلحُ الحُديبيةِ بينَ رَسولِ اللهِ ﷺ وَبينَ قُريشٍ، وَكانَ من شُروطِ الصُّلحِ: أنَّهُ مَنْ أحبَّ أنْ يَدْخُلَ في عَقدِ رسولِ اللهِ ﷺ وعَهدِهِ فَليَدْخُلْ فيهِ، ومَنْ أحَبَّ أنْ يَدخلَ في عقدِ قُريشٍ وعهدِهم فَليَدخُل فيهِ، فدَخلتْ بنُو بكرٍ في عقدِ قريشٍ وعهدِهِم، ودخلتْ خُزاعةُ في عقدِ رسولِ اللهِ ﷺ، وعَهْدِهِ.

فلَمَّا كانتِ الهُدْنةُ اغتَنَمَهَا بَنُو بكْرٍ وأرادُوا أنْ يُصِيبُوا ثَأْرَهُم مِنْ خُزَاعَة، فَخَرَجَ بنو بَكرٍ، فأتَوا خُزَاعةَ ليلًا وهم علىٰ ماءٍ لهُم بأسفلِ مكةَ يقالُ لهُ: الوَتيرُ، فَقتلُوا منهُم رَجُلًا، واقتتلُوا، وأعانتْ قُريشٌ بني بكرٍ بالسِّلاحِ، وقاتلَ معهُم مِنْ قُريشٍ من قاتَل بالليلِ مُستَخْفِيًا، حتَّىٰ ساقُوا خُزَاعَةَ إلىٰ الحَرم، فلَمَّا انتهَوا إليهِ، قَالتْ بنُو بَكرٍ لقائدِهِم: يا نَوفلُ، إنا قدْ دخلنَا الحَرَم، إلهَكَ إلهَكَ[1].

فقالَ نوفلٌ كَلمةً عَظِيمةً: لا إلهَ لي اليومَ، يا بَني بَكْرٍ خُذوا ثأركُم، فلعَمْري إنَّكُم لتَسْرِقُونَ في الحرَم، أفَلا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُم فيهِ.

فلَمَّا دَخلتْ خُزاعَةُ مَكةَ، لَجؤُوا إلىٰ دَارِ بُدَيلِ بنِ وَرْقَاء، ودارِ مولًىٰ لهُمْ يُقالُ لهُ: رافعٌ.

فلَمَّا انْتصرتْ بَنو بَكْرٍ وقُريشٌ علىٰ خُزَاعةَ، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحَلُّوا مِنْ خُزَاعَةَ، قَدِمَ

---

(١) **إلهك إلهك**: أي اتّق إلهك.

عمرُو بنُ سَالِمٍ الخُزاعيُّ علىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَينَ أَصْحابِهِ، فَقالَ فِيمَا قَالَ:

يَـا رَبِّ إِنِّـي نَاشِـدٌ مُحَمَّـدًا ... حِلْـفَ أَبِينَـا وَأَبِيـهِ الْأَتْلَـدَا[1]

فَانْصُـرْ هَـدَاكَ اللهُ نَصْـرًا أَعْتَـدَا ... وَادْعُ عِبَـادَ اللهِ يَـأْتُوا مَـدَدَا[2]

إِنَّ قُرَيْشًـا أَخْلَفُـوكَ الْمَوْعِـدَا ... وَنَقَضُـوا مِيثَاقَـكَ الْمُوَكَّـدَا

هُـمْ بَيَّتُونَـا بِـالْوَتِيرِ هُجَّـدًا ... وَقَتَلُونَـا رُكَّعًـا وَسُـجَّدَا[3]

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ».

ثُمَّ خَرجَ بُدَيلُ بنُ ورْقاءَ في نَفرٍ من خُزاعَةَ حتَّىٰ قَدِمُوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فأخبرُوه بما أُصيبَ مِنهُم، وبمعَاونةِ قُريشٍ بَني بَكرٍ عَليهِم، ثُمَّ انصرفُوا رَاجعينَ إلىٰ مَكَّةَ[4].

١٤- «وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ أَبُو سفيانَ بنُ حَربٍ لِيُجَدِّدَ العَهْدَ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يردَّ عَلَيه»[5].

خرجَ أَبُو سفيانَ حتَّىٰ قدِمَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فدخَلَ علىٰ ابنتِه أمِّ حَبيبةَ بنتِ أبي سُفيانَ زَوجِ رسولِ اللهِ ﷺ، فلَمَّا ذَهبَ؛ ليجْلسَ علىٰ فراشِ رسولِ اللهِ ﷺ طَوَتْهُ عَنْهُ، فقَال: يَا بُنَيَّةُ، ما أَدري أرغبتِ بي عنْ هذا الفِراشِ، أمْ رَغبتِ بِه عنِّي؟.

قالتْ: بلْ هو فراشُ رسولِ اللهِ ﷺ، وأنتَ رَجلٌ مُشركٌ نجَسٌ،

---

(١) **ناشد**: طالب. والأتلد: القديم.

(٢) **أعتد**: أي حاضر. والمدد: العون.

(٣) **هجدا**: أي نياما.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٨٩-٣٩٥).

(٥) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١١٧)، «سبل الهدىٰ» (٥/ ٢٠٥).

ولمْ أُحِبَّ أنْ تجلِسَ علىٰ فراشِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قالَ: واللهِ لقدْ أصابَكِ يا بُنَيَّةُ بَعدِي شَرٌّ.

ثمَّ خَرَجَ حتىٰ أتىٰ رَسولَ الله ﷺ، فكلَّمَه، فلمْ يَردَّ عليهِ شيئًا، ثم ذهبَ إلىٰ أبي بَكرٍ، فكلَّمَه أنْ يُكَلِّمَ له رَسولَ اللهِ ﷺ، فقالَ: ما أنَا بفَاعِلٍ.

ثم أتىٰ عُمرَ بنَ الخطَّابِ فكلَّمَه، فقالَ: أأنا أَشفعُ لكُم إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فَوَاللهِ لوْ لمْ أجدْ إلَّا الذَّرَّ[1] لجَاهَدتُكُم بهِ.

ثم خَرجَ فدخلَ عَلىٰ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ، وعندَه فَاطمَةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ، وعندَها حَسَنُ بنُ عليٍّ، فقالَ: يا عَليُّ إنَّك أمسُّ القوم بي رَحِمًا، وإني قد جِئتُ في حاجةٍ، فلا أَرْجعنَّ كمَا جِئتُ خائبًا، فاشْفعْ لي إلىٰ رَسولِ اللهِ.

فقالَ: ويحكَ يا أبا سُفيانَ! واللهِ لقد عَزمَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ أمرٍ ما نَستَطِيعُ أنْ نُكلِّمَه فيهِ.

فالتفتَ إلىٰ فَاطِمةَ فَقالَ: يَا بْنَةَ محمَّدٍ، هلْ لكِ أن تأْمُرِي بُنَيَّكِ هذَا فَيُجِيرُ بينَ الناسِ، فيكونَ سَيِّدَ العَربِ إلىٰ آخِرِ الدَّهرِ؟.

قَالتْ: واللهِ ما بلغَ بُنَيَّ ذاكَ أنْ يُجيرَ بينَ الناسِ، ومَا يُجيرُ أَحدٌ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ[2].

قالَ: يا أبَا الحَسنِ، إني أرَىٰ الأُمُور قدْ اشتَدَّتْ عَليَّ، فانصَحْني.

---

(١) **الذر**: أي النمل الأحمر الصغير.

(٢) **وما يجيرُ أحدٌ علىٰ رسول الله**: أي ليس لأحد أن يجير عدوا من غزو الإمام إياهم. وهذا بخلاف من يجير واحدًا، أو نفرًا يسيرًا؛ لقول النبي ﷺ: «**يُجِيرُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ**». [**صحيح**: رواه أحمد (٧٠١٢)، و**انظر**: «الروض الأنف» (٧/ ٢٠١)].

قالَ: واللهِ مَا أعلمُ لك شيئًا يُغْني عنكَ شيئًا، ولكنَّك سَيِّدُ بَني كِنَانَةَ، فقُمْ فأَجِرْ بينَ الناسِ، ثمَّ الحقْ بأرْضكَ.

قالَ: أوَ تَرَىٰ ذلكَ مُغْنيًا عَنِّي شيئًا؟.

قالَ: لا واللهِ، ما أظنُّه، ولكني لا أجدُ لكَ غيرَ ذلكَ.

فقَامَ أبو سُفيانَ في المسجِدِ، فقالَ: أيها الناسُ، إني قَدْ أَجَرْتُ بينَ الناسِ[1].

ثم ركِبَ بَعيرَهُ فانْطلقَ، فلَمَّا قدِمَ علىٰ قريشٍ، قالوا: ما ورَاءَكَ؟.

قالَ: جِئتُ محمَّدًا فكلَّمتُه، فو اللهِ ما ردَّ عليَّ شيئًا، ثم جِئتُ ابنَ أَبي قُحَافَةَ، فلمْ أجِد فيهِ خيرًا، ثم جِئْتُ ابنَ الخطَّاب، فوَجَدتُهُ أعْدَىٰ العَدُوِّ.

ثُمَّ جِئتُ عَليًّا فوجَدْتُه ألينَ القومِ، وقد أشارَ عليَّ بشيءٍ صنعتُهُ، فو اللهِ مَا أَدْري هَل يُغْني ذلكَ شيئا أمْ لا؟.

قالوا: وبمَ أمَرَكَ؟.

قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَفَعَلْتُ.

قَالوا: فهَلْ أَجَازَ ذلكَ مُحَمَّدٌ؟.

قَالَ: لَا.

قالُوا: ويلكَ! واللهِ ما زادَ الرَّجلُ علىٰ أن لَعِبَ بِكَ، فمَا يُغْني عَنكَ ما قُلْتَ.

قال: لا واللهِ، ما وَجَدْتُ غيرَ ذَلكَ[2].

---

(١) **أجرت بين الناس**: أي ناديت بالأمان بين الناس.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

١٥- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَرْسَلَ حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتابًا إِلى قريشٍ يُخبِرهُم بِمسيرِ رسولِ اللهِ ﷺ إِليهم، فعذَرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ وَعفَا عَنهُ»[١].

لَمَّا أجمَعَ رسولُ الله ﷺ المَسيرَ إلىٰ مَكَّةَ، كَتبَ حَاطبُ بنُ أَبي بَلْتَعَةَ كتابًا إلىٰ قُرَيشٍ يخبرُهُم بِمَسِيرِ النَّبيِّ ﷺ إليهم، ثمَّ أعطاهُ امْرأةً، وجَعلَ لها جُعْلًا علىٰ أن تبلِّغُه قريشًا، فَجَعَلَتْهُ فِي قُرُونٍ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، وأتىٰ رَسُولَ الله ﷺ الخبرُ مِنَ السماءِ بِما صَنَع حاطِبٌ، فبعث عليَّ بنَ أبي طَالبٍ، والزُّبيرَ بنَ العَوَّام، والمِقْدَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقالَ: **«انْطَلِقَا حَتَّىٰ تَأْتِيَا رَوْضَةَ خَاخ[٢]، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً[٣] مَعَهَا كِتَابٌ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، يُحَذِّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ، فَخُذُوهُ مِنْهَا»**.

فَانْطَلَقُوا تَجْري بِهِمْ خَيْلُهُمْ، حَتَّىٰ وَجَدَا الْمَرْأَةَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ فَاسْتَنْزَلَاهَا، وَقَالَا: مَعَكِ كِتَابٌ؟.

فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ.

فَفَتَّشَا رَحْلَهَا، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهَا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَحْلِفُ بِاللهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا كَذَبْنَا، وَاللهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ.

فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ مِنْهُ، قَالَتْ: أَعْرِضْ.

فَأَعْرَضَ، فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا، فَاسْتَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْهَا، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِمَا فَأَتَيَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٥)، «الكامل» (٢/ ١١٨)، «البداية» (٤/ ٣١٧).

(٢) روضة خاخ: مكان بين مكة، والمدينة.

(٣) ظعينة: أي امرأة في هودج، وقيل: هي المرأة عامة.

قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حاطِبًا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا حاطب؟**».

فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا ارْتَدَدْتُ وَلَا بَدَّلْتُ وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا[1] فِي قُرَيْشٍ لَسْتُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلِي فِيهِمْ أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ وَوَلَدٌ وَلَيْسَ لِي فِيهِمْ قَرَابَةٌ يَحْمُونَهُمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا[2] يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَقَدْ نَافَقَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

فَذَرَفَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَأَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة:١][3].

---

(١) **ملصقًا**: أي مضافًا إليهم، ولست منهم، وقيل: معناه حليفًا، ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم.

(٢) **يدا**: أي نعمة، ومنة عليهم.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٧٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤٩٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٩٨-٣٩٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥١-٣٥٢).

ممَّا يستفاد من هذا:

١- جوازُ قتل الجاسوسِ وإن كانَ مسلمًا؛ لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ قتل حاطبِ بن أبي بَلتعَةَ لمَّا بعث يخبر أهل مكة بالخبر، ولم يقل رسول الله ﷺ: لا يحل قتله إنه مسلم، بل قال: «**وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، فأجاب بأن فيه مانعًا من قتله وهو شهودُه بدرًا.

٢- الرجلُ إذا نَسَبَ المسلمَ إلىٰ النفاق والكفر متأولًا وغضبًا لله ورسوله ﷺ، ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب علىٰ نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يكفرون ويبدِّعون لمخالفةِ أهوائهم، وهم أولىٰ بذلك ممن كفَّروه، وبدَّعوه.

٣- المعصية الكبيرة مما دون الشرك قد تُكفَّر بالحسنة الكبيرة الماحية، فقوة إيمان حاطب التي حملته علىٰ شهود بدر، وبذله نفسه مع رسول الله ﷺ وإيثاره الله ورسوله ﷺ علىٰ قومه وعشيرته وقرابته كفَّرت عنه ما فعله من إرسال الكتاب لأهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم[(١)].

١٦- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى إِضَمٍ للتمْوِيهِ عَلى المُشْرِكِينَ»[(٢)].

أرادَ النبيُّ ﷺ أنْ يُخْفي أَمرَ مَسيرِهِ إلىٰ مَكَّةَ عَنِ المُشرِكينَ؛ حتَّىٰ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٧١-٣٧٥).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١٢٣)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٠٧)، «الكامل» (٢/ ١١١)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٠).

يُفَاجِئَهُم في ديارِهم، فبَعَثَ ﷺ أبَا قتادَةَ بنَ رِبْعيٍّ في ثَمانيةِ نَفرٍ إلىٰ إضَمٍ؛ ليَظنَّ المُشْرِكُونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ توجَّهَ إلىٰ تلكَ النَّاحيةِ، وحتىٰ تَذهبَ بذلكِ الأخبارُ إليهِم.

فلَمَّا أتَوا إضَمًا لم يَلقَوا جمْعًا، فرَجَعُوا إلىٰ المَدينةِ، وقَبلَ أنْ يَصلُوا إلىٰ المَدينةِ بلغَهُم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَدْ توجَّهَ إلىٰ مَكَّةَ، فَسارُوا إليهِ ﷺ حتَّىٰ لحِقُوا بِه[1].

١٧- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِه مِنَ المدينةِ لفتحِ مكةَ»[2].

عَزمَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ الخروجِ بكتائبِ الإسلامِ، وجُنودِ الرَّحمنِ للفتحِ الأعظمِ الذي أعزَّ اللهُ بهِ دينَه ورَسُولَه ﷺ، وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي دَخَلَ النَّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا[3].

رسولُ اللهِ ﷺ يأمرُ أصحابَهُ بالتَّجهُّزِ للخُروجِ إلى مَكةَ:

أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِالْجَهَازِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، فَدَخَلَ أبو بكر عَلَىٰ ابْنَتِهِ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جَهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ أَمَرَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَجْهِيزِهِ؟.

قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجَهَّزْ.

---

(١) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٩٦-٧٩٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٦)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٣٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٢)، «الكامل» (٢/ ١١٩)، «البداية» (٤/ ٣١٢).

(٣) **انظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٣٤٧).

قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟.

قَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا أَدْرِي.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ والتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ: «**اللهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ نَبْغَتَهَا**[(١)] **فِي بِلَادِهَا**»، فَتَجَهَّزَ النَّاسُ[(٢)].

رسولُ اللهِ ﷺ يخرجُ إلى مَكةَ صَائمًا:

خَرجَ رَسولُ الله ﷺ لمَكةَ، وهو صَائمٌ، والناسُ صيامٌ، واستَخْلَفَ ﷺ علىٰ المدينةِ أبَا رُهْمٍ الغِفَارِي[(٣)].

١٨- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: جاءَ العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ بعِيالِهِ مِن مَكةَ مُهَاجرًا إلى المدينةِ، فَالتقى بالنَّبيِّ ﷺ بالجُحْفَةِ»[(٤)].

كانَ العبَّاسُ قد خَرجَ قبل ذلكَ بأهلِه وعيالِه مُسلمًا مهاجرًا، فَلقيَ رَسولَ الله ﷺ بالجُحْفَةِ[(٥)]، وقد كانَ قبلَ ذلكَ مُقيمًا بِمَكةَ عَلىٰ سِقايَتِهِ[(٦)].

١٩- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: جاءَ مخرَمَةُ بنُ نَوفلٍ، وأَبو

---

(١) **نبغتها**: أي نأتيها فجأةً.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٩٧).

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (١٩٤٤)، و«صحيح مسلم» (١١١٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٢).

(٤) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٠٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٦)، «الكامل» (٢/ ١١٩) «البداية» (٤/ ٣١٧).

(٥) **الجحفة**: هي قرية جامعة علىٰ طريق المدينة من مكة، وسميت الجحفة؛ لأن السيل اجتحفها، وهي تبعد نحو سبعة وثمانين ومائة كيلو متر عن مكة، ويحرم الناس بجوارها من رابغ.

(٦) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٠).

سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، وعبدُ اللهِ بنُ أميَّةَ، فالْتَقُوا بالنَّبيِّ ﷺ وأسلَمُوا»[١].

كان مِمَّن لقيَ رسولَ اللهِ ﷺ في الطَّريقِ إلىٰ مَكَّةَ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَل، وابنُ عمِّه أبو سفيانَ بنُ الحَارثِ بنِ عبد المطَّلبِ، وعبدُ الله بنُ أبي أميَّةَ، لقياه بالأبواءِ، وهُما ابنُ عمِّه وابنُ عمَّتِه، فالتَمسا الدخولَ علىٰ رسول اللهِ ﷺ، فأعرضَ عنهما؛ لما كان يَلقاه مِنهما مِن شدَّةِ الأذَىٰ والهَجْوِ.

فكلَّمَتْهُ أمُّ سلَمَةَ فيهمَا، فقالتْ: لا يَكُنِ ابنُ عمِّك، وابنُ عمَّتِك أَشْقىٰ الناسِ بكَ.

وقالَ عليٌّ لأبي سفيانَ بنِ الحَارِثِ: ائْتِ رسولَ اللهِ ﷺ من قِبَلِ وجهِهِ، فقلْ له ما قالَ إخوةُ يوسفَ ليوسفَ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف:٩١].

ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف:٩٢].

فأنشدَه أبو سفيانَ أبياتا، فضربَ رسولُ اللهِ ﷺ صدرَه وقال: «**أَنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ**».

وحَسُنَ إسلامُهُ بعدَ ذلكَ، ومَا رفعَ رأسَه إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ منذُ أَسلمَ حَياءً منهُ، وكانَ رَسولُ الله ﷺ يحبُّهُ، وقال: «**أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلَفًا مِنْ حمْزَةَ**».

ولَمَّا حَضَرتْهُ الوَفاةُ، قالَ: لا تَبكُوا عليَّ، فواللهِ ما نَطَقْتُ بخَطيئةٍ منذُ أَسْلَمتُ[٢].

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٠٠)، «الكامل» (٢/ ١١٩)، «البداية» (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٠-٤٠١)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٥٣)، و«الكامل = =

٢٠- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تُوفِّيَ مُغَفَّلُ بنُ عبْدِ نَهْمٍ المُزَنِيُّ والدُ الصَّحَابِيِّ عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ، ولهُ صُحْبَةٌ»(١).

ويُقالُ لهُ: مُغَفَّلُ بنُ عبْدِ غَنْمٍ، وَقَدْ تُوفِّي بِطريقِ مَكَّةَ قَبلَ أنْ يَدْخُلَهَا رَسولُ اللهِ ﷺ(٢).

٢١- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بعدَ العَصرِ، لمَّا بَلغَ رَسولُ اللهِ ﷺ كُرَاعَ الغَمِيمِ، أفطرَ على راحلتِه؛ لِيرَاهُ النَّاسُ»(٣).

لمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ ﷺ كُرَاعَ الْغَمِيمِ(٤)، دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّىٰ نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ»(٥).

وَقولُه ﷺ: «أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ»: محمولٌ علىٰ من تَضَرَّرَ بالصَّومِ، أو أنَّهم أُمِرُوا بالفِطرِ أمرًا جازمًا لمصلحةِ بيانِ جوازِه، فخالفُوا الوَاجبَ.

وعلىٰ كلا التَّقديرينِ لا يكونُ الصائمُ في السفرِ عاصيًا إذا لمْ يتَضَرَّرْ

= في التاريخ» (٢/ ١١٨-١١٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٢-٣٥٣).

(١) «مغازي الذهبي» (٦٢١).

(٢) انظر: «المؤتلف والمختلف»، للدراقطني (٤/ ٢٠١٥)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٤٧٩)، و«أُسْد الغابة» (٤/ ٤٦٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٦/ ١٥٣)

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١١١٤)، وأبو داود الطيالسي (١٧٧٢)، والترمذي (٧١٠) وقال: حسن صحيح.

(٤) كراع الغميم: واد بين مكة والمدينة، يبعد عن مكة نحو ستين كم، ويسمىٰ الآن برقاء الغميم.
وقد ورد في حديث آخر رواه مسلم (١١١٣): «فَصَامَ حَتَّىٰ بَلَغَ الْكَدِيدَ، ثُمَّ أَفْطَرَ»، والكديد موضع ماءٍ قريب من كراع الغميم.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١١١٤).

به ويؤيدُ هذَا قولُ النبيِّ ﷺ في الرِّوايةِ الثَّانيةِ: «**إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمِ الصِّيَامُ**»[١][٢].

رسول الله ﷺ ينزلُ بمرِّ الظَّهرانِ:

ثمَّ مَضىٰ رسُولُ اللهِ ﷺ حَتىٰ نزَلَ مرَّ الظَّهرانِ[٣] عِشاءً، ومعهُ عَشرةُ آلافٍ، ولمْ يتخلَّف عَنهُ أحدٌ مِنَ المُهَاجرينَ والأنْصارِ، وعمَّىٰ اللهُ الأخبارَ عن قُريشٍ، فلمْ يأتِهِم خبرٌ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا يَدْرُونَ ما هُو فاعلٌ، فكَانُوا علىٰ وَجلٍ، وَخوفٍ[٤].

تَجَسُّسُ قُريشٍ أخبارَ المُسلِمينَ:

كانَ أبو سفيان يخرجُ يتحسَّسُ الأخبارَ، فخرجَ هو وحكيمُ بنُ حِزامٍ، وبُدَيلُ بنُ وَرقاءَ، يَتَحسَّسُونَ الأخبارَ، ويَنظرونَ هلْ يجدونَ خبراً.

ولَمَّا نَزلَ رسولُ اللهُ ﷺ بِمرَّ الظَّهْرانِ أمرَ الجَيشَ فأوقَدُوا النِّيرانَ، فأُوْقِدَتْ عَشرَةُ آلافِ نَارٍ، وجَعلَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ الحَرسِ عُمرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

٢٢- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقبلَ دُخُولِ النبيِّ ﷺ مكَّةَ أَسلَمَ أَبُو سفيانَ بنُ حربٍ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ، وبُدَيلُ بنُ وَرْقَاءَ»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١١٤).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (٧/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٣) مر الظهران: واد كبير من أودية تهامة، يقع غرب المملكة العربية السعودية، يبعد عن مكة نحو أربعين كيلو متر تقريبا، ويسمىٰ الآن بوادِ فاطمة.

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٣/ ٤٠٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٣).

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٣/ ٤٠٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٣).

(٦) ابن هشام (٢/ ٤٠٢)، «الكامل» (٢/ ١٢١)، «البداية» (٤/ ٣٢٨).

لَمَّا نَزلَ رَسولُ الله ﷺ بِمَرَّ الظَّهرانِ ركِبَ العباسُ بَغلةَ رَسولِ اللهِ ﷺ البيضاءَ، وخرَجَ يلتمسُ لعلَّهُ يجدُ بعضَ الحطَّابَةِ، أو أَحدًا يُخبرُ قُريشًا؛ فيُخْبرُهُم بمكانِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ ليَخرجُوا إليهِ فيَستَأْمِنُوه، قبلَ أن يدْخُلَها عليهِم عَنْوةً.

قالَ: فواللهِ إني لأسيرُ عليها وألتمسُ ما خرجتُ له، إذ سمعتُ أبا سفيانَ، وبُديلَ بنَ ورقاءَ يتحدثانِ، وأبو سُفيانَ يقولُ: ما رأيتُ كالليلةِ نيرانًا قطُّ ولا عَسكرًا.

فقالَ بُديلٌ: هذه واللهِ خُزاعةُ حمَشَتْها[١] الحَربُ.

فقالَ أبو سفيان: خُزاعةُ أقلُّ، وأذلُّ من أنْ تكونَ هذه نيرانَهَا، وعَسْكرَها.

فعَرَفتُ صَوتَه، فقلتُ: أَبَا حنْظَلةَ.

فعَرَفَ صَوتي، فقالَ: أَبُو الفَضْلِ؟.

قُلتُ: نعَمْ.

قالَ: مَا لكَ؟ فِدَاكَ أَبي وأُمي.

قلتُ: ويحكَ يَا أبا سُفيانَ، هذا رَسولُ الله ﷺ في الناسِ، وَاصَبَاحَ قريشٍ[٢] واللهِ.

قال: فما الحِيلةُ؟ فداكَ أبي وأمي.

قلت: واللهِ لئنْ ظَفَرَ بِكَ لَيضْرِبنَّ عُنُقَكَ، فارْكبْ في عَجُزِ[٣] هذِه

---

(١) حمشتها: أي أحرقتها.

(٢) واصبَاحَ: كلمة يقولها المستغيث، وقيل: هو نداء المقاتل عند الصباح، يعني: قد جاء وقت الصباح فتهيئوا للقتال.

(٣) عجز: أي مؤخرة.

البَغلةِ حَتىٰ آتي بكَ رسولَ الله ﷺ، فأَسْتَأمِنَهُ لكَ.

فركبَ خَلفي، فجئتُ بِه، وَأَتيَا مَعهُ صَاحِبَاهُ: حَكِيمُ بنُ حِزام، وبُدَيلُ بنُ وَرْقَاءَ[1]، فكلَّمَا مَررتُ به علىٰ نارٍ من نيرانِ المسلمينَ قَالوا: «مَنْ هَذَا؟»، فَإذا رَأَوْا بغلةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَنا عَليها، قَالوا: عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ عَلىٰ بغلتِهِ، حتىٰ مرَرتُ بنارِ عُمرَ بنِ الخطَّابِ، فقالَ: مَن هَذا؟، وقَامَ إليَّ، فلمَّا رأَىٰ أبَا سُفيانَ علىٰ عَجُزِ الدابةِ، قالَ: أبو سُفيانَ عَدُوُّ اللهِ؟ الحمدُ للهِ الذي أمكَنَ منْك بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ، ثم خرَجَ يُسْرِعُ نحوَ رَسُول الله ﷺ، ورَكَضْتُ البغلةَ[2] فَسبَقتُه، فاقْتَحَمتُ[3] عنِ البَغلةِ، فدَخلتُ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ.

ودخلَ عليهِ عُمرُ، فقالَ: يا رسولَ الله هذا أبو سُفيانَ فَدَعني أَضربُ عُنُقَه.

قلتُ: يا رسولَ اللهِ ﷺ إني قدْ أَجَرتُه.

ثم جَلستُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: واللهِ لا يُنَاجِيه الليلةَ أحدٌ غَيري.

فلَمَّا أكثرَ عُمرُ في شأنِه، قُلتُ: مَهلًا يا عمرُ، فواللهِ لو كانَ مِنْ رجالِ بني عَدِيِّ بن كَعبٍ ما قلتَ مثلَ هَذا، ولكنَّك قد عَرَفتَ أَنه منْ رجالِ بني عَبدِ مَنافٍ.

---

(١) الذي عليه أكثر أهل السير أن حَكِيمَ بنَ حِزامٍ، وبُدَيلَ بنَ وَرْقَاءَ لمْ يذهبا مع أبي سفيان إلىٰ رسول الله ﷺ، وإنما رجعا إلىٰ مكة، وأسلما بعد دخول النبي ﷺ مكة. [انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٢)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٥٣٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٤)].

(٢) ركضت البغلة: أي ضربتُ برجلي علىٰ البغلة؛ لاستعجالها في السير.

(٣) فاقتحمت: أي رميت بنفسي نازلًا.

قَالَ: مَهْلًا يَا عَباسُ، فواللهِ لإسلامُك كانَ أُحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّابِ لو أسلمَ، وما بي إلا أنَّي قد عَرَفتُ أنَّ إِسْلامَك كانَ أحبَّ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ من إسلام الخطَّابِ.

فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ بِهِ يَا عباس إِلَىٰ رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَأْتِنِي بِهِ**».

فذهبتُ به إلىٰ رَحلي، فلَمَّا أصبحتُ غدوتُ به إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فلَمَّا رآه رسولُ اللهِ ﷺ قالَ: «**وَيْحَكَ يَا أبا سفيان أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**».

قالَ: بِأَبي أنتَ وأمي ما أَحلَمَكَ وأكرَمَكَ وأوصَلَكَ، لقدْ ظَنَنتُ أنْ لَو كانَ معَ اللهِ إلـهٌ غيرُه لقدْ أغْنىٰ شيئا بَعدُ.

قال: «**وَيْحَكَ يَا أبا سُفيانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**».

قالَ: بِأَبي أنتَ وأُمي ما أحْلَمَكَ وأكرَمَكَ وأوصَلَكَ، أمَّا هذِه واللهِ فَإنَّ في النَّفسِ مِنها حَتىٰ الآنَ شيئًا.

فقالَ لهُ العبَّاسُ: وَيحكَ أَسلمْ، واشْهَدْ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدا رسولُ الله، قبل أنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ.

فأسلَمَ، وشهِدَ شهادةَ الحقِّ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ صَاحِبَاهُ: حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، وَجَعَلَ رَسولُ الله ﷺ يَسْتَخْبِرُهُمَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

فقال العبَّاسُ: يا رَسولَ الله إنَّ أبا سُفيانَ رجلٌ يحبُّ الفخرَ، فاجعل له شيئا.

قال: «**نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أبي سفيان فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ**».

وأَمرَ رسولُ اللهِ ﷺ العبَّاسَ أن يحبس أبا سفيانَ بمضيقِ الوادِي عند خَطْمِ الجَبلِ[١]؛ حتىٰ تمرَّ به جنودُ اللهِ فيراها، ففعلَ فمرَّتِ القبائلُ علىٰ رَاياتِها، كلَّمَا مرَّت به قبيلةٌ قال: يا عباسُ مَن هَذِه؟.

فأقولُ: سُلَيمٌ.

فيقول: ما لي ولسُلَيمٍ.

ثم تَمرُّ بِه القبيلةُ، فيقول: يا عباسُ مَن هؤلاءِ؟.

فأقول: مُزَينةُ.

فيقولُ: ما لي ولمُزَينَةَ.

حتىٰ نَفِدَتِ القَبائلُ، ما تَمرُّ به قبيلةٌ إلا سأَلني عنها، فإذا أخبرتُه بهمْ، قال: ما لي ولبَني فلانٍ، حتىٰ مرَّ به رسولُ اللهِ ﷺ في كتيبتِه الخَضراءِ فيها المُهاجِرونَ والأنصارُ، لا يُرَىٰ مِنهم إلا الحَدَقُ[٢] مِنَ الحَدِيد.

قال: سُبحانَ اللهِ يا عَباسُ مَنْ هَؤلاءِ؟.

قلتُ: هذا رَسولُ الله ﷺ في المُهاجِرينَ والأنصارِ.

قال: ما لأحدٍ بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، والله يا أبا الفضلِ لقدْ أصبحَ مُلكُ ابنِ أخيكَ اليومَ عظيمًا.

قلتُ: يا أبَا سفيانَ إنها النُّبُوَّةُ.

قال: فنعم إذًا.

---

(١) **خطم الجبل**: أي أنفه البارز منه حيث يضيق الطريق فيرىٰ الجيش كله ويكثر في عينه، فينبعث في قلبه الشعور بقوتهم وشأنهم فيكف عن عداوة المسلمين والتفكير في حربهم ويتمكن الإسلام في قلبه.

(٢) **الحدق**: جمع حدقة، وهي السواد المستدير وسط العين.

وكانت رايةُ الأنصارِ مع سعدِ بن عُبادَة، فلمَّا مرَّ بأبي سفيانَ قال له: اليومَ يومُ الملحمةِ[(١)]، اليومَ تُستَحَلُّ الحرمةُ[(٢)]، اليومَ أذلَّ اللهُ قريشًا.

فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ؟.

قَالَ: «**مَا قَالَ؟**».

قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

فقال عثمانُ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: يا رسولَ الله ما نأمنُ أن يكونَ له في قريشٍ صولةٌ[(٣)].

فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَبَ[(٤)] سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَىٰ فِيهِ الكَعْبَةُ، الْيَوْمَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا**».

ثم أَرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلىٰ سَعدٍ، فنزَعَ مِنهُ اللِّواءَ ودفعَهُ إلىٰ قَيسٍ ابنِه[(٥)].

أبو سفيانَ يأتي أهلَ مكةَ ويحذِّرهُم رسولَ اللهِ ﷺ، وأصحابَهُ:

بَعدَ الانتِهَاءِ مِن اسْتِعْرَاضِ الجَيشِ أَمَامَ أَبي سُفيَانَ، قالَ العبَّاسُ لأبي سفيانَ: أسرِعْ إلىٰ قومِك.

فَانطلقَ أبُو سُفيانَ سَرِيعًا إلىٰ قَومِهِ يحذِّرُهُم حتىٰ إذا جاء قريشًا،

---

(١) **الملحمة**: أي يوم القتل، وقيل: يوم حرب لا يوجد فيه مخلِّص.

(٢) **تستحل الحرمة**: أي يصبح القتال في الكعبة حلالًا.

(٣) **صولة**: أي سطوة، وسُلطة.

(٤) **كذب**: أي أخطأ.

(٥) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٨٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٢-٤٠٤)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ١١٩-١٢٠)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٥٣٥-٥٣٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٣-٣٥٥).

صرخَ بأعلىٰ صوتِه: يا معشرَ قريشٍ هذا محمدٌ قد جاءَكم فيما لا قِبَلَ لَكُم به، فمن دخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ.

فقامت إليه هندُ بنتُ عُتبةَ فأخذتْ بشَارِبِه، فقالتْ: اقتُلُوا الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الْأَحْمَسَ[١]، قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ[٢].

قال: ويْلكُم لا تَغرنَّكُم هذِه من أنفُسِكُم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم بِه، مَن دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ.

قالوا: قاتلك الله[٣]، وما تغني عنا دَارُك؟.

قال: ومَن أَغْلَقَ عليه بابَه فهو آمِنٌ، ومَن دَخل المسجدَ فَهو آمِنٌ.

فتفرَّق الناسُ إلىٰ دُورِهِم، وإلىٰ المَسجدِ[٤].

٢٣- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ مكةَ فاتحًا منصورًا مؤيَّدًا»[٥].

سارَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فدَخلَ مَكةَ مِن أَعلاهَا وضُرِبتْ له هُنَالِكَ قُبَّةٌ، وأَمرَ الزُّبيرَ بنُ العَوَّامِ أنْ يَدخلَ في بعضِ الناسِ مِنْ كُدًىٰ[٦]، وكان الزُّبيرُ علىٰ المُجَنَّبَةِ اليُسرَىٰ، وأمر سَعْدَ بنَ عُبادَةَ أنْ يدخلَ في بعضِ الناسِ مِن كَدَاءَ[٧].

---

(١) **الحميت الدسم الأحمس**: أرادت تشبيه أبا سفيان بزق السمن استعظاما لقوله. الحميت: أي زِقُّ السمن. الدسم: أي الكثير الودك. الأحمس: أي الذي لا خير عنده.

(٢) **طليعة قوم**: أي الذي يحرس القوم.

(٣) **قاتلك الله**: أي لعنك الله.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٢٨٦)، ومسلم (١٣٥٧)، **وانظر**: «البداية» (٤/ ٣٢٨).

(٦) **كدىٰ**: جبل قريب من كَداء، وكَداء جبل بأعلىٰ مكة.

(٧) **كداء**: جبل بأعلىٰ مكة.

وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ أنْ يَدخلَهَا مِنْ أسفَلِها، وكانَ علىٰ المُجَنِّبَةِ اليُمْنىٰ، وفيها قَبائلُ: أسلمُ، وسُلَيمٌ، وغِفَارٌ، ومزينةُ، وجُهَينةُ، وقبائلُ من قبائلِ العربِ.

وكان أبو عُبيدة علىٰ الرَّجَّالَةِ والحُسَّرِ، وهمُ الذينَ لا سلاحَ معَهم، وأخذُوا بطنَ الوادِي.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لخالدٍ ومَنْ معَهُ: «**إِنْ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّىٰ تُوَافُونِي عَلَىٰ الصَّفَا**»[(١)].

سفهاءُ قريشٍ يتَجَمَّعُون؛ لقتالِ رسولِ اللهِ ﷺ:

تجمَّع سُفهاءُ قريشٍ مَع عِكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وصفوانَ بنِ أُميةَ، وسُهَيلِ بنِ عمرٍو بالخَنْدَمَةِ[(٢)]؛ ليقاتِلوا المُسلمينَ.

فلَمَّا لَقِيَهُم المُسلِمونَ من أصحابِ خالدِ بن الوليدِ ناوشوهم شيئًا من قتالٍ، فقُتِل كُرْزُ بنُ جابرٍ الفِهْرِيُّ، وخُنيسُ بنُ خالدٍ منَ المُسلمينَ، وكانا في خيلِ خالدِ بن الوليدِ فَشذَّا عنه فَسَلَكا طَريقًا غيرَ طريقِهِ فقُتِلا، وأُصِيبَ منَ المُشركينَ نحوُ اثني عَشرَ رَجُلًا[(٣)].

قُريشٌ تحاولُ منعَ رسولِ اللهِ ﷺ عن دخولِ مكةَ:

جمعَتْ قريشٌ جموعًا من قبائلَ شَتَّىٰ، فقالُوا: نُقدِّم هَؤلاءِ، فإن كانَ لقُريشٍ شيءٌ كنَّا معهُم، وإن أُصِيبوا أَعْطَينَا الذِي سُئِلنَا.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**».

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٥-٤٠٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٦).

(٢) الخندمة: جبل بمكة.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٧-٤٠٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٦-٣٥٧).

فَقَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ.

فَقَالَ: «**اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ**[١]، **وَلَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ**».

فَهَتَفَ بِهِمْ فَجَاءُوا، فَأَطَافُوا[٢] بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَتَرَوْنَ إِلَىٰ أَوْبَاشٍ**[٣] **قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ**».

ثُمَّ أَشَارَ بِيَدَيْهِ[٤] إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ: «**احْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّىٰ تُوَافُونِي بِالصَّفَا**».

قَالَ أَبُو هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَانْطَلَقْنَا، فَمَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ مِنْهُمْ إِلَّا شَاءَ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَجَّهَ إِلَيْنَا شَيْئًا**[٥]»[٦].

رسولُ اللهِ ﷺ يدْخلُ المَسجدَ الحَرامَ ويهدِمُ الأصنامَ:

ورُكِزَت رَايةُ رسولِ اللهِ ﷺ بالحَجُونِ[٧] عندَ مَسجدِ الفتحِ.

ثم نَهَضَ رسولُ اللهِ ﷺ، والمهاجرونَ والأنصارُ بين يديه وخلْفَه وحَولَه حتىٰ دخلَ المسجدَ، فأقبلَ إلىٰ الحَجَرِ الأسودِ، فاستَلَمَهُ ثم طافَ بالبيتِ، وفي يدِه قوسٌ، وحولَ البيتِ وعَلَيهِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ صنم، فجعلَ يَطْعَنُها بالقوسِ ويقولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا

---

(١) **اهتف لي بالأنصار**: أي صِح بهم، وادعهم لي.

(٢) **فأطافوا**: أي فجاءوا وأحاطوا، وإنما خصهم لثقته بهم ورفعا لمراتبهم وإظهارا لجلالتهم وخصوصيتهم.

(٣) **أوباش**: أي جموع من قبائل شتىٰ.

(٤) **أشار بيديه**: أي أشار إلىٰ هيئتهم المجتمعة.

(٥) **وما أحد منهم وجه إلينا شيئًا**: أي لا يدفع أحد منهم عن نفسه.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٨٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) **الحجون**: موضع بمكة، يقال: هو مقبرة أهل مكة.

﴿يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩]، والأصنام تَتساقطُ علىٰ وجوهها.

وكانَ طوافُهُ ﷺ عَلىٰ راحِلَتِه، ولم يكنْ محرِمًا يومئذٍ، فاقتصرَ علىٰ الطَّوافِ[١].

رسولُ اللهِ ﷺ يَدخل الكَعبةَ:

لمَّا أكمَلَ رسولُ اللهِ ﷺ طوافهُ بالبيتِ، دعَا عُثمانَ بنَ طَلحةَ، فأخذَ منهُ مِفتاحَ الكَعبةِ، فأمرَ بها ففُتِحتْ فدَخَلَها فرَأَىٰ فيها الصُّورَ، ورَأىٰ فيهَا صورةَ إبراهيمَ وإسماعيلَ يَسْتَقْسِمَانِ بالأزْلامِ، فقالَ: «**قَاتَلَهمُ اللهُ**[٢]، **وَاللهِ مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ**».

ورأىٰ في الكَعبةِ حَمامةً من عيدانٍ، فكسَرَها بيدِه، وأمَر بِالصُّوَرِ فَمُحِيَتْ[٣].

رسولُ اللهِ ﷺ يُصَلي في الكَعبةِ:

ثم أَغْلقَ رَسولُ اللهِ ﷺ عليهِ بابَ الكعبةِ، وعلىٰ أُسامةَ وبِلالٍ، فاسْتقبلَ الجدارَ الذي يقابلُ البابَ، حتىٰ إذا كان بينه وبينه قَدْرُ ثلاثةِ أذرعٍ، وقف وصلىٰ هناكَ، ثم دارَ في البيت، وكبَّر في نواحِيه، ووحَّدَ اللهُ، ثمَّ فَتحَ البابَ[٤].

---

(١) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٨٠، ٤٧٢٠)، و«صحيح مسلم» (١٧٨١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٨).

(٢) **قاتلهم الله**: أي لعنهم الله.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٨٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١١-٤١٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٨).

(٤) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٢٨٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٨).

رسولُ اللهِ ﷺ يخطبُ في قُريشٍ:

أَخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بِعَضَادَتَي بابِ الكَعبةِ، وقريشٌ تحتَه قد مَلأتِ المَسجدَ صُفُوفًا ينتظِرُونَ ماذَا يَصْنعُ، فقَالَ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ.**

أَلَا كُلُّ مَأْثُرَةٍ[١] أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ يُدَّعَىٰ فَهُوَ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ[٢] هَاتَيْنِ إِلَّا سَدَانَةَ[٣] الْبَيْتِ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ.

أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَأِ شِبْهِ الْعَمْدِ بِالسَّوْطِ وَالْعَصَا فَفِيهِ الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً، مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا.

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ[٤] الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣].

ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟**».

قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

قَالَ: «**فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف:٩٢]، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»[٥].

---

(١) **مأثرة**: أي خصلة محمودة تتوارث، ويتحدث بها.

(٢) **تحت قدمي**: أي باطل.

(٣) **سدانة**: أي خدمة.

(٤) **نخوة**: أي كبر، وعُجْب.

(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٢)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٥٦٧-٥٦٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٨-٣٥٩).

رسولُ اللهِ ﷺ يُبقِي مِفْتاحَ الكَعبةِ معَ عُثمانَ بنِ طَلحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الأَبَدِ:

ثمَّ جَلسَ رسولُ اللهِ ﷺ في المسجدِ، فقام إليهِ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومِفتاحُ الكعبةِ في يدِه فقالَ: يا رسولَ الله اجمعْ لنَا الحِجَابةَ[١] مع السِّقَايةِ[٢] صَلَّىٰ اللهُ عليكَ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟»، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثمان، الْيَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ، خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ تَالِدَةً خَالِدَةً[٣] لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ظَالِمٌ، يَا عثمان إِنَّ اللهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ، فَكُلُوا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ»[٤].

بِلالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤذِّنُ فوقَ الكعبةِ، وإسلامُ عَتَّابِ بنِ أَسِيدٍ، والحَارثِ ابنِ هِشامٍ:

أَمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بلالًا أنْ يَصعدَ، فيؤذِّنَ علىٰ الكعبةِ، وأبو سفيانَ بنُ حرْبٍ، وعتَّابُ بنُ أَسِيدٍ، والحارثُ بنُ هِشامٍ، وأشرافُ قُريشٍ جُلوسٌ بفِناءِ الكعبةِ، فقالَ: عتَّابُ: لقدْ أكرمَ اللهُ أَسِيدًا ألا يَكونَ سمِعَ هذا، فَيسمعَ مِنه ما يَغِيظُهُ.

فقالَ الحارثُ: أمَا واللهِ لو أعلمُ أنَّه حقٌّ لاتَّبعتُهُ.

---

(١) **الحجابة**: أي حجابة الكعبة، وهي سدانتها، وتولي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفتاحها.

(٢) **السقاية**: أي سقاية الحاج، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء، وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام.

(٣) **تالدة خالدة**: أي إنَّها لكم من أوّل، ومن آخر، والتالد: القديم.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٢)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٣٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥٩-٣٦٠).

فقال أبو سُفيانَ: أمَا واللهِ لا أقولُ شيئا لو تَكلَّمتُ لأَخْبرَتْ عَني هذِه الحَصىٰ.

فخرجَ عليهم النبيُّ ﷺ، فقالَ لهُم: «**قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ**».

ثم ذكرَ ذلك لهمْ، فقال الحارثُ وعتَّابُ: نشهَدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ، واللهِ ما اطَّلَعَ علىٰ هذا أحدٌ كان معنَا، فنقولَ: أخبركَ[1].

رسولُ اللهِ ﷺ يُصلي صَلاةَ الفتحِ في بيتِ أمِّ هانئٍ:

ثم دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ دارَ أمِّ هانِئٍ بنتِ أبي طَالبٍ، فاغْتسلَ وصلَّىٰ ثمَانِ رَكعاتٍ في بيتِها، وكانتْ ضحًىٰ فظنَّهَا البَعْضُ صَلاةَ الضُّحَىٰ، وإنَّمَا هذِه صَلاةُ الفتحِ، وكان أُمراءُ الإسلامِ إذا فَتَحُوا حِصْنًا، أو بلدًا صَلَّوْا عَقِيبَ الفتحِ هذِه الصلاةَ اقتداءً برسولِ اللهِ ﷺ، وفي القصةِ ما يَدلُّ علىٰ أنَّها بِسببِ الفَتحِ شُكرًا للهِ علَيه، فإنَّها قالتْ: ما رَأَيتُه صلَّاهَا قَبْلَها، ولا بَعْدَها.

وأجارَتْ[2] أمُّ هانئٍ حَمَوَينِ لهَا، فَقالَ لهَا رسولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجرتِ[3] يَا أُمَّ هَانِئٍ**»[4].

رسولُ اللهِ ﷺ يَأمرُ بقتلِ جَمَاعةٍ منَ المُشركينَ:

ولمَّا اسْتقرَّ الفتحُ أَمَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ، وَأمَرَ بِقَتلِ جَمَاعَةٍ مِنَ المُشرِكِينَ، وإن وُجِدُوا تحتَ أستارِ الكعبةِ، منهُم: عبدُ اللهِ بنُ أبي

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٣).

(٢) أجارت: أي أدخلت في أمانها.

(٣) أجرنا من أجرتِ: أي أمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٣٥٧، ٣١٧١)، و«صحيح مسلم» (٣٣٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٦١).

سَرْحٍ، وعِكْرمةُ بن أبي جهل، وعبدُ العُزَّىٰ بنُ خَطَل، والحارثُ بنُ نُفيلٍ، ومَقِيسُ بنُ صُبابَة، وهبَّارُ بن الأسودِ، وقَيْنَتَانِ لابنِ خطل، كانتا تُغَنِّيَانِ بهجاءِ رسولِ الله ﷺ، وسارةُ مولاةٌ لبعضِ بني عبدِ المُطَّلِبِ.

فأما ابنُ أَبي سَرْحٍ فأسلمَ، فجاءَ به عُثمانُ بنُ عَفانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستَأمَنَ له رَسولَ اللهِ ﷺ، فَقَبِلَ منهُ بعد أنْ لمْ يُجِبْهُ رَجاءَ أنْ يَقومَ إليهِ بَعضُ الصَّحابةِ فيقتُلَهُ، وكانَ قدْ أسلمَ قبلَ ذلكَ وهاجرَ، ثم ارتدَّ، ورجعَ إلىٰ مكةَ.

وأما عِكْرمةُ بنُ أَبي جهل، فاستَأْمَنَتْ لهُ امرأتُه بعدَ أنْ فرَّ، فأمَّنَهُ النبيُّ ﷺ، فَقدِم، وأسلمَ وحَسُنَ إسلامُهُ.

وأما ابنُ خطل، والحارثُ، ومَقِيسٌ، وإحدَىٰ القَيْنَتينِ فقُتِلُوا، وكان مَقِيسٌ قد أسلمَ ثمَّ ارتدَّ، وقتَلَ، ولَحِق بالمُشركينَ.

وأمَّا هبَّارُ بنُ الأسودِ، فهُو الذِي عَرضَ لزينبَ بنتِ رسولِ الله ﷺ حينَ هاجرتْ، فنَخَس بها حتىٰ سَقطتْ علىٰ صَخرةٍ وأَسْقَطَتْ جَنِينَها، فَفَرَّ ثمَّ أسلَمَ، وحَسُنَ إسلامُهُ.

واسْتُؤمِنَ رَسولُ الله ﷺ لسَارةَ ولإحدَىٰ القَيْنَتَينِ فأمَّنَهُما فأَسْلمَتا[1].

خُطبةُ الفَتحِ:

لَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ**

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٠-٤١١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٦٢).

يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، أَوْ يَعْضُدَ[١] بِهَا شَجَرَةً.

فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ[٢] رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ[٣]، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ[٤] الْغَائِبَ»[٥].

تَخَوُّفُ الْأَنْصَارِ مِنْ بَقَاءِ رسولِ اللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ:

لَمَّا فَتَحَ رَسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ قَامَ عَلَىٰ الصَّفَا يَدْعُو اللهَ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: لَقَدْ أَخَذَتْ رسولَ اللهِ ﷺ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، أَتُرَوْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِذْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا؟.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ، قَالَ: «مَاذَا قُلْتُمْ؟».

قَالُوا: لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللهِ.

فنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأَخبرَهم -أي رسولُ اللهِ ﷺ- بِمَا قَالُوا، ثُمَّ قَالَ لهم: «أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ».

---

(١) يعضد: أي يقطع.

(٢) ترخص لقتال: أي احتج لجواز القتال فيها، وأنه رخصة عند الحاجة بقتاله ه.

(٣) ساعة من نهار: أي فترة من نهار وهي من ضحوة النهار حتىٰ ما بعد العصر من يوم فتح مكة.

(٤) الشاهد: أي الحاضر.

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (١٠٤)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٦٢-٣٦٣).

قَالُوا: وَاللهِ مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا[١] بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ»[٢].

محاولةٌ خَاسِرةٌ لاغْتيالِ رسولِ اللهِ ﷺ:

همَّ فَضَالةُ بنُ عُمَيرٍ أنْ يقتلَ رسولَ اللهِ ﷺ، وهو يطوفُ بالبيتِ، فلَمَّا دنَا منهُ قالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَفَضَالَةَ؟».

قالَ: نعمْ فَضَالةُ يا رَسولَ اللهِ.

قالَ: «مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟».

قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللهَ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اسْتَغْفِرِ اللهَ».

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ.

قالَ فَضالةُ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَىٰ الْحَدِيثِ، فَقُلْتُ: لَا.

وَكَانَ فَضَالةُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ[٣].

إِسلامُ صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ:

خَرجَ يومَ الفَتْحِ يومئذٍ صفوانُ بنُ أُمَيةَ فارًّا إلىٰ اليَمنِ، فاسْتأمَن له عُميرُ بنُ وهبٍ الجُمَحِيُّ رَسولَ اللهِ ﷺ، فأمَّنَه وأَعطاهُ عِمَامَتَه التي دخلَ بهَا مَكةَ، فلحِقَهُ عُمَيرٌ وهُو يُريدُ أنْ يَركبَ البَحرَ، فردَّهُ، فقالَ

---

(١) ضنا: أي بخلا به، والمعنىٰ: لا نريد أن يشاركنا في رسول الله ﷺ أحد غيرنا.

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (١٧٨٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٦).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٧).

لرَسُولِ اللهِ ﷺ: اجْعَلني فيهِ بالخِيارِ شَهرينِ.

فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنتَ بالخيارِ فيهِ أَرْبعةَ أَشْهرٍ**».

ثمَّ أَسلمَ بعدَ ذلكَ[١].

إسلامُ عِكْرِمَةَ بنِ أَبي جَهلٍ:

خَرجَ يومَ الفَتْحِ عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهل فارًّا إلىٰ اليَمنِ، فذَهبتْ زَوجتُه أمُّ حكيمٍ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأَسلَمتْ، واستأْمَنَتْ له رسولَ اللهِ ﷺ، فأمَّنَه، فلحِقَتْ به باليمنِ، فأمَّنَتْهُ، وردَّتْهُ[٢].

٢٤- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أقامَ النبيُّ ﷺ بِمكةَ تسعةَ عشرَ يومًا يَقْصُرُ الصلاةَ»[٣].

أَقامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ بَعدَ فَتْحِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ[٤].

رسولُ اللهِ ﷺ يأمر بِتَكسيرِ الأصنام:

قد أَمرَ رسُولُ اللهِ ﷺ في هذه الأَيامِ تَميمَ الخُزاعيَّ، فَكسَّرَ أصنامَ الحرمِ.

وأَرسلَ ﷺ سراياه إلىٰ الأوثانِ التي كانت حولَ الكعبةِ، فكُسِّرتْ كلُّها، ونادَىٰ مُنادِيهِ بِمَكَّةَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ**»[٥].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٧-٤١٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٦٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٦٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٩٨، ٤٢٩٩)، «مغازي الذهبي» (٥٦٢)، «البداية» (٤/ ٣٥٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٩٨).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٢٩٨)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٣٧).

تلكَ هيَ غَزْوةُ فَتحِ مَكَّةَ، وهي المعركةُ الفَاصلةُ والفَتحُ الأعْظمُ الذي قَضَىٰ علىٰ كَيَانِ الوثنيةِ قضاءً باتًّا، لم يتركْ لبقائِهَا مجالًا ولا مُبررًا في رُبُوعِ الجَزِيرَةِ العَربيةِ، فقد كانتْ عامةُ القبائلِ تَنتظرُ ماذَا يَنتُجُ عنِ العِراكِ والاصطِدامِ الذِي كان دائرًا بين المُسلَمينَ والوَثنيينَ، وكانتْ تلكَ القَبائلُ تَعرِفُ جيدًا أنَّ الحرمَ لا يُسيطرُ عليهِ إلا مَنْ كانَ عَلىٰ الحَقِّ، وكانَ قدْ تأكَّدَ لدَيهِم هذَا الاعْتِقادُ الجَازمُ قبلَ نصفِ القَرنِ حِينَ قَصدَ أصْحابُ الفِيلِ هذَا البيتَ، فأُهْلِكُوا، وجُعِلوا كعَصْفٍ مأكولٍ(١).

وكان صُلحُ الحديبيةِ مُقَدِّمةً وَتَوطِئةً بينَ يَدَي هذَا الفتحِ العظيمِ، أمِنَ الناسُ به، وتمكَّنَ مَن اخْتفىٰ منَ المُسلمينَ بِمكةَ مِنْ إظهارِ دينِه، والدَّعْوةِ إليهِ، ودَخلَ بِسببِهِ بَشرٌ كثيرٌ في الإسلامِ، ولهذا سَمَّاهُ اللهُ فَتحًا في قولِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١]، نَزلتْ في شَأْنِ الحُديبيةِ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟، قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»(٢).

مما يستفاد مما سبق:

١- جواز مُباغَتَةِ المعاهدينَ إذا نقَضوا العهدَ، والإغارة عليهم، وألا يعلمهم بمسيره إليهم، وأما ما داموا قائمين بالوفاء بالعهد، فلا يجوز ذلك.

٢- استحباب إظهار كثرة المسلمين وقوتهم وشوكتهم وهيئتهم لرسل العدو، إذا جاءوا إلىٰ الإمام، كما يفعل ملوك الإسلام، كما أمر

---

(١) انظر: «الرحيق المختوم»، صـ (٣٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥)، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٦٩).

النبي ﷺ بإيقاد النيران ليلة الدخول إلىٰ مكة، وأمر العباس أن يحبسَ أبا سفيان عند خَطْمِ الجبل، وهو ما تضايق منه، حتىٰ عُرِضَت عليه عساكر الإسلام وعصابة التوحيد وجند الله، وعرضت عليه كتيبة رسول الله ﷺ وهم في السلاح لا يظهرُ منهم إلا الحَدَق، ثم أرسله ﷺ، فأخبر قريشا بما رأىٰ.

٣- جواز دخول مكةَ للقتال المباح بغير إحرام، كما دخل رسول الله ﷺ والمسلمون، وهذا لا خلاف فيه، ولا خلافَ أنه لا يدخلها من أراد الحج أو العمرة إلا بإحرام.

٤- البيان الصريح بأن مكة فُتحت عَنوة، كما ذهب إليه جمهور أهل العلم.

٥- يحرُم في مكةَ سفكُ الدم الذي يباح في غيرها، والتقاط لقطتها، وتنفير صيدها، ويحرم فيها لكونها حرما، وهذا مختص بها.

٦- كراهة الصلاة في المكان الذي فيه صور؛ لأن النبي ﷺ لم يصلِّ في الكعبة حتىٰ مُحيت الصور.

٧- جواز إجارة المرأة وأمانها للرجل والرجلين، كما أجاز النبي ﷺ أمانَ أمِّ هانئٍ لحَمَوَيْهَا[1].

٢٥- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خالدِ بنِ الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهَدْمِ العُزَّى فهُدِمَتْ»[2].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلىٰ العُزَّىٰ؛ لِيهدِمَهَا، وكانتِ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٧٦- ٤٠٧).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١٣٥)، «الكامل» (٢/ ١٢٨)، «البداية» (٤/ ٣٥٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٦).

العزَّىٰ بنَخلةَ، وكانتْ أعظمَ أصنامِ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ كُلِّهَا، فخرجَ إليها خَالِدُ بنُ الوليدِ في ثَلاثين فارسًا مِن أصحابِه حتىٰ انتَهَوا إليها فهدَمَها، ثم رجعَ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فأخبرَه، فقال: «**هلْ رأيتَ شَيئًا؟**».

قالَ: لَا.

قالَ: «**فَإِنَّكَ لَمْ تَهْدِمْهَا فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمْهَا**».

فرجَعَ خالدٌ وهو متغيِّظٌ، فجرَّد سيفَه فخرجتْ إليهِ امرأةٌ عجوزٌ عُريانةٌ سوداءُ ناشرةُ الرأسِ، فجعلَ خادِمُ العُزَّىٰ يَصيحُ بها، فضربَها خالِدٌ فجعلَها قطعتينِ، ورجعَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأخبرَه فقالَ: «**نَعَمْ، تِلْكَ الْعُزَّىٰ وَقَدْ أَيِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ أَبَدًا**»(١).

٢٦- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عمرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهَدمِ سِواعٍ، فَهُدِمَتْ»(٢).

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عَمرَو بنَ العَاصِ إلىٰ سِواعٍ صَنَمِ هُذَيلٍ؛ ليَهدِمَهُ، فخرجَ إليه عمرٌو، فلَمَّا انتهىٰ إليه وجدَ عِندَه خادِمَهُ، فقالَ: ما تُريدُ؟.

قال عمرٌو: أمرني رسولُ الله ﷺ أنْ أهدِمَه.

قالَ: لا تقدِرُ علىٰ ذَلك.

قالَ عَمرٌو: لِمَ؟.

قالَ: تُمْنَع(٣).

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٦-٤٣٧)، «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٤٦).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١٣٥)، «الكامل» (٢/ ١٣٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٨).

(٣) **تُمنع**: أي تمنعك سواعٌ من فِعل شيء فيها.

قالَ عَمرٌو: حتىٰ الآنَ أنتَ في الباطلِ، ويحكَ وهل يَسمعُ، أو يُبصرُ؟.

قالَ عَمرٌو: فدَنوتُ منه فَكَسرْتُهُ، وأَمرتُ أصحابي، فَهدَمُوا بيتَ خَزانَتِهِ، فَلم يجدُوا فيه شيئًا، ثمَّ قلتُ للخادِمِ: كَيفَ رأيتَ؟.

قالَ: أَسلَمتُ للهِ[1].

٢٧- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ سَعدِ بنِ زيدٍ الأَشْهلِيِّ لهَدْمِ مَناةَ فَهَدَمَهَا»[2].

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ سعدَ بنَ زيدٍ الأَشْهَلِيَّ إلىٰ صَنَمِ مَنَاةَ، وكَانتْ بِالْمُشَلَّلِ[3] للأوسِ والخَزرجِ وغَسَّانَ، فخَرجَ سَعدُ بنُ زيدٍ في عِشرينَ فارسًا حتىٰ انتهىٰ إليَها، وعَليها خادمٌ.

فقَال: الخَادِمُ: ما تريدُ؟.

قال: هَدْمُ مناةَ.

قال: أَنتَ، وذاكَ.

فأقبلَ سَعدٌ يَمشي إليها، فخَرجتْ إليهِ امْرأةٌ عُرْيَانةٌ سَوداءُ ثَائِرةُ الرَّأسِ تَدعُو بالوَيلِ، وَتضرِبُ صَدْرَهَا.

فقالَ: الخادِمُ مخاطِبًا الصنمَ: مناةُ دُونَك بعضَ غضبَاتِكَ[4].

فقتلَ سعدٌ المرأةَ، وأقبلَ إلىٰ الصَّنمِ معَه أصحابُه، فهدَمُوه، ولمْ يجدُوا في خَزَانَتِها شيئًا، وانْصرفَ راجعًا إلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ[5].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٤٦).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١٣٦)، «الكامل» (٢/ ١٣٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٩).

(٣) المشلل: موضع من ناحية البحر، وهو الجبل الذي يُهبط منه إلىٰ قُدَيد.

(٤) مناةُ دُونَك بعضَ غضبَاتِكَ: أي أيها الإله مناة دافع عن نفسك، وابطش بمن أرادك بسوء. قال هذا معتقدًا أن إلهه سوف يدافع عن نفسه، ويبطش بمن أراده بسوء.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٤٧).

٢٨- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خالدِ بنِ الوليدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ، فَقتَلَ مِنهم رِجالًا بعدَمَا أَسْلَمُوا فَعنَّفَه رسولُ اللهِ ﷺ، وأرسلَ عليًّا فَوَدَاهُم وأَرْضَاهُم»[١].

لمَّا رجعَ خالدُ بنُ الوليدِ مِن هدْمِ العُزَّىٰ، ورَسولُ اللهِ ﷺ مُقيمٌ بمكَّةَ بعثَه إلىٰ بني جَذِيمَةَ[٢] داعيًا إلىٰ الإسلام، ولم يَبعثْه مُقاتِلا فخرَجَ في ثَلاثمائةٍ وخمْسينَ رجلًا من المُهاجرينَ والأنصارِ وبني سُلَيم، فلمَّا انتهىٰ إليهم خالدٌ، دَعَاهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَام، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا[٣]، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَىٰ كُلِّ رَجُل مَعَهُ أَسِيرَهُ، فلمَّا كانَ في السَّحَرِ نادَىٰ خالدٌ: مَن كانَ معَهُ أسيرٌ فلْيَضْرِبْ عُنُقَهُ بالسيفِ.

فأما بنو سُلَيم فقتَلوا مَن كان في أيديهم، وأما المُهاجرونَ والأنصارُ، فتَرَكُوا أَسْارَاهم.

قالَ ابنُ عُمَرَ: وَاللهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ.

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَروهُ بِمَا فَعَلَ خَالِدٌ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٣٦)، «مغازي الذهبي» (٥٦٧)، «البداية» (٤/ ٣٥٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٠٠).

(٢) **بني جذيمة:** قبيلة من قبائل العرب.

(٣) **صبأنا:** أي خرجنا من دين إلىٰ دين، وقصدوا الدخول في الإسلام، ولكنَّ خالدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظن أنهم لم ينقادوا، ولهذا لم يقولوا أسلمنا.
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٥٧): «أما خالد فحمل هذه اللفظة علىٰ ظاهرها؛ لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلىٰ دين ولم يكتف خالد بذلك حتىٰ يصرحوا بالإسلام».

يَدَهُ فَقَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ**[١] **إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**[٢]» مَرَّتَيْنِ[٣].

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «**يَا عَلِيُّ، اُخْرُجْ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ**».

فخرجَ عليٌّ حتىٰ جاءَهم ومعَه مالٌ قد بعثَ به رَسولُ اللهِ ﷺ، فَودَىٰ لهم الدماءَ[٤]، وما أُصِيبَ لهم مِن الأموالِ، فلمَّا انْتَهىٰ بقيتْ مَعَهُ بقيةٌ مِنَ المالِ، فَقالَ لهم عليٌّ: هل بَقِيَ لكم بَقيةٌ مِن دمٍ أو مالٍ لم يُودَ لكُم؟.

قالوا: لا.

قَالَ: فإني أُعْطِيكُم هذه البقيةَ مِن هذا المالِ احتياطًا لرسول الله ﷺ.

ثمَّ رَجعَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأخْبَرَهُ الخبرَ: فقالَ: «**أَصَبتَ، وأَحْسنتَ**».

مما يستفادُ من هذا:

١- جواز الحلف علىٰ نفي فعل الغير إذا وثق بطواعيته[٥].

٢- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢٩- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ»[٦].

لَمَّا مَنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ رسولِهِ ﷺ وعَلَىٰ المُؤمِنينَ بِفتحِ مَكَّةَ

---

(١) **أبرأ إليك**: أي أعتذر.

(٢) **مما صنع خالد**: أي من قتل وأسر لهؤلاء.

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٤٣٣٩)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٤٧-١٤٨).

(٤) **فودىٰ لهم الدماء**: أي دفع ديات من قُتلوا منهم.

(٥) **انظر**: «فتح الباري» (٨/ ٥٧).

(٦) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٦٥)، «مغازي الذهبي» (٥٧١)، «البداية» (٥/ ١).

اجْتَمَعتْ عِدَّةُ قبائلَ مِنهُم: هَوَازِنُ، وَثَقِيفٌ، وَنَصْرٌ، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ بِقيادةِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ لِمُحاربةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والقَضاءِ علىٰ الإسلامِ.

واصْطَحَبوا معَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلُوا بِأَوْطَاسٍ أَتَىٰ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ، وكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، شُجَاعًا مُجَرَّبًا، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إلَّا رأْيُهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْحَرْبِ، فَقَالَ: بِأَيِّ وَادٍ أَنْتُمْ؟.

قَالُوا: بِأَوْطَاسٍ.

فَامتَدَحَهُ دُرَيدٌ، ثُمَّ قَالَ: مَا لِي أَسْمَعُ رُغَاءَ[1] الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ[2]؟.

قَالُوا: سَاقَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

قَالَ: أَيْنَ مَالِكٌ؟.

قِيلَ: هَذَا مَالِكٌ، وَدُعِيَ لَهُ.

فَقَالَ: يَا مَالِكُ، إنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، مَا لي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ؟.

قَالَ: سُقْتُ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ، وَأَبْنَاءَهُمْ، وَنِسَاءَهُمْ.

قَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟.

قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ؛ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ.

قَالَ: رَاعِي ضَأْنٍ[3] وَاللهِ! وَهَلْ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شَيْءٌ؟ إنَّهَا إنْ كَانَتْ

---

(١) رغاء: هو صوت الإبل.

(٢) يعار الشاء: صوتها.

(٣) راعي ضأن: يريد أن يجَهِّلَه.

لَكَ لَمْ يَنْفَعْكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِحْتَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ.

ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَتْ لَكَ لَحِقَ بِكَ مَنْ وَرَاءَكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ وَقَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ[١].

قائدُ الجيوشِ مالِكُ بنُ عَوْفٍ يستنكرُ رأيَ دُرَيدٍ، وَيُهدِّدُ بالانْتِحَارِ إذا لَمْ تَستَجبْ له هَوازنُ:

كَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدٍ فِي هذِهِ الحَربِ ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَقْلُكَ.

ثُمَّ قَالَ لِجيُوشِهِ: وَاللهِ لتُطِيعُنَّنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ، أَو لأَتَّكِئَنَّ عَلَىٰ هَذَا السَّيْفِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي.

فَقَالُوا: أَطَعْنَاكَ.

ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ شُدُّوا عَلَيهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ[٢].

المَلائكةُ، وجواسيسُ مالكِ بن عوفٍ:

وَبَعَثَ مَالِكٌ عُيُونًا مِنْ رِجَالِهِ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تقطَّعتْ أَعْضاؤهُم، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ! مَا شَأْنُكُمْ؟.

فَقَالُوا: رَأَيْنَا رِجَالًا بِيضًا عَلَىٰ خَيلٍ بُلْقٍ[٣]، فو اللهِ مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا ترىٰ[٤].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٧-٤٣٩).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٧-٤٣٩).

(٣) بلق: جمع أبلق، وهو ما كان فيه سواد وبياض.

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ٨٩٢-٨٩٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٩).

رَسولُ اللهِ ﷺ يُرسلُ ابنَ أبي حَدْردٍ؛ لِيأتيَه بخَبرِ هَوازنَ:

لَمَّا سَمِعَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِمسيرِ المُشركينَ إليهِ بَعَثَ إلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي حَدْرَدٍ؛ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِهِمْ.

فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ حَتَّىٰ سَمِعَ وَعَلِمَ مِنْهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ(١).

رسولُ اللهِ ﷺ يَستَعيرُ سلاحَ رَجلٍ مُشركٍ:

لَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّيْرِ إِلَىٰ هَوَازِنَ، ذُكِرَ لَهُ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ عِنْدَهُ أَسْلِحَة، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ(٢).

فَقَالَ: «**يَا أَبَا أُمَيَّةَ، أَعِرْنَا سِلَاحَكَ هَذَا نَلْقَ فِيهِ عَدُوَّنَا غَدًا**».

فَقَالَ صَفْوَانُ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟.

قَالَ: «**بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّىٰ نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ**»(٣).

قَالَ: لَيْسَ بِهَذَا بَأْس.

فَأَعْطَاهُ مائَة دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنَ السِّلَاحِ(٤).

فَلَمَّا انتَهَتِ الحَرْبُ ضَاعَ بَعْضُهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَضْمَنَهَا لَهُ، فَقَالَ: أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي الْإِسْلَامِ أَرْغَبُ(٥).

---

(١) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٣/ ٨٩٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٩-٤٤٠).

(٢) هو يومئذ في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ الخيار فيها؛ لكي يُسلِم.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٦٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٧٤٧)، وأحمد (١٥٣٠٢)، عن صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٠).

(٥) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٥٧٤٧)، وأحمد (١٥٣٠٢)، عن صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

رسولُ اللهِ ﷺ يخرجُ بالجيشِ إلى هَوازنَ:

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسِ منْ شَوَّالٍ، وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَ عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَتَحَ اللهُ بِهِمْ مَكَّةَ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ عَلَىٰ مَكَّةَ، أَمِيرًا عَلَىٰ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ.

فلَمَّا رَأَىٰ النَّاسُ كَثْرَةَ الجَيشِ قَالَ بعضُهُم: لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ[1]، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة:٢٥].

في الطريقِ إلى هَوازنَ:

بَينَمَا المُسْلِمُونَ فِي طَرِيقِهِم إِلَىٰ حُنَيْنٍ[2] مَرُّوا بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ[3] يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾** [الأعراف:١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[4].

جَيشُ هَوازنَ يُفاجئُ الجيشَ الإسلاميَّ، وفِرارُ المُسلِمينَ:

اقْتَرَبَ الجيشُ الإسْلاميُّ مِنْ حُنَيْنٍ فِي الظَّلَامِ قبلَ طُلوعِ الصُّبحِ،

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ٨٨٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٠).

(٢) حنين: واد بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا.

(٣) ذات أنواط: اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم: أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه ﷺ أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١١٢١)، وأحمد (٢١٨٩٧)، عن أبي واقدٍ الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

فَنَزَلُوا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ[١]، وَكَانَ مُتَّسِعًا مُنْحَدِرًا[٢]، وَقَدْ سَبَقَهُمْ جيشُ هَوَازنَ إِلَىٰ وَادِي حُنَيْنٍ، فَكَمَنُوا لَهُمْ فِي شِعَابِهِ[٣]، وجَوانبِهِ، وَمَضَايِقِهِ، وَقَدْ تهيَّئوا وأعَدُّوا لِلْمُسْلِمِينَ، وبينَمَا المُسلِمونَ يقْتَرِبُونَ إِذْ بكتائِبِ هوازنَ شَدُّوا عَلَيْهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَفرَّ المُسْلِمونَ رَاجِعِينَ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ[٤].

رسولُ اللهِ ﷺ يدعو أصحابَه بالثباتِ:

لمَّا رأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَالَ المُسلِمينَ انْحَازَ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟، هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَلَا شَيْءَ**[٥]».

وإِنَّمَا بقِيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَابْنُهُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ[٦].

العَباسُ يَصرخُ في الأنصارِ بالرُّجوعِ، والمُسلمونَ ينتصرونَ بعد الهَزيمةِ:

كَانَ الْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ، وكَانَ شَدِيدَ الصَّوْتِ، فَلَمَّا نادَىٰ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟**»،

---

(١) تِهامة: ما انخفض من أرض الحجاز.
(٢) منحدرًا: أي منهبطًا.
(٣) شعابه: أي طرقه المخفية.
(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ٨٩٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٢-٤٤٣).
(٥) فلا شيء: أي لا شيء عظيمٌ يستحقُّ الفرار.
(٦) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٢).

لَمْ يرْجِعْ أَحَدٌ، فَقَالَ: «**يَا عَبَّاسُ، اصْرُخْ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ**[(١)]».

فَصَرَخَ العبَّاسُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟.

فَرَجَعُوا مُسْرِعِينَ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وَأَجَابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ.

فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَكَانَتِ الْمُنَادَاةُ فِي بَادِئِ الأَمْرِ فِي الْأَنْصَارِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.

فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**[(٢)]، **اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ**».

وكَانَ يَقولُ ﷺ:

«**أَنَـــا النَّبِـــيُّ لَا كَـــذِبْ أَنَـــا ابْـــنُ عَبْـــدِ الْمُطَّلِـــبْ**»

ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: «**شَاهَتِ**[(٣)] **الْوُجُوهُ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

وفرَّ الْمُشْرِكُونَ حتَّىٰ أَتَوْا الطَّائِفَ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطَاسٍ[(٤)].

---

(١) **أصحاب السمرة:** هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(٢) **حمي الوطيس:** كناية عن اشتداد الحرب، والوطيس: هو التنور يُسجر فيه.

(٣) **شاهت:** أي قبحت.

(٤) **انظر:** «صحيح مسلم» (١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٧)، من حديث العباس، وسلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٤-٤٤٥).

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة:٢٥-٢٧].

٣٠- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَوطاسٍ بقيادةِ أَبي عامرٍ الأشعريِّ»[١].

لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَىٰ جَيْشٍ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ[٢]، وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ[٣]، فَأَدْرَكَ أَبُو عَامِرٍ مِنَ النَّاسِ بَعْضَ مَنِ انْهَزَمَ، فَنَاوَشُوهُ الْقِتَالَ[٤]، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَىٰ إِلَيْهِ أَبُو مُوسىٰ الْأَشْعَرِيُّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ، فَقَالَ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟.

---

(١) «مغازي الذهبي» (٥٨٧)، «البداية» (٥/ ٢٢)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٠٦).

(٢) **فائدة: قصةُ مقتلِ دُريد بنِ الصِّمَّةِ:**

أَدْرَكَ رَبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ جَمَلِهِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ امْرَأَةٌ؛ لأَنَّهُ كانَ فِي هَوْدَجٍ، فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَإِذَا هُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ: مَاذَا تُرِيدُ بِي؟.

قَالَ: أَقْتُلُكَ.

قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟.

قَالَ: أَنَا رَبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ السُّلَمِيُّ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ، فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا.

فَقَالَ: بِئْسَ مَا سَلَّحَتْكَ أُمُّكَ! خُذْ سَيْفِي هَذَا مِنْ مُؤَخَّرِ الرَّحْلِ، ثُمَّ اضْرِبْ بِهِ، فَضَرَبَهُ، فَقَتَلَهُ. [انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٥٢-٤٥٣)].

(٣) **أصحابه:** أي أصحاب دريد.

(٤) **تناوشوا القتال:** أي تنَاول بَعضهم بَعْضًا بِالرِّمَاحِ، وَلم يتدانوا كل التداني.

فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي.

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ: فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّىٰ، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي[١]، أَلَا تَثْبُتُ، فَكَفَّ[٢]، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ[٣] بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ قَاتِلَكَ.

قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ المَاءُ[٤].

قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي.

وَاسْتَخْلَفَنِي[٥] أَبُو عَامِرٍ عَلَىٰ النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَىٰ سَرِيرٍ مُرْمَلٍ[٦]، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**»، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ[٧]، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**».

فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**»[٨].

---

(١) **ألا تستحيي**: أي من الفرار.

(٢) **فكف**: أي عن الفرار.

(٣) **فاختلفنا ضربتين**: أي ضرب كل منا الآخر ضربة صائبة.

(٤) **فنزا الماء**: أي ظهر وارتفع وظهر، ولم ينقطع.

(٥) **استخلفني**: أي جعلني أميرًا عليهم من بعده.

(٦) **سرير مرمل**: أي منسوج بحبل ونحوه من الرمال وهي حبال الحصير التي تضفر بها الأسرة.

(٧) **بياض إبطيه**: أي مكان الشعر تحت المنكبين، وظهوره كناية عن المبالغة برفع اليدين.

(٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣١- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ الطُّفَيلِ بنِ عمرٍو الدَّوسِيِّ لهَدمِ الصَّنمِ ذِي الكَفَّينِ، فَأشعلَ فِيه النارَ»[(١)].

لَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حُنَينًا وأرادَ المَسِيرَ إِلىٰ الطَّائِفِ بَعَثَ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو إِلَىٰ ذِي الْكَفَّيْنِ صَنَمِ عَمْرِو بْنِ حُمَمَةَ الدَّوْسِيِّ يَهْدِمُهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَمِدَّ قَوْمَهُ[(٢)]، وَيُوَافِيَهُ بِالطَّائِفِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَهَدَمَ ذَا الْكَفَّيْنِ وَجَعَلَ يَحُشُّ النَّارَ فِي وَجْهِهِ وَيَحْرِقُهُ، وَيَقُولُ:

يَا ذَا الْكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا ... مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا

إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا

وَرَجَعَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعُمِائَةٍ سِرَاعًا، فَوَافَوُا النَّبِيَّ ﷺ بِالطَّائِفِ بَعْدَ مَقْدِمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَقَدِمَ بِدَبَّابَةٍ[(٣)]، وَمَنْجَنِيقٍ[(٤)]، وَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ، مَنْ يَحْمِلُ رَايَتَكُمْ**»؟.

فَقَالَ الطُّفَيْلُ: مَنْ كَانَ يَحْمِلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ النُّعْمَانُ بْنُ بَازِيَةَ اللَّهْبِيُّ.

قَالَ: «**أَصَبْتُمْ**»[(٥)].

٣٢- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي طَرِيقِهِ ﷺ لحِصَارِ الطائِفِ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٤٥)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٤٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢١٠).

(٢) **يستمد قومه**: أي يطلب مددًا من قومه.

(٣) **دبابة**: هي آلة كانت تستخدم في الحروب، وكانت تصنعُ من خشب، وتغطىٰ بجلود، ويدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصَر؛ لينقبوه، وتَقيهم ما يرمون به من فوقهم.

(٤) **منجنيق**: هي آلة كانت تستخدم في الحروب، وكانت تُرْمىٰ بها الحجارة الثقيلة؛ لهدم الحصون.

(٥) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٣/ ٩٢٢-٩٢٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٥٧-١٥٨).

مرَّ بِبُحَرَةِ الرُّغَاءِ فابْتَنى بِها مَسجِدًا، فَصَلَّى فيه قَبلَ وُصُولِه إلى الطَّائفِ»[١].

سَلَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ إِلَىٰ الطَّائِفِ عَلَىٰ نَخْلَةَ الْيَمَانِيَةِ[٢]، ثُمَّ عَلَىٰ قَرْنٍ[٣]، ثُمَّ عَلَىٰ الْمُلَيْحِ[٤]، ثُمَّ عَلَىٰ بُحْرَةِ الرُّغَاءِ مِنْ لِيَّةَ[٥]، فَابْتَنَىٰ بِهَا مَسْجِدًا فَصَلَّىٰ فِيهِ[٦].

٣٣- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: في بُحْرَةَ أيضًا قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَني لَيثٍ قَصَاصًا بِرَجلٍ مِنْ هُذَيلٍ، وَهُو أَوَّلُ قَصَاصٍ في الإِسْلامِ»[٧].

لمَّا نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِبُحْرَةِ الرُّغَاءِ أُتِيَ إلَيهِ ﷺ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْل، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اللَّيْثِيَّ إِلَىٰ الْهُذَلِيِّينَ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُقِيدَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ[٨].

٣٤- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ غزوةُ الطائفِ»[٩].

لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ يُرِيدُ الطَّائِفَ، قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَعَهُ أَلْفُ رَجُلٍ عَلَىٰ مُقَدِّمَةِ الجَيشِ؛ لِيَسْتَطْلِعَ لَهُ العَدُوَّ، وَلَمَّا

---

(١) «الكامل» (٢/ ١٤٠)، «سبل الهدىٰ» (٥/ ٥٥٧).

(٢) نخلة اليمانية: واد في الطائف.

(٣) قرن: قرية بينها وبين مكة واحد وثمانون كيلو متر تقريبًا، وهي ميقات أهل اليمن، وبينها وبين الطائف ستة وخمسون كيلو متر تقريبًا.

(٤) المليح: وادٍ بالطائف.

(٥) بحرة الرغاء، ولية: موضعان بالطائف.

(٦) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ٩٢٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٢).

(٧) «ابن هشام» (٢/ ٤٨٢)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٢)، «الكامل» (٢/ ١٤٠).

(٨) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ٩٢٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٢).

(٩) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٦٥)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٠)، «البداية» (٥/ ٣٠).

انْهَزَمَتْ ثَقِيفٌ مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلَتْ حِصْنَهُمْ وَهُو حِصْنُ الطَّائِفِ، وأَصْلَحُوهُ، ثُمَّ وَضَعُوا عَلَيهِ المَجَانِيقَ، وأَدْخَلُوا فِيهِ الرُّمَاةَ، وَأَدْخَلُوا فِيهِ مِنَ الزَّادِ وغَيرِهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُصْلِحُهُمْ لِسَنَةٍ، دَخَلُوا حِصْنَهُمْ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ مَدِينَتِهِمْ، وَتَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ.

وَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ، وَعَسْكَرَ هُنَاكَ، فَرَمَوُا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَمْيًا شَدِيدًا، حَتَّىٰ أُصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحَةٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا.

فَارْتَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَوْضِعِ مَسْجِدِ الطَّائِفِ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وزَيْنَبُ، فَضَرَبَ لَهُمَا قُبَّتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ مُدَّةَ حِصَارِ الطَّائِفِ، فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَنْجَنِيقَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الشَّدْخَةِ[1] عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ، دَخَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحْتَ دَبَّابَةٍ، ثُمَّ دَخَلُوا بِهَا إِلَىٰ جِدَارِ الطَّائِفِ؛ لِيُحْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكَكَ[2] الْحَدِيدِ مُحْمَاةً بِالنَّارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالًا.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ.

فَسَأَلُوهُ أَنْ يَدَعَهَا للهِ وَلِلرَّحِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنِّي أَدَعُهَا للهِ، وَلِلرَّحِمِ**»[3].

---

(١) **يوم الشدخة**: يقال له يوم الشّدخة؛ لما شُدِخَ فيه من الناس. والشدخ كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه.

(٢) **سكك**: جمع سكة، وهي الحديدة التي يحرث بها الأرض.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٢-٤٨٤)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٥٨)، و«زاد المعاد» (٣/ ٤٣٤-٤٣٥)، و«تاريخ الخميس» (٢/ ١١٠).

٣٥- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: فِي حِصارِ الطَّائِفِ، نزَل نفرٌ مِنْ رقيقِ الطائفِ، فأعتَقَهُم رسولُ اللهِ ﷺ مِنهم أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[1].

فَنَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ أبو بكرة، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَدَفَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُونُهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَهْلِ الطَّائِفِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً[2].

٣٦- «وَفِي أَواخِرِ شَوَّال مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: رَفَعَ رسولُ اللهِ ﷺ الحِصارَ عَنِ الطائفِ، ثُم رجعَ إلى الجِعْرَانَةِ، فقدِمَ عَليهِ وفودُ هَوازنَ قَد أَسلَمُوا فردَّ عَلَيه أَسْرَاهُم»[3].

لمَّا طالَ الانتِظَارُ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ، وَلَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الفَتْحِ، اسْتَشَارَ ﷺ نَوفلَ بنَ مُعَاوِيةَ الدِّيلِيَّ، فَقَالَ: «**مَا تَرَىٰ؟**».

فَقَالَ: ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ، فَضَجَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَرْحَلُ، وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ؟.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَاغْدُوا عَلَىٰ الْقِتَالِ**».

فَغَدَوْا، فَأَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَاتٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَسُرُّوا بِذَلِكَ، وَأَذْعَنُوا، وَجَعَلُوا يَرْحَلُونَ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٤٧)، «الروض الأنف» (٧/ ٢٣٨)، «الكامل» (٢/ ١٤٠).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٥)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٥٨-١٥٩).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٣٧)، «الروض الأنف» (٧/ ٢٤١)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٤٤) الكامل (٢/ ١٤١).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَلَمَّا ارْتَحَلُوا وَاسْتَقَلُّوا، قَالَ قُولُوا: «**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**».

وَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ عَلَىٰ ثَقِيفٍ.

فَقَالَ: «**اللهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا، وَائْتِ بِهِمْ**»(١).

قدومُ وَفدِ هَوَازِنَ على رَسولِ اللهِ ﷺ مُسلمينَ:

لَمَّا فَكَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحِصَارَ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ الجِعْرَانَةِ(٢)، أَمَرَ ﷺ بِجَمْعِ السَّبْيِ وَالْغَنَائِمِ، فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْجِعِرَّانَةِ، وَكَانَ السَّبْيُ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ، وَالْإِبِلُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَالْغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وَأَرْبَعَةَ آلَافِ أُوقِيَّةً(٣) مِنْ فِضَّةٍ، وَانْتَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ تَقْدَمَ عَلَيْهِ هَوَازِنُ مُسْلِمِينَ، فَيَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُم.

فَاستَجَابَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ دَعْوَتَهُ ﷺ ، فَأَتَاهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَقَدْ أَسْلَمُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟**».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا، بَلْ تَرُدُّ إِلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا.

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٤، ٤٨٨)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٥٩).

(٢) **الجعرانة**: موضع قريب من مكة، وهي في الحِل، وميقات للإحرام، وهي بتسكين العين والتخفيف، وقد تكسر العين وتشدد الراء.

(٣) **أوقية**: الأوقية تساوي أربعين درهما فضة، والدرهم يساوي ثلاث جرامات فضة عيار ألف تقريبًا.

فَقَالَ لَهُمْ: «**أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُمْ**».

فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ**».

فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَتَمَسَّكَ بَعْضُ المُسلِمينَ بِحَقِّهِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَرُدَّهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ فِي الناسِ خَطيبًا فَقَالَ: أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ[1]، مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ، فَرَدُّوا إِلَىٰ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ[2].

٣٧- «وَفِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: فَرَّقَ النبيُّ ﷺ الغَنَائِمَ، وأَعطَى المُؤَلَّفَةَ قُلوبُهُم كَثيرًا، وَوَكَلَ المُؤمنينَ إلى إيمانِهم، فقام ذُو الخُوَيْصِرَةِ فَقَالَ مَا قَالَ»[3].

لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ رَدِّ سَبَايَا حُنَيْنٍ إِلَىٰ أَهْلِهَا، رَكِبَ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْسِمْ علينا فيئنا مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ،

---

(١) **فرائض**: جمع فريضة، وهي البعير المأخوذ في الزكاة، سمي فريضة؛ لأنه فرض واجب علىٰ رب المال، ثم اتُّسِع فيه حتىٰ سمي البعير فريضة في غير الزكاة.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٨-٤٩٠).

(٣) «صحيح مسلم» (١٠٦٣)، «الكامل» (٢/ ١٤٣)، «سبل الهدىٰ» (٥/ ٥٨٧).

حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ شَجَرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ[١]، فَوَقَفَ، فَقَالَ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ[٢] نَعَمًا[٣] لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا**»[٤].

ثُمَّ قَامَ ﷺ إِلَىٰ جَنْبِ بَعِيرٍ، فَأَخَذَ وَبَرَةً[٥] مِنْ سَنَامِهِ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاس، وَاللهِ مَا لي مِنْ فَيْئِكُمْ[٦] وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ[٧] وَالْمِخْيَطَ[٨]، فَإِنَّ الْغُلُولَ[٩] يَكُونُ عَلَىٰ أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا وَشَنَارًا[١٠] يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وَأَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ مِنَ الغَنَائِمِ، وَكَانُوا أَشْرَافًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، يَتَأَلَّفُهُمْ، وَيَتَأَلَّفُ قَوْمَهُمْ، فَأَعْطَىٰ أَبَا سُفْيَانَ ابْنَ حَرْب مائَة بَعِيرٍ، وَأَعْطَىٰ ابْنه مُعَاوِيَة مائَة بَعِيرٍ، وَأَعْطَىٰ حَكِيمَ بنَ حِزَامٍ مائَة بَعِيرٍ، وَأَعْطَىٰ الْحَارِثَ بْنَ الْحَارِثِ مائَة بَعِيرٍ، وَأَعْطَىٰ النَّضرَ بنَ الحارثِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَىٰ العبَّاسَ بن مِرداسٍ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا، فَكَمَّلَ لَهُ الْمِائَةَ.

---

(١) **فخطفت رداءه**: أي أن رداءه علق بشوك الشجرة، فزال عن بدنه ﷺ.
(٢) **عضاه**: كل شجر عظيم له شوك.
(٣) **نعما**: أي إبلا، وقيل: هي الإبل والبقر، والغنم.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٢١)، عن جبير بن مُطعم.
(٥) **وبرة**: أي ما يكون علىٰ الإبل من شعر.
(٦) **فيئكم**: أي غنيمتكم.
(٧) **الخياط**: أي الخيط.
(٨) **المخيط**: أي الإبرة.
(٩) **الغلول**: أي الخيانة.
(١٠) **شنارا**: أي أقبح العار.

ثُمَّ أَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ بِإِحْصَاءِ الْغَنَائِمِ وَالنَّاسِ، ثُمَّ فَرَّقَهَا عَلَىٰ النَّاسِ، فَكَانَتْ سِهَامُهُمْ لِكُلِّ رَجُلٍ أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ وَأَرْبَعُونَ شَاةً، فَإِنْ كَانَ فَارِسًا أَخَذَ اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا، وَعِشْرِينَ وَمِائَةَ شَاةٍ[١].

ذُو الخُوَيْصِرَةِ يتَّهِمُ النَّبِيَّ ﷺ بِعَدمِ العَدلِ فِي توزيعِ الغنائمِ:

بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ الغَنَائِمَ، أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: ذُو الخُوَيْصِرَةِ[٢]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ.

فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ[٣] إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟.

فَقَالَ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ[٤]، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ[٥]، يَمْرُقُونَ[٦] مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[٧]، يُنْظَرُ إِلَىٰ نَصْلِهِ[٨]، فَلَا يُوجَدُ**

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٩٢-٤٩٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٥٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ٤١٥).

(٢) قيل: اسمه حرقوص بن زهير.

(٣) خبت وخسرت: أي أنت الخائب والخاسر إذا ظننت أني لا أعدل.

(٤) يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم: أي يجدها قليلة ويظنها أقل ثوابًا وقبولًا إذا قارنها بصلاتهم.

(٥) لا يجاوز تراقيهم: لا يتعداها، والتراقي جمع تُرقوة، وهي عظم يصل ما بين ثغرة النحر والعاتق، والمراد: لا يفقهون معناه، ولا تخشع له قلوبهم، ولا يؤثر في نفوسهم، فلا يعملون بمقتضاه.

(٦) يمرقون: أي يخرجون منه سريعًا دون أن يستفيدوا منه.

(٧) الرمية: هو الصيد المرمي، شبه مروقهم من الدين بمروق السهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيء منه لشدة سرعة خروجه.

(٨) نصله: أي حديدة السهم.

فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ رِصَافِهِ[١] فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ[٢] -، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ قُذَذِهِ[٣] فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ[٤]، آيَتُهُمْ[٥] رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَىٰ عَضُدَيْهِ[٦] مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ[٧] تَدَرْدَرُ[٨]، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ[٩]».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، عَلَىٰ نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[١٠] الَّذِي نَعَتَ»[١١].

حُزنُ بعضِ الأنصارِ؛ لعدمِ إعطائِهم مِن غَنائِمِ حُنينٍ:

لَمَّا أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَىٰ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا حَزِنُوا فِي أَنْفُسِهِمْ إِذْ

---

(١) رصافه: هو العصب الذي يلوىٰ فوق مدخل النصل.

(٢) قدحه: هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش.

(٣) إلىٰ قذذه: القذذ ريش السهم -أي مؤخرته-، واحدتها قذة.

(٤) سبق الفرث والدم: أي لم يتعلق به شيء منهما لشدة سرعته، والفرث ما يجتمع في الكرش مما تأكله ذوات الكروش.

(٥) آيتهم: أي علامتهم.

(٦) عضديه: واحدها: عضد، والعضد: ما بين الكتف والمرفق.

(٧) البضعة: أي قطعة اللحم.

(٨) تدردر: أي تضطرب وتذهب وتجيء.

(٩) علىٰ حين فرقة: أي وقت افتراق الناس، أي افتراق يقع بين المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١٠) علىٰ نعت رسول الله ﷺ: أي علىٰ الصفة التي وصفه رسول الله ﷺ بها.

(١١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «فتح الباري» (١٢/ ٢٩١).

لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنَ الْعَطَايَا، حَتَّىٰ كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ[١] حَتَّىٰ قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا[٢] عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ[٣] الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قَالَ: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**[٤]».

فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ**[٥] **وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ.**

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي.

وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ[٦] **فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي.**

وَعَالَةً[٧] **فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي**».

قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ[٨]، وَأَفْضَلُ.

---

(١) **القالة**: الكلام الرديء.

(٢) **وجدوا**: أي حزنوا.

(٣) **الفيء**: أي الغنيمة.

(٤) **الحظيرة**: أي الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل.

(٥) **جدة**: أي عتاب.

(٦) **متفرقين**: أي متدابرين يعادي بعضكم بعضا.

(٧) **عالة**: أي فقراء، جمع عائل.

(٨) **أمن**: من المنِّ، وهو الفضل.

كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ.

قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟».

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ، وَالْفَضْلُ.

قَالَ: «أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا[1] فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ.

أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ[2] مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَىٰ إِسْلَامِكُمْ؟.

أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ؟.

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا[3]، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا.

الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ[4]، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً[5]، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ[6].

اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

---

(١) مخذولا: أي متروكا.

(٢) لعاعة: أي بقلة خضراء ناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

(٣) شعبا: أي طريقا بين جبلين.

(٤) الأنصار شعار والناس دثار: أي الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصقُ الناس بي من سائر الناس. والشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوقه.

(٥) أثرة: ينفردُ بالمال المشترك ونحوه دونكم، ويفضَّل عليكم بذلك غيركم.

(٦) الحوض: أي الذي يعطاه النبي ﷺ في القيامة؛ لتشرب منه أمته.

فَبَكَىٰ الْقَوْمُ، حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[١]، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا وَحَظًّا.

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَفَرَّقُوا[٢].

٣٨- «وَفِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: جِيء بالشَّيمَاءِ أخت رسولِ اللهِ ﷺ مِنَ الرَّضاعةِ أَسيرةً، فمَنَّ عَليها، وأعطَاهَا وأطْلَقَها»[٣].

سَبَىٰ الْمُسْلِمونَ فِي حُنَيْنٍ الشَّيْمَاءَ بِنْتَ الْحَارِثِ أُخْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ: تَعْلَمُوا وَاللهِ أَنِّي لَأُخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ؟.

فَلَمْ يُصَدِّقُوهَا حَتَّىٰ أَتَوْا بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْتُهِيَ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُخْتُكَ مِنَ الرَّضَاعَةِ.

قَالَ: «**وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟**».

قَالَتْ: عَضَّةٌ عَضَضْتَنِيهَا فِي ظَهْرِي، وَأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ[٤].

فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَلَامَةَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، وخيَّرها، وَقَالَ: «**إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ[٥]، وَتَرْجِعِي إِلَىٰ قَوْمِكِ فَعَلْتُ**».

فَقَالَتْ: بَلْ تُمَتِّعُنِي، وَتَرُدُّنِي إِلَىٰ قَوْمِي.

---

(١) **أخضلوا لحاهم**: أي بكوا حتىٰ ابتلَّت لحاهم بالدموع.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، وأحمد (١١٧٣٠)، وابن هشام في السيرة (٢/ ٤٩٨-٥٠٠)، عن عبد الله بن زيد، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) «البداية» (٥/ ٥١).

(٤) **متوركتك**: أي حاملتك علىٰ وركي.

(٥) **أمتعك**: أي أعطيك ما يكون به الإمتاع، أي الانتفاع.

فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَدَّهَا إِلَىٰ قَوْمِهَا[١].

٣٩- «وَفِي ذِي القَعْدةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: اعتَمَر رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الجِعْرَانَةِ»[٢].

لَمَّا انْتَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ توزيعِ الغَنائمِ فِي الجِعْرَانَةِ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فَقَضَىٰ عُمْرَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ[٣].

وَقَدْ اعْتَمَرَ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إِلَّا الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةً مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، أَوْ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنْ جِعْرَانَةَ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ[٤].

٤٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ قَيسِ بن سَعدِ بنِ عُبادةَ إلى صُدَاءٍ نَاحِيةَ اليَمَنِ»[٥].

لَمَّا انْصَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ بَعَثَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنَ عُبَادَةَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ الْيَمَنِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ صُدَاءً، فَعَسْكَرَ بِنَاحِيَةِ قَنَاةَ[٦] فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ صُدَاءٍ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْبَعْثِ فَأُخْبِرَ بِهِمْ، فَخَرَجَ سَرِيعًا إِلَىٰ المَدِينَةِ يُرِيدُ رسولَ اللهِ ﷺ[٧].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٥٨).

(٢) «صحيح البخاري» (١٧٧٨)، مسلم (١٢٥٣)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧١).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٧١)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٨٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٨)، ومسلم (١٢٥٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢١١).

(٦) قناة: وادٍ بالمدينة.

(٧) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٦).

٤١- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وَفدُ صُدَاءٍ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ»[١].

لَمَّا قَدِمَ الرَّجُلُ الصُّدَائِيُّ المَدينَةَ وَرَدَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: جِئْتُكَ وَافِدًا عَلَىٰ مَنْ وَرَائِي فَارْدُدِ الْجَيْشَ، وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي، فَرَدَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَسْلَمُوا، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، فَفَشَا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ فَوَافَىٰ النَّبِيَّ ﷺ مِائَةُ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ[٢].

٤٢- «وَفِي ذِي القَعدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ بنتَ الضَّحَّاكِ الكِلابِيَّةَ، فاسْتَعاذَتْ مِنهُ فَفارَقَها، فكانتْ بعدَ ذلكَ تَلقُطُ البَعرَ، وتقُولُ: أَنَا الشَّقيَّةُ»[٣].

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ الضِّحَاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ**»[٤].

فَكَانَتْ تَلْقُطُ الْبَعْرَ وَتَقُولُ: أَنَا الشَّقِيَّةُ[٥].

٤٣- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَلَدتْ مَارِيَةُ إبراهيمَ ابنَ النَّبِيِّ ﷺ»[٦].

---

(١) «الطبقات» (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٦).

(٣) «الطبقات» (١٠/ ١٣٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٧)، «الكامل» (٢/ ١٤٥).

(٤) صحيح: رواه النسائي (٣٤١٧)، وصححه الألباني.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٨/ ١٤١)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٤٠، ٨/ ٢١٥).

(٦) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٧)، «الكامل» (٢/ ١٤٥)، «مغازي الذهبي» (٦٢١).

وَلَدتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاشْتَدَّتْ غَيْرَةُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا حِينَ رُزِقَتْ وَلَدًا ذَكَرًا، وَكَانَتْ قَابِلَتُهَا فِيهِ سَلْمَىٰ مَوْلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَتْ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ فَأَخْبَرَتْهُ، فَذَهَبَ فَبَشَّرَ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُ مَمْلُوكًا، وَتَنَافَسَتْ فِيهِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ أَيَّتُهُنَّ تُرْضِعُهُ، فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أُمِّ بُرْدَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ، وَزَوْجُهَا الْبَرَاءُ بْنُ أَوْسٍ، فَكَانَتْ تُرْضِعُهُ، وَكَانَتْ تَسْكُنُ فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِي أُمَّ بُرْدَةَ، وَيُؤْتَىٰ بِإِبْرَاهِيمَ، فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ[1].

٤٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: ولدتْ زَينبُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ أبي العَاصِ بنِ الرَّبيعِ ابْنتَها أُمَامَةَ الَّتي كَانَ يَحمِلُهَا النَّبيُّ ﷺ في الصَّلَاةِ»[2].

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا[3].

مما يستفاد من هذا:

١- مشروعية حمل الصبيان في الصلاة إذا لم يحملوا نجاسة.

٢- ثياب الصبيان وأجسادهم طاهرة حتىٰ تتحقق نجاستها.

٣- الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها.

٤- إذا تعددت الأفعال ولم تتوال بل تفرقت لا تبطل الصلاة.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٢٣١٦)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ١٣٦)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٩٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٤٠-١٤١).

(٢) «مغازي الذهبي» (٦٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣)، عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- عظيم تواضع النبي ﷺ مع الصبيان، وسائر الضعفة، ورحمتهم، وملاطفتهم[١].

٤٥- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: عُمِلَ مِنْبرُ رسولِ اللهِ ﷺ فَخَطَبَ عَليهِ، فَحَنَّ إليهِ الجِذْعُ الذي كانَ يَخطُبُ عَليهِ»[٢].

كَانَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَسْقُوفًا عَلَىٰ جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَوْمَ الجُمُعَةِ يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ مِنْهَا.

فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟[٣].

فَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ فَرَأَوْا أَنْ يَتَّخِذَهُ[٤]، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ امْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ يَقُولُ لَهَا: «**مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ، أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ**».

فَأَمَرَتْهُ فَعَمِلَهَا، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ فِي المَسْجِدِ[٥].

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ.

فَكَانَتْ تَبْكِي عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا[٦].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٣١-٣٢).

(٢) «مغازي الذهبي» (٦٢١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥٨٣، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥)، عن ابن عمر، وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٤٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٩١٧)، ومسلم (٥٤٤)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(٦) صحيح: رواه البخاري (٣٥٨٤)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فائدة: قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٩٩): جزم ابن النجار بأن عمل المنبر كان

مما يستفاد من هذا:

١- استحباب اتخاذ المنبر؛ لكونِه أبلغ في مشاهدة الخطيب والسماع منه.

٢- قد يخلق الله للجمادات إدراكا كالحيوان.

٣- من المعجزاتِ التي أيَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها رسولَهُ ﷺ حَنينُ الجذعِ حتىٰ سمِعَ صوتَه، وهذا أكبر من معجزة إحياء الموتىٰ التي أيدَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

٤٦- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: وَهَبتْ سَودةُ أمُّ المؤمنينَ يَومَها لعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[٢].

لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ جَعَلَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ وَهَبْتُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ: يَوْمَهَا، وَيَوْمَ سَوْدَةَ[٣].

وَقَدْ فَعَلَتْ ذَلِكَ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللهِ ﷺ[٤].

مما يستفاد من هذا:

١- مشروعية هبة الزوجة نوبتها لضرتها؛ لأنه حقها لكن يشترط

= = سنة ثمان، وفيه نظر؛ لما ورد في حديث الإفك في الصحيحين عن عائشة، قالت: «فثار الحيان الأوس والخزرج حتىٰ كادوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ علىٰ المنبر، فنزل فخفضهم حتىٰ سكتوا، فإن حُمل علىٰ التجوز في ذكر المنبر، وإلا فهو أصح من غيره.

(١) انظر: «فتح الباري» (٢/ ٤٠٠، ٦/ ٦٠٣).

(٢) «مغازي الذهبي» (٦٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

رضا الزوج بذلك؛ لأن له حقا في الواهبة فلا يفوته إلا برضاه[١].

٢- عظيم محبة أزواج النبي ﷺ له.

٤٧- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: حجَّ بالناسِ عَتابُ بنُ أسيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرُ مَكَّةَ»[٢].

فَقَدْ حَجَّ النَّاسُ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَىٰ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَحُجُّ عَلَيْهِ، وَحَجَّ بِالْمُسْلِمِينَ تِلْكَ السَّنَةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ[٣].

٤٨- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: أَسلمَ كعبُ بنُ زُهَيرٍ، وقالَ قَصيدَتَهُ المَشْهورةَ في مدْحِ النبيِّ ﷺ: بَانتْ سُعَادُ»[٤].

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مُنْصَرَفِهِ عَنِ الطَّائِفِ كَتَبَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَىٰ إِلَىٰ أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَتَلَ رِجَالًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ، وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَرَاءِ قُرَيْشٍ قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ، فَطِرْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَىٰ مَكَانٍ يُنْجِيكَ مِنْهُ، وَقَدْ كَانَ كَعْبٌ قَالَ شِعْرًا يَهْجُو بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابُ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ، وَأَشْفَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَفْزَعَهُ كُلُّ مَنْ كانَ مَعَهُ، فَقَالُوا: هُوَ مَقْتُولٌ.

فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيْءٍ بُدًّا، قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٤٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٢)، «مغازي الذهبي» (٦٢١).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٠٠).

(٤) «مغازي الذهبي» (٦٢١)، «البداية» (٥/ ٥٧).

ﷺ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوْفَهُ وَإِرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ، فَغَدَا بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّىٰ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ، فَقُمْ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمِنْهُ.

فَقَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ؟.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي وَعَدُوَّ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْهُ عَنْكَ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا، نَازِعًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ**».

فَقَالَ كَعْبٌ قَصِيدَتَهُ المَشْهُورَةَ الَّتِي يَصِفُ فِيهَا مَحْبُوبَتَهُ، وَنَاقَتَهُ التي أَوَّلُهَا:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ[(١)(٢)]

---

(١) **بانت**: أي فارقت فراقًا بعيدًا. وسعاد: اسم امرأته وبنت عمه، خصها بالذكر؛ لطول غيبته عنها؛ لهروبه من النبي ﷺ. متبول: أي أسقمه الحب وأضناه. متيم: أي ذليل مستعبد. ولم يفد: أي لم يخلص من الأسر. مكبول: أي مقيد. يريد الشاعر أن محبوبته فارقته، فصار قلبه في غاية الضنىٰ والسقم والذل والأسر، لا يجد من قيده فكاكًا، ولا يستطيع من سجنه خلاصًا.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٠١-٥٠٣).

٤٩- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ أَكْبرُ أَوْلادِهِ، وغَسَّلَتْهَا أُمُّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[(١)].

لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «**اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا، فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي**».

قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ: فَضَفَرْنَا شَعْرَهَا ثَلَاثَةَ ضَفَائِرَ، وَلَمَّا فَرَغْنَا أَعْلَمْنَاهُ، فَأَعْطَانَا إِزَارَهُ، وَقَالَ «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**[(٢)]»[(٣)].

مما يستفاد من هذا:

١- يستحب غسلُ الميتِ وترا، وليكن ثلاثا، فإن احتاج إلىٰ زيادة عليها للإنقاء فليكن خمسا فإن احتاج إلىٰ زيادة الإنقاء فليكن سبعا وهكذا، حتىٰ يحصل الإنقاء، والثلاث مأمور بها ندبا، فإن حصل الإنقاء بثلاث لم تشرع الرابعة.

٢- استحباب تقديم الميامن في غسل الميت وسائر الطهارات.

٣- استحباب وضوء الميت قبل غَسله.

٤- مشروعية تكفين المرأة في ثوب الرجل؛ للحاجة.

٥- مشروعية التبرك بآثار رسول الله ﷺ[(٤)]، أما غير الأنبياء فلا

---

(١) «الكامل» (٢/ ١٠٨)، «مغازي الذهبي» (٥٢٠، ٦٢١)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٣).

(٢) **أشعرنها إياه**: أي اجعلنه شعارا لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد سمي شعارًا؛ لأنه يلي شعر الجسد، والحكمة في إشعارها به تبريكها به.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٨)، و«صحيح مسلم» (٩٣٩)، عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (٧/ ٣-٥).

يجوز التبركُ بآثارهم، وذواتهم.

٥٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: بعث رسولُ اللهِ ﷺ عمرَو بنَ العَاصِ إلى جَيفَرَ وعمرِو ابْنَيِ الجُلَنْدَى مِنَ الأَزْدِ، فأسْلَمَا»[(١)].

وَبَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَىٰ جَيْفَرِ بْنِ الْجُلَنْدَىٰ[(٢)]، وَعَمْرِو بْنِ الْجُلَنْدَىٰ الأَزْدِيَّيْنِ بِعُمَانَ، وَالْمَلِكُ مِنْهُمَا جَيْفَرُ يَدْعُوهُمَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِمَا كِتَابًا وَخَتَمَهُ.

فَأَسْلَمَا، وَصَدَّقَا النَّبِيَّ ﷺ، وَأَقَرَّا بِمَا جَاءَ بِهِ، وَخَلَّيَا بَيْنَ عمرٍو وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ، وَالْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَرَدَّهَا عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ بَلَدِهِمَا، وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ.

فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٣)].

٥١- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: غَلا السِّعْرُ، فَقَالوا: يَا رسولَ اللهِ: سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُو المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّزَّاقُ»»[(٤)].

أَصابَ النَّاسَ في عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ مَجَاعَةٌ[(٥)]، فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٧).

(٢) الجُلَندى: بضم أوله، وفتح اللّام، وسكون النون، وفتح الدّال. [انظر: «الإصابة»، لابن حجر (٦٣٧)].

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٥٨)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩، ٣/ ٩٥)، و«زاد المعاد» (١/ ١١٩).

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (١٣١٤) وقال: حسن صحيح وأبو داود (٣٤٥١)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، وراجع شذرات الذهب» (١/ ٢٣).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٥٩٠).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»(١).

مما يستفاد من هذا:

١- التسعير مظلمةٌ، وإذا كان مظلمة فهو محرم إلا إذا كان لمصلحة(٢).

٢- التسعير تصرف في أموال الناس بغير إذن أهلها، فيكون ظلما من الإمام أن يسعِّر لكن يأمرهم بالإنصاف، والشفقة علىٰ الخلق والنصيحة(٣).

٥٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: نزلتْ سُورَةُ النَّصرِ»(٤).

لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ، وَدَانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، وَدَخَلَهَا وَاسْتَوْلَىٰ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، عَرَفَتِ الْعَرَبُ أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا عَدَاوَتِهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، يَضْرِبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر:١-٣]، أَيْ فَاحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٢٢٠٠)، وأحمد (١٤٠٥٧)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «سبل السلام»، للصنعاني (٢/ ٣٣).

(٣) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٢/ ٢٠).

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦٠)

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦٠).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُنْذُ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ يُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا دَعَا، أَوْ قَالَ فِيهَا: «**سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(١).

٥٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وفدُ ثَعْلبةَ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ»(٢).

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ، وَقَالُوا: نَحْنُ رُسُلُ مَنْ خَلْفَنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مُقِرُّونَ بِالْإِسْلَامِ.

فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضِيَافَةٍ، وَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ أَتَوا رَسولَ اللهِ ﷺ؛ لِيُودِّعُوهُ، فَقَالَ لِبِلَالٍ: «**أَجِزْهُمْ كَمَا تُجِيزُ الْوَفْدَ**».

فَجَاءَ بِنَقَرٍ(٣) مِنْ فِضَّةٍ وَأَعْطَىٰ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَمْسَ أَوَاقٍ(٤)، وقَالَ لَهُم: لَيْسَ عِنْدَنَا دَرَاهِمُ.

فَانْصَرَفُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ(٥).

٥٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وَفدُ ثُمَالَةَ، والحُدَّانِ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ»(٦).

قَدِمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلَسٍ الثُّمَالِيُّ، وَمُسْلِيَةُ بْنُ هِزَّانَ الْحُدَّانِيُّ عَلَىٰ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) «الطبقات» (١/ ٢٥٨).

(٣) **نقر**: أي قطعة مذابة.

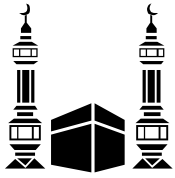
(٤) **أواق**: جمع أوقية، والأوقية تساوي أربعين درهما فضة عيار ألف. والدرهم يساوي ثلاث جرامات فضة تقريبًا.

(٥) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٩٨).

(٦) «الطبقات» (١/ ٣٠٤).

رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِمَا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَسْلَمُوا، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي أَمْوَالِهِمْ[1].

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٥٣).



السَّنَةُ التَّاسِعَةُ لِلهِجْرَةِ

السَّنةُ التَّاسِعَةُ للهِجْرَةِ

وَفِيها تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ حَدَثًا:

١- «في المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُيَينَةَ بْنِ حِصْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى بَنِي تَمِيمٍ، فَسَبَوا مِنْهُم سَبْيًا، فَجَاءَ رُؤَسَاؤهُمْ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، فنَادُوه مِن وَراءِ البَابِ: يَا مُحَمَّدُ، فَنزَلَتْ فِيهِمْ سُورةُ الحُجُرَاتِ»[1].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْفَزَارِيَّ إِلَىٰ بَنِي تَمِيمٍ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَأَسَرُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا، وَإِحْدَىٰ عَشْرَةَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا، فَجَلَبُوهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحُبِسُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ.

وَقَدِمَ فِيهِمْ عِدَّةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ بَكَىٰ إِلَيْهِمُ النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ، فَعَجِلُوا، فَجَاءُوا إِلَىٰ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَادَوْا: يَا مُحَمَّدُ اخْرُجْ إِلَيْنَا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ، وَتَعَلَّقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُونَهُ، فَوَقَفَ مَعَهُمْ، ثُمَّ مَضَىٰ فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ ، فَقَدَّمُوا خَطِيبَهُمْ عُطَارِدَ بْنَ حَاجِبٍ، فَتَكَلَّمَ وَخَطَبَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَنْ يُجِيبَهُ، فَأَجَابَهُ، فَقَامَ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٤٧)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٣)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٤) ط. المجلس الأعلىٰ.

الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ، فَقَالَ شِعْرًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ، أَنْ يُجِيبَهُ، فَأَجَابَهُ.

فَلَمَّا فَرَغَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ، قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمُؤَتًّىٰ لَهُ[1]، لَخَطِيبُهُ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنَا، وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا، وَلَأَصْوَاتُهُمْ أَحْلَىٰ مِنْ أَصْوَاتِنَا.

فَلَمَّا فَرَغَ الْقَوْمُ أَسْلَمُوا، وَجَوَّزَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَسْرَىٰ وَالسَّبْيَ.

وَنَزَلَ فِيهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحُجُرات:٤-٥][2].

٢- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ عبدَ اللهِ بنَ عَوْسَجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بَني حَارثةَ بنِ عَمرٍو يدعُوهم إلى الإسلَامِ فأبَوا»[3].

بَعَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَبدَ اللهِ بنَ عَوْسَجَةَ إلىٰ بَني حَارِثةَ بنِ عَمْرٍو يَدعُوهُمْ إلىٰ الإسْلام، فَأَخَذُوا الصَّحِيفةَ، فَغَسَلُوهَا، ورَقَّعُوا بها أسْفَلَ دَلْوِهِمْ، وأَبَوا أنْ يُجِيبُوهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لَهُمْ؟ ذَهَبَ اللهُ بِعُقُولِهِمْ**».

فاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَصَارُوا أَهْلَ سَفَهٍ، وَأهلَ رِعْدَةٍ[4]، وعَجَلَةٍ فِي كَلَامِهِمْ، وكَلامٍ مُخْتَلَطٍ لَا يُفْهَمُ[5].

---

(١) **لمؤتًّىٰ**: أي لموفَّق.

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٠-١٦١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦٠-٥٦٧).

(٣) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٦).

(٤) **رعدة**: أي اضطراب في أجسادهم.

(٥) **انظر**: «المعارف»، لابن قتيبة، صـ(٣٣٥)، و«تاريخ الخميس» (٢/ ١٢٠).

٣- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ قُطْبَةَ بنِ عَامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى خَثْعَمٍ بِنَاحِيَةِ بِيشَةَ، فغَنِمُوا وأَسَرُوا»(١).

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُطْبَةَ بْنَ عَامِرٍ فِي عِشْرِينَ رَجُلًا إِلَىٰ حَيٍّ مِنْ خَثْعَمٍ بِنَاحِيَةِ بِيشَةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشُنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا عَلَىٰ عَشْرَةِ أَبْعِرَةٍ يَعْتَقِبُونَهَا(٢)، فَأَخَذُوا رَجُلًا فَسَأَلُوهُ، فَسَكَتَ، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِالْحَاضِرِ(٣)، وَيُحَذِّرُهُمْ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، ثُمَّ أَمْهَلُوا حَتَّىٰ نَامَ الْحَاضِرُ، فَشُنُّوا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّىٰ كَثُرَ الْجَرْحَىٰ فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، وَقَتَلَ قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مَنْ قَتَلَ، وَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ وَرَكِبُوا فِي آثَارِهِمْ، فَأَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ سَيْلًا عَظِيمًا حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَالسَّبْيَ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعْبُرُوا إِلَيْهِمْ حَتَّىٰ غَابُوا عَنْهُمْ(٤).

٤- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عُذْرَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأَسلَمُوا»(٥).

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ عُذْرَةَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلُوا دَارَ الأَضْيافِ، وَهِيَ دَارُ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ(٦)، ثُمَّ جَاءُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٤٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٧).

(٢) يعتقبونها: أي يتناوبون عليها.

(٣) الحاضر: أي القوم النزول علىٰ ماء يقيمون به، ولا يرحلون عنه.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٢)، و«مغازي الواقدي» (٣/ ٩٨١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٥) «الطبقات» (١/ ٢٨٦).

(٦) رملة بنت الحارث: صحابية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَسَلَّمُوا بِسَلَامِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ الْقَوْمُ؟**».

فَقَالَ مُتَكَلِّمُهُمْ: مَنْ لَا تُنْكِرُهُ، نَحْنُ بَنُو عُذْرَةَ، إِخْوَةُ قُصَيٍّ لِأُمِّهِ، وَنَحْنُ الَّذِينَ أَزَاحُوا خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ عَنْ مَكَّةَ، وَلَنَا قَرَابَاتٌ وَأَرْحَامٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا، مَا أَعْرَفَنِي بِكُمْ، مَا مَنَعَكُمْ مِنْ تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ؟**».

فَأَسْلَمُوا وَبَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِفَتْحِ الشَّامِ، وَهَرَبِ هِرَقْلَ إِلَىٰ مُمْتَنِعٍ مِنْ بِلَادِهِ، وَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ سُؤَالِ الْكَاهِنَةِ، وَعَنِ الذَّبَائِحِ الَّتِي كَانُوا يَذْبَحُونَهَا، وَأَخْبَرَهُمْ أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْأُضْحِيَةُ، فَأَقَامُوا أَيَّامًا بِدَارِ رَمْلَةَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، وَقَدْ أَجَازَهُمُ[1] النَّبِيُّ ﷺ[2].

٥- «وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي كِلَابٍ بِالْقُرَطَاءِ»[3].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشًا إِلَىٰ الْقُرَطَاءِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِ الضَّحَّاكَ بْنَ سُفْيَانَ الْكِلَابِيَّ، وَمَعَهُ الْأَصْيَدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ قُرْطٍ، فَلَقَوْهُمْ، فَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ، فَلَحِقَ الْأَصْيَدُ أَبَاهُ سَلَمَةَ، وَسَلَمَةُ عَلَىٰ فَرَسٍ لَهُ، فَدَعَا أَبَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ فَسَبَّهُ وَسَبَّ دِينَهُ، فَضَرَبَ الْأَصْيَدُ عُرْقُوبَيْ[4] فَرَسِ أَبِيهِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَىٰ عُرْقُوبَيْهِ جَاءَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ ابْنُهُ[5].

---

(١) **أجازهم**: أي أعطاهم جوائز، وعطايا.

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٣١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٧٤).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١٤٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٩).

(٤) **عرقوبي**: مثنىٰ عُرقُوب، وهو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فويق العقب.

(٥) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٢)، و«مغازي الواقدي» (٣/ ٩٨٢).

٦- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَلِيٍّ، فنزَلُوا عَلى رُوَيفِعِ بنِ ثابتٍ البَلَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

قَدِمَ وَفْدُ بَلِيٍّ فَأَنْزَلَهُمْ رُوَيفِعُ بنُ ثابتٍ البَلَوِيُّ عِنْدَهُ، وَقَدِمَ بِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمِي.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرْحَبًا بِكَ، وَبِقَوْمِكَ**».

فَأَسْلَمُوا، وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ فِي النَّارِ**».

فَقَالَ لَهُ أبو الضُّبَيبِ شَيْخُ الْوَفْدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي رَغْبَةً فِي الضِّيَافَةِ، فَهَلْ لِي فِي ذَلِكَ أَجْرٌ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَنَعْتَهُ إِلَىٰ غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ فَهُوَ صَدَقَةٌ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: مَا وَقْتُ الضِّيَافَةِ؟.

قَالَ: «**ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكَ فَيُحْرِجَكَ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ الضَّالَّةَ مِنَ الْغَنَمِ أَجِدُهَا فِي الْفَلَاةِ مِنَ الْأَرْضِ؟.

قَالَ: هِيَ لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ.

قَالَ: فَالْبَعِيرَ؟.

قَالَ: «**مَا لَكَ وَلَهُ؟ دَعْهُ حَتَّىٰ يَجِدَهُ صَاحِبُهُ**».

ثُمَّ قَامُوا فَرَجَعُوا إِلَىٰ مَنْزِلِ رُوَيْفِعٍ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِي مَنْزِلَ رُوَيْفِعٍ يَحْمِلُ تَمْرًا، فَقَالَ: «**اسْتَعِنْ بِهَذَا التَّمْرِ**».

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٩)، «الطبقات» (١/ ٢٨٥).

وَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزَ كَمَا كَانَ يُجِيزُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ[١].

مما يستفاد من هذا:

١- إن للضيفِ حقًّا علىٰ من نزل به، وهو ثلاث مراتب: حق واجب، وتمام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب يوم وليلة، وقد ذكر النبي ﷺ المراتبَ الثلاثةَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**»، قِيلَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ**[٢]، **فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**»[٣].

٢- جواز التقاط ضالة الغنم، وإذا لم يأت صاحبها فهي ملك الملتَقِط[٤].

٧- «وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بنِ مُجَزِّزٍ المُدْلَجِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الأَحْبَاشِ بجَدَّةَ، فَهَرَبُوا»[٥].

بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ رَآهُمْ أَهْلُ جَدَّةَ فِي مَرَاكِبَ يُرِيدُونَ النَّيلَ مِنَ المُسلِمِينَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٣٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٧٤-٥٧٥).

(٢) والضيافة ثلاثة أيام: أي يضاف ثلاثة أيام، فيتكلف له في اليوم الأول مما اتسع له من بر وإلطاف، ويقدم له في اليوم الثاني والثالث ما حضره، ولا يزيد علىٰ عادته، ثم يعطيه ما يجوز به مسافة يوم وليلة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)، عن أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٧٥).

(٥) «الطبقات» (٢/ ١٤٩)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٣١).

رَجُل، فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرَ، فَهَرَبُوا مِنْهُ.

فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ، فَأَمَّرَهُ عَلَىٰ مَنْ تَعَجَّلَ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ[١]، فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا، وَيَصْطَنِعُونَ، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاثَبْتُمْ[٢] فِي هَذِهِ النَّارِ، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَاحْتَجَزُوا[٣] حَتَّىٰ ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اجْلِسُوا إِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ**»[٤].

٨- «وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلى الفُلْسِ صَنَمِ طَيِّئٍ فَهَدَموا، وأَسَرُوا، وغَنِموا»[٥].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَىٰ مِائَةِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَسًا وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ وَلِوَاءٌ أَبْيَضُ إِلَىٰ الْفُلْسِ صَنَمِ طَيِّئٍ؛ لِيَهْدِمَهُ، فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَىٰ مَحِلَّةِ آلِ حَاتِمٍ مَعَ الْفَجْرِ، فَهَدَمُوا الْفُلْسَ، وَخَرَّبُوهُ وَمَلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ السَّبْيِ وَالنِّعَمِ وَالشَّاءِ، وَفِي السَّبْيِ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَهَرَبَ عَدِيٌّ إِلَىٰ الشَّامِ[٦].

---

(١) **دعابة**: أي لعب، ومزاح.

(٢) **تواثبتم**: أي تساقطتم.

(٣) **فاحتجزوا**: أي أعدوا أنفسهم للوثوب، واجتمعوا لذلك.

(٤) **انظر**: «سنن ابن ماجه» (٢٨٦٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٣)، و«مغازي الواقدي» (٣/ ٩٨٣).

(٥) «الطبقات» (٢/ ١٥٠)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٣٤).

(٦) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٤).

٩- «وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الجَنَابِ أَرضِ عُذْرَةَ، وَبَلِيٍّ»(١).

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُكَّاشَةَ بْنَ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيَّ إِلَىٰ الْجَنَابِ(٢)، أَرْضِ عُذْرَةَ وَبَلِيٍّ، وَهُمَا قَبِيلَتَانِ مِنْ قُضَاعَةَ(٣).

١٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ كِنَانَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٤).

وَفَدَ وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ اللَّيْثِيُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَجَهَّزُ إِلَىٰ تَبُوكَ فَصَلَّىٰ مَعَهُ الصُّبْحَ، فَقَالَ لَهُ: «**مَا أَنْتَ وَمَا جَاءَ بِكَ وَمَا حَاجَتُكَ؟**».

فَأَخْبَرَهُ عَنْ نَسَبِهِ، وَقَالَ: أَتَيْتُكَ لِأُومِنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ: «**فَبَايِعْ عَلَىٰ مَا أَحْبَبْتَ، وَكَرِهْتَ**».

فَبَايَعَهُ وَرَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَدَعَاهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُكَ كَلِمَةً أَبَدًا.

وَسَمِعَتْ أُخْتُهُ كَلَامَهُ فَأَسْلَمَتْ، وَجَهَّزَتْهُ، فَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَهُ قَدْ صَارَ إِلَىٰ تَبُوكَ، فَقَالَ: مَنْ يَحْمِلُنِي عَقِبَهُ(٥)، وَلَهُ سَهْمِي؟.

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٥٠)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٨)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٣٦).

(٢) ذكر الصالحي، وغيره أنها: الجِبَاب. بالباء، وليس بالنون. [انظر: «سبل الهدىٰ والرشاد» (٦/ ٢٢٠)].

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٤)، و«سبل الهدىٰ والرشاد» (٦/ ٢٢٠). ولم يذكر أحد من أهل «السير والمغازي» -ممن وقفت علىٰ ذكرهم لهذه السرية- تفصيلات عنها.

(٤) «الطبقات» (١/ ٢٦٣).

(٥) عقبه: أي خلفه علىٰ دابته.

فَحَمَلَهُ كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ حَتَّىٰ لَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَشَهِدَ مَعَهُ تَبُوكَ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَىٰ أُكَيْدِرِ دُومَةَ، فَلَمَّا رَجَعُوا عَرَضَ وَاثِلَةُ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ مَا كَانَ شَارَطَهُ عَلَيْهِ مِنْ سَهْمِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا حَمَلْتُكَ للهِ[1].

١١- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ طَلحةَ بنَ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بيتِ سُوَيلِمٍ اليَهوديِّ؛ لِيُحَرِّقَهُ عَلى مَنْ فيهِ مِنَ المُنافِقينَ الذينَ يخذِّلونَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فَفعَلَ»[2].

بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُوَيْلِمٍ الْيَهُودِيِّ، يُثَبِّطُونَ النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ، فَهَرَبَ مَنْ فِي الْبَيْتِ[3].

١٢- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ»[4].

كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وَجَدْبٍ مِنَ الْبِلَادِ، وَحِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ خُرُوجَهُمْ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلَّمَا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كَنَّىٰ عَنْهَا بِغَيْرِهَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ لِبُعْدِ الْمَسِيرِ، وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وهَذِهِ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا ﷺ[5].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٠٦)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٦٠).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٧)، «البداية» (٥/ ٤).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٧).

(٤) «الطبقات» (٢/ ١٥٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨١)، «البداية» (٥/ ٣)، «شذرات» (١/ ٢٤).

(٥) انظر: «صحيح مسلم» (٢٧٦٩)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٦، ٥٥٤).

بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشَّامِ، وَأَنَّ هِرَقْلَ قَدْ أَعْطَىٰ جُنْدَهُ رِزْقَ سَنَةٍ، وَجَاءَتْ مَعَهُ لَخْمٌ، وَجُذَامٌ، وَعَامِلَةُ، وَغَسَّانُ، وَقَدَّمُوا مُقَدِّمَاتِهِمْ إِلَىٰ الْبَلْقَاءِ(١).

رسولُ اللهِ ﷺ يأمرُ بالتَّجَهُّزِ للغَزوِ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَدَّ فِي سَفَرِهِ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغِنَىٰ عَلَى النَّفَقَةِ وَالْحِمْلَانِ(٢) فِي سَبِيلِ اللهِ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْغِنَىٰ وَاحْتَسَبُوا، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا(٣).

وقَدْ جَاءَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ**(٤)»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ(٥).

الأشْعَرِيونَ يُطَالِبُونَ رَسولَ اللهِ ﷺ بمَا يحمِلُهم عَليهِ:

وَجَاءَ أَبُو مُوسَىٰ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيَحْمِلَهُمْ، فَوَجَدُوهُ غَضْبَانَ فَقَالَ: «**وَاللهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**».

ثُمَّ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِبِلٍ، فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللهِ لَا يُبَارَكُ لَنَا، أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ نَسْتَحْمِلُهُ فَحَلَفَ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا، ثُمَّ حَمَلَنَا، فَارْجِعُوا بِنَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُذَكِّرُهُ.

---

(١) **انظر**: «مغازي الواقدي» (٢/ ١٦٥).

(٢) **الحملان**: مصدر حمل يحمل، وقد يراد به: ما يُحمل عليه من الدوابِّ.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٧-٥١٨).

(٤) **ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**: أي لم يضر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذنب الذي عمل سابقا، ولاحقا بعد عمله اليوم.

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠١)، عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ، بَلِ اللهُ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - لَا أَحْلِفُ عَلَىٰ يَمِينٍ، فَأَرَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»[(١)].

بُكَاءُ بَعضِ الصَّحَابةِ؛ لعدمِ وُجودِ مَا يُحمَلُوا عَليهِ:

وَجَاءَ الْبَكَّاءُونَ وَهُمْ سَبْعَةٌ يَسْتَحْمِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَتَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢][(٢)].

شأنُ المُنَافقينَ قَبلَ الخُروجِ لتَبُوكَ:

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة:٨١][(٣)].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ لِلجَدِّ بنِ قيسٍ: «يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ[(٤)] بَنِي الْأَصْفَرِ؟[(٥)]».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَتَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي؟، فَوَاللهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩)، عن أبي موسىٰ الأشعري.
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٨).
(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٧).
(٤) جلاد: أي قتال.
(٥) بني الأصفر: أي الروم.

أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»، فَفِيهِ نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [التوبة:٤٩][(١)].

شأنُ أصحابِ الأعذارِ:

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ؛ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ، فَلَمْ يَعْذُرْهُمْ، وَهُمُ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا، وَكَانَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ قَدْ عَسْكَرَ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ[(٢)] فِي حُلَفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَخَلَّفَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ.

وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ، ومُرَارَةَ بنُ الرَّبِيعِ، وأَبُو خَيثَمَةَ السَّالِمِيُّ، وأَبُو ذَرٍ، ثُمَّ لَحِقَهُ أَبُو خَيثَمَةَ، وأَبُو ذَرٍ[(٣)].

وَنَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة:٩٠].

رسولُ اللهِ ﷺ يتركُ عَليًّا بالمَدينةِ:

وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ[(٤)].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٦).

(٢) ثنية الوداع: موضع في ناحية الشام، يمر به من توجه من المدينة إلىٰ الشام.

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٤٦٣).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٤٦٣).

وَخَلَّفَ ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ أَهْلِهِ: الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟.

قَالَ: «**أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»(١).

عددُ جيشِ المُسلمينَ:

وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ، وَالْخَيْلُ عَشَرَةُ آلَافِ فَرَسٍ(٢).

أَبُو خَيْثَمَةَ يَلحقُ بالنبيِّ ﷺ:

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيَّامًا إِلَىٰ أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ(٣) لَهُمَا فِي حَائِطِهِ(٤) قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ لَهُ مَاءً، وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا، فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَىٰ امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الضِّحِّ(٥) وَالرِّيحِ، وَالْحَرِّ، وأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّءٍ وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنَّصَفِ(٦)، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّىٰ أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهَيِّئَا لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا، ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيثَمَةَ عُمَيرَ بنَ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٤٦٣).

(٣) **العريش**: شبيه بالخيمة، يظلل؛ ليكون أبرد الأخبية والبيوت.

(٤) **حائطه**: أي بستانه.

(٥) **الضح**: أي الشمس.

(٦) **النصف**: أي العدل.

وَهب الجُمَحيَّ فِي الطَّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فتَرَافَقَا، حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ، قَالَ أَبُو خَيثَمَةَ لِعُمَيرِ بنِ وَهبٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَتَخَلَّفَ عَنِّي حَتَّىٰ آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَفَعَلَ حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ قَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَىٰ الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ وَاللهِ أَبُو خَيثَمَةَ، فَلَمَّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْلَىٰ لَكَ يَا أَبَا خَيثَمَةَ!**»، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ[(١)].

١٣- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وهُو فِي طَرِيقِهِ إلى تَبُوكَ مرَّ بِبئرِ ثَمودَ، فنَهَاهُم أنْ يَشربُوا، أوْ يَتَوَضؤا مِن مَائِهَا»[(٢)].

لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهُو فِي طَرِيقِهِ إِلىٰ تَبُوكَ بِالْحِجْرِ بِدِيَارِ ثَمُودَ وَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَاسْتَعْجَلَ رَاحِلَتَهُ فِي المَسِيرِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**»[(٣)].

وَنَزَلَ النَّاسُ عَلَىٰ الْحِجْرِ - أَرْضِ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ «**فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا**[(٤)] **مَا اسْتَقَوْا مِنْ**

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٠-٥٢١).

(٢) ابن هشام (٢/ ٥٢١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠)، وابن هشام في «السيرة» (٢/ ٥٢٢)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) **يهريقوا**: أي يريقوا.

بِئْرِهَا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»[١].

وَقَالَ: «لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ».

فَفَعَلَ النَّاسُ إِلَّا أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ، وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ، فَأَمَّا الَّذِي خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، فَإِنَّهُ صُرِعَ فِي المَوضِعِ الذِي تَغَوَّطَ فِيهِ[٢].

وَأَمَّا الَّذِي خَرَجَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ[٣].

فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ لا يَخْرُجَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ؟».

ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي صُرِعَ فَشُفِيَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَهْدَتْهُ طَيِّئٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ[٤].

تَخَلُّفُ بَعضِ المُسلِمينَ في أثناءِ الطَّريقِ:

ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١)، واللفظ له، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢١-٥٢٢).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٩٢)، عن أبي حميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٢).

تَخَلَّفَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: «دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ»[١].

أَبُو ذَرٍّ يَمْشِي وَحدَهُ:

وَتَمَهَّلَ عَلَىٰ أَبِي ذَرٍّ بَعِيرُهُ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، فَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَىٰ الطَّرِيقِ وَحْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ».

فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ هُوَ أبو ذَرٍّ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»[٢].

اللهُ عَزَّوَجَلَّ يُخبِرُ نَبيَّهُ ﷺ بِمَكانِ نَاقتِهِ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَارَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ - وَكَانَ مُنَافِقًا -: أَلَيْسَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟!.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ -وَذَكَرَ مَقَالَتَهُ - وَإِنِّي وَاللهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُونِي بِهَا»، فَذَهَبُوا فَأَتَوْهُ بِهَا[٣].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٤).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٢-٥٢٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٤٦٧).

اسْتِسقاءُ رَسولُ اللهِ ﷺ، ونَزولُ المَطَرِ:

وَأَصْبَحَ النَّاسُ وَلَا مَاءَ مَعَهُمْ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ سَحَابَةً، فَأَمْطَرَتْ حَتَّىٰ ارْتَوَىٰ النَّاسُ، وَاحْتَمَلُوا حَاجَتَهُمْ مِنَ الْمَاءِ[١].

تَخذيلُ جماعةٍ منَ المُنافقينَ، والقرآنُ يَفضَحُهم:

وَقَدْ اجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِرْجَافًا[٢]، وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ: أَتَحْسَبُونَ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ؟! وَاللهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ.

فَقَالَ مُخَشِّنُ بنُ حُمَيِّرٍ وَكَانَ مَعَهُمْ: وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَىٰ عَلَىٰ أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَلا يَنْزِلُ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: «**أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا**[٣]، **فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا، فَقُلْ: بَلْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا**».

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥].

وَعُفِيَ عَنْ مُخَشِّنٍ، وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ[٤].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٢).
(٢) إرجافًا: أي تخويفًا.
(٣) احترقوا: أي هلكوا.
(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٤-٥٢٥).

بِئرُ تَبوكَ تَفورُ بالماءِ ببركةِ دعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَارَ، وَقَالَ ﷺ لأَصْحَابِهِ ذَاتَ لَيلَةٍ: «**إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّىٰ يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّىٰ آتِيَ**».

فَلَمَّا أَتَوْهَا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ تَسِيلُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟**».

قَالَا: نَعَمْ[(١)].

فَسَبَّهُمَا[(٢)] النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ.

ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّىٰ اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ[(٣)]، وَغَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ غَزِيرٍ حَتَّىٰ اسْتَقَىٰ النَّاسُ[(٤)]، ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَىٰ مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا**[(٥)]»[(٦)].

الجَيشُ الإسلاميُّ يُعَسكرُ بتبُوكَ، وهروبُ جيشِ الرُّومَانِ:

عَسْكَرَ الجَيشُ الإسلاميُّ بتَبوكَ، وهوَ مُسْتَعدٌّ للقَاءِ العدوِّ، وقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فَيهمْ خطيبًا، فخطبَ خُطبةً بَليغةً، وحَضَّ علىٰ خيرِ الدُّنْيا والآخرةِ، وبشَّرَ وأَبْشرَ، وحَذَّرَ وأَنْذَرَ، حتَّىٰ رفَع مَعنويَّاتِهِم، وجَبرَ بها ما

---

(١) **قيل**: الرجلان كانا من المنافقين، أرادا أن يمنعا النبي ﷺ من مراده بإظهار بركته فيها.

(٢) **قيل**: سبهما رسول الله ﷺ؛ لأنهما أرادا منع رسول الله ﷺ من إظهار بركته.

(٣) ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتىٰ اجتمع في شيء: أي أنهم جمعوا من ماء العين بأيديهم ما أمكنهم إلىٰ أن اجتمع منه قدر ما غسل منه وجهه ويديه، وهذا نهاية في القلة.

(٤) ثم أعاده فيه فجرت العين...: هذا من معجزات النبي ﷺ.

(٥) **جنانًا**: أي بساتين. وهذا من معجزات النبي ﷺ.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٧٠٦)، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كانَ فيهم من النَّقْصِ والخللِ من حيثُ قلةُ الزَّادِ والمَادةِ والمُؤنَةِ.

وأما الرُّومَانُ، وحُلَفاؤُهُم لمَّا سمِعُوا بزحفِ رسولِ اللهِ ﷺ أخذَهُم الرُّعبُ، فلمْ يَجْتَرِئُوا علىٰ التَّقدُّمِ واللِّقاءِ، بلْ تَفرَّقوا في البِلادِ في داخلِ حُدودِهِم، فكانَ لذلكَ أحسنُ أثرٍ بالنسبةِ إلىٰ سُمْعةِ المُسلمينَ العَسكَريةِ، في دَاخلِ الجَزيرةِ وأرجائِها النَّائيةِ، وحَصَلَ بذلكَ المُسلِمونَ علىٰ مَكاسبَ سياسيةٍ كبيرةٍ خطيرةٍ، بمَا لم يكونُوا يَحصلُونَ عَليها لو وقع هُنَاكَ اصطدَامٌ بينَ الجَيشَينِ[١].

١٤- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَهُو فِي تَبوكَ جَاءَ يُحَنَّةُ بنُ رُؤْبَةَ، فَصَالحَ رسولَ اللهِ ﷺ على الجِزْيةِ»[٢].

وَلَمَّا انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ تَبُوكَ، أَتَاهُ يُحَنَّةُ بْنُ رُؤْبَةَ، وَكَانَ مَلَكَ أَيْلَةَ[٣]، فَصَالَحَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ.

فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ، وَأَهْلِ أَيْلَةَ جَاء فيهِ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ، وَمُحَمّد النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ، وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا، فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ**»[٤].

---

(١) انظر: «الرحيق المختوم»، صـ(٣٧٢).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٥)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٧١)، «البداية» (٥/ ١٧).

(٣) أيلة: بلدة تقع في الأردن حاليًا.

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ١٠٣١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٥-٥٢٦).

١٥- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي تَبوكَ أتاهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ، وأَعْطَوْهُ الجِزْيَةَ»[١].

أَتَىٰ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ[٢] إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَهُمْ كِتَابًا، فَظَلَّ عِنْدَهُمْ[٣].

١٦- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي تَبوكَ أَسَرَ خَالدُ بْنُ الوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُكَيدَرَ مَلِكَ دُومَةَ، فَحَقَنَ رسولُ اللهِ ﷺ دمَهُ، وصَالحَهُ على الجِزيةِ»[٤].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ أُكَيْدِرِ دُومَةَ، رَجُل مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَالِدٍ: «**إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ**».

فَخَرَجَ خَالِدٌ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِ أُكَيْدِرَ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ، وَهُوَ عَلَىٰ سَطْحٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتْ الْبَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟.

قَالَ: لَا وَاللهِ!.

قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟.

قَالَ: لَا أَحَدَ.

فَنَزَلَ، فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ، فَأُسْرِجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فِيهِمْ أَخٌ لَهُ، فَرَكِبَ، وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمُطَارِدِهِمْ[٥]، فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٥)، «البداية» (٥/ ١٧).

(٢) جرباء وأذرح: بلدتان تقعان في الأردن حاليًا.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٥).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٥)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٧٢)، «البداية» (٥/ ١٧).

(٥) مطاردهم: جمع مِطْرَد، علىٰ وزن منبر، وهو رمح قصير يطرد به الوحش.

رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَتْهُ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ.

ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَدِمَ بِأُكَيْدِرَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ، وَصَالَحَهُ عَلَىٰ الْجِزْيَةِ، ثُمَّ خَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَرْيَتِهِ(١).

وَقَدْ أَهْدَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ(٢)، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**»(٣).

١٧- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي تبوك صلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ خَلفَ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاةَ الفَجرَ»(٤).

صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ صَلَاةَ الْفَجْرِ خَلْفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَدْرَكَ مَعَهُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَهَبَ يَتَوَضَّأُ وَمَعَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَبْطَأَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَلَمَّا سَلَّمَ النَّاسُ أَعْظَمُوا مَا وَقَعَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْسَنْتُمْ وَأَصَبْتُمْ**»(٥).

١٨- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي غزوة تَبُوكَ مَاتَ ذُو البِجَادَينِ، فَتوَلَّى رسولُ اللهِ ﷺ، والعُمَرَانِ غُسْلَهُ، ودَفْنَهُ ونزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ قَبرَهُ، وترضَّى عنْه»(٦).

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١٢٢٢٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٦).

(٢) سندس: أي ثياب من الحرير الخالص.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٦١٥، ٢٦١٦)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «البداية» (٥/ ٢٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤)، عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٠).

(٦) «الدرر في اختصار المغازي والسير» (٢٥٨).

يَحْكِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِصَّةَ وَفاةِ عَبْدِ اللهِ ذِي البِجَادَيْنِ الْمُزَنِيِّ، فَيَقُولُ: قُمْتُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، فَاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَإِذَا عَبْدُ اللهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ قَدْ مَاتَ، وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُدَلِّيَانِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا**».

فَدَلَّيَاهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَيَّأَهُ لِشِقِّهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ، فَارْضَ عَنْهُ**».

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ[١].

وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْبِجَادَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ عَذَّبَهُ قَوْمُهُ حَتَّىٰ تَرَكُوهُ فِي بِجَادٍ[٢] لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، شَقَّ بِجَادَهُ بِاثْنَيْنِ، فَاتَّزَرَ بِوَاحِدٍ، وَاشْتَمَلَ بِالْآخَرِ، ثُمَّ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: ذُو الْبِجَادَيْنِ لِذَلِكَ[٣].

١٩- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي مَرجِعِهِ ﷺ مِنْ تبوك هَمَّ نَفَرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، بالفَتْكِ بِه، فأَطْلَعَهُ اللهُ على مَا قَصدُوه، فَفَشِلَتْ خُطَّتُهُمْ»[٤].

أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ[٥].

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٧-٥٢٨).

(٢) **بجاد**: أي كساء غليظ جافٍ.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٨).

(٤) «البداية» (٥/ ١٩).

(٥) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٧).

وَفِي مَرجِعِهِ ﷺ مِنْ تبوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَىٰ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَ الْعَقَبَةَ[١]، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ، وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَىٰ الرَّوَاحِلِ غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «**قَدْ، قَدْ**»[٢]، حَتَّىٰ هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَزَلَ، وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: «**يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟**».

فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ، وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ.

قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟**».

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَطْرَحُوهُ**»[٣].

وَكَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ، وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟.

قَالَ: كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ.

فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَأَشْهَدُ بِاللهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.

وَعَذَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً، قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ

---

(١) **العقبة**: موضع علىٰ طريق تبوك.

(٢) **قد، قد**: أي أسرع، وتكرارها لتأكيد الأمر.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٧/ ٩٢)، عن أبي الطفيل، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده قوي».

ﷺ، وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ[١].

٢٠- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي مَرْجِعِهِ ﷺ أيضًا مِن تَبوك أَمَر بتَحْرِيقِ مَسْجِدِ الضِّرَارِ، فأُحْرِقَ»[٢].

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلَ بِذِي أَوَانَ[٣]، وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ قَدْ كَانُوا أَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَىٰ تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَتُصَلِّي لَنَا فِيهِ، فَقَالَ: **«إِنِّي عَلَىٰ جَنَاحِ سَفَرٍ[٤]، وَحَالِ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ لَأَتَيْنَاكُمْ، فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ»**.

فَلَمَّا نَزَلَ ﷺ بِذِي أَوَانَ، أَتَاهُ خَبَرُ الْمَسْجِدِ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَالِكَ بْنَ الدُّخْشُمِ، وَمَعْنَ بْنَ عَدِيٍّ، فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَىٰ هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ.

فَخَرَجَا سَرِيعَيْنِ حَتَّىٰ أَتَيَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمْ رَهْطُ مَالِكِ بْنِ الدُّخْشُمِ، فَقَالَ مَالِكٌ لِمَعْنٍ: أَنْظِرْنِي حَتَّىٰ أخرج إِلَيْك بَنَارٍ مِنْ أَهْلِي، فَدَخَلَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَأَخَذَ سَعَفًا مِنَ النَّخْلِ، فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجَا يُسْرِعَانِ حَتَّىٰ دَخَلَا الْمَسْجِدَ، وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَّمَاهُ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٧٩)، عن أبي الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٢٧٥) «البداية» (٥/ ٢٢).

(٣) بذي أوان: بلد قريبة من المدينة.

(٤) جناح سفر: أي سفر نريده.

ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [التوبة:١٠٧-١٠٩][(١)].

استِقبالُ الناسِ لرَسولِ اللهِ ﷺ عِندَ رُجوعِه مِنْ تَبوكَ:

لَمَّا أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ المَدِينَةِ قَالَ: «**هَذِهِ طَابَةُ**[(٢)]، **وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[(٣)].

واسْتَقْبَلَهُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، وهُمْ يَقُولُونَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ[(٤)]

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ[(٥)]

وَقَدْ أَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ بِتَبوكَ عِشْرِينَ لَيْلَةً يَقْصُرُ الصَّلَاةَ[(٦)].

ممَّا يستفاد مما سبق:

١- جواز القتال في الشهر الحرام.

٢- تصريح الإمام للرعية وإعلامهم بالأمر الذي يضرهم ستره

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٩-٥٣٠).

(٢) **طابة**: من أسماء المدينة، ومعناه الطيبة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٢٢)، ومسلم (١٣٩٢)، عن أبي حميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **ثنيات الوادع**: موضع من ناحية الشام.

(٥) **انظر**: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٥/ ٢٢٦).

(٦) **انظر**: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٦)، و«زاد المعاد» (٣/ ٤٦٣).

وإخفاؤه؛ ليتأهبوا له ويعدوا له عدته، وجواز ستر غيره عنهم والكناية عنه للمصلحة.

٣- إذا استنفر الإمام الجيش لزمهم النفير، ولم يجز لأحد التخلف إلا بإذنه.

٤- وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس.

٥- الماء الذي بآبار ثمود لا يجوز شربه، ولا الطبخ منه، ولا العجين به، ولا الطهارة به، ويجوز أن يسقىٰ البهائم إلا ما كان من بئر الناقة.

٦- من مر بديار المغضوب عليهم والمعذبين لم ينبغ له أن يدخلها ولا يقيم بها، بل يسرع السير ويتقنع بثوبه حتىٰ يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكيا معتبرا.

٧- يجوز القصر في السفر سواء طالت المدة، أو قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم علىٰ الإقامة بذلك الموضع.

٨- استحباب حنث الحالف في يمينه إذا رأىٰ غيرها خيرا منها، فيكفر عن يمينه ويفعل الذي هو خير، وإن شاء قدم الكفارة علىٰ الحِنث، وإن شاء أخرها.

٩- انعقاد اليمين في حال الغضب إذا لم يخرج بصاحبه إلىٰ حد لا يعلم معه ما يقول، وكذلك ينفذ حكمه، وتصح عقوده، فلو بلغ به الغضب إلىٰ حد الإغلاق لم تنعقد يمينه ولا طلاقه.

١٠- إذا أحدث أحد من أهل العهد والذمة حدثا فيه ضرر علىٰ الإسلام انتقض عهده في ماله ونفسه، وأنه إذا لم يقدر عليه الإمام فدمه وماله هدر، وهو لمن أخذه، كما قال ﷺ في صلح أهل أَيلَة.

١١- جواز الدفن بالليل كما دفن رسول الله ﷺ ذا البِجَادين ليلًا.

١٢- مشروعية تحريق أمكنة المعصية التي يعصىٰ الله ورسوله ﷺ فيها وهدمها، كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار وأمر بهدمه، وهو مسجد يصلىٰ فيه ويذكر اسم الله فيه ؛ لما كان بناؤه ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ومأوىٰ للمنافقين، وكل مكان هذا شأنه فواجب علىٰ الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلىٰ اتخاذ من فيها أندادًا من دون الله أحق بالهدم وأوجب، وكذلك محال المعاصي والفسوق كبيوت الخمارين.

١٣- جواز إنشاد الشعر للقادم فرحًا وسرورًا به، ما لم يكن معه محرم من لَهْوٍ كمزمارٍ، ولم يكن غناء يتضمن ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ[١].

٢١- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تَخَلَّفَ كعبُ بنُ مالكٍ وصاحبَاه عنْ غَزوةِ تبوكَ، ثم تَابُوا، فتَابَ اللهُ عَليهِم»[٢].

يَقُصُّ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَيَقُولُ:** لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٤٨٨-٥٠١).

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٢٧٦)، «البداية» (٥/ ٢٣)، «صحيح البخاري» (٤٤١٨)، مسلم (٢٧٦٩).

لَيْلَةَ العَقَبَةِ[١]، حِينَ تَوَاثَقْنَا[٢] عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا[٣] مَشْهَدَ بَدْرٍ[٤]، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ[٥] فِي النَّاسِ مِنْهَا.

كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّىٰ جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا[٦]، حَتَّىٰ كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا[٧] وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّىٰ[٨] لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ[٩]، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ -يُرِيدُ الدِّيوَانَ-[١٠].

---

(١) **ليلة العقبة**: هي الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار فيها علىٰ الإسلام وأن يؤووه وينصروه، وهي العقبة التي في طرف منىٰ التي يضاف إليها جمرة العقبة، وكانت بيعة العقبة مرتين في سنتين في السنة الأولىٰ كانوا اثني عشر، وفي الثانية سبعين كلهم من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) **حين تواثقنا**: أي تعاهدنا، وتعاقدنا.

(٣) **أن لي بها**: أي بدلها.

(٤) **مشهد بدر**: أي غزوة بدر.

(٥) **أذكر**: أي أعظم ذكرًا.

(٦) **ورّىٰ بغيرها**: أي أوهم غيرها. والتورية أن يُذكرَ لفظٌ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر، فيوهم إرادة القريب، وهو يريد البعيد.

(٧) **مفازًا**: أي صحراء لا ماء فيها.

(٨) **فجلىٰ**: أي أوضح.

(٩) **أهبة غزوهم**: أي ما يحتاجون إليه في السفر والحرب.

(١٠) **الديوان**: أي الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء. وأول من دون الدواوين عمر، وهو فارسي معرب.

فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَىٰ لَهُ[١]، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَىٰ بِي حَتَّىٰ اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ[٢]، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي[٣] شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا[٤] لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّىٰ أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ[٥]، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ.

فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَىٰ إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا[٦] عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟**».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ[٧].

---

(١) **سيخفىٰ له**: أي لكثرة الجيش.

(٢) **اشتد في الناس الجد**: أي بلغوا غاية اجتهادهم في التجهيز للخروج.

(٣) **جهازي**: أي ما أحتاجه في سفري.

(٤) **فصلوا**: أي خرجوا من المدينة وفارقوها.

(٥) **تفارط الغزو**: أي فات وقته وتقدم.

(٦) **مغموصًا**: أي محتقرًا مطعونًا في دينه، أو متهما بنفاق.

(٧) **حبسه برداه، ونظره في عطفه**: أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه. وبراده مثنىٰ=

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا[١] حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا[٢] زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ[٣]، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ[٤].

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ[٥]، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**[٦]».

فَقُلْتُ: بَلَىٰ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا[٧]، وَلَكِنِّي وَاللهِ، لَقَدْ

= برد وهو الكساء. وعطفه هو الجانب.

(١) **قافلًا**: أي راجعًا من سفره إلىٰ المدينة.

(٢) **أظل قادمًا**: أي دنا قدومه إلىٰ المدينة.

(٣) **زاح عني الباطل**: أي زال عني التفكير في الكذب والتماس الأعذار الباطلة.

(٤) **فأجمعت صدقه**: أي عزمت علىٰ أن أصدقه.

(٥) **المخلفون**: أي الذين لم يذهبوا مع رسول الله ﷺ، وتخلفوا عنه.

(٦) **ابتعت ظهرك**: أي اشتريت راحلتك.

(٧) **جدلًا**: أي فصاحة، وقوة حجة، وكلام.

عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ[١] عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**».

فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ[٢] مِنْ بَنِي سَلِمَةَ[٣] فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ[٤] اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي[٥] حَتَّىٰ أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟.

قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ.

فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟.

قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ.

فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ[٦]، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا

---

(١) **تجد**: أي تغضب.

(٢) **ثار رجال**: أي وثبوا، وقاموا.

(٣) **من بني سلمة**: هم قومه.

(٤) **كافيك ذنبك**: أي يكفيك من ذنبك.

(٥) **يؤنبوني**: أي يلومونني لومًا عنيفًا.

(٦) **أسوة**: أي قدوة.

أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا[١] حَتَّىٰ تَنَكَّرَتْ[٢] فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ[٣]، فَلَبِثْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً.

فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا[٤] وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ[٥] القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ[٦]، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ[٧] فِي الأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟، ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ[٨]، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّىٰ إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ[٩] النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ[١٠] جِدَارَ حَائِطِ[١١] أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ

---

(١) **تغيروا لنا**: أي اختلفت أخلاقهم معنا عما كانت عليه من قبل من الود والألفة.
(٢) **تنكرت**: أي تغيرت.
(٣) **التي أعرف**: أي لتوحشها عليّ، وهذا يجده الحزين والمهموم في كل شيء حتىٰ يجده في نفسه.
(٤) **فاستكانا**: أي ذَلَّا، وخضَعا، وأصابهما السكون.
(٥) **أشب**: أي أقواهم، وأكثرهم شبابا.
(٦) **أجلدهم**: أي أقواهم.
(٧) **أطوف**: أي أدور.
(٨) **فأسارقه النظر**: أي أنظر إليه خلسة.
(٩) **جفوة**: أي إعراض، ومقاطعة.
(١٠) **تسورت**: أي صعدت علىٰ سور الدار.
(١١) **حائط**: أي بستان من نخيل.

بِاللهِ[١] هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟.

فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ، فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ، فَنَشَدْتُهُ.

فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَفَاضَتْ عَيْنَايَ[٢]، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ[٣] مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ[٤] كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ[٥]، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ[٦]، وَلَا مَضْيَعَةٍ[٧]، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ[٨]، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلَاءِ[٩]، فَتَيَمَّمْتُ[١٠] بِهَا التَّنُّورَ[١١] فَسَجَرْتُهُ[١٢] بِهَا.

حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ[١٣]،

---

(١) **أنشدك بالله**: أي أسألك بالله.

(٢) **ففاضت عيناي**: أي انهال دمعهما.

(٣) **نبطي**: أي فلاح.

(٤) **دفع إلي**: أي أعطاني.

(٥) **جفاك**: أي أعرض عنك وقاطعك.

(٦) **هوان**: أي ذل وصغار.

(٧) **مضيعة**: أي حيث يضيع حقك.

(٨) **نواسك**: من المواساة، وهي التسلية عن المصيبة.

(٩) **البلاء**: أي الاختبار.

(١٠) **فتيممت**: أي قصدت.

(١١) **التنور**: أي الفرن الذي يخبز فيه.

(١٢) **فسجرته**: أي أوقدته بها.

(١٣) **تعتزل امرأتك**: أي لا تجامعها.

فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟.

قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا.

وَأَرْسَلَ إِلَىٰ صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ.

فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ(١) ضَائِعٌ(٢)، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟.

قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ**».

قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَىٰ شَيْءٍ(٣)، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَىٰ يَوْمِهِ هَذَا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ(٤) كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟.

فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟.

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّىٰ كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَىٰ الحَالِ

---

(١) **شيخ**: أي كبير.

(٢) **ضائع**: أي قاصر عن القيام بشؤون نفسه.

(٣) **حركة إلىٰ شيء**: أي من جماع، ومباشرة، وغيرهما.

(٤) **في امرأتك**: أي لتخدمك.

الَّتِي ذَكَرَ اللهُ[١]، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ[٢]، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَىٰ[٣] عَلَىٰ جَبَلِ سَلْعٍ[٤] بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ.

فَخَرَرْتُ سَاجِدًا[٥]، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ[٦] رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ[٧] إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَىٰ عَلَىٰ الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ[٨] لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا[٩] يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ.

حَتَّىٰ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ،

---

(١) **الحال التي ذكر الله**: أي في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة:١١٨].

(٢) **رحبت**: أي مع سعتها، وهو مثل للحيرة في أمره كأنه لا يجد فيها مكانًا يقرّ فيه قلقًا وجزعًا.

(٣) **أوفىٰ**: أي صعد.

(٤) **سلع**: جبل في المدينة.

(٥) **فخررت ساجدًا**: أي شكرا لله.

(٦) **آذن**: أي أعلم.

(٧) **ركض**: استحث، من الركض وهو الضرب بالرجل علىٰ بطن الفرس؛ لتسرع.

(٨) **نزعت**: أي خلعت.

(٩) **ما أملك غيرهما**: أي من الثياب.

فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ[١] حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ[٢].

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**[٣]».

قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟.

قَالَ: «**لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**».

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ[٤] مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**».

قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي[٥] الَّذِي بِخَيْبَرَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ.

فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي[٦]، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ

---

(١) **يهرول**: أي يسير بين المشي، والعدو.

(٢) **ولا أنساها لطلحة**: أي هذه الخصلة، وهي بشارته إياي بالتوبة أي لا أزال أذكر إحسانه إليَّ بذلك.

(٣) **أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك**: أي سوىٰ يوم إسلامه، وهو مستثنىٰ تقديرًا، وإن لم ينطق به، أو أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه، فيوم إسلامه بداية سعادته، ويوم توبته مكمل لها، فهو خير من جميع أيامه.

(٤) **أن أنخلع**: أي أن أخرج.

(٥) **سهمي**: أي نصيبي.

(٦) **أبلاني**: أي اختبرني.

ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٧-١١٩].

فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة:٩٥-٩٦].

وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ[1] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة:١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ[2].

---

(١) أرجأ: أي أخَّرَ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

مما يستفاد من هذا:

١- جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله ﷺ، وعن سبب ذلك، وما آل إليه أمره.

٢- جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير إذا لم يكن علىٰ سبيل الفخر والترفع.

٣- بيعة العقبة كانت من أفضل مشاهد الصحابة، حتىٰ إن كعبا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان لا يراها دونَ مشهد بدر.

٤- الجيش في حياة النبي ﷺ لم يكن لهم ديوان وأول من دون الديوان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من سنته التي أمر النبي ﷺ باتباعها، وظهرت مصلحتها وحاجة المسلمين إليها.

٥- إذا حضرت فرصة الطاعة لأحد، فينبغي له أن ينتهزها ويبادر إليها، والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهزه، بأن يحُولَ بين قلبه وإرادته، فلا يمكِّنه بعد من إرادته عقوبةً له.

٦- لا ينبغي للإمام والمطاع له أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكِّره ليراجع الطاعة ويتوب، فإن النبي ﷺ قال بتبوكَ: «**ما فَعلَ كَعبٌ؟**»، ولم يذكر سواه من المخلَّفين.

٧- السُّنة للقادم من السفر أن يدخل البلد علىٰ وضوء، وأن يبدأ ببيت الله قبل بيته، فيصلي فيه ركعتين.

٨- مشروعية ترك الإمام والحاكم رد السلام علىٰ من أحدث حدثًا؛ تأديبًا له وزجرًا لغيره، فإنه ﷺ لم يردَّ علىٰ كعبٍ، بل قابل سلامه بتبسم المغضب.

٩- التبسم قد يكون عن الغضب كما يكون عن التعجب والسرور.

١٠- معاتبة الإمام والمطاع أصحابه ومن يعز عليه، فإنه عاتب الثلاثة دون سائر من تخلف عنه.

١١- توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاءوا به من الصدق، ولم يخذلهم حتىٰ كذبوا واعتذروا بغير الحق.

١٢- مشروعية التَّخَلُّفِ عن صلاة الجماعة لمن هجرَه المسلمون كما صلىٰ هلالُ بنُ أميةَ، ومرارةُ بن الرَّبيع.

١٣- مشروعية دخول الإنسان دار صاحبه وجاره إذا علم رضاه بذلك، وإن لم يستأذنه.

١٤- في استباق صاحب الفرس والراقي علىٰ سَلْع؛ ليبشرا كعبا دليل علىٰ حرص القوم علىٰ الخير، واستباقهم إليه، وتنافسهم في مسرة بعضهم بعضا.

١٥- في نزع كعب ثوبيه وإعطائهما للبشير، دليل علىٰ أن إعطاء المبشرين من مكارم الأخلاق والشيم وعادة الأشراف.

١٦- استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية، والقيام إليه إذا أقبل، ومصافحته، والأولىٰ أن يقال له: لِيَهْنِكَ ما أعطاك الله، وما مَنَّ الله به عليك، ونحو هذا الكلام.

١٧- خير أيام العبد علىٰ الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلىٰ الله، وقبول الله توبته.

١٨- عظم مقدار الصدق، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة، والنجاة من شرهما به، فما أنجىٰ الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من

أهلكه إلا بالكذب[١].

٢٢- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خالدِ بنِ الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى خَثْعمٍ»[٢].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ نَاسٍ مِنْ خَثْعَمٍ، فَاعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ، فَقَتَلَهُمْ، فَوَدَاهُمْ[٣] رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنِصْفِ الدِّيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا**[٤]»[٥].

٢٣- «وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نَعَى النَّبِيُّ ﷺ النَّجَاشِيَّ، وصَلَّى علَيهِ صَلاةَ الغَائبِ»[٦].

نَعَىٰ[٧] رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيَّ[٨] حَاكِمَ الحَبَشَةِ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وخَرَجَ إِلَىٰ المُصَلَّىٰ، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ».

وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»[٩].

---

(١) **انظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٥٠٢-٥١٧).

(٢) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٧٦).

(٣) **فوداهم**: أي أعطاهم الدية.

(٤) **لا تراءىٰ ناراهما**: أي لا يتجاور المسلم والمشرك، بل يتباعد عنه منزلة بحيث لو أوقد نارًا ما رآها.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨٣٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩٢٩٠): «رجاله ثقات».

(٦) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٤).

(٧) **نعىٰ**: أي أخبر بموت.

(٨) **النجاشي**: لقب يطلق علىٰ كل من حكم بلاد الحبشة.

(٩) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٣٣، ٣٨٨٠)، ومسلم (٩٥١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مما يستفاد من هذا:

١- مشروعية الصلاة علىٰ الميت، وأجمع العلماء علىٰ أنها فرض كفاية.

٢- تكبيرات الجنازة أربع.

٣- مشروعية الصلاة علىٰ الميت الغائب إذا لم يصلِّ عليه أحد في موضع موته.

٤- فيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ لإعلامه بموت النجاشي وهو في الحبشة في اليوم الذي مات فيه.

٥- استحباب صلاة الجنازة في المصلىٰ.

٦- استحباب الإعلام بالميت لا علىٰ صورة نعي الجاهلية بل مجرد إعلام الصلاة عليه وتشييعه، والذي جاء من النهي عن النعي ليس المراد به هذا المذكور في الحديث، وإنما المراد نعي الجاهلية المشتمل علىٰ ذكر المفاخر وغيرها[١].

٢٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ عروةُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأسلَمَ، ورجعَ إلى الطائفِ، فَدَعا قومَه إلى الإسلامِ فقتَلُوهُ»[٢].

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ، اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**»، وَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الِامْتِنَاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ.

---

(١) **انظر**: شرح «صحيح مسلم» (٧/ ٢١-٢٢).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٩).

فَقَالَ عُرْوَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ[١].

وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحَبَّبًا مُطَاعًا، فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ رَجَاءَ أَنْ لَا يُخَالِفُوهُ؛ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَىٰ غُرْفَةٍ لَهُ، وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ.

فَقِيلَ لِعُرْوَةَ: مَا تَرَىٰ فِي دَمِكَ؟.

قَالَ: كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللهُ إِلَيَّ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فَادْفِنُونِي مَعَهُمْ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ: «**إِنَّ مِثْلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمِثْلِ صَاحِبِ يَاسِينَ فِي قَوْمِهِ**»[٢].

٢٥ - «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ ثقيفٍ مِنَ الطائفِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأسلَمُوا ورجعُوا إلى قومِهم، فَما زَالوا بِهم حتى أَسْلَمُوا»[٣].

أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُرًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ ائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَقَدْ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَسْلَمُوا.

وَأَجْمَعُوا أَنْ يُرْسِلُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِتَّةً، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَجَدُوا بِهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يَرْعَىٰ رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) **أبكارهم**: أي أول أولادهم.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٣٧-٥٣٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٩، ١٨٦).

فَلَمَّا رَآهُمْ تَرَكَ الرِّكَابَ عِنْدَ الثَّقَفِيِّينَ، وَوَثَبَ يُسْرِعُ؛ لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبِ ثَقِيفٍ أَنْ قَدْ قَدِمُوا يُرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُغِيرَةِ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بالله لَا تَسْبِقْنِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، فَفَعَلَ الْمُغِيرَةُ.

فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَيهِمْ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحَيُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَلَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ، حَتَّىٰ أَسْلَمُوا وَفَرَغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ.

وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمْ الطاغية، وَهِيَ اللَّاتَ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، فَأَبَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَمَا بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً، وَيَأْبَىٰ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ سَأَلُوا شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ، فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَهَا شَيْئًا مُسَمًّىٰ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّىٰ يَدْخُلَهُمْ الْإِسْلَامُ، فَأَبَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فَيَهْدِمَاهَا.

وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاغِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ**

بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ».

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَسَنُؤْتِيكَهَا، وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً[١].

٢٦- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الطائفِ أبَا سفيانَ والمُغيرةَ بنَ شُعْبةَ لهَدمِ اللَّاتِ فَهدَمَاهَا»[٢].

لَمَّا فَرَغَ وَفْدُ ثَقِيفٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ رَاجِعِينَ، بَعَثَ رَسُول الله ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، لِهَدْمِ الطَّاغِيَةِ اللَّاتِ.

فَخَرَجَا مَعَ الْقَوْمِ، حَتَّىٰ إِذَا قَدِمُوا الطَّائِفَ أَرَادَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سُفْيَانَ، فَأَبَىٰ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: ادْخُلْ أَنْتَ عَلَىٰ قَوْمِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ[٣]، وَقَامَ قَوْمُهُ دُونَهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُصَابَ كَمَا أُصِيبَ عُرْوَةُ، فَهَدَمَهَا الْمُغِيرَةُ، وَأَخَذَ مَالَهَا وَحُلِيَّهَا[٤].

٢٧- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ على الطائفِ عثمانَ بنَ أبي العاصِ، وهو مِنْ أَحْدَثِهم سِنًّا لحرصِهِ عَلَى التَّفَقُّهِ وتَعلُّمِ القُرآنِ»[٥].

لَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ سِنًّا: «**أُمَّ قَوْمَكَ**».

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٣٨-٥٤٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨١)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٨١).

(٣) **المعول**: أي الفأس.

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤١-٥٤٢).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٠).

ثُمَّ قَالَ لَهُ: «فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ».

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَىٰ التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ(١).

٢٨- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولُ مُلوكِ حِمْيَرَ مُقِرِّينَ بالإسلامِ»(٢).

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَالِكُ بْنُ مُرَارَةَ رَسُولُ مُلُوكِ حِمْيَرَ بِكِتَابِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُنْزِلَهُ وَيُكْرِمَهُ وَيُضَيِّفَهُ، وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ: «أَمَّا بَعْدَ ذَلِكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيكُمُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مَقْفَلَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ(٣)، فَبَلَّغَ مَا أَرْسَلْتُمْ، وَخَبَّرَ عَمَّا قِبَلَكُمْ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ، وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ هَدَاكُمْ بِهُدَاهُ إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمْ مِنَ الْمَغْنَمِ خُمُسَ اللهِ وَخُمُسَ نَبِيِّهِ وَصَفِيَّهُ(٤)، وَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ»(٥).

٢٩- «وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ : مَاتَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٦٨)، عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١)، «الطبقات» (١/ ٣٠٦).

(٣) مقفلنا من أرض الروم: أي رجوعنا من غزوة تبوك.

(٤) صفيه: أي ما يخرج له من الغنيمة قبل القسمة. والصفي: ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٨٩)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٥٦).

اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولٍ»[(١)].

لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟.

فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟.

فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ عُمَرُ، تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ، فَقَالَ:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة:٨٠]، **لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَىٰ السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**».

قَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ.

فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّىٰ نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة:٨٤-٨٥][(٢)].

مما يستفاد من هذا:

١- جواز الشهادة علىٰ المرء بما كان عليه حيا وميتا.

٢- المنهي عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم لا التعريف.

٣- المنافق تجرىٰ عليه أحكام الإسلام الظاهرة.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٠)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٤).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣٦٦)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٤٠٠)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤- جواز تنبيه المفضول للفاضل علىٰ ما يظن أنه سها عنه، وتنبيه الفاضل المفضول علىٰ ما يشكل عليه.

٥- جواز التبسم في حضور الجنازة عند وجود ما يقتضيه، وقد استحب أهل العلم عدم التبسم من أجل تمام الخشوع، فيُستثنىٰ منه ما تدعو إليه الحاجة[١].

٣٠- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: حجَّ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالناسِ بأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَىٰ الْحَجِّ؛ لِيُقِيمَ لِلْمُسْلِمِينَ حَجَّهُمْ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بِعِشْرِينَ بَدَنَةً، وَسَاقَ أَبُو بَكْرٍ خَمْسَ بَدَنَاتٍ[٣].

وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ أَبَا هُرَيْرَةَ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، يُؤَذِّنُونَ بِمِنًىٰ: «**أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**»[٤].

٣١- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بعث رسولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحَجِّ، ليَقْرأَ على الناسِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ فَفَعَلَ ذَلكَ يومَ النَّحْرِ عِندَ الجَمْرَةِ»[٥].

لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَزَلَتْ عَلَيهِ: ﴿بَرَآءَةٌ﴾، فِي

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٨/ ٣٤٠).
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٢)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٨٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٤).
(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٨).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٢).

نَقْضِ مَا بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَهْدِ، الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: أَنْ لَا يُصَدَّ عَنِ الْبَيْتِ أَحَدٌ جَاءَهُ، وَلَا يَخَافُ أَحَدٌ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ بَعَثْتَ بِهَا إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ.

فَقَالَ: «**لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**».

ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: «**اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ**[1] **بَرَاءَةٍ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى، أَنَّهُ لَا الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ**».

فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قَالَ: أَأَمِيرٌ، أَمْ مَأْمُورٌ؟.

فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، بَعَثَنِي أَقْرَأُ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ عَلَىٰ النَّاسِ، وَأَنْبِذُ إِلَىٰ كُلِّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ[2].

ثُمَّ مَضَيَا، فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ يَحُجُّونَ عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ، قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَجَّلَ النَّاسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذَّنَ فِيهِمْ، لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ لَا عَهْدَ لِمُشْرِكٍ، وَلَا ذِمَّةَ إِلَّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَىٰ مُدَّةٍ، فَهُوَ لَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ[3].

---

(١) **صدر**: أي أول.

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٨).

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٥-٥٤٦).

وَأَذَّنَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**»(١).

٣٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ»(٢).

تُوُفِّيَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَزَوجُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَسَّلَتْهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ(٣).

فَلَمَّا جِيءَ بِهَا عِنْدَ القَبرِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى القَبْرِ، فَإِذَا بِعَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، فَقَالَ: «**هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟**(٤)».

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا.

قَالَ: «**فَانْزِلْ**».

فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا، فَقَبَرَهَا(٥).

مما يستفاد من هذا:

١- مشروعية إدخال الرجال المرأة قبرها؛ لكونهم أقوىٰ علىٰ ذلك من النساء.

٢- جواز الجلوس علىٰ شفير القبر عند الدفن(٦).

٣٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَ سُهَيلُ ابنُ البَيضاءِ الفِهْرِيُّ، وَصَلَّ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «شذرات الذهب» (١/ ٢٤).

(٣) **انظر**: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٣٠).

(٤) **يقارف الليلة**: أي يجامع أهله، وقيل: يذنب ذنبا.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٨٥، ١٣٤٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) **انظر**: «فتح الباري» (٣/ ١٥٩).

عَلَيهِ رسولُ اللهِ ﷺ بالمَدينةِ»[١].

أَسْلمَ سُهَيْلُ ابْنُ البَيضَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الحَبَشَةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ لَمَّا فَشَا الإِسلامُ وَظَهَرَ، فَأَقامَ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ هَاجرَ إِلىٰ المَدِينةِ، فَجمعَ الهِجْرَتينِ، ثُمَّ شَهِدَ بَدرًا، وَغيرَهَا.

وَمَاتَ بِالمَدِينَةِ بَعْدَ رُجُوعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ بِالْمَدِينَةِ[٣]، وصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيهِ فِي الْمَسْجِدِ[٤]، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ[٥].

٣٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قُتِلَ مَلِكُ الفُرسِ، ومَلَّكُوا ابْنَتَه (بُورَانَ) عَلَيهِم، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَومٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»»[٦].

لَمَّا قُتِلَ كِسْرَىٰ أَبْرَوِيزُ بنُ هُرْمُزَ عَلَىٰ يَدِ ابْنِهِ شِيرَوَيهِ لَمْ يَعِشْ بَعدَهُ إِلَّا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يُخَلِّفْ أَخًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَتَلَ إِخْوَتَهُ حِرْصًا عَلىٰ المُلكِ، وَلَمْ يُخَلِّفْ ذَكَرًا، وكَرِهُوا خُرُوجَ المُلْكِ عَنْ بِنتِ كِسْرَىٰ، فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بُورَانَ بِنتَ كِسْرَىٰ بنِ هُرْمُزَ[٧].

---

(١) «شذرات الذهب» (١/ ٢٤).

(٢) **البيضاء**: هي أم سهيل وصفوان امرأة من بني الحارث بن فهر لها صحبة، وبها يعرف ولداها فيقال: ابنا بيضاء، واسمها دعد بنت جحدم. [**انظر**: «الاستيعاب» (٢/ ٦٦٧)، و«أسد الغابة» (٦/ ٤٢)].

(٣) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٤١٥)، و«الاستيعاب»، لابن عبد البر (٢/ ٦٦٧-٦٦٨)، و«أسد الغابة» (٢/ ٣٢٦).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١٨٩)، والترمذي (١٠٣٣)، وحسنه، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢١٠٥)، وابن ماجه (١٥١٨)، وصححه الألباني.

(٥) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٤١٥).

(٦) «شذرات الذهب» (١/ ٢٤) والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٠٩٩).

(٧) **انظر**: «الأخبار الطوال»، للدينوري، صـ (١١٠-١١١)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٢٣١)، و«عمدة القاري» (١٨/ ٥٩).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَخْلَفُوا؟».

قَالُوا: ابْنَتَهُ بُورَانَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»(١).

ثُمَّ ضَعُفَ سُلْطَانُ فَارسٍ، واضْمَحَلَّ أَمْرُهُمْ، فَسَقَطَ سُلْطَانُهُمْ(٢).

٣٥- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: فرَّقَ رسولُ اللهِ ﷺ عُمَّالَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ»(٣).

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَرَاءَهُ وَعُمَّالَهُ عَلَىٰ الصَّدَقَاتِ، إِلَىٰ كُلِّ مَا أَوْطَأَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْبُلْدَانِ، فَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَىٰ صَنْعَاءَ، وَبَعَثَ زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ وَعَلَىٰ صَدَقَاتِهَا، وَعَلَىٰ بَنِي أَسَدٍ، وَبَعَثَ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ عَلَىٰ صَدَقَاتِ بَنِي حَنْظَلَةَ، وَفَرَّقَ صَدَقَةَ بَنِي سَعْدٍ عَلَىٰ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، فَبَعَثَ الزِّبْرِقَانَ بْنَ بَدْرٍ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنْهَا، وَقَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ عَلَىٰ الْبَحْرَيْنِ، وَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ أَهْلِ نَجْرَانَ؛ لِيَجْمَعَ صَدَقَتَهُمْ وَيَقْدَمَ عَلَيْهِ بِجِزْيَتِهِمْ(٤).

٣٦- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ ضِمَامُ بنُ ثَعْلبَةَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، ثمَّ عادَ إلى قومِهِ، فدَعَاهُم إلى الإِسلامِ، فمَا أَمْسَى ذلكَ اليومَ في حاضِرِهِ رَجُلٌ ولا امْرأَةٌ إِلَّا مُسلِمًا»(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٠٩٩)، والترمذي (٢٢٦٢)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٣١).

(٢) انظر: «الأخبار الطوال»، للدينوري، صـ(١١١).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٢).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٠).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٢)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٨٨).

بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ.

فدَخَلَ المَسْجِدَ عَلَىٰ جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئٌ بَينَ أَصْحَابِهِ، فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟.

فَقُالوا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ.

فَقَالَ لَهُ ضِمَامٌ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**[1]».

فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ[2] عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟.

فَقَالَ: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**».

فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**[3]».

قَالَ: أَنْشُدُكَ[4] بِاللهِ، اللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، اللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟.

---

(١) **أجبتك**: أي سمعتك.

(٢) **تجد**: أي تغضب.

(٣) **اللهم نعم**: الجواب حصل بنعم، وإنما ذكر «اللهم» تبركا بها، وكأنه استشهد بالله في ذلك تأكيدًا؛ لصدقه. [**انظر**: «فتح الباري» (١/ ١٥١)].

(٤) **أنشدك**: أي أسألك.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، اللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

فَقَالَ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

فانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا وَلَا أَنْقُصُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**[1]»[2].

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَن قَالَ: بِئْسَتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ!.

قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ!.

قَالَ: وَيْلَكُمْ! إِنَّهُمَا وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَسْتَنْقِذُكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنهُ.

فَمَا أَمْسَىٰ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَيِّهِ رَجُلٌ، وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ[3].

---

(١) **أفلح إن صدق**: أي فاز بمقصوده من الخير إن وفىٰ بما التزم.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦، ٦٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٧٣-٥٧٥).

٣٧- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَنِي أَسَدٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١].

قَدِمَ وَفْدُ بَنِي أَسَدٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ عَشَرَةُ رَهْطٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَكَلَّمُوا فَقَالَ مُتَكَلِّمُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا شَهِدْنَا أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَجِئْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْثًا، وَنَحْنُ لِمَنْ وَرَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجُرات:١٧][٢].

٣٨- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الدَّارِيِّينَ مِنْ لَخْمٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٣].

قَدِمَ وَفْدُ الدَّارِيِّينَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ عَشَرَةُ نَفَرٍ، فَأَسْلَمُوا، وَأَهْدَىٰ أَحَدُهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْرًا وَأَفْرَاسًا وَقَبَاءً[٤] مُخَوَّصًا[٥] بِالذَّهَبِ، فَقَبِلَ الْأَفْرَاسَ، وَالْقَبَاءَ، وَأَعْطَىٰ الْقَبَاءَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بِهِ؟.

قَالَ: «**انْتَزِعِ الذَّهَبَ فَتُحَلِّيَهُ نِسَاءَكَ، أَوْ تَسْتَنْفِقَهُ**[٦]، **ثُمَّ تَبِيعَ الدِّيبَاجَ، فَتَأْخُذَ ثَمَنَهُ**».

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٩)، «الطبقات» (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٩٢)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٩٦)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٥١-٣٥٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٧٢).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٩)، «الطبقات» (١/ ٢٩٦).

(٤) قباء: أي عباءة.

(٥) مخوصًا: أي منسوجًا كخوص النخل، وهو ورقه.

(٦) تستنفقه: أي تنتفع به ببيعه.

وَأَقَامَ وَفْدُ الدَّارِيِّينَ فِي المَدِينَةِ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[١].

٣٩- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَهْرَاءَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٢].

قَدِمَ وَفْدُ بَهْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْبَلُوا يَقُودُونَ رَوَاحِلَهُمْ حَتَّىٰ أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَسْلَمُوا وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَأَقَامُوا أَيَّامًا، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ يُوَدِّعُونَهُ، فَأَمَرَ بِجَوَائِزِهِمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ[٣].

٤٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَنِي البَكَّاءِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٤].

قَدِمَ وَفْدٌ مِنْ بَنِي الْبَكَّاءِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْزِلٍ وَضِيَافَةٍ، وَأَجَازَهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ[٥].

٤١- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَنِي فَزَارَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٦].

قَدِمَ وَفْدُ بَنِي فَزَارَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَجَاءُوا مُقِرِّينَ بِالْإِسْلَامِ، وَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بِلَادِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهَا جَدْبَاءُ، فَاسْتَسْقَىٰ لَهُمْ ﷺ، فَأَمْطَرَتِ السَّماءُ مَطَرًا كَثِيرًا[٧].

٤٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ ثَعْلَبَةَ بنِ مُنْقِذٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٨].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٤).
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١)، «الطبقات» (١/ ٢٨٥).
(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٣١).
(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١)، «الطبقات» (١/ ٢٦٢).
(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٠٤).
(٦) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١)، «الطبقات» (١/ ٢٥٧).
(٧) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٩٧).
(٨) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١).

لَمْ يَذْكُرْ أَهْلُ السِّيَرِ وَالمَغَازِي خَبَرَ هَذَا الوَفْدِ.

٤٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ سَعْدِ هُذَيمٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(١)].

قَدِمَ وَفْدُ سَعْدِ هُذَيمٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَىٰ جَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ أَنْتُمْ؟**».

فَقَالُوا: مِنْ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ.

فَأَسْلَمُوا، وَبَايَعُوا، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْزِلٍ وَضِيَافَةٍ، فَأَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ يُوَدِّعُونَهُ، فَقَالَ: «**أَمِّرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ**».

وَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَجَازَهُمْ بِعَشرِ أَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَرَزَقَهُمُ اللهُ الْإِسْلَامَ[(٢)].

٤٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ مُرَّةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(٣)].

قَدِمَ وَفْدُ بَنِي مُرَّةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمُكَ وَعَشِيرَتُكَ، وَنَحْنُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بِلَادِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهَا جَدْبَاءُ، فَاسْتَسْقَىٰ لَهُمْ ﷺ.

وَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُجِيزَهُمْ، فَأَجَازَهُمْ بِعَشْرِ أَوَاقٍ فِضَّةٍ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ فَوَجَدُوهَا قَدْ مُطِرَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ[(٤)].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩١)، «الطبقات» (١/ ٢٨٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٩).

(٣) «الطبقات» (١/ ٢٥٧).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٩٧).

٤٥- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ كِلَابٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١].

قَدِمَ وَفْدُ بَنِي كِلَابٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِسَلَامِ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ سُفْيَانَ سَارَ فِينَا بِكِتَابِ اللهِ وَبِسُنَّتِكَ الَّتِي أَمَرْتَهُ، وَإِنَّهُ دَعَانَا إِلَىٰ اللهِ فَاسْتَجَبْنَا للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَإِنَّهُ أَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَرَدَّهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا[٢].

٤٦- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ تُجِيبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٣].

قَدِمَ وَفْدُ تُجِيبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَسَاقُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمْ، وَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِكُمْ**»، وَأَكْرَمَ مَنْزِلَهُمْ، وَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُحْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ وَجَوَائِزَهُمْ، وَأَعْطَاهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوَفْدَ، وَقَالَ: «**هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟**».

قَالُوا: غُلَامٌ خَلَّفْنَاهُ عَلَىٰ رِحَالِنَا، وَهُوَ أَحْدَثُنَا[٤] سِنًّا.

قَالَ: «**أَرْسِلُوهُ إِلَيْنَا**».

فَأَقْبَلَ الْغُلَامُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ بَنِي أَبْنَاءِ الرَّهْطِ الَّذِينَ أَتَوْكَ آنِفًا، فَقَضَيْتُ حَوَائِجَهُمْ فَاقْضِ حَاجَتِي، قَالَ: «**وَمَا حَاجَتُكَ؟**».

قَالَ: تَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَيَرْحَمَنِي، وَيَجْعَلَ غِنَايَ فِي قَلْبِي.

فَقَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَاجْعَلْ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ**».

---

(١) «الطبقات» (١/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٠٠).

(٣) «الطبقات» (١/ ٢٧٩).

(٤) أحدثنا: أي أصغرنا.

قَالَ قَومُهُ: فَمَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ أَقْنَعَ مِنْهُ بِمَا رَزَقَهُ اللهُ[١].

٤٧- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: آلَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نِسائِهِ شَهْرًا»[٢].

أَقْسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ نِسَائِهِ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَيْهِنَّ، فَاعْتَزَلَهُنَّ تِسْعًا وَعِشْرِينَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ[٣].

وَكانَ سَبَبُ غَضَبِهِ ﷺ مِنْهُنَّ أَنَّ عَائِشَةَ، وَحَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَفْشَتَا سِرًّا أَسَرَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِنَّ[٤]، وَلِأَنَّ نِسَاءَهُ ﷺ طَلَبْنَ مِنْهُ زِيَادَةَ النَّفَقَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ لَيسَ مَعَهُ[٥].

فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ**»، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ.

فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب:٢٨].

فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ**

---

(١) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٣).

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٤).

(٣) **انظر**: «صحيح البخاري» (٢٤٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٤٧٩)، عن عائشة، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) **انظر**: «صحيح البخاري» (٦٦٩١)، و«صحيح مسلم» (١٤٧٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) **انظر**: «صحيح مسلم» (١٤٧٨)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وانظر**: «فتح الباري» (٩/ ٢٩٠).

أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّىٰ تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ».

قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ.

قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ.

ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ[1].

٤٨- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: لَاعَنَ عُوَيْمِرٌ العَجْلَانِيُّ امْرَأَتَهُ»[2].

جَاءَ عُوَيْمِرٌ العَجْلَانِيُّ إِلَىٰ عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ الأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَاصِمُ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟ سَلْ لِي يَا عَاصِمُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَسَأَلَ عَاصِمٌ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ عَاصِمٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ، جَاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: يَا عَاصِمُ، مَاذَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟.

فَقَالَ عَاصِمٌ لِعُوَيْمِرٍ: لَمْ تَأْتِنِي بِخَيْرٍ، قَدْ كَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَسْأَلَةَ الَّتِي سَأَلْتُهُ عَنْهَا؛ لِأَجل أَنَّ فيهَا إِشَاعَةً للفَاحِشَةِ.

قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّىٰ أَسْأَلَهُ عَنْهَا.

فَأَقْبَلَ عُوَيْمِرٌ حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسْطَ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٦٨)، عن ابن عباس، ورواه مسلم (١٤٧٨)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٤).

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ [النور:٦-٨].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا**».

فَتَلَاعَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَغَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَمْسَكْتُهَا.

فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا، قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ تِلْكَ سُنَّةَ الْمُتَلَاعِنَيْنِ[(١)].

وَللاسْتِزَادَةِ مِنْ فِقْهِ اللِّعَانِ يمْكِنُكَ الرُّجوعُ إلىٰ كُتُبِ الفِقهِ.

٤٩- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خَالِدِ بنِ سعيدِ بنِ العَاصِ إِلى اليَمنِ»[(٢)].

وَجَّهَ رَسُولُ الله ﷺ عليَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَخَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ العاصِ إِلَىٰ اليَمَنِ، وقَالَ: «**إِذَا اجْتَمَعْتُمَا فَعَلِيٌّ الأَمِيرُ، وَإِذَا افْتَرَقْتُمَا فَكلُّ وَاحِدٍ مِنكُمَا أَمِيرٌ**».

فاجْتَمَعَا، وبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ مَعْدِ يَكْرِبَ، فَأَقْبَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قومِهِ، فَلمَّا دنَا مِنهم، قَالَ: دَعُونِي حَتَّىٰ آتِي هَؤُلَاءِ القَومَ، فَإِنِّي لمْ أُسَمَّ لأَحدٍ قَطْ إِلَّا هَابَنِي، فلمَّا دَنَا مِنْهمَا نَادَىٰ: أَنَا أَبُو ثَورٍ، أَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يَكْرِبَ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (١٤٩٢)، عن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

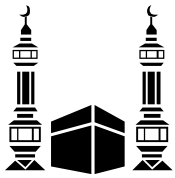
(٢) «أسد الغابة» (٤/ ١٣٢)، «الإصابة» (٥٩٦٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٧٤).

فَأَسْرَعَ إِلَيهِ عليٌّ وخَالدٌ، وكلُّ وَاحدٍ مِنهُمَا يَقُولُ لصَاحِبِهِ: خَلِّني وَإِيَّاهُ، ويَفْدِيهِ بِأَبِيهِ وأمِّهِ.

فَقَالَ عَمْرٌو لَمَّا سَمِعَ قَولهُمَا: العَربُ تَفْزعُ مِني، وَأُرَاني لهَؤلاءِ جَزَرًا[١]، فَانْصرَفَ عَنْهُمَا[٢].

(١) جزرا: كل شيء معدٌّ للذبح.

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ١٢٠٤)، و«أُسْد الغابة» (٣/ ٧٧١)، و«الإصابة» (٤/ ٥٦٩).



السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلهِجْرَةِ

السَّنةُ العَاشِرَةُ لِلهِجْرَةِ

وَفِيهَا ثَمَانِيَةٌ وَثَلَاثُونَ حَدَثًا:

١- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خَالِدِ بنِ الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بَنِي الحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بنَجْرَانَ»[١].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ثَلَاثًا، فَإِنِ اسْتَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلْهُمْ.

فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ أَصْحَابَهُ يَدْعُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا.

فَأَسْلَمَ النَّاسُ وَدَخَلُوا فِيمَا دُعُوا إِلَيْهِ، فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدٌ يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ وَكِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ كَمَا أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنْ هُمْ أَسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا، ثُمَّ كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كِتَابًا يُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكِتَابٍ أَنْ يُبَشِّرَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ، وَأَنْ يَأْتِيَهُ، وَمَعَهُ وَفْدُهُمْ[٢].

٢- «وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: جاءَ وَفدُ الحارثِ بنِ كَعبٍ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٥٤)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٤)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٠٥)، «الكامل» (٢/ ١٦٢)، «مغازي الذهبي» (٦٩٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٥٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٩٢-٥٩٣).

إلى رسولِ اللهِ ﷺ»[١].

لَمَّا جَاءَ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَالدَ بنَ الوَلِيدِ أَقْبَلَ خَالِدٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ؟!**».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْحَارِثِ بْنُ كَعْبٍ.

فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**».

ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ وَلَّىٰ وَفْدُهُمْ عَمْرَو بْنَ حَزْمٍ ؛ لِيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمَهُمُ السُّنَّةَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَهِدَ إِلَيْهِ فِيهِ عَهْدَهُ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرِهِ[٢].

٣- «وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قدمَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ فأسلمَ»[٣].

لَمَّا هَدَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْفُلْسَ صَنَمَ طَيِّءٍ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَهَرَبَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ حَتَّىٰ لَحِقَ بِالشَّامِ وَكَانَ عَلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ.

فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ جَاءَتْ أُخْتُ عَدِيٍّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَافِدُ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ.

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٩٣-٥٩٤).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٠)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٥)، «مغازي الذهبي» (٦٨٧).

قَالَ: «**مَنْ وَافِدُكِ؟**».

قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ.

فَقَالَ: «**الْفَارُّ مِنَ اللهِ، وَمِنْ رَسُولِهِ؟**».

فَلَمَّا قَدِمَ وَفْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ مِنَ الشَّامِ، وَأَرَادُوا الرُّجُوعَ أَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ أُخْتَ عَدِيٍّ كِسْوَةً، ونَفَقَةً، وَنَاقَةً، وَرَجَعَتْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ قَدِمَتِ الشَّامَ عَلَىٰ عَدِيٍّ، فَقالَتْ لَهُ: أَرَىٰ أَنْ تَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

ويَقُصُّ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ قِصَّةَ قُدُومِهِ عَلَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُ: لَمَّا بَلَغَنِي خُرُوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَرِهْتُ خُرُوجَهُ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ وَقَعْتُ نَاحِيَةَ الرُّومِ، حَتَّىٰ قَدِمْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ، فَكَرِهْتُ مَكَانِي ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ كَرَاهِيَتِي لِخُرُوجِهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَوْلَا أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَضُرَّنِي، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَلِمْتُ، فَقَدِمْتُ، فَأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ قَالَ النَّاسُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ.

فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: «**يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ**» ثَلَاثًا.

قُلْتُ: إِنِّي عَلَىٰ دِينٍ.

قَالَ: «**أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ**».

فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟.

قَالَ: «**نَعَمْ، أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ[2]، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ[3] قَوْمِكَ؟**».

---

(١) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢١).

(٢) **الركوسية**: هم قوم لهم دين بين دين النصارىٰ، والصابئين.

(٣) **مرباع**: أي ربع الغنيمة، كأن يأخذها قبل قسمتها علىٰ الجيش.

قُلْتُ: بَلَىٰ.

قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ».

فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا، فتَوَاضَعْتُ لَهَا.

فَقَالَ: «أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ، تَقُولُ: إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ، وَمَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ، وَقَدْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ، أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ؟».

قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا.

قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ[1] مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّىٰ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَىٰ بْنِ هُرْمُزَ».

قُلْتُ: كِسْرَىٰ بْنُ هُرْمُزَ؟.

قَالَ: «نَعَمْ، كِسْرَىٰ بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»[2].

وَأَسْلَمَ عَدِيٌّ، وَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ[3].

٤- «وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ خَوْلَانَ على رسولِ اللهِ ﷺ مُؤمِنينَ مصدِّقِينَ»[4].

قَدِمَ عَلَىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ خَوْلَانَ، وَهُمْ عَشَرَةُ نَفَرٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَمُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ عَلَىٰ مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ الْإِبِلَ، وَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَنَمِهِمْ، فَقَالُوا: أَبْدَلَنَا اللهُ بِهِ مَا جِئْتَ بِهِ، وَلَوْ قَدْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ هَدَمْنَاهُ.

---

(١) **الظعينة**: أي المرأة المسافرة.

(٢) **حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (١٨٢٦٠)، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٣) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢١).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٠)، «عيون الأثر» (٢/ ٣١٦)، «الكامل» (٢/ ١٦٦).

وَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَجَعَلَ يُخْبِرُهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ، وَأَنْزِلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَأَمَرَ بِضِيَافَتِهِمْ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ أَيَّامٍ يُوَدِّعُونَهُ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَلَمْ يَحِلُّوا عُقْدَةً حَتَّىٰ هَدَمُوا صَنَمَهُمْ، وَحَرَّمُوا مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَحَلُّوا مَا أَحَلَّ لَهُمْ[١].

٥- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ غَامِدٍ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

قَدِمَ وَفْدُ غَامِدٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ عَشَرَةٌ، فَنَزَلُوا بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثُمَّ لَبِسُوا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَأَقَرُّوا بِالْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا فِيهِ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ، وَأَتَوْا أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَعَلَّمَهُمْ قُرْآنًا، وَأَجَازَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا يُجِيزُ الْوَفْدَ، وَانْصَرَفُوا[٣].

٦- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: اعْتكفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِشرِينَ يَومًا، وعارضَهُ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقُرآنِ مَرَّتَينِ»[٤].

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا[٥].

وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِضُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٦)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٤٥).

(٤) «مسند أحمد» (٨٠٨١)، و«صحيح البخاري» (٢٠٤٤)، وابن ماجه (١٧٦٩).

(٥) صحيح: البخاري (٢٠٤٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَرَّةً، فَلَمَّا اقْتَرَبَ أَجَلُ النَّبِيِّ ﷺ عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ[(١)].

٧- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ غَسَّانَ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ»[(٢)].

قَدِمَ وَفْدُ غَسَّانَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأُنْزِلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَوَجَدُوا وُفُودَ الْعَرَبِ كُلَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ أَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا، وَصَدَّقُوا، وَشَهِدُوا أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَلَا يَعْلَمُوا هَلْ يَتَّبِعُهُم قَوْمُهُمْ أَمْ لَا؟، فَأَجَازَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِجَوَائِزَ، وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ.

فَقَدِمُوا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، فَكَتَمُوا إِسْلَامَهُمْ حَتَّىٰ مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ مُسْلِمَيْنِ، وَأَدْرَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَامَ الْيَرْمُوكِ، فَلَقِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَخَبَّرَهُ بِإِسْلَامِهِ، فَكَانَ يُكْرِمُهُ[(٣)].

٨- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عليِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلى اليَمنِ، فأَسْلَمتْ على يدِهِ هَمَدَانُ كُلُّهَا فِي يَومٍ وَاحِدٍ»[(٤)].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَقَامُوا سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرُدَّ خَالِدًا إِلَّا مَنْ أَحَبَّ أَنْ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٩٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٤٥٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٦)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٢١)، «الكامل» (٢/ ١٦٣).

(٣) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٣٨).

(٤) «الطبقات» (٢/ ١٥٤)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٧).

يَبقَىٰ مَعَ عَلِيٍّ فَلْيَبْقَىٰ مَعَهُ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيهِ، فَصَلَّىٰ عَلِيٌّ بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ صَفَّهُمْ صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ عَلِيٌّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَىٰ هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَىٰ هَمْدَانَ**»(١).

٩- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ مُسلمًا، فبَعثَه رسولُ اللهِ ﷺ إِلى ذِي الخَلَصَةِ فهدَمَهَا»(٢).

لَمَّا قَدِمَ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ مُسلمًا، بَسَطَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ رِدَاءَهُ، وَقَالَ: «**إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**»(٣).

فَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ(٤).

ثُمَّ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ ذِي الْخَلَصَةِ، وَكَانَتْ بَيْتًا تُعَظِّمُهُ دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ عَلَىٰ الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: «**اللهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»، فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَهَدَمَهُ(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٩٦)، و«الكبرىٰ» (٣٩٣٢)، و«المعرفة» (٤٧٤٤)، وصححه ابن القيم في «الزاد» (٣/ ٥٤٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٩)، «الكامل» (٢/ ١٧٣)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٥).

(٣) **انظر**: «البداية والنهاية» (١١/ ٢٤٤).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦)، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **انظر**: «البداية والنهاية» (١١/ ٢٤٤).

١٠- «وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ إلى اليَمنِ المَرةَ الثَّانِيةَ»[١].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا إِلَىٰ الْيَمَنِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَقَالَ لَهُ: «**امْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ فَإِذَا نَزَلْتَ بِسَاحَتِهِمْ، فَلَا تُقَاتِلْهُمْ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكَ**».

فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ خَيْلٍ دَخَلَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ، فَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ، فَأَتَوْا بِغَنَائِمَ شَتَّىٰ، ثُمَّ لَقِيَ جَمْعَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا وَرَمَوْا بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ بِأَصْحَابِهِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلًا، فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا، فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَجَابُوهُ، وَبَايَعَهُ نَفَرٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: هَذِهِ صَدَقَاتُنَا فَخُذْ مِنْهَا حَقَّ اللهِ.

وَأَقَامَ فِيهِمْ يُقْرِئُهُمُ القُرآنَ ويُعلِّمُهم الشَّرائعَ، وكتبَ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ كِتابًا يُخبِرُهُ الخبرَ، فَأَمَرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُوافِيَهُ المَوسِمَ، فانْصرَفَ عليٌّ رَاجِعًا[٢].

١١- «وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ سَلَامَانَ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ»[٣].

قَدِمَ وَفْدُ سَلَامَانَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ سَبْعَةٌ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَىٰ جَنَازَةٍ فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «**وَعَلَيْكُمْ، مَنْ أَنْتُمْ؟**».

---

(١) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٦٢).

(٢) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٦٩-١٧٠)، و«سبل الهدىٰ والرشاد» (٦/ ٢٣٩).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٦)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٢١)، «الكامل» (٢/ ١٦٣).

فَقَالُوا: نَحْنُ مِنْ سَلَامَانَ قَدِمْنَا لِنُبَايِعَكَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَنَحْنُ عَلَىٰ مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِغُلَامِهِ ثَوْبَانَ: «**أَنْزِلْ هَؤُلَاءِ الْوَفْدَ حَيْثُ يَنْزِلُ الْوَفْدُ**».

فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ جَلَسَ بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَبَيْتِهِ فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَعَنِ الرُّقَىٰ، وَأَسْلَمُوا، وَأَعْطَىٰ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا خَمْسَ أَوَاقٍ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ[١].

١٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ قُشَيرِ بنِ كَعبٍ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

وَفَدَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْ قُشَيْرٍ، فَأَسْلَمُوا، وَأَعْطَاهُمْ عَطَايَا، وَذَلِكَ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَبَعْدَ حُنَيْنٍ، وَفِيهِمْ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ فَجَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ صَدَقَةِ قَوْمِهِ[٣].

١٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الرَّهَاوِيِّينَ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ»[٤].

قَدِمَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الرَّهَاوِيِّينَ وَهُمْ حَيٌّ مِنْ مَذْحِجٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَزَلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَحَدَّثَ عِنْدَهُمْ طَوِيلًا، وَأَهْدُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ هَدَايَا مِنْهَا فَرَسٌ، وَأَسْلَمُوا وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَالْفَرَائِضَ وَأَجَازَهُمْ كَمَا يُجِيزُ الْوَفْدَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ قَدِمَ مِنْهُمْ نَفَرٌ، فَحَجُّوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٣٢).

(٢) «الطبقات» (١/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٠٣).

(٤) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٦٦).

المَدِينَةِ، وأقَامُوا حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ ﷺ[١].

١٤- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: حجَّ النبيُّ ﷺ حَجَةَ الوَدَاعِ»[٢].

مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَمَرَ المُنادِي أَنْ يُؤذِّنَ فِي النَّاسِ أَنَّهُ حَاجٌّ فِي هَذَا العَامِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجُوا مَعَهُ فِي الخامِسِ والعِشرِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، حَتَّىٰ أَتَوا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلَ بِهَا فَصَلَّىٰ الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَصَلَّىٰ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعَشَاءَ وَالصُّبْحَ وَالظُّهْرَ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ زَوْجَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟.

قَالَ: «**اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي[٣] بِثَوْبٍ، وَأَحْرِمِي[٤]**».

فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَىٰ الْبَيْدَاءِ، والنَّاسُ حَوْلَهُ إِلَىٰ مَدِّ البَصَرِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، مِنْ أَمَامِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.

فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ[٥]: «**لَبَّيْكَ[٦] اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي

---

(١) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٤٤).

(٢) «صحيح مسلم» (١٢٩٧)، «الطبقات» (٢/ ١٥٧)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٤)، الدرر (٢٧٥)، «الكامل» (٢/ ١٧٠)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٥).

(٣) **استثفري**: أي ضعي خرقة عريضة علىٰ محل الدم.

(٤) **وأحرمي**: أي بالنية، والتلبية.

(٥) **فأهلَّ بالتوحيد**: أي رفع صوته بالتوحيد.

(٦) **لبيك**: أي إجابة بعد إجابة.

يُهِلُّونَ بِهِ[١]، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ.

وَالنَّاسُ لَا يَنْوونَ إِلَّا الْحَجَّ، وَلا يَعْرِفونَ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا الْبَيْتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَرْبَعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الحَجَّةِ، فَاسْتَلَمَ ﷺ الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَقَبَّلَهُ، فَرَمَلَ[٢] ثَلَاثًا، وَمَشَىٰ أَرْبَعًا.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١].

ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ بَابِ الصَّفَا إِلَىٰ الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾ [البقرة:١٥٨]، وَقَالَ: «**أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ رَأَىٰ الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ودَعَا، ثُمَّ نَزَلَ إِلَىٰ الْمَرْوَةِ، حَتَّىٰ إِذَا انْحَدَرَتْ قَدَمَاهُ فِي الْمَسْعَىٰ سَعَىٰ، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَتْ قَدَمَاهُ عَنِ الْمَسْعَىٰ مَشَىٰ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَىٰ الصَّفَا، حَتَّىٰ

---

(١) **وأهل الناس بهذا الذي يهلون به:** أي أنهم يزيدون فيها من الذكر، وينقصون، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ.

(٢) **فرمل:** الرمل هو إسراع المشي مع تقارب الخُطا.

إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ[١] لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ[٢]، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً[٣]، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ[٤]، وَلْيَجْعَلْهَا[٥] عُمْرَةً».

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا[٦] أَمْ لِأَبَدٍ؟.

فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَىٰ، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ[٧]»[٨].

١٥- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن نَجرانَ إلى مكةَ؛ ليحجَّ مع النَّبيِّ ﷺ»[٩].

وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ[١٠] النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) **لو استقبلت من أمري ما استدبرت**: أي لو ظهر لي هذا الرأي الذي رأيته الآن لأمرتكم به في أول أمري، وابتداء خروجي.

(٢) **لم أسق الهدي**: أي لما جعلت علي هديا وأشعرته وقلدته وسقته بين يدي، فإنه إذا ساق الهدي لا يحل حتىٰ ينحر، ولا ينحر إلا يوم النحر، فلا يصح له فسخ الحج بعمرة، بخلاف من لم يسق إذ يجوز له فسخ الحج.

(٣) **وجعلتها عمرة**: أي جعلت إحرامي بالحج مصروفا إلىٰ العمرة كما أمرتكم به.

(٤) **فليحل**: أي فليخرج من إحرامه بعد فراغه من أفعال العمرة.

(٥) **وليجعلها**: أي الحجة.

(٦) **ألعامنا هذا؟**: أي الإتيان بالعمرة في أشهر الحج، أو مع الحج يختص هذه السنة؟.

(٧) **بل لأبد أبد**: أي تجوز العمرة في أشهر الحج إلىٰ يوم القيامة، والمقصود إبطال ما زعمه أهل الجاهلية من أن العمرة لا تجوز في أشهر الحج.

(٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٤٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (١٢١٨)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له.

(٩) «الكامل» (٢/ ١٦٩).

(١٠) **ببدن**: جمع بدنة، وهي الناقة. والمراد هنا: ما يتقرب بذبحه من الإبل

مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا.

قَالَ عَلِيٌّ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا[1] عَلَىٰ فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ: «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟**».

قَالَ: قُلْتُ: اللهُمَّ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ.

قَالَ: «**فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ، فَلَا تَحِلَّ**».

فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، وَالَّذِي أَتَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً.

فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا[2]، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَىٰ مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّىٰ بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ.

ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّىٰ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِخَيْمَةٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ[3]، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ[4]، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ[1] رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْخَيْمَةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ

---

(١) **محرشا**: التحريش الإغراء، والمراد هنا: أن يذكر له ما يقتضي عتابها.

(٢) **وقصروا**: إنما قصروا مع أن الحلق أفضل؛ لأن يبقىٰ لهم بقية من الشعر حتىٰ يحلق في الحج.

(٣) **بنمرة**: موضع بجنب عرفات، وليست من عرفات.

(٤) **ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام**: كانت قريش في الجاهلية تقف

بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّىٰ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ كَبَدِ السَّمَاءِ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَوُضِعَ لَهُ عَلَيْهَا الرَّحْلُ.

فَأَتَىٰ وَادِيَ عُرَنَةَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**[٢]، **وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا**[٣] **فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا: رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ**[٤]، **وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**[٥]، **وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ**[٦]، **فَإِنْ فَعَلْنَ**

بالمشعر الحرام، وهو جبل في المزدلفة، وقيل: إن المشعر الحرام كل المزدلفة، وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبي ﷺ يقف = = في المشعر الحرام علىٰ عادتهم ولا يتجاوزه، فتجاوزه النبي ﷺ إلىٰ عرفات؛ لأن الله تعالىٰ أمره بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٩٩]، أي سائر العرب غير قريش، وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة؛ لأنها من الحرم، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله، فلا نخرج منه.

(١) **فأجاز**: أي جاوز المزدلفة، ولم يقف بها بل توجه إلىٰ عرفات.

(٢) **موضوع**: أي لاغ، وباطل.

(٣) **مسترضعًا**: أي كان لابنه امرأة ترضعه.

(٤) **بأمان الله**: أي بعهد الله.

(٥) **بكلمة الله**: أي بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣].

(٦) **ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه**: أي أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلًا أجنبيًا، أو امرأة، أو أحد من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك.

ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[١]، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي[٢]، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟».

قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ[٣]، وَنَصَحْتَ.

فَرَفَعَ ﷺ إِصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَيُشِيرُ بِهَا إِلَىٰ النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّىٰ الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَتَىٰ عَرَفَةَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَىٰ الصَّخَرَاتِ[٤]، وَجَعَلَ مُجْتَمَعَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّىٰ غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ[٥].

١٦- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نزلتْ على النبيِّ ﷺ وهُو واقفٌ بعَرَفةَ يومَ الجُمُعةِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]»[٦].

---

(١) **فاضربوهن ضربًا غير مبرح**: أي اضربوهن ضربًا ليس بشديد، ولا شاق.

(٢) **تسألون عنه**: أي عن تبليغي.

(٣) **أديت**: أي الأمانة.

(٤) **الصخرات**: هن حجرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٤٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (١٢١٨)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له.

(٦) «صحيح البخاري» (٤٥)، «صحيح مسلم» (٣٠١٧)، «الطبقات» (٢/ ١٦٩).

وَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَاتٍ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمسِ نَزَلَ عَلَيهِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣](١).

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ ضَيَّقَ وَضَمَّ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّىٰ إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ(٢)، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ «**أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ**(٣)»، كُلَّمَا أَتَىٰ تَلًّا مِنَ الرِّمالِ أَرْخَىٰ لَهَا قَلِيلًا، حَتَّىٰ تَصْعَدَ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّىٰ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا مِنَ النَّوافِلِ.

ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّىٰ الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ أَضَاءَ الفَجْرُ جِدًّا.

فَمَضىٰ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، حَتَّىٰ أَتَىٰ بَطْنَ مُحَسِّرٍ(٤)، فَأَسْرَعَ فِيهِ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَىٰ الَّتِي تَخْرُجُ عَلَىٰ الْجَمْرَةِ الْكُبْرَىٰ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلَ حَصَىٰ الْخَذْفِ(٥)، رَمَىٰ مِنْ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٦٨)، ومسلم (٣٠١٧)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **مورك رحله**: أي الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل.

(٣) **السكينة السكينة**: أي الزموا السكينة.

(٤) **محسر**: موضع بين مزدلفة، ومنىٰ، سمي بذلك؛ لأن فيلَ أصحابِ الفيلِ حُسرَ فيه أي أعيا.

(٥) **الخذف**: أي صغيرة.

بَطْنِ الْوَادِي[١].

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ الْمَنْحَرِ[٢]، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَىٰ عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا بَقِيَ مِنَ المَائَةِ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ[٣]، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِقِطْعَةِ لَحْمٍ، فَجُعِلَتْ فِي إِنَاءٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فأَتَىٰ الكَعْبَةَ فَطَافَ طَوَافَ الإِفاضَةِ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَىٰ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَىٰ زَمْزَمَ، فَقَالَ: «**انْزِعُوا**[٤]، **بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**[٥]، **فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَىٰ سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**[٦]»، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ[٧].

ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَىٰ مِنًىٰ، فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ.

ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَىٰ مِنًىٰ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ، فَبَاتَ بِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ انْتَظَرَ زَوَالَ الشَّمْسِ، فَلَمَّا زَالَتْ مَشَىٰ مِنْ رَحْلِهِ إِلَىٰ الْجِمَارِ وَلَمْ يَرْكَبْ، فَبَدَأَ بِالْجَمْرَةِ الْأُولَىٰ الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ الْخَيْفِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ،

---

(١) **رمىٰ من بطن الوادي**: أي جمرة العقبة، ويستحب أن يجعل مكة عن يساره، ومنىٰ عن يمينه ويستقبل العقبة والجمرة، ويرميها بالحصيات السبع.

(٢) **المنحر**: أي موضع النحر.

(٣) **وأشركه في هديه**: أي أن أعطاه بعض الهدايا؛ لينحر عن نفسه.

(٤) **انزعوا**: أي الماء.

(٥) **بني عبد المطلب**: أي بني العباس.

(٦) **فلولا أن يغلبكم الناس علىٰ سقايتكم لنزعت معكم**: أي لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج، فيزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٤٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (١٢١٨)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له.

وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ، يَقُولُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ: «اللهُ أَكْبَرُ».

ثُمَّ تَقَدَّمَ عَلَىٰ الْجَمْرَةِ أَمَامَهَا، فَقَامَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا دُعَاءً طَوِيلًا بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ أَتَىٰ إِلَىٰ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَىٰ، فَرَمَاهَا كَذَلِكَ، ثُمَّ انْحَدَرَ ذَاتَ الْيَسَارِ مِمَّا يَلِي الْوَادِي، فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو قَرِيبًا مِنْ وُقُوفِهِ الْأَوَّلِ.

ثُمَّ أَتَىٰ الْجَمْرَةَ الثَّالِثَةَ وَهِيَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ، فَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ، وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ كَذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْمَلَ الرَّمْيَ رَجَعَ مِنْ فَوْرِهِ، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَهَا.

وَلَمْ يَتَعَجَّلْ ﷺ فِي يَوْمَيْنِ، بَلْ تَأَخَّرَ حَتَّىٰ أَكْمَلَ رَمْيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ، وَأَفَاضَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَىٰ الْمُحَصَّبِ، وَهُوَ الْأَبْطَحُ، وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ، فَوَجَدَ أبا رافع قَدْ ضَرَبَ لَهُ فِيهِ قُبَّةً هُنَاكَ، فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، وَرَقَدَ رَقْدَةً، ثُمَّ نَهَضَ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَطَافَ لِلْوَدَاعِ لَيْلًا سَحَرًا، وَلَمْ يَرْمُلْ فِي هَذَا الطَّوَافِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ ﷺ رَاجِعًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ[1].

١٧- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: مَاتَ سَعدُ بنُ خَوْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الأَسْرِ بِمَكَّةَ»[2].

وكانَ ممَّنْ شهد بَدرًا، فَتُوُفِّيَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ وَزَوْجَتُهُ حَامِلٌ[3]، وَرثىٰ لَهُ[4] النَّبِيُّ ﷺ، ورَقَّ وتوجَّعَ لَهُ، وحَزِنَ عَلَيهِ ﷺ؛ لكونِهِ مَاتَ

(١) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٢٦٣-٢٧٥).
(٢) «تاريخ الإسلام» للذهبي قسم المغازي (٤٠٢).
(٣) انظر: «صحيح مسلم» (١٤٨٤).
(٤) رثىٰ له: أي أشفق، وتوجع له.

بِمَكةَ، وكان يَكْرَهُ أنْ يَموتَ في الأرضِ التي هاجَر منها[١].

وعَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ يَعُودُهُ بِمَكَّةَ، فَبَكَىٰ، قَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ؟**».

فَقَالَ: قَدْ خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرْتُ مِنْهَا، كَمَا مَاتَ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا**»، ثَلَاثَ مِرَارٍ[٢].

وَمَعْنىٰ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**مَاتَ فِي الأَسْرِ**»: أي مَنعَهُ المَرَضُ منَ الرُّجوعِ إلىٰ المَدينةِ، فماتَ بِمكةَ[٣].

١٨- «وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: ادَّعى مُسَيلِمةُ الكذَّابُ النُّبُوَّةَ، فَرأَى رسولُ الله ﷺ رؤْيَا فيهِ وَفِي الأَسْودِ العَنْسِيِّ، فَتحَقَّقَتْ»[٤].

بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ نَائِمٌ أُتِيَ بِخَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي كَفَّيهِ سِوَارَانِ[٥] مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا وَعَظُمَا عَلَيهِ، وَكَرِهَهُمَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيهِ أَنْ يَنْفُخْهُمَا، فَنَفَخَهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوَّلَهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ[٦].

١٩- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الأزدِ بِقيادةِ صُرَدِ بنِ عبدِ اللهِ

---

(١) **انظر**: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (١١/ ٧٩-٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢٨).

(٣) **انظر**: «تهذيب اللغة»، للأزهري (١٣/ ٤٣).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٣)، «الكامل» (٢/ ١٦٧).

(٥) **سواران**: مثنىٰ سوار، وهو ما يوضع في معصم اليد من الحلي.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٧٤، ٤٣٧٩)، ومسلم (٢٢٧٤)، عن أبي هريرة، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الأَزديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسولِ اللهِ ﷺ»[١].

قَدِمَ وَفْدُ الأَزْدِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، بِقِيَادَةِ صُرَدِ بنِ عبدِ اللهِ الأَزديِّ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو، فَحَيَّاهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، وَأَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صُرَدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِهِمْ مَنْ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ.

فَخَرَجَ حَتَّىٰ نَزَلَ جُرَشَ وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ مُغَلَّقَةٌ، وَبِهَا قَبَائِلُ مِنَ الْيَمَنِ قَدْ تَحَصَّنُوا فِيهَا، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَحَاصَرَهُمْ شَهْرًا ثُمَّ تَنَحَّىٰ عَنْهُمْ إِلَىٰ الجَبَلِ، فَظُنُّوا أَنَّهُ قَدِ انْهَزَمَ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، فَهَزَمُوهُمْ.

وَكَانَ أَهْلُ جُرَشَ بَعَثُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَيْنِ، فَأَخْبَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمُلْتَقَاهُمْ وَانْتِصَارِ صُرَدٍ عَلَيْهِمْ، فَرَجَعَا إِلَىٰ قَوْمِهِمَا، فَقَصَّا عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ، فَخَرَجَ وَفْدُهُمْ حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِكُمْ أَحْسَنَ النَّاسِ وجُوهًا، وَأَصْدَقَهُ لِقَاءً، وَأَطْيَبَهُ كَلَامًا، وَأَعْظَمَهُ أَمَانَةً، أَنْتُمْ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكُمْ**»[٢].

٢٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ زُبَيدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»[٣].

قَدِمَ وَفْدُ زُبَيْدٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ عَشَرَةٌ، بِقِيَادَةِ عُمَرَ بْنِ مَعْدِ يكْرِبَ الزُّبَيْدِيِّ، فَأَسْلَمُوا، وَأَقَامُوا أَيَّامًا، ثُمَّ أَجَازَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٩٦)، «الكامل» (٢/ ١٦٣)، «مغازي الذهبي» (٦٨٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٧)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٩)، «الكامل» (٢/ ١٦٦).

بِجَوَائِزِهِمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ[١].

٢١- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ فَروةُ بنُ مُسَيكٍ المُرَاديُّ فَأسلمَ، فولَّاهُ رسولُ اللهِ ﷺ عَلى مُرادٍ، وزُبَيدٍ، ومُذْحِجٍ، وبعثَ معهُ خالدَ بنَ سعيدِ بنِ العاصِ على الصَّدَقَةِ»[٢].

قَدِمَ فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ الْمُرَادِيُّ وَافِدًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُفَارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدَةَ، وَمُتَابِعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَ عَلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَكَانَ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ، وَفَرَائِضَ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ، وَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ بَعِيرٍ نَجِيبٍ، وَأَعْطَاهُ حُلَّةً مِنْ نَسْجِ عُمَانَ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَىٰ مُرَادٍ وَزُبَيْدٍ وَمَذْحِجٍ وَبَعَثَ مَعَهُ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَىٰ الصَّدَقَاتِ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا فِيهِ فَرَائِضُ الصَّدَقَةِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٣].

٢٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عَبدِ القيسِ على رسولِ اللهِ ﷺ القَدْمَةَ الثَّانِيَةَ وَفِيهِمُ الجَارُودُ بنُ المُعَلَّى، وكانَ نَصرَانيًّا فأسْلمَ»[٤].

قَدِمَ وَفْدُ عَبدِ القَيسِ لِلمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَالِي أَرَىٰ أَلْوَانَكُمْ تَغَيَّرَتْ؟**»[٥].

---

(١) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٩)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٨)، «الكامل» (٢/ ١٦٤)، «مغازي الذهبي» (٦٨٩).

(٣) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٨١-٥٨٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٧).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٩)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٠)، «الكامل» (٢/ ١٦٦)، «مغازي الذهبي» (٦٨٢).

(٥) هذا فيه إشعار بأن النبي ﷺ كان رأىٰ وَفْد عبد القيس قبل ذلك، ثم جاء مرة أخرىٰ، فقال لهم النبي ﷺ ذلك.

وَكَانَ فِيهِمُ الْجَارُودُ بِشْرُ بْنُ الْمُعَلَّىٰ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَّمَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَدَعَاهُ إِلَيْهِ، وَرَغَّبَهُ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَىٰ دِينٍ، وَإِنِّي تَارِكٌ دِينِي لِدِينِكَ، أَفَتَضْمَنُ لِي دِينِي؟.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، أَنَا ضَامِنٌ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللهُ إِلَىٰ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ**».

فَأَسْلَمَ، وَأَسْلَمَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْحُمْلَانَ[(١)]، فَقَالَ: «**وَاللهِ مَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بِلَادِنَا ضَوَالَّ[(٢)] مِنْ ضَوَالِّ النَّاسِ، أَفَنَتَبَلَّغُ عَلَيْهَا إِلَىٰ بِلَادِنَا؟.

قَالَ: «**لَا، إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا، فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ**[(٣)]».

فَرَجَعَ الْجَارُودُ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ[(٤)].

٢٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيهِمْ مُسَيلِمَةُ الكَذَّابُ»[(٥)].

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدٌ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ.

---

(١) **الحملان**: أي ما يركبون عليه من دواب.

(٢) **ضوالّ**: جمع ضالّة، وهي الضائعة من كل ما يقتنىٰ من الحيوان.

(٣) **حرق النار**: أي لهبها، والمعنىٰ: أن ضالّة المؤمن إذا أخذها إنسان ليتملّكها أدّته إلىٰ النار.

(٤) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٧٥-٥٧٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٨٥-٨٦).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٩)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٢)، «الكامل» (٢/ ١٦٦)، «مغازي الذهبي» (٦٨٢).

فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ**(١)، **وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ**(٢) **لَيَعْقِرَنَّكَ**(٣) **اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ**(٤) **الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ**(٥)».

وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَسَيُجِيبُكَ عَنِّي(٦)، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ(٧).

ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيهَا ارْتَدَّ عَدُوُّ اللهِ مُسَيلِمَةُ، وَتَنَبَّأَ وَتَكَذَّبَ لَهُمْ، وَقَالَ: إِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي النُّبُوَّةِ مَعَهُ.

ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمُ الْأَسَاجِيعَ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً(٨) لِلْقُرْآنِ: «**لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ الْحُبْلَىٰ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَىٰ، مِنْ بَيْنَ صِفَاقٍ**(٩)، **وَحَشًىٰ**».

وَأَحَلَّ لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزِّنَا، وَوَضَعَ عَنْهُمُ الصَّلَاةَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَاجْتَمَعَتْ مَعَهُ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ(١٠).

---

(١) **لن تعدو أمر الله فيك**: أي لن تجاوز حكم الله الذي قضاه عليك، وهو خيبتك فيما أملته.

(٢) **أدبرت**: أي عن طاعتي.

(٣) **ليعقرنك**: أي ليقتلنك.

(٤) **لأراك**: أي لأظنك.

(٥) **ما رأيت**: أي في منامي.

(٦) **سيجيبك عني**: أي علىٰ سبيل التفصيل. وكان ثابت خطيب رسول الله ﷺ.

(٧) البخاري (٣٦٢٠، ٤٣٧٨)، ومسلم (٢٢٧٣)، عن ابن عباس

(٨) **مضاهاة**: أي مشابهة.

(٩) **صفاق**: أي ما رقَّ من البطن.

(١٠) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٧٦-٥٧٧).

٢٤- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قدِمَ الثَّقِيَّانِ: عَامِرُ بنُ الطُّفَيلِ، وأَرْبَدُ بنُ قَيسِ بنِ جَزْءٍ على النَّبيِّ ﷺ للغَدرِ بِه، فدَعَا عَلَيهِمَا، فَطُعِنَ أَحَدُهُمَا، وصُعِقَ الآخرُ»[١].

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ، فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَزْءٍ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلْمَىٰ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشَيَاطِينَهُمْ.

فَقَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَدُوُّ اللهِ، عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يُرِيدُ الْغَدْرَ بِهِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: يَا عَامِرُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلِمْ.

قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ آلَيْتُ[٢] أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّىٰ تَتْبَعَ الْعَرَبُ عَقِبِي، أَفَأَنَا أَتْبَعُ عَقِبَ هَذَا الْفَتَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ!.

ثُمَّ قَالَ لِأَرْبَدَ: إِذَا قَدِمْنَا عَلَىٰ الرَّجُلِ، فَإِنِّي سَأَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاقْتُلْهُ بِالسَّيْفِ.

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: يَا مُحَمَّدُ، خَالِنِي[٣].

قَالَ: «**لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَهُ**».

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي.

وَجَعَلَ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَنْتَظِرُ مِنْ أَرْبَدَ مَا كَانَ أَمَرَهُ بِهِ، فَجَعَلَ أَرْبَدُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦٩)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٢)، «الكامل» (٢/ ١٦٦).

(٢) آليت: أي حلفت.

(٣) خالني: أي تفرَّد لي خاليا حتىٰ أتحدث معك وحدك.

فَلَمَّا رَأَىٰ عَامِرٌ مَا يَصْنَعُ أَرْبَدُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي.

قَالَ: «**لَا، حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**».

فَلَمَّا أَبَىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا، وَرِجَالًا.

فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ**».

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ: وَيْلَكَ يَا أَرْبَدُ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ؟، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخْوَفَ عِنْدِي عَلَىٰ نَفْسِي مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا.

قَالَ: لَا أَبَا لَكَ! لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، وَاللهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ، حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ؟.

وَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، بَعَثَ اللهُ عَلَىٰ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ، فَقَتَلَهُ اللهُ.

فَلَمَّا قَدِمَ أَرْبَدُ إِلَىٰ قَوْمِهِ أَتَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَرْبَدُ؟.

قَالَ: لَا شَيْءَ وَاللهِ، لَقَدْ دَعَانَا إِلَىٰ عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ، فَأَرْمِيَهُ بِالنَّبْلِ حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ، فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ بِيَوْمٍ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ صَاعِقَةً، فَأَحْرَقَتْهُ[1].

٢٥- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ طَيِّئٍ على رسولِ اللهِ ﷺ، وَفِيهِمْ زَيدُ الخَيرِ فأَسْلَموا»[2].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦٧-٥٦٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٣)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٤)، «الكامل» (٢/ ١٦٧)، «مغازي

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ طيِّئ، وَفِيهِمْ زَيْدُ الْخَيْلِ، وَهُوَ سَيِّدُهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ كَلَّمُوهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمُوا، فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ؛ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلٍ، ثُمَّ جَاءَنِي، إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ، إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهِ**».

ثُمَّ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ الْخَيْرِ، وَقَطَعَ لَهُ أَرَضًا، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ.

فَرَجَعَ مَعَ قَوْمِهِ، فَمَاتَ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ بِالْحُمَّىٰ، فَعَمَدَتِ امْرَأَتُهُ إِلَىٰ كُلِّ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَتَبَ لَهُ بِهِ، فَحَرَّقَتْهُ[1].

٢٦- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَبَرُ بنُ يُحَنِّسَ عَلَى الأَبْنَاءِ بِاليَمنِ يدْعُوهُمْ إِلى الإِسلامِ، فأسلمَ فَيروزُ الدَّيْلَمِيُّ، ووهَبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وعطاءُ بنُ مَرْكَبُودٍ وغَيرُهُم»[2].

كَانَ وَبْرُ بْنُ يُحَنِّسَ مِنَ الْأَبْنَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْيَمَنِ، فقَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ الْأَبْنَاءِ بِالْيَمَنِ نَزَلَ عَلَىٰ بَنَاتِ النُّعْمَانِ بْنِ بُزُرْجَ فَأَسْلَمْنَ، وَبَعَثَ إِلَىٰ فَيْرُوزَ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ فَأَسْلَمَ، وَإِلَىٰ مَرْكَبُودٍ، فَأَسْلَمَ، وَكَانَ ابْنُهُ عَطَاءُ بْنُ مَرْكَبُودٍ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ بِصَنْعَاءَ[3].

فَـائِـدَةٌ:

الذهبي» (٦٨٦).

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٧٧-٥٧٨)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٩).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٥٣٣).

كُلُّ مَنْ وُلِدَ بِاليَمنِ مِنْ أَبناءِ الفُرسِ، وَليسَ بعربيٍّ يُسمُّونَهُمُ الأبْنَاءَ[١].

٢٧- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: أَسلَم (بَاذَانُ) مَلِكُ اليَمنِ، وبعثَ إِلى النَّبيِّ ﷺ بإسلامِهِ، فأقرَّهُ النَّبيُّ ﷺ على اليَمنِ»[٢].

كَانَ بَاذَانُ مِنَ الْأَبْنَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْيَمَنِ، فَأَسْلَمَ بِالْيَمَنِ، وَبَعَثَ بِإِسْلَامِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ كُلِّهَا بَعْدَ مَوْتِ كِسْرَىٰ، فَهُوَ أَوَّلُ أَمِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ عَلَىٰ الْيَمَنِ[٣].

٢٨- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ كِنْدَةَ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ، وَفِيهِمُ الأشعثُ بنُ قَيسٍ الكِنْدِيُّ فَأَسْلَمُوا»[٤].

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ كِنْدَةَ، وَهُمْ ثَمَانُونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ

فَدَخَلُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مَسْجِدَهُ قَدْ رَجَّلُوا[٥] جُمَمَهُمْ[٦]، وَاكْتَحَلُوا، وَعَلَيْهِمْ جُبَبُ الْحِبَرَةِ[٧] قَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ[٨]، وَعَلَيْهِمُ الدِّيبَاجُ ظَاهِرٌ مُخَوَّصٌ بِالذَّهَبِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تُسْلِمُوا؟**».

قَالُوا: بَلَىٰ.

قَالَ: «**فَمَا بَالُ هَذَا عَلَيْكُمْ؟**».

---

(١) **انظر**: «الأنساب»، للسمعاني، صـ(١٠٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٩)، «الكامل» (٢/ ١٧٣).

(٣) **انظر**: «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٥٣٣)، و«زاد المعاد» (١/ ١٢١).

(٤) «عيون الأثر» (٢/ ٣٠١)، «الكامل» (٢/ ١٦٦)، «مغازي الذهبي» (٦٨٩).

(٥) **رجلوا**: أي سرحوا، ومشطوا.

(٦) **جممهم**: الجمم: جمع جمة، وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلىٰ المنكبين.

(٧) **جبب الحبرة**: أي مخططة. وجبب: جمع جُبة.

(٨) **كففوها بالحرير**: أي جعلوا لها سجفا من الحرير.

فَأَلْقَوهُ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرُّجُوعَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ أَجَازَهُمْ بِعَشْرِ أَوَاقٍ، وَأَعْطَىٰ الْأَشْعَثَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً[١].

٢٩- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ مُحَارِبٍ على رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ مُحَارِبٍ وَهُمْ عَشَرَةُ نَفَرٍ، فَأَنْزِلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَكَانَ بِلَالٌ يَأْتِيهِمْ بِغَدَاءٍ وَعَشَاءٍ، فَأَسْلَمُوا، وَقَالُوا: نَحْنُ عَلَىٰ مَنْ وَرَاءَنَا، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَفَظَّ، وَلَا أَغْلَظَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ، وَأَجَازَهُمْ كَمَا يُجِيزُ الْوَفْدَ، وَانْصَرَفُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ[٣].

٣٠- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: نَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور:٥٨]، وكانُوا لا يَفْعَلُونَهُ قَبلَ ذلكَ»[٤].

كَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبُيُوتِهِمْ سُتُورٌ، فَرُبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ، أَوِ الْوَلَدُ، أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ، وَالرَّجُلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِالِاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ[٥].

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ اسْتِئْذَانِ الْأَقَارِبِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٨٥)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٨).

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٣١٨)، «الكامل» (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٩٩).

(٤) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٤).

(٥) حسن موقوف: رواه أبو داود (٥١٩٢)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني.

بَعْضٍ.

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يستأذنَهم خَدَمُهُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَطْفَالُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذْ ذَاكَ يَكُونُونَ نِيَامًا فِي فُرُشِهِمْ.

الثَّانِي: فِي وَقْتِ الْقَيْلُولَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَعَ أَهْلِهِ.

الثَّالِثُ: مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّوْمِ.

فيُؤمَرُ الخَدَمُ وَالْأَطْفَالُ أَلَّا يَهْجِمُوا عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لِمَا يُخْشَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ أَيْ: إِذَا دَخَلُوا فِي حَالٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي تَمْكِينِكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا عَلَيْهِمْ إِنْ رَأَوْا شَيْئًا فِي غَيْرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْهُجُومِ، وَلِأَنَّهُمْ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ فِي الْخِدْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ[1].

٣١- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: ماتَ إِبراهِيمُ ابنُ النبيِّ ﷺ وهوَ ابنُ سَنةٍ ونِصفٍ»[2].

تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٨١-٨٢).

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٣٥٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٥).

رَسُولُ اللهِ[(١)]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ[(٢)]، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ[(٣)] تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»[(٤)].

٣٢- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَسَفَتِ الشمسُ يومَ موتِ إبْراهيمَ، فَصَلَّى النبيُّ ﷺ صلاةَ الكُسوفِ»[(٥)].

كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ.

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَصَلَّىٰ بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ بِأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ، بَدَأَ فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَرَأَ، فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ، ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً دُونَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَىٰ، ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً دُونَ الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ أَيْضًا ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ لَيْسَ فِيهَا رَكْعَةٌ إِلَّا الَّتِي قَبْلَهَا أَطْوَلُ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا، وَرُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، ثُمَّ تَأَخَّرَ، وَتَأَخَّرَتِ الصُّفُوفُ خَلْفَهُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ النِّسَاءِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ مَعَهُ، حَتَّىٰ قَامَ فِي مَقَامِهِ.

فَانْصَرَفَ حِينَ انْصَرَفَ، وَقَدْ رَجَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ**

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٨٧)، وأحمد (٢٦٣٠٥)، وحسنه الألباني.

(٢) **مات في الثدي**: أي مات وهو في سن رضاع الثدي.

(٣) **لظئرين**: الظئر هي المرضعة ولد غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرضيع، فلفظة ظئر تقع علىٰ الأنثىٰ والذكر.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٥٥)، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٣١٦)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له.

(٥) «شذرات الذهب» (١/ ٢٥).

مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّىٰ تَنْجَلِيَ، مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا[١].

وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ[٢] يَجُرُّ قُصْبَهُ[٣] فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ.

وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ[٤]، حَتَّىٰ مَاتَتْ جُوعًا.

ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّىٰ قُمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا؛ لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ.

فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»[٥].

٣٣- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: أَسْلَمَ أميرٌ من أُمَراءِ الرُّومِ، وأرسلَ إلى النَّبيِّ ﷺ يُخبِرُهُ بإسلامِهِ، فَعلِمَ الرُّومُ، فأخذُوهُ وقتَلُوهُ، وهو فَروَةُ بنُ عَمرٍو الجُذَاميُّ»[٦].

بَعَثَ فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو الْجُذَامِيُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا بِإِسْلَامِهِ،

---

(١) لفحها: أي حرها، ووهجها.

(٢) المحجن: أي العصا المعوجة.

(٣) قصبه: أي أمعاءه.

(٤) خشاش الأرض: أي هوامها، وحشراتها.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٣، ١٠٦٠)، ومسلم (٩٠٤، ٩١٥)، عن المغيرة، وجابر رضي الله عنهما.

(٦) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٦٥).

وَأَهْدَىٰ لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَانَ فَرْوَةُ أَمِيرًا لِلرُّومِ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ.

فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومَ ذَلِكَ مِنْ إِسْلَامِهِ، طَلَبُوهُ حَتَّىٰ أَخَذُوهُ، فَحَبَسُوهُ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ، وَصَلَبُوهُ[1].

٣٤- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عَنْسٍ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ»[2].

وَفَدَ رَجُلٌ مِنْ عَنْسٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَاهُ وَهُوَ يَتَعَشَّىٰ، فَدَعَاهُ إِلَىٰ الْعَشَاءِ، فَجَلَسَ، فَلَمَّا تَعَشَّىٰ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَقَالَ: «**أَرَاغِبًا جِئْتَ أَمْ رَاهِبًا؟**».

فَقَالَ: أَمَّا الرَّغْبَةُ فَوَاللهِ مَا فِي يَدَيْكَ مَالٌ، وَأَمَّا الرَّهْبَةُ فَوَاللهِ إِنَّنِي لَبِبَلَدٍ مَا تَبْلُغُهُ جُيُوشُكَ، وَلَكِنِّي خُوِّفْتُ فَخِفْتُ، وَقِيلَ لِي: آمِنْ بِاللهِ فَآمَنْتُ.

فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْقَوْمِ فَقَالَ: «**رُبَّ خَطِيبٍ مِنْ عَنْسٍ**».

فَمَكَثَ يَخْتَلِفُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءَهُ يُوَدِّعُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اخْرُجْ**»، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً، وَقَالَ: «**إِنْ أَحْسَسْتَ شَيْئًا فَوَائِلْ إِلَىٰ أَدْنَىٰ قَرْيَةٍ**[3]».

فَخَرَجَ، فَوُعِكَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَوَأَلَ إِلَىٰ أَقْرَبِ قَرْيَةٍ، فَمَاتَ

---

(١) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٩٠-٥٩٢).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٦٦).

(٣) **فوائل إلىٰ أدنىٰ قرية**: أي الجأ إلىٰ أقرب قرية منك.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

٣٥- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الصَّدِفِ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

قَدِمَ وَفْدُ الصَّدِفِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ، فَجَلَسُوا وَلَمْ يُسَلِّمُوا، فَقَالَ: «**مُسْلِمُونَ أَنْتُمْ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «**فَهَلَّا سَلَّمْتُمْ**».

فَقَامُوا قِيَامًا، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ.

قَالَ: «**وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ اجْلِسُوا**».

فَجَلَسُوا، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِهَا[٣].

٣٦- «وَفِي هَذِه السَّنَةِ: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أَبَا مُوسى الأشعريَّ، ومُعاذَ بنَ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليَمنِ»[٤].

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا مُوسَىٰ الأَشْعَرِيَّ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ اليَمَنِ دَاعِيَيْنِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ إِقْلِيمٍ، وَكَانَتِ اليَمَنُ إِقْلِيمَيْنِ.

وَقَالَ لَهُمَا: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا[٥] وَلَا تَخْتَلِفَا**».

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٢٩).

(٤) «مغازي الذهبي» (٦٩٢)، «البداية» (٥/ ٩٦)، وراجع: «صحيح البخاري» (٤٣٤١).

(٥) تطاوعا: أي تحابا، وليطع كل منكما الآخر.

فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ زَارَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَىٰ، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَيُّ شَيءٍ هَذَا؟.

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ.

قَالَ مُعَاذٌ: لَا أَنْزِلُ(١) حَتَّىٰ يُقْتَلَ.

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ، فَانْزِلْ.

قَالَ مُعَاذٌ: مَا أَنْزِلُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ.

فَأَمَرَ أَبُو مُوسَىٰ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ مُعَاذٌ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟.

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا(٢)، فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟.

قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي(٣).

وَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِ اليَمَنِ طَوْعًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ(٤).

٣٧- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةٌ إلى رِعيةَ السُّحَيميِّ الَّذي رَقَّعَ

---

(١) **لا أنزل**: أي عن بغلتي.

(٢) **أتفوّقه تفوّقًا**: أي أقرؤه شيئًا بعد شيء في آناء الليل والنهار، يعني لا أقرؤه مرة واحدة بل أفرق قراءته علىٰ أوقات.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٤١، ٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣، ١٧٣٣)، عن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

(٤) **انظر**: «زاد المعاد» (١/ ١١٩).

بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ دَلْوَه»[1].

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ رِعْيَةَ السُّحَيْمِيِّ كِتَابًا فِي أَدِيمٍ أَحْمَرَ، فَأَخَذَ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَقَعَ بِهِ دَلْوَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَلَمْ يَدَعُوا لَهُ رَائِحَةً، وَلَا سَارِحَةً، وَلَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا إِلَّا أَخَذُوهُ، وَانْفَلَتَ عُرْيَانًا عَلَىٰ فَرَسٍ لَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ قِشْرَةٌ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ ابْنَتِهِ، وَهِيَ مُتَزَوِّجَةٌ فِي بَنِي هِلَالٍ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ أَهْلُهَا، وَكَانَ مَجْلِسُ الْقَوْمِ بِفِنَاءِ بَيْتِهَا، فَدَارَ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَيْهَا مِنْ وَرَاءِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ أَلْقَتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَقَالَتْ: مَا لَكَ؟

قَالَ: كُلُّ الشَّرِّ نَزَلَ بِأَبِيكِ مَا تُرِكَ لَهُ رَائِحَةٌ، وَلَا سَارِحَةٌ، وَلَا أَهْلٌ، وَلَا مَالٌ إِلَّا وَقَدْ أُخِذَ.

قَالَتْ: دُعِيتَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؟.

قَالَ: أَيْنَ بَعْلُكِ؟.

قَالَتْ: فِي الْإِبِلِ.

فَأَتَاهُ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟.

قَالَ: كُلُّ الشَّرِّ قَدْ نَزَلَ بِهِ مَا تُرِكَتْ لَهُ رَائِحَةٌ، وَلَا سَارِحَةٌ، وَلَا أَهْلٌ، وَلَا مَالٌ إِلَّا وَقَدْ أُخِذَ، وَأَنَا أُرِيدُ مُحَمَّدًا أُبَادِرُهُ قَبْلَ أَنْ يُقَسِّمَ أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: فَخُذْ رَاحِلَتِي بِرَحْلِهَا.

قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٤٦٥، ٢٢٤٦٦) ط. رسالة، وقال الحافظ في «الإصابة» (٣/ ٤٨٧): إسناده صالح، وانظر: «معجم الصحابة» لابن قانع (١/ ٢١٥).

فَخَرَجَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْسُطْ يَدَيْكَ فَلْأُبَايِعْكَ.

فَبَسَطَهَا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ عَلَيْهَا قَبَضَهَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَفَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ، قَالَ: «**مَنْ أَنْتَ؟**».

قَالَ: أَنَا رِعْيَةُ السُّحَيْمِيُّ.

فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَضُدَهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا رِعْيَةُ السُّحَيْمِيُّ الَّذِي كَتَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ كِتَابِي، فَرَقَعَ بِهِ دَلْوَهُ**».

فَأَخَذَ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلِي، وَمَالِي.

قَالَ: «**أَمَّا مَالُكَ فَقَدْ قُسِّمَ، وَأَمَّا أَهْلُكَ فَمَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ**».

فَخَرَجَ فَإِذَا ابْنُهُ قَدْ عَرَفَ الرَّاحِلَةَ وَهُوَ قَائِمٌ عِنْدَهَا، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا ابْنِي.

فَقَالَ: «**يَا بِلَالُ اخْرُجْ مَعَهُ، فَسَلْهُ أَبُوكَ هَذَا؟، فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، فَادْفَعْهُ إِلَيْهِ**».

فَخَرَجَ بِلَالٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبُوكَ هَذَا؟.

قَالَ: نَعَمْ.

فَرَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا اسْتَعْبَرَ إِلَىٰ صَاحِبِهِ.

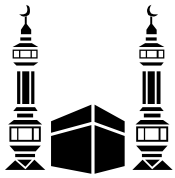
فَقَالَ: «**ذَاكَ جَفَاءُ الْأَعْرَابِ**»(١).

٣٨- «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بُجَيلَةَ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ»(١).

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٢٢٤٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

قَدِمَ وَفْدُ بُجَيلَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رَجُلًا، وَفيهِمْ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ عَلَىٰ وَجْهِهِ مَسْحَةُ مَلَكٍ**[٢]».



السَّنَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ

(١) «الطبقات» (١/ ٢٩٩).
(٢) مسحة ملك: أي أثر ذلك منه، ولا يقال هذا إلا في المدح.
(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٤٧).

السَّنَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلهِجْرَةِ

وَفِيها خَمْسَةَ عَشَرَ حَدثًا:

١- «في المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: ظَهرَ الأسودُ العَنْسيُّ الكَذَّابُ باليَمنِ، فادَّعَى النُّبُوَّةَ ودَانتْ لهُ نَجرانُ وصَنعَاءُ، وعَظُمَتْ فِتْنَتُهُ»(١).

ادَّعَىٰ الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ النُّبُوَّةَ، وَاجْتَمَع مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَكَتَبَ إِلَىٰ عُمَّالِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيهِ مَا أَخَذُوهُ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَىٰ نَجْرَانَ، فاسْتَولَىٰ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَصَدَ إِلَىٰ صَنْعَاءَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ شَهْرُ بْنُ بَاذَامَ فَتَقَاتَلَا، فَغَلَبَهُ الْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ، وَاحْتَلَّ بَلْدَةَ صَنْعَاءَ.

وَتَزَوَّجَ امْرَأَةَ شَهْرِ بْنِ بَاذَامَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ، وَكَانَتْ مُؤْمِنَةً بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَمِنَ الصَّالِحَاتِ.

وَلَحِقَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِأَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ، فَذَهَبَا إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، وَانْحَازَ عُمَّالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الطَّاهِرِ(٢)، وَرَجَعَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَوْثَقَتِ الْيَمَنُ بِكَمَالِهَا لِلْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَجَعَلَ أَمْرُهُ يَسْتَطِيرُ اسْتِطَارَةَ الشَّرَارَةِ، وَكَانَ جَيْشُهُ يَوْمَ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٤، ٢٤٧)، «البداية» (٧/ ٩٤، ٩٥).

(٢) **الطاهر**: هو ابن أبي هالة، أرسله النبي ﷺ إلىٰ اليمن مع أبي موسىٰ الأشعري، ومعاذ بن جبل، وعكاشة بن ثور، وخالد بن سعيد، فكانَ أميرًا علىٰ عَكٍّ وَالأَشْعَرِيِّينَ. وأمه خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابن أبي هالة أبوه كان زوجا لخديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [**انظر**: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٢٨)، و«إمتاع الأسماع» (١٤/ ٢٢٥)، و«الاستيعاب» (٢/ ٧٧٥)].

لَقِيَ شَهْرًا سَبْعَمِائَةِ فَارِسٍ، وَاشْتَدَّ مُلْكُهُ، وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُهُ، وَارْتَدَّ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَعَامَلَهُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ هُنَاكَ بِالتَّقِيَّةِ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابَهُ مَعَ وَبَرِ بْنِ يُحَنِّسَ الدَّيْلَمِيِّ حِينَ بَلَغَهُ خَبَرُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ يَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُنَاكَ بِمُقَاتَلَةِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَقَامَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِهَذَا الْكِتَابِ أَتَمَّ الْقِيَامِ، وَبَلَّغَ هَذَا الْكِتَابَ إِلَىٰ عُمَّالِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ[(١)].

٢- «فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ النَّخَعِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ آخِرُ الْوُفُودِ قُدُومًا عَلَيْهِ ﷺ»[(٢)].

كَانَ آخِرُ مَنْ قَدِمَ مِنَ الْوُفُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ النَّخَعِ، وَقَدِمُوا مِنَ الْيَمَنِ لِلنِّصْفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَهُمْ مِائَتَا رَجُلٍ، فَنَزَلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مُقِرِّينَ بِالْإِسْلَامِ، وَقَدْ كَانُوا بَايَعُوا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ[(٣)].

٣- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَرِيَّةٍ لِغَزْوِ الشَّامِ، فَتَوَقَّفَ بِالْجُرْفِ لِمَرَضِ رسولِ اللهِ ﷺ»[(٤)].

أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَىٰ سَاحِلِ الرُّومِ بِالشَّامِ، فَخَرَجَ مَعَهُ خِيَارُ الصَّحَابَةِ، وَمَعَهُ عُمَرُ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي تَأْمِيرِ أُسَامَةَ، فَخَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ نَاسًا طَعَنُوا فِي تَأْمِيرِي**

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٤٢٩-٤٣١).

(٢) «الطبقات» (١/ ٢٩٨).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٤٦).

(٤) «الطبقات» (٢/ ١٧٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٢٤)، «البداية» (٧/ ٩٢).

أُسَامَةَ، كَمَا طَعَنُوا فِي تَأْمِيرِي أَبَاهُ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ[١] لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ صَالِحِيكُمْ، فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا».

وَمَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ: «أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ».

فَسَارَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حَتَّىٰ بَلَغَ الْجُرْفَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ: لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرِيضٌ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٢].

٤- «وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ فِي جَوفِ الليلِ، فَاستَغْفَرَ لأَهلِ البَقيعِ كالمُودِّعِ لَهُمْ»[٣].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَوْلَاهُ أَبِي مُوَيْهِبَةَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: «يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، فَانْطَلِقْ مَعِي».

فَانْطَلَقَ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ الْقُبُورِ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ، مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَىٰ».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَبِي مُوَيْهِبَةَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ، وَبَيْنَ

---

(١) لخليق: أي لجدير، ومستحق.

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٦٧).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٩) بسند حسن، وراجع: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٢٦) «البداية» (٥/ ٣٢٧).

لِقَاءِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ وَالْجَنَّةِ».

فَقَالَ أَبُو مُوَيْهِبَةَ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَالْجَنَّةَ».

ثُمَّ اسْتَغْفَرَ ﷺ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ(١).

٥- «وَفِي أواخِرِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بَدَأَ المَرَضُ بِرسولِ اللهِ ﷺ»(٢).

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ زِيَارَتِهِ لأَهْلِ البَقِيعِ أَحَسَّ بِوَجَعٍ حِينَ أَصْبَحَ، وَوَجَدَ عَائِشَةَ وَهِيَ تَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَا رَأْسَاهُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهُ».

ثُمَّ قَالَ: «مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْكِ، فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ»(٣)

٦- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: اشْتَدَّ وَجعُ رسولِ اللهِ ﷺ، وهُو في بيتِ مَيمُونةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فدَعَا نِسَاءَهُ رضي اللهُ عنهن، فاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ في بيتِ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَذِنَّ لهُ»(٤).

لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، كَانَ يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا،

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٥٩٩٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٢٤، ٢٢٦).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (١٤٦٥)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأحمد (١٥٩٩٧)، عن أبي مويهبة، وحسنه الألباني.

(٤) «صحيح البخاري» (٤٤٤٢)، «صحيح مسلم» (٤١٨)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٢٦) «البداية» (٥/ ٣٢٩).

أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَأَذِنَّ لَهُ.

فَخَرَجَ ﷺ إِلَىٰ بَيتِ عَائِشَةَ وَهُوَ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ(١).

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مرِضَ نَفَثَ(٢) عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَىٰ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، جَعَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَنْفِثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وتَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ(٣).

٧- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَبلَ أَنْ يَتوفَّى رسولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسٍ خطبَ فِي النَّاسِ، فبَينَ فَضْلَ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأَوْصَى بالأَنْصَارِ خَيرًا، وحَذَّرَ مِن اتِّخَاذِ القُبورِ مَسَاجِدَ»(٤).

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ عَائِشَةَ؛ لِيُمَرَّضَ فِيهِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ المَرَضُ جَعَلَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً(٥) لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ(٦) كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا(٧).

وَفِي يَومِ الأَرْبِعَاءِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ ﷺ، فَقَالَ:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٤٢، ٤٤٥٠)، ومسلم (٢٤٤٣)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) نفث: أي تفل بريق خفيف، أو بدونه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٣٩)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) «صحيح مسلم» (٥٣٢)، البيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٧٦).

(٥) خميصة: أي كساء مربعًا أسود له أعلام أي خطوط.

(٦) اغتم: أي شعر بشدة الحرارة.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«هَرِيقُوا[١] عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ[٢]؛ لَعَلِّي أَعْهَدُ[٣] إِلَىٰ إِلَى النَّاسِ».

فَأَجْلَسُوهُ فِي مِخْضَبٍ[٤] لِحَفْصَةَ زَوْجِهِ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَ نَصُبُّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ القِرَبِ، حَتَّىٰ طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ، «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ»[٥].

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ عَصَبَ عَلَىٰ رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ[٦]، فَصَلَّىٰ، وَصَعِدَ المِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي، وَعَيْبَتِي[٧]، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ[٨]، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ[٩]، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ[١٠].

أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ[١١].

---

(١) هريقوا: أي صبوا.

(٢) أوكيتهن: جمع وكاء، وهو رباط القربة.

(٣) أعهد: أي أوصي.

(٤) مخضب: أي طست.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٤٢، ٤٤٥٠)، ومسلم (٢٤٤٣، ٥٣٢)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦) حاشية برد: أي طرفه، والبرد: كساء مربع.

(٧) كرشي وعيبتي: أي بطانتي وخاصتي وموضع سري وأمانتي. والكرِش للحيوان بمنزلة بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة مستودع الثياب.

(٨) قضوا الذي عليهم: أي أدوا ما عاهدوا عليه من النصرة، وغيرها.

(٩) بقي الذي لهم: أي دخول الجنة.

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (٢٥١٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢)، عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا[١] مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ».

فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لَهُ، وَقَالُوا: انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا.

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَهُمْ بِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ[٢] فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ[٣]، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ[٤] إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»[٥].**

ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَ عَائِشَةَ، وَصَلَّىٰ بِالنَّاسِ يَومَ الخَمِيسِ الفَجْرَ، والظُّهرَ، والعَصْرَ، والمَغْرِبَ.

٨- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ

---

(١) **زهرة الدنيا**: أي نعيمها.

(٢) **أمن الناس علي**: أي أكثرهم جودا.

(٣) **خلة الإسلام**: أي ليس بيني وبينه خلة، ولكن أخوة الإسلام ومودته، نفىٰ الخلة المنبِئَة المنبِئَة عن الحاجة وأثبت الإخاء المقتضي للمساواة.

(٤) **خوخة**: أي موضع مرور، وكان الصحابة قد فتحوا أبوابًا في ديارهم إلىٰ المسجد، فأمر فأمر رسول الله ﷺ بسدها كلها.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

أَنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ»[١].

اشْتَدَّ مَرَضُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ للصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**».

فَقَالُوا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ.

قَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ**».

فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَقُومَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**».

فَقَالُوا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ**».

فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَقُومَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**».

قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ**».

فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَقُومَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**».

فَقَالُوا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ؛ لِصَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا -: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٦٤)، «صحيح مسلم» (٥٣٢، ٤١٨).

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ.

فَصَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ[١].

٩- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقُبَيلَ وَفَاتِهِ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ جَالِسًا، وصَلَّى النَّاسُ خَلْفَهُ قِيَامًا»[٢].

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، وَنَشَاطًا فِي يَومِ السَّبْتِ أَوِ الأَحَدِ، فَخَرَجَ بَيْنَ العَبَّاسِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، وَقَالَ: «**أَجْلِسَانِي إِلَىٰ جَنْبِهِ**»، فَأَجْلَسَاهُ إِلَىٰ جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ[٣].

١٠- «وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَبْلَ وفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِيومٍ وَاحِدٍ قُتِلَ الأَسودُ العَنسيُّ الكَذَّابُ، قَتَلَهُ فَيرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ، فَأَخبرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُ»[٤].

لَمَّا عَظُمَتْ فِتْنَةُ الأَسوَدِ العَنْسِيِّ اتَّفَقَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ قَتلِهِ، فَذَهَبَ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ إِلَىٰ امْرأَةِ الأَسْوَدِ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدَّارِ بَيْتٌ إِلَّا وَالْحَرَسُ مُحِيطُونَ بِهِ، غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ، فَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَانْقُبُوا عَلَيْهِ مِنْ دُونِ الْحَرَسِ، وَإِنِّي سَأَضَعُ فِي الْبَيْتِ سِرَاجًا، وَسِلَاحًا.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا تَلَقَّاهُ الْأَسْوَدُ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَىٰ أَهْلِي؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٥٢)، البخاري (٦٨٣، ٦٨٧)، مسلم (٤١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) «البداية» (٧/ ٩٤: ٩٩).

وَوَجَأَ رَأْسَهُ، وَكَانَ الْأَسْوَدُ شَدِيدًا، فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَدْهَشَتْهُ عَنْهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلَهُ، وَقَالَتِ: ابْنُ عَمِّي جَاءَنِي زَائِرًا.

فَقَالَ: اسْكُتِي لَا أَبَا لَكِ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكِ.

فَخَرَجَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَحَارُوا مَاذَا يَصْنَعُونَ؟، فَبَعَثَتِ الْمَرْأَةُ إِلَيْهِمْ تَقُولُ لَهُمْ: لَا تَنْثَنُوا عَمَّا كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَقَبُوا ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَدَخَلُوا فَوَجَدُوا فِيهِ سِرَاجًا، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ وَالْأَسْوَدُ نَائِمٌ عَلَىٰ فِرَاشٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَهُوَ سَكْرَانُ يَغُطُّ، وَالْمَرْأَةُ جَالِسَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ فَيْرُوزُ بِرَأْسِهِ، فَدَقَّ عُنُقَهُ، وَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ فِي ظَهْرِهِ حَتَّىٰ قَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ؛ لِيُخْبِرَهُمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ، فَخَارَ كَأَشَدِّ خُوَارِ ثَوْرٍ سُمِعَ قَطُّ، فَابْتَدَرَهُ الْحَرَسُ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟! مَا هَذَا؟!.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: النَّبِيُّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ.

فَرَجَعُوا، وَتَشَاوَرُوا كَيْفَ يُعْلِمُونَ أَشْيَاعَهُمْ، فَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الصَّبَاحُ يُنَادُونَ بِشِعَارِهِمُ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ قَامَ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ سُورِ الْحِصْنِ فَنَادَىٰ بِشِعَارِهِمْ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرُونَ حَوْلَ الْحِصْنِ، فَنَادَىٰ قَيْسٌ بِالْأَذَانِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ عَبْهَلَةَ[1] كَذَّابٌ.

وَأَلْقَىٰ إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ يَأْخُذُونَهُمْ وَيَرْصُدُونَهُمْ فِي كُلِّ طَرِيقٍ يَأْسِرُونَهُمْ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ، وَتَرَاجَعَ نُوَّابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

---

(١) عبهلة: اسم الأسود العنسي.

ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَىٰ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَتَبُوا بِالْخَبَرِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَىٰ الْخَبَرِ مِنْ لَيْلَتِهِ.

وَأَتَىٰ الْخَبَرُ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ السَّمَاءِ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْعَنْسِيُّ، فَقَالَ: «**قُتِلَ الْعَنْسِيُّ الْبَارِحَةَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مُبَارَكِينَ**».

قِيلَ: وَمَنْ؟.

قَالَ: «**فَيْرُوزُ، فَازَ فَيْرُوزُ**»(١).

١١- «وَفِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ ﷺ، بَعدَ أَنْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي، وَنَفْسِي وَرُوحِي»(٢).

بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ، كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ(٣)، ثُمَّ تَبَسَّمَ ﷺ يَضْحَكُ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ؛ لِيَقِفَ فِي الصَّفِّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ صَلَاتِهِمْ، فَرَحًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ**»، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ، وَأَرْخَىٰ السِّتْرَ(٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ**(٥)

---

(١) **انظر**: «البداية والنهاية» (٩/ ٤٣٣-٤٣٦).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٣٢)، «البداية» (٥/ ٣٦٣) ط. ابن رجب.

(٣) **كأن وجهه ورقة مصحف**: عبارة عن الجمال البارع، وحسن البشرة، وصفاء الوجه، واستنارته.

(٤) **متفق عليه**: البخاري (٤٤٤٨)، ومسلم (٤١٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **الطعام**: أي الشاة المسمومة.

الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ[١] انْقِطَاعَ أَبْهَرِي[٢] مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ»[٣].

وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَقَالَتْ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ[٤].

فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَىٰ أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»[٥]، وَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْوهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ»[٦].

وَأَوصَىٰ المُسْلِمِينَ بِالمُحافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلاةِ، فَقَالَ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ[٧]، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ[٨]»[٩].

ودَخَلَ عَلَيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ سِوَاكٌ، وَعَائِشَةُ مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقَالَتْ: آخُذُهُ لَكَ؟.

فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ».

فَتَنَاوَلَتْهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ، وَقَالَتْ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟.

---

(١) وجدت: أي شعرت.

(٢) أبهري: الأبهر عرق مرتبط بالقلب، إذا انقطع مات الإنسان، وقيل: عرق في الظهر.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٢٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) واكرب أباه: أي أندب ما يصيب أبي من هم، وغم، وثقل.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٤٤٣٣)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٧) الصلاة الصلاة: أي الزموها، واهتموا بشأنها، ولا تغفلوا عنها.

(٨) ما ملكت أيمانكم: أي من الأموال أي أدوا زكاتها ولا تسامحوا فيها، ويحتمل أن يكون يكون وصية بالعبيد والإماء، أي أدوا حقوقهم، وحسن ملكتهم.

(٩) صحيح: رواه ابن ماجه (١٦٢٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٠٥٧)، وأحمد (٢٦٤٨٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢١٧٨).

فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «**أَنْ نَعَمْ**».

فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ[١]، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ ﷺ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»، وَرَأْسُهُ ﷺ عَلَىٰ فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ[٢] بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ، وَرَفَعَ يَدَهُ، وَقَالَ: «﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، **اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ، اللهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ**[٣]»، فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُبِضَ ﷺ، وَرَأْسُهُ بَيْنَ حَنَكِ عَائِشَةَ، وَصَدْرِهَا[٤].

وَصَدْرِهَا[٤].

فَلَمَّا مَاتَ ﷺ قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَىٰ جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ[٥].

ولَمَّا عَلِمَ النَّاسُ بِمَوتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ.

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ[٦] حَتَّىٰ نَزَلَ،

---

(١) **فأمره**: أي أمره علىٰ أسنانه، فاستاك به.

(٢) **شخص**: أي ارتفع.

(٣) **في الرفيق الأعلىٰ**: أي ألحقني وأدخلني في جملة الرفقاء الذين خصصتهم بالمكانة الرفيعة في أعلىٰ الجنان، وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩].

(٤) البخاري (٤٤٣٧، ٤٤٣٨، ٤٤٤٠، ٤٤٤٥، ٤٤٤٩)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ننعاه: من نعي الميت إذا أذاع موته، موته، وأخبر به.

(٦) **السنح**: موضع في أطراف المدينة.

فَدَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ مُسَجًّىٰ بِبُرْدِ حِبَرَةٍ(١)، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَىٰ، فَقَالَ: «**بِأَبِي أَنْتَ(٢) يَا نَبِيَّ اللهِ، لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ(٣)، أَمَّا المَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا**».

ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ(٤) عَلَىٰ رِسْلِكَ(٥)، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر:٣٠].

وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤].

فَبَكَىٰ النَّاسُ بُكَاءً شَدِيدًا(٦).

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ(٧)، حَتَّىٰ مَا تُقِلُّنِي(٨) رِجْلَايَ، وَحَتَّىٰ أَهْوَيْتُ إِلَىٰ الأَرْضِ حِينَ**

---

(١) **مسجىٰ ببرد حبرة**: أي مغطىٰ بثوب يماني مخطط.

(٢) **بأبي أنت**: أي مفدىٰ بأبي.

(٣) **موتتين**: أي لا تحيا بعد ذلك في الدنيا ثم تموت، قاله ردًا علىٰ من قال: إنه لم يمت وسيبعث، ويقطع أيدي رجال وأرجلهم.

(٤) **أيها الحالف**: أي أن رسول الله ﷺ ما مات.

(٥) **علىٰ رسلك**: أي لا تستعجل في الحلف.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٤١، ٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٧) **فعقرت**: أي انهارت قواي وسقطت.

(٨) **تقلني**: أي تحملني.

سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ»[١].

وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّىٰ تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا»[٢].

١٢- «وَفِي يَومِ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالخِلَافَةِ»[٣].

حِينَ تَوَفَّىٰ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ اجْتَمَعَ الأَنْصَارُ بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَلَمْ يَحْضُرْ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ، وَاجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ، لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الأَنْصَارُ، فَقَالَا: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؟.

فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ.

فَقَالَا: أَمْهِلُوا حَتَّىٰ تَقْضُوا أَمْرَكُمْ.

فَقُلْتُ: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ[٤] بَيْنَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ[٥]، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٥٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٥٤).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٣٤)، «البداية» (٣/ ٨٩).

(٤) مزمل: أي ملتف بثوب.

(٥) ظهرانيهم: أي وسطهم.

فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ.

فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟.

قَالُوا: يُوعَكُ.

فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ(١)، فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ وَكَتِيبَةُ(٢) الإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ رَهْطٌ(٣)، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ(٤) مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا(٥) مِنْ أَصْلِنَا، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ(٦).

فَلَمَّا سَكَتَ خَطِيبُهُمْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ(٧) مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ(٨)، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَىٰ رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ.

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ(٩) مِنِّي، وَأَوْقَرَ(١٠)، وَاللهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّىٰ

---

(١) خطيبهم: هو ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كتيبة: أي جيش مجتمع.

(٣) رهط: أي فأنتم قليل بالنسبة إلىٰ الأنصار.

(٤) وقد دفت دافة: أي سارت رفقة قليلة من مكة إلينا من الفقر.

(٥) يختزلونا: أي يقطعونا.

(٦) وأن يحضنونا من الأمر: أي يخرجونا من الإمارة، ويستأثروا بها علينا.

(٧) زورت: أي هيَّأتُ، وحسَّنتُ.

(٨) منه بعض الحدّ: أي ما يعتريه من الغضب ونحوه.

(٩) أحلم: الحلم هو الطمأنينة عند الغضب.

(١٠) أوقر: من الوقار وهو التأني في الأمور.

سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، فَنَحْنُ الأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ[١] إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ[٢] نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ[٣].

فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ[٤] جَالِسٌ بَيْنَنَا، بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ[٥] أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَىٰ قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ[٦] إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئًا لَا أَجِدُهُ الآنَ.

فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لَا وَاللهِ لَا نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا.

فَكَثُرَ اللَّغَطُ[٧]، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، حَتَّىٰ فَرِقْتُ[٨] مِنَ الِاخْتِلَافِ.

---

(١) **الأمر**: أي الخلافة.

(٢) **أوسط العرب**: أي أعدلها، وأفضلها.

(٣) **إن قيل**: كيف جاز لأبي بكر أن يقول ذلك وقد جعله ﷺ إمامًا في الصلاة وهي عمدة الإسلام؟

أجيب: بأنه قاله تواضعًا وأدبًا وعلمًا منه أن كلاً منهما لا يرىٰ نفسه أهلاً لذلك مع وجوده، وأنه لا يكون للمسلمين إلا إمام واحد.

(٤) **وهو**: أي أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) **من إثم**: أي ضربًا لا أعصي الله به.

(٦) **تسول**: أي تزين.

(٧) **اللغط**: أي الصوت.

(٨) **فرقت**: أي خفت.

الِاخْتِلَافِ.

فَقُلْتُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ.

وَنَزَوْنَا عَلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ[١]، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ[٢].

فَقُلْتُ: قَتَلَ اللهُ[٣] سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ.

قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَىٰ مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا القَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَىٰ مَا لَا نَرْضَىٰ، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ[٤].

١٣- «وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: دُفِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[٥].

لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالخِلَافَةِ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَىٰ جَهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَلَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: وَاللهِ مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟.

---

(١) **نزونا**: أي وثبنا.

(٢) **قتلتم سعد بن عبادة**: أي خذلتموه.

(٣) **قتل الله سعد بن عبادة**: أي إن الله تعالىٰ هو الذي قدر خذلانه، وعدم صيرورته خليفة. خليفة.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٣٠، ٣٦٦٨)، عن عائشة، وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

(٥) «البداية» (٥/ ٣٦٤)، «حدائق الأنوار» (٢/ ٧٥٨).

فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَىٰ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّىٰ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: «**أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ**»، فَقَامُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ(١).

وَقَدْ غَسَّلَهُ عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَشُقْرَانُ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْنَدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ صَدْرِهِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَالْفَضْلُ وَقُثَمُ يُقَلِّبُونَهُ مَعَهُ، وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشُقْرَانُ مَوْلَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَصُبَّانِ الْمَاءَ عَلَيْهِ، وَعَلِيٌّ يُغَسِّلُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا!(٢).

تَكْفِينُ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

لَمَّا فُرِغَ مِنْ غَسْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ(٣) بِيضٍ، سَحُولِيَّةٍ(٤) مِنْ كُرْسُفٍ(٥) لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ، وَلَا عِمَامَةٌ(٦).

دَفْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جَهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وُضِعَ فِي سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**»، فَأَخَّرُوا

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٤١)، وأحمد (٢٦٣٠٦)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني.

(٢) **انظر**: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٢).

(٣) **يمانية**: أي من صنع اليمن.

(٤) **سحولية**: أي بيض نسبة إلىٰ السحول، وهو ما تبيض به الثياب.

(٥) كرسف: أي قطن.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فِرَاشَهُ، وَحَفَرَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ تَحْتَ فِرَاشِهِ ﷺ[١].

ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ جَمَاعَاتٍ، دَخَلَ الرِّجَالُ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغُوا أُدْخِلَ النِّسَاءُ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ النِّسَاءُ أُدْخِلَ الصِّبْيَانُ، وَلَمْ يَؤُمَّ النَّاسَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدٌ[٢].

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ الليل مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ، وَقَدْ نَزَلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَقُثَمُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَشُقْرَانُ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٣].

فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «**يَا أَنَسُ أَطَابَتْ[٤] أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ؟**»[٥].

١٤- «وَبَعدَ وَفَاةِ رَسولِ اللهِ ﷺ بِستَّةِ أَشْهُرٍ: تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ آخِرُ أَبْنَائِهِ مَوتًا»[٦].

عَاشَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ، وَصَلَّىٰ عَلَيْهَا[٧].

١٥- «بُعِثَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ فِي مَكَّةَ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠١). وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٣).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» (١٦٢٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٣).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» (١٦٢٨)، و«مسند أحمد» (٢٤٧٩٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٣).

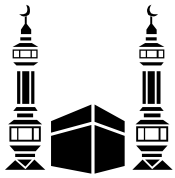
(٤) أطابت: أي كيف طابت، ورضيت مع حبكم الشديد له.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) «شذرات الذهب» (١/ ٢٧).

(٧) صحيح: رواه البخاري (٤٢٤٠)، ومسلم (١٧٥٩)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وبِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليهِ، وقدْ تَمَّ لَهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ صَلاةً دَائِمَةً مَا دَامتِ السَّمَاواتُ والأَرْضُ»[1].



غَزَوَاتُ الرَّسولِ ﷺ

(١) «صحيح البخاري»: (٦٣ كتاب مناقب الأنصار، ٤٥) باب هجرة النبي ﷺ، «البداية» (٥/ ٣٦٨).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٩٩).

غَزَوَاتُ الرَّسُولِ ﷺ

وهيَ سَبعٌ وعِشْرونَ غَزْوَةً:

١- غَزْوةُ الأبْواءِ في صَفَرٍ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[١].

٢- غَزْوةُ بُواطٍ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٢].

٣- غَزْوةُ سَفَوَانَ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٣].

٤- غَزْوةُ العُشَيرَةِ فِي جُمَادَىٰ الأُولَىٰ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٤].

٥- غَزْوةُ بَدرٍ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٥].

٦- غَزْوةُ الكُدْرِ مِنَ بَني سُلَيمٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٦].

٧- غَزْوةُ بَني قَيْنُقَاعَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٧].

٨- غَزْوةُ السَّوِيقِ في ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ[٨].

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٧)، «البداية» (٣/ ٢٨٠).

(٢) «الطبقات» (٢/ ٨)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٨)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤).

(٤) «الطبقات» (٢/ ٩)، «البداية» (٣/ ٢٨٣).

(٥) «الطبقات» (٢/ ١٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩: ٤٢)، «البداية» (٢/ ٢٩٠: ٣٦٠).

(٦) «الطبقات» (٢/ ٢٨)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٠)، «الكامل» (٢/ ٣٥)، «ابن هشام» (٣/ ١٣٥)، «البداية» (٣/ ٣٧٦).

(٧) «الطبقات» (٢/ ٢٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٨)، «الكامل» (٢/ ٣٣)، «البداية» (٤/ ٤).

(٨) «الطبقات» (٢/ ٢٧)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٠)، «الكامل» (٢/ ٣٦).

٩- غَزْوةُ ذِي أَمَرٍّ في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ[١].

١٠- غَزْوةُ الفُرُعِ مِنْ بُحْرَانَ في رَبِيعٍ الآخَرِ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ[٢].

١١- غَزْوةُ أُحُدٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ[٣].

١٢- غَزْوةُ حَمرَاءِ الأَسدِ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ[٤].

١٣- غَزْوةُ بَني النَّضيرِ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[٥].

١٤- غَزْوَةُ بَدرٍ الآخِرَةِ «**المَوْعِدُ**» في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[٦].

١٥- غَزْوَةُ دُومَةِ الجَنْدَلِ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الخَامِسَةِ للهِجْرةِ[٧].

للهِجْرةِ[٧].

١٦- غَزْوةُ بني المُصْطَلِقِ في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ الخَامِسَةِ للهِجْرةِ[٨].

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٣١)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٢)، «الكامل» (٢/ ٣٨)، «البداية» (٤/ ٣)، سبل الهدى (٤/ ١٧٦).

(٢) «الطبقات» (٢/ ٣٢)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٤)، «البداية» (٤/ ٣)، «سبل الهدى» (٤/ ١٧٨).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٣٣)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٨)، «الكامل» (٢/ ٤٤)، «البداية» (٤/ ١٠).

(٤) «الطبقات» (٢/ ٤٥)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٥)، «الكامل» (٢/ ٥٧)، «البداية» (٤/ ٥٠).

(٥) «الطبقات» (٢/ ٥٣)، «صحيح البخاري» (٤٨٨٤)، «صحيح مسلم» (١٧٤٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٣).

(٦) «الطبقات» (٢/ ٥٥)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٧)، «البداية» (٤/ ٩٩).

(٧) «الطبقات» (٢/ ٥٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٥٤)، «الكامل» (٢/ ٦٩)، «البداية» (٤/ ١٠٤).

(٨) «الطبقات» (٢/ ٥٩)، «مرويات غزوة بني المصطلق» للقريبي (٩٠: ١٠٠) وهذا ما

١٧- غَزْوةُ الأَحْزابِ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الخَامِسَةِ للهِجْرةِ[١].

١٨- غَزْوةُ بَني قُرَيظَةَ فِي ذِي القَعْدةِ مِنَ السَّنةِ الخَامِسَةِ للهِجْرةِ[٢].

١٩- غَزْوةُ بَني لحْيَانَ فِي جُمَادَىٰ الأُولَىٰ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٣].

٢٠- غَزْوةُ الحُدَيبِيَةِ فِي ذِي القَعْدَةِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(٤).

٢١- غَزْوةُ ذِي قَرَدٍ فِي المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٥].

٢٢- غَزْوةُ خَيبَرَ فِي المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٦].

٢٣- غَزْوةُ ذاتِ الرِّقَاعِ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٧].

٢٤- غَزْوةُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٨].

رجحه الذهبي في «تاريخ الإسلام قسم المغازي» (٣٤٩).

(١) «الطبقات» (٢/ ٦٢)، «الكامل» (٢/ ٦٩)، «البداية» (٤/ ١٠٤).

(٢) «الطبقات» (٢/ ٧٠)، «الكامل» (٢/ ٦٩)، «البداية» (٤/ ١٠٥).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٧٤)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٠٥)، «الكامل» (٢/ ٩٤)، «الذهبي» (٢٤٥)، «البداية» (٤/ ١٦٩)، «سبل الهدىٰ» (٥/ ٥٠).

(٤) «الطبقات» (٢/ ٩١)، «صحيح البخاري» (١٦٩٥، ٢٧٣٤، ٤١٧٩، ٤١٨١).

(٥) «الطبقات» (٢/ ٧٦) هذا ما جزم به البخاري في المغازي (٤١٩٤)، ورجحه ابن كثير في «البداية» (٤/ ١٧٤)، والحافظ في «الفتح» (٧/ ٥٢٦) خلافًا لابن إسحاق وابن سعد.

(٦) «الطبقات» (٢/ ١٠٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٣٩)، «الكامل» (٢/ ٩٩)، «البداية» (٤/ ١٨١)، «شذرات» (١/ ٢١).

(٧) «الطبقات» (٢/ ٥٧) وممن رجح ذلك البخاري في «صحيحه» (٧/ ٣٢٢) باب غزوة ذات الرقاع وابن حجر في الفتح وابن كثير في «البداية» (٤/ ٨٥) وابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٥).

(٨) «الطبقات» (٢/ ١٢٤)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٢)، «الكامل» (٢/ ١١٩)، «البداية»

٢٥- غَزْوةُ حُنَينٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[١].

٢٦- غَزْوةُ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٢].

٢٧- غَزْوةُ تَبُوكَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٣].

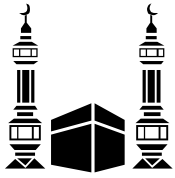


(٤/ ٣١٢).

(١) «الطبقات» (٢/ ١٣٨)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٦٥)، «مغازي الذهبي» (٥٧١)، «البداية» (٥/ ١).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١٤٥)، «الكامل» (٢/ ١٤٠)، «سبل الهدى» (٥/ ٥٥٧).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١٥٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨١)، «البداية» (٥/ ٣)، «شذرات» (١/ ٢٤).



سَرَايَا الرَّسُولِ ﷺ

سَرَايَا الرَّسُولِ ﷺ

وَهِيَ اثْنَتَانِ وسَبْعُونَ سَرِيَّةً:

١- سَرِيَّةُ حَمزَةَ بنِ عبدِ المُطلبِ إلىٰ سِيفِ البَحرِ فِي رَمَضَانَ من السَّنةِ الأُولَىٰ للهِجْرةِ(١).

٢- سَرِيَّةُ عُبيدةَ بنِ الحارثِ إلىٰ بَطنِ رَابِغٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الأُولَىٰ للهِجْرةِ(٢).

٣- سَرِيَّةُ سِعدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ إلىٰ الخَرَّارِ فِي ذِي القَعْدَةِ مِنَ السَّنةِ الأُولَىٰ للهِجْرةِ(٣).

٤- سَرِيَّةُ سَعدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ إِلىٰ حيٍّ مِن كِنَانةَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنةِ الثانيةِ للهِجْرةِ(٤).

٥- سَرِيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ جَحشٍ إِلىٰ نَخْلَةَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنةِ الثانيةِ للهِجْرةِ(٥).

٦- سَرِيَّةُ عُمَيرِ بنِ عَدِيٍّ لقتلِ عَصْماءَ بنتِ مَرْوانَ فِي رَمَضَانَ مِنَ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١١)، «الكامل» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٧٢).
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢)، «الكامل» (٢/ ١٠)، «البداية» (٣/ ٢٧٢).
(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١١)، «البداية» (٣/ ٢٧٢).
(٤) مسند أحمد: «مسند سعد بن أبي وقاص» (١٤٥٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٧).
(٥) «الطبقات» (٢/ ٩)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥)، «الكامل» (٢/ ١٢)، «البداية» (٣/ ٢٨٥).

السَّنةِ الثانيةِ للهِجْرةِ[١].

٧- سَرِيَّةُ سَالمِ بنِ عُميرٍ إلىٰ أَبي عَفَكٍ اليَهُودِيِّ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثانيةِ للهِجْرةِ[٢].

٨- سَرِيَّةُ محمدِ بنِ مَسْلمةَ لقَتلِ كَعبِ بنِ الأشرفِ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ[٣].

٩- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إلىٰ القِرَدَةِ في جُمَادَىٰ الآخِرَةِ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ[٤].

١٠- سَرِيَّةُ أبي سَلَمةَ إلىٰ طُلَيحَةَ الأَسَدِيِّ في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[٥].

١١- سَرِيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ أُنَيسٍ إلىٰ خَالدٍ الهُذَليِّ في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[٦].

١٢- سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ في صَفَرٍ مِنَ السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[٧].

١٣- سَرِيَّةُ بئرِ مَعُونَةَ في صَفَرٍ مِنَ السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[٨].

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٣٦)، «البداية» (٣/ ٣٤٧).

(٢) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٢)، «الكامل» (٢/ ٣٨)، «البداية» (٤/ ٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٥).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٤)، «الكامل» (٢/ ٤٠)، «البداية» (٤/ ٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢).

(٥) «البداية» (٤/ ٧٢)، «حدائق الأنوار» (١/ ٤٧).

(٦) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦١٩)، «مسند أحمد» (٣/ ٤٩٦)، «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٣)، «فقه السرايا» (١١٥).

(٧) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٧)، «البداية» (٤/ ٧٣).

(٨) «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٠)، «الكامل» (٢/ ٦٣)، «البداية» (٤/ ٨٠).

١٤- سَرِيَّةُ عَمرِو بنِ أبي أُميَّةَ لقتلِ أَبي سُفيانَ في السَّنةِ الرَّابعةِ للهِجْرَةِ[١].

١٥- سَرِيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ عَتِيكٍ لقَتل أبي رافعٍ سَلَّامِ بنِ أَبي الحُقَيقِ اليَهُودِيِّ في ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنةِ الخَامِسَةِ للهِجْرَةِ[٢].

١٦- سَرِيَّةُ مُحمَّدِ بنِ مَسلَمَةَ إِلىٰ القُرَطَاءِ في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٣].

١٧- سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ إِلىٰ الغَمْرِ في رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٤].

١٨- سَرِيَّةُ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ إِلىٰ ذِي القَصَّةِ في رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٥].

١٩- سَرِيَّةُ أَبي عُبَيدةَ إِلىٰ ذِي القَصَّةِ في رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٦].

٢٠- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إِلىٰ بَني سُلَيمٍ بالجَمُومِ رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٧].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٩)، «الكامل» (٢/ ٦٠)، «البداية» (٤/ ٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٠٣٨، ٤٠٣٩)، «البداية» (٤/ ١٥٤)، «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (٤٦٥).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٧٤)، سبل الهدىٰ» (٦/ ١١٢).

(٤) «الطبقات» (٢/ ٨١)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٢)، «البداية» (٤/ ٢٠٠). (٤/ ٢٠٠).

(٥) «الطبقات» (٢/ ٨١)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٢)، «البداية» (٤/ ٢٠٠)، (٤/ ٢٠٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٢٧).

(٦) «الطبقات» (٢/ ٨٢)، الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٣)، «البداية» (٤/ ٢٠٠)، (٤/ ٢٠٠)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٠).

(٧) «الطبقات» (٢/ ٨٣)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «مغازي الذهبي» (٣٥٣)، «سبل الهدىٰ»

٢١- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إلىٰ العِيصِ فِي جُمَادَىٰ الأُولَىٰ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(١).

٢٢- سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارثةَ إِلىٰ الطَّرَفِ في جُمَادَىٰ الآخِرَةِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(٢).

٢٣- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إلىٰ حِسْمَىٰ في جُمَادَىٰ الآخِرَةِ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(٣).

٢٤- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إلىٰ وادِي القُرَىٰ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(٤).

٢٥- سَرِيَّةُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ إلىٰ دُومَةِ الجَنْدَلِ في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(٥).

٢٦- سَرِيَّةُ عَليِّ بنِ أبي طالبٍ إلىٰ فَدَكَ في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ(٦).

(٦/ ١٣٢)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧١).

(١) «الطبقات» (٢/ ٨٣)، «الكامل» (٢/ ٩٤)، «مغازي الذهبي» (٣٥٤، ٣٥٨)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٦)، «الكامل» (٢/ ٩٢)، «الذهبي» (٣٥٣)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٩)، «فقه السرايا» (١٣٧).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٧٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٠).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٦)، «الكامل» (٢/ ٩٣)، «الذهبي» (٣٥٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٢٨)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧٣).

(٥) «الطبقات» (٢/ ٨٥)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٦)، «الكامل» (٢/ ٩٣)، «الذهبي» (٣٥٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٩).

(٦) «الطبقات» (٢/ ٨٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٧)، «الكامل» (٢/ ٩٣)، «الذهبي»

٢٧- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إلىٰ أُمِّ قِرْفَةَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[١].

٢٨- سَرِيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ رَوَاحةَ إلىٰ أُسَيرِ بنِ زَارمٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٢].

٢٩- سَرِيَّةُ كُرْزِ بنِ جَابرٍ إلىٰ العُرَنِيينَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٣].

٣٠- سَرِيَّةُ الخَبَطِ فِي السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٤].

٣١- سَرِيَّةُ بَني عَبْسٍ فِي السَّنةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ[٥].

٣٢- سَرِيَّةُ أَبَانَ بنِ سَعيدٍ قِبَلَ نَجْدٍ فِي السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٦].

٣٣- سَرِيَّةُ غَالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إلىٰ بَني ثَعْلَبَةَ فِي صَفَرٍ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٧].

٣٤- سَرِيَّةُ أَبي بَكرٍ إلىٰ بَني فَزَارَةَ بِنجدٍ فِي شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ

---

(٣٥٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٥٤)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧٣).

(١) «الطبقات» (٢/ ٨٦)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٧)، «صحيح مسلم» (٢/ ٨٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٥٧)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧٤)، «فقه السرايا» (١٤١).

(٢) «الطبقات» (٢/ ٨٨)، «الذهبي» (٣٦١)، «سبل الهدىٰ» (٣/ ٢٠٧) (٦/ ١٧٦)، «فقه السرايا» (١٤١)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٤٧٦).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٨٩)، «صحيح البخاري» (٢/ ٨٣، ١٥٠١، ٣٠١٨، ٤١٩٣، ٦٨٠٢) «صحيح مسلم» (١٦٧١)، «الكامل» (٢/ ٩٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٨٦).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٤٨٣، ٢٩٨٣، ٤٣٦٠)، «صحيح مسلم» (٢٩٣٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٧٥)، «زاد المعاد» (٣/ ٣٢٥).

(٥) «الطبقات» (١/ ٢٥٦)، «أسد الغابة» (٤/ ٤٢٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٧٦).

(٦) «صحيح البخاري» كتاب المغازي باب غزوة خيبر، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٠٢).

(٧) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٢)، «الكامل» (٢/ ١٠٦).

للهِجْرةِ[١].

٣٥- سَرِيَّةُ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ إِلىٰ تُرْبَةَ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٢].

٣٦- سَرِيَّةُ بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ إِلىٰ بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكَ فِي شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٣].

٣٧- سَرِيَّةُ غَالِبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إِلىٰ بَنِي مُرَّةَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٤].

٣٨- سَرِيَّةُ بَشِيرِ بنِ سعدٍ إِلىٰ يَمَنٍ وَجَبَارٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٥].

٣٩- سَرِيَّةُ أبي العَوجَاءِ السُّلَمِيِّ إِلىٰ بَنِي سُلَيمٍ فِي ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنةِ السَّابِعَةِ للهِجْرةِ[٦].

٤٠- سَرِيَّةُ غَالِبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إِلىٰ بَنِي المُلَوَّحِ بالكَدِيدِ فِي صَفَرٍ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «البداية» (٤/ ٢١٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «البداية» (٤/ ٢٢٠)، «سبل الهدىٰ» الهدىٰ» (٦/ ١٣٢).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤١)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «زاد المعاد» (٣/ ١١٩)، وراجع: وراجع: «صحيح البخاري» (٦٨٧٢)، و«مسلم» (٩٦).

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٢)، «الكامل» (٢/ ١٠٦)، «زاد المعاد» (٣/ ٣٢١)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٤).

(٦)«البداية» (٤/ ٢٣٣).

مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[١].

٤١- سَرِيَّةُ غَالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إلىٰ فَدَكَ في صَفَرٍ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٢].

٤٢- سَرِيَّةُ شُجاعِ بنِ وَهبٍ الأَسدِيِّ إلىٰ بَني عَامرٍ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٣].

٤٣- سَرِيَّةُ كَعبِ بنِ عُمَيرٍ الغِفَارِيِّ إلىٰ ذَاتِ أَطْلاحٍ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٤].

٤٤- سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثةَ إلىٰ مَدينَ في السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٥].

٤٥- سَرِيَّةُ مؤتة فِي جُمَادَىٰ الأُولَىٰ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٦].

٤٦- سَرِيَّةُ ذاتِ السَّلاسلِ في جُمَادَىٰ الآخِرَةِ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٧].

٤٧- سَرِيَّةُ أبي قَتادةَ إلىٰ خَضِرَةَ في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١١٦)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٣)، «الكامل» (٢/ ١٠٨)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٣٧).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١١٧)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٠).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١١٨)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٥)، «الكامل» (٢/ ١٠٩)، «مغازي الذهبي» (٤٧٦)، «البداية» (٤/ ٢٦٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٢).

(٤) «الطبقات» (٢/ ١١٩)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٦)، «الكامل» (٢/ ١٠٩)، «مغازي الذهبي» (٤٧٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٣).

(٥) «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٥٣)، «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» (٥٤١).

(٦) «الطبقات» (٢/ ١١٩)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٩)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٦)، «صحيح مسلم» (١٧٥٣)، «مغازي الذهبي» (٤٧٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٤٤).

(٧) «الطبقات» (٢/ ١٢١)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٠٢)، «الكامل» (٢/ ١١٠)، «مغازي الذهبي» (٥١٣)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٦٧).

للهِجْرةِ[١].

٤٨- سَرِيَّةُ ابن أبي حَدْردٍ إلىٰ الغَابةِ في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٢].

٤٩- سَرِيَّةُ أبي قتادة إلىٰ إِضَمٍ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٣].

٥٠- سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ الوَليدِ لهَدْمِ العُزَّىٰ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٤].

٥١- سَرِيَّةُ عَمْرِو بنِ العَاصِ لهَدْمِ سِوَاعٍ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٥].

٥٢- سَرِيَّةُ سَعدِ بنِ زيدٍ الأَشْهَليِّ لهَدمِ مَناةَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٦].

٥٣- سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ الوليدِ إِلىٰ بَني جَذِيمَةَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٧].

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٢٣)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٠٦)، «الكامل» (٢/ ١١١)، «مغازي الذهبي» (٥١٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٨٥).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٨٧).

(٣) «الطبقات» (٢/ ١٢٣)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٠٧)، الكامل» (٢/ ١١١)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٠).

(٤) «الطبقات» (٢/ ١٨٥)، «الكامل» (٢/ ١٢٨)، «البداية» (٤/ ٣٥٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٦).

(٥) «الطبقات» (٢/ ١٣٥)، «الكامل» (٢/ ١٣٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٨).

(٦) «الطبقات» (٢/ ١٣٦)، «الكامل» (٢/ ١٣٤)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ١٩٩).

(٧) «الطبقات» (٢/ ١٣٦)، «مغازي الذهبي» (٥٦٧)، «البداية» (٤/ ٣٥٠)، «سبل الهدىٰ» الهدىٰ» (٦/ ٢٠٠).

٥٤- سَرِيَّةُ قَيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبَادَةَ إِلىٰ صُدَاءٍ في السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[١].

٥٥- سَرِيَّةُ أَوطاسٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرةِ[٢].

٥٦- سَرِيَّةُ الطُّفَيلِ بنِ عمرٍو الدَّوسِيِّ لهَدْمِ ذِي الكَفَّينِ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرَةِ[٣].

٥٧- سَرِيَّةُ عُيَينَةَ بنِ حِصنٍ إِلىٰ بَني تَمِيمٍ في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٤].

٥٨- سَرِيَّةُ قُطْبَةَ بنِ عَامرٍ إِلىٰ خَثْعَمٍ في صَفَرٍ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٥].

٥٩- سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ بنِ سُفيانَ إِلىٰ القُرَطَاءِ في رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٦].

٦٠- سَرِيَّةُ عَلْقَمةَ بنِ مُجَزِّزٍ إِلىٰ الأَحْباشِ بِجَدَّةَ في رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٧].

٦١- سَرِيَّةُ عَليِّ بنِ أَبي طَالبٍ لهَدْمِ الفُلْسِ في رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٨].

---

(١) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢١١).
(٢) «مغازي الذهبي» (٥٨٧)، «البداية» (٥/ ٢٢)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢٠٦).
(٣) «الطبقات» (٢/ ١٤٥)، «عيون الأثر» (٢/ ١٤٩)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٢١٠).
(٤) «الطبقات» (٢/ ١٤٧)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٣)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٤).
(٥) «الطبقات» (٢/ ١٤٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٧).
(٦) «الطبقات» (٢/ ١٤٨)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٦)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٢٩).
(٧) «الطبقات» (٢/ ١٤٩)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٣١).
(٨) «الطبقات» (٢/ ١٥٠)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٧)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٣٤).

٦٢- سَرِيَّةُ عُكَّاشةَ بنِ مِحْصَنٍ إلىٰ الجَنَابِ في رَبِيعٍ الآخرِ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[١].

٦٣- سَرِيَّةُ طَلَحَةَ بنِ عُبيدِ اللهِ لحُرْقِ بيتِ سُوَيلِمٍ اليَهُودِيِّ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٢].

٦٤- سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ الوَليدِ إلىٰ أُكَيدَرَ مَلِكِ دُومةَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٣].

٦٥- سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ الوَليدِ إلىٰ خَثْعَمٍ في السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٤].

٦٦- سَرِيَّةُ أبي سُفيانَ وَالمُغِيرةِ بنِ شُعْبَةَ لهَدْمِ اللَّاتِ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٥].

٦٧- سَرِيَّةُ خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العَاصِ إلىٰ اليمنِ في السَّنةِ التَّاسِعَةِ للهِجْرةِ[٦].

٦٨- سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ الوَليدِ إلىٰ بَني الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجرَانَ في رَبِيعٍ الآخرِ من السَّنةِ العَاشِرَةِ للْهِجْرَةِ[٧].

٦٩- سَرِيَّةٌ إلىٰ رِعْيَةَ السُّحَيْميِّ في السَّنةِ العَاشِرَةِ للْهِجْرَةِ[٨].

---

(١) «الطبقات» (٢/ ١٥٠)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٥٨)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٣٦).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٧)، «البداية» (٥/ ٤).
(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٥)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٧٢)، «البداية» (٥/ ١٧).
(٤) «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٧٦).
(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨١)، «عيون الأثر» (٢/ ٢٨١).
(٦) «أسد الغابة» (٤/ ١٣٢)، «الإصابة» (٥٩٦٥)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٧٤).
(٧) «الطبقات» (٢/ ١٥٤)، «تاريخ الطبري» (٢/ ١٩٤)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٠٥)، «مغازي الذهبي» (٦٩٠)، «البداية» (٥/ ١٠٠).
(٨) «مسند أحمد» (٢٢٤٦٥، ٢٢٤٦٦)، وقال الحافظ في «الإصابة» (٣/ ٤٨٧) إسناده

٧٠- سَرِيَّةُ عَلِيِّ بنِ أَبي طَالبٍ إِلىٰ اليَمَنِ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ العَاشِرَةِ للْهِجْرَةِ.

٧١- سَرِيَّةُ جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ البَجَلِيِّ لهَدْمِ ذِي الخَلَصَةِ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ العَاشِرَةِ للْهِجْرَةِ[١].

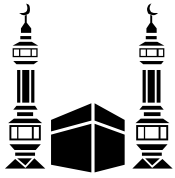
٧٢- سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ إِلىٰ البَلْقَاءِ بالشَّامِ فِي صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الحادِيةَ عَشرةَ للْهِجْرةِ[٢].



صالح. وانظر: «معجم الصحابة» لابن قانع (١/ ٢١٥).

(١) «صحيح البخاري» (٣٥٦)، «صحيح مسلم» (٢٤٧٦)، «الإصابة» (١١٣٢)، «سبل الهدىٰ» (٦/ ٣٧٢).

(٢) «الطبقات» (٢/ ١٧٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٤)، «البداية» (٧/ ٩٢).



أُمَـــراؤُهُ ﷺ

أُمَـراؤُهُ ﷺ

١- عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ مَكَّةَ وَالحَجِّ سَنَةَ ثَمَانٍ لِلْهِجرةِ.
٢- أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ الحَجِّ سَنَةَ تِسْعٍ لِلْهِجْرةِ.
٣- عَلِيُّ بنُ أَبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ الأَخْمَاسِ بِاليَمنِ.
٤- بَاذانُ بنُ سَاسَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ اليَمنِ.
٥- شَهْرُ بنُ بَاذانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ صَنْعَاءَ وأَعْمَالِهَا بعدَ موتِ أَبِيهِ.
٦- خالدُ بنُ سَعيدِ بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ صَنْعَاءَ، وَأَعْمالِهَا بعدَ مَقْتَلِ شَهْرٍ.
٧- زِيادُ بنُ لَبيدٍ الأَنْصارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ حَضْرَ مَوتَ.
٨- أَبُو مُوسىٰ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ زُبَيدٍ، وَعَدَنٍ، وزَمْعٍ، والسَّاحِلِ.
٩- معاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الجَنَدِ.
١٠- أَبو سفيانَ بنُ حَربٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ نَجْرانَ.
١١- يزيد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ تَيْمَاءَ[١].
١٢- المُهَاجِرُ بنُ أَبي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ كِنْدَةَ وَالصَّدِفِ.
١٣- عَمْرُو بنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عُمَانَ.
١٤- عَمْرُو بنُ أُمِّ مَكْتومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ المَدِينةِ إِذَا سَافَرَ.

---

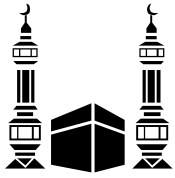
(١) «سبل الهدىٰ» (٣٣٦ - ٣٤٠).

١٥- العَلاءُ بنُ الحَضْرَمِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ البَحْرَينِ.

١٦- أبانُ بنُ سعيدٍ الأُمَويُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلىٰ البَحرينِ سنةَ تِسعةٍ للهِجْرةِ بعدَ عَزْلِ العَلاءِ[1].



(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣).



كُتَّابُ النَّبيِّ ﷺ

كُتَّابُ النَّبِيِّ ﷺ

وَهمْ ثَمَانِيَةٌ وثَلاثُونَ كَاتبًا[١]:

١- أَبَانُ بنُ سَعيدِ بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٢- أَبو بكرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٣- أَبُو سُفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرهُ ابنُ مَسْكَوَيهِ في كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ.

٤- أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو أولُ مَن كتبَ الوحيَ بينَ يَدَي رسولِ اللهِ ﷺ بالمَدِينةِ.

٥- الأرقمُ بنُ أَبي الأرقمِ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهوَ الذي كَتبَ كِتابًا لعبدِ يغوثَ بنِ وَعْلَةَ الحَارِثيِّ، وعَاصمِ بن الحَارثِ الحارثيِّ، والأَجَبِّ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لعَبْدِ يَغُوثَ بْنِ وَعْلَةَ الْحَارِثِيِّ «أَنَّ لَهُ مَا أَسْلَمَ عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِهَا وَأَشْيَائِهَا يَعْنِي نَخْلَهَا مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَىٰ الزَّكَاةَ، وَأَعْطَىٰ خُمُسَ الْمَغَانِمِ فِي الْغَزْوِ، وَلَا عُشْرَ[٢]، وَلَا حُشْرَ[٣]، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ»[٤].

وكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَاصِمِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَارِثِيِّ: «أَنَّ لَهُ نَجْمَةً مِنْ رَاكِسٍ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ»[٥].

---

(١) «سبل الهدىٰ» (١١/ ٣٧٥ - ٣٩٣)، «عيون الأثر» (٢/ ٣٨٢).

(٢) ولا عشر: أي لا يبخسون.

(٣) ولا حشر: أي لا يُجْلَونَ من أوطانهم.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

وكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَجَبِّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ أَنَّهُ أَعْطَاهُ فَالِسًا[1].

٦- بُرَيدَةُ بنُ الحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٧- ثابتُ بنُ قَيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهُوَ الَّذي كَتَبَ الكِتابَ لوفدِ ثُمَالةَ والحُدَّانِ.

٨- جُهَيمُ بنُ الصَّلتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهُوَ الَّذي كَتَبَ الكِتابَ لِيزيدَ بنِ الطُّفَيلِ الحَارثيِّ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَزِيدَ بْنِ الطُّفَيْلِ الْحَارِثِيِّ: «أَنَّ لَهُ الْمَضَّةَ كُلَّهَا لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَحَارَبَ الْمُشْرِكِينَ»[2].

٩- جَهْمُ بنُ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكانَ هُوَ والزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكتُبانِ أموالَ الصَّدقةِ، وهو الَّذي كَتبَ كتابًا لِمُجَّاعَةَ بنِ مُرَارَةَ.

١٠- حَنْظَلةُ بنُ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهُوَ أحدُ الَّذين كتَبوا لرسولِ اللهِ ﷺ، ويُعْرَفُ بالكَاتبِ.

١١- حُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ ابنُ مَسْكَوَيهِ في كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ.

١٢- الحُصَينُ بنُ نُمَيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانَ هُو وَالمُغِيرةُ بنُ شُعبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَكْتُبانِ المُدَايَناتِ[3]، والمُعَامَلاتِ.

١٣- حَاطبُ بنُ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ ابنُ مَسْكَوَيهِ في كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٣) المداينات: أي تقييد الديون.

١٤- حُذَيفةُ بنُ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانَ يَكْتُبُ خَرْصَ النَّخْلِ[١].

١٥- خالدُ بنُ زيدٍ أبُو أيوبَ الأَنصاريُّ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُو الَّذي كَتَبَ الكِتابَ إلى بَني عُذْرَةَ بنِ حِمْيرَ يدْعُوهُم إلى الإسْلامِ.

١٦- خَالدُ بنُ سعيدِ بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهوَ الذِي كتبَ لوفدِ ثقيفٍ يُحرِّمُ عَليهم وَجًّا، ولرَاشدِ بنِ عبدٍ السُّلَميِّ، ولحَرَامِ بنِ عبدِ عَوفٍ، ولسعيدِ بن سفيانَ.

سَأَلَ وَفْدُ ثَقِيفٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُحَرِّمَ لَهُمْ وَجًّا[٢]، فَكَتَبَ لَهُمْ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، رَسُولِ اللهِ، إِلَىٰ المُؤْمِنِينَ: إِنَّ عِضَاهَ[٣] وَجٍّ وَصَيْدَهُ لَا يُعْضَدُ[٤]، مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ، فَإِنْ تَعَدَّىٰ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ».

وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ: بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَلَا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ، فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٥].

١٧- خَالدُ بنُ الوَليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ ابنُ عبدِ البَرِّ، وابنُ الأثيرِ في كُتَّابِ النَّبيِّ ﷺ.

١٨- الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانَ هُو وجَهْمُ بنُ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكتُبان أموالَ الصَّدَقةِ.

---

(١) خرص النخل: أي تقدير الثمرة التي علىٰ رؤوس النخل.
(٢) يحرم لهم وجا: أي يجعلها عليهم حرامًا. ووجا: موضع بالطائف.
(٣) عضاه: أي شجر له شوك.
(٤) يعضد: أي يقطع.
(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٣)، و«الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٨٥).

١٩- زَيدُ بنُ ثابتٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كانَ مِن كُتَّابِ الوَحْيِ، وأمَرَه رَسولُ اللهِ ﷺ أنْ يتعلَّمَ لغةَ يَهودَ، فتعلَّمَها في خمسةَ عَشَرَ يَومًا.

٢٠- سعيدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ذَكَرَهُ ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُٱللَّهُ في كُتَّابِ النَّبيِّ ﷺ.

٢١- شُرَحْبيلُ بنُ حَسَنةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَهوَ أولُ مَن كتبَ لرسولِ اللهِ ﷺ

٢٢- طلحةُ بن عبيدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٢٣- عامرُ بنُ فُهَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَهُو الَّذي كَتَبَ الكِتابَ لِسُرَاقةَ بنِ مالكٍ أثناءَ الهِجرةِ.

٢٤- عبدُ اللهِ بنُ الأرقمِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كانَ يَكتبُ للملوكِ بأمرِ النبيِّ ﷺ.

٢٥- عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أُبيِّ ابنِ سَلُولٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ذَكَرهُ ابنُ عبدِ البرِّ فِيمَنْ كَتبَ للنبيِّ ﷺ.

٢٦- عبدُ اللهِ بنُ رواحَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٢٧- عبدُ اللهِ بنُ زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وهُو الَّذِي كَتَبَ الكِتابَ لمَن أسلمَ مِن حَدَسٍ مِن لَخْمٍ.

٢٨- عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بن أَبي سَرْحٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كانَ من كُتَّابِ الوَحي.

٢٩- عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الأسدِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٣٠- عثمانُ بن عفانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَهو الذِي كتبَ لنَهْشَلِ بنِ مالكٍ الوَائِلِيِّ.

قَدِمَ نَهْشَلُ بْنُ مَالِكٍ الْوَائِلِيُّ مِنْ بَاهِلَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَافِدًا

لِقَوْمِهِ، فَأَسْلَمَ، وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ كِتَابًا فِيهِ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَكَتَبَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

٣١- عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٣٢- عَمْرُو بنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَهُ في عُيونِ الأَثَرِ.

٣٣- عَلِيُّ بنُ أَبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو الذي كتبَ لنُعَيمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ، وللحُصينِ بنِ أوسٍ الأَسْلَميِّ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنُعَيْمِ بْنِ أَوْسٍ أَخِي تَمِيمٍ الدَّارِيِّ «**أَنَّ لَهُ حَبْرَىٰ وَعَيْنُونَ بِالشَّامِ قَرْيَتَهَا كُلَّهَا سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَاءَهَا وَحَرْثَهَا وَأَنْبَاطَهَا وَبَقَرَهَا، وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَا يَلِجُهُ عَلَيْهِمْ بِظُلْمٍ وَمَنْ ظَلَمَهُمْ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٢].

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِقَيْسِ بْنِ الحُصَيْنِ ذِي الْغُصَّةِ أَمَانَةً لِبَنِي أَبِيهِ بَنِي الْحَارِثِ وَلِبَنِي نَهْدٍ: «**أَنَّ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، لَا يُحْشَرُونَ، وَلَا يَعْشُرُونَ**[٣]**، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ، وَأَشْهَدُوا عَلَىٰ إِسْلَامِهِمْ، وَأَنَّ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا لِلْمُسْلِمِينَ**»[٤].

٣٤- العَلاءُ بنُ الحَضْرَميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو الَّذي كَتبَ لبَني مَعنٍ الطَّائِيِّينَ، ولبَني شَنْخٍ مِن جُهَينةَ، ولأَسلمَ بنِ خُزَاعَةَ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبَنِي مَعْنٍ الطَّائِيِّ: «**أَنَّ لَهُمْ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ مِنْ**

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٠٧).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٣) يعشرون: أي يبخسون.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

بِلَادِهِمْ وَمِيَاهِهِمْ وَغَدْوَةِ الْغَنَمِ مِنْ وَرَائِهَا مَبِيتَةٌ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ وَأَشْهَدُوا عَلَىٰ إِسْلَامِهِمْ وَأَمَّنُوا السَّبِيلَ»[١].

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبَنِي شَنْخٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَعْطَىٰ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ بَنِي شَنْخٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَعْطَاهُمْ مَا خَطُّوا مِنْ صُفَيْنَةَ وَمَا حَرَثُوا، وَمَنْ حَاقَّهُمْ فَلَا حَقَّ لَهُ وَحَقُّهُمْ حَقٌّ»[٢].

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَسْلَمَ مِنْ خُزَاعَةَ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَنَاصَحَ فِي دِينِ اللهِ: «أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَهُمْ بِظُلْمٍ، وَعَلَيْهِمْ نَصْرَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا دَعَاهُمْ، وَلِأَهْلِ بَادِيَتِهِمْ مَا لِأَهْلِ حَاضِرَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مُهَاجِرُونَ حَيْثُ كَانُوا»[٣].

٣٥- محمَّدُ بنُ مَسْلَمة الأنصاريُّ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهوَ الذِي كتبَ لِمَهْرِيِّ بنِ الأبيضِ.

قَدِمَ وَفْدُ مَهْرَةَ عَلَيْهِمْ مَهْرِيُّ بْنُ الْأَبْيَضِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا وَوَصَلَهُمْ وَكَتَبَ لَهُمْ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ لِمَهْرِيِّ بْنِ الْأَبْيَضِ عَلَىٰ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ مَهْرَةَ أَلَّا يُؤْكَلُوا، وَلَا يُعْرَكُوا، وَعَلَيْهِمْ إِقَامَةُ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ بَدَّلَ فَقَدْ حَارَبَ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ فَلَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، اللُّقَطَةُ مُؤَدَّاةٌ، وَالسَّارِحَةُ مُنَدَّاةٌ[٤]، وَالتَّفَثُ: السَّيِّئَةُ، وَالرَّفَثُ: الْفُسُوقُ».

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤)

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٤) السارحة: أي الماشية تسرح إلىٰ المرعىٰ. مندّاة: التّندية أن يورد الرجل الإبل والخيل، فتشرب قليلا ثم يردّها إلىٰ المرعىٰ ساعة ثم تعاد إلىٰ الماء.

يَعْنِي بِقَوْلِهِ: «**لَا يُؤْكَلُونُ**»: أَيْ لَا يُغَارُ عَلَيْهِمْ[١].

٣٦- مُعَاوِيَةُ بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو الذي كَتَبَ لعُيَينةَ بنِ حِصنٍ والأَقْرَعِ بنِ حابِسٍ، وإلى الأَقيالِ مِن حَضْر موتَ، ولبلالِ بنِ الحارثِ، ولعُتْبةَ بنِ فَرْقَدٍ.

سَأَلَ عُيَيْنَةُ، والْأَقْرَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَكْتُبَ بِهِ لَهُمَا، فَفَعَلَ، وَخَتَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِمَا[٢].

وَلَمَّا أَرَادَ وَائِلُ بْنِ حُجْرٍ الرُّجُوعَ إِلَىٰ بِلَادِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اكْتُبْ لِي إِلَىٰ قَوْمِي كِتَابًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اكْتُبْ لَهُ يَا مُعَاوِيَةُ إِلَىٰ الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَالصَّدَقَةَ عَلَىٰ التَّيْعَةِ**[٣] **السَّائِمَةِ التَّيْمَةُ**[٤] **لِصَاحِبِهَا، لَا خِلَاطَ، وَلَا وِرَاطَ، وَلَا شِغَارَ، وَلَا جَلَبَ، وَلَا جَنَبَ وَلَا شِنَاقَ، وَعَلَيْهِمُ الْعَوْنُ لِسَرَايَا الْمُسْلِمِينَ وَعَلَىٰ كُلِّ عَشَرَةٍ مَا تَحْمِلُ الْعِرَابُ مَنْ أَجْبَأَ فَقَدْ أَرْبَىٰ**»[٥].

أَمَّا الْخِلَاطُ: فَلَا تُجْمَعُ الْمَاشِيَةُ، وَأَمَّا **الْوِرَاطُ**: فَلَا يُقَوِّمُهَا بِالْقِيمَةِ، وَأَمَّا **الشِّغَارُ**: فَيُزَوِّجُ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ وَيُنْكِحُهُ الْآخَرُ ابْنَتَهُ بِلَا مَهْرٍ، وَ**الشِّنَاقُ**: أَنْ يَعْقِلَهَا فِي مَبَارِكِهَا، وَ**الْإِجْبَاءُ**: أَنْ تُبَاعَ الثَّمَرَةُ قَبْلَ أَنْ تُؤْمَنَ عَلَيْهَا الْعَاهَةُ[٦].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٣٥٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٦٢٥)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٣) التيعة: أي أربعون من الغنم، وقيل: أدنىٰ ما تجب فيه الصدقة من الحيوان.

(٤) التيمة: أي الشاة الزائدة علىٰ الأربعين حتىٰ تبلغ الفريضة الأخرىٰ، وقيل: هي الشاة تكون لصاحبها في منزله يحتلبها، وليست بسائمة.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٨٧).

(٦) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٧٩٥).

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ: «أَنَّ لَهُ النَّخْلَ وَجَزْعَةَ شَطْرِهِ ذَا الْمَزَارِعِ وَالنَّخْلِ، وَأَنَّ لَهُ مَا أَصْلَحَ بِهِ الزَّرْعَ مِنْ قَدَسٍ، وَأَنَّ لَهُ الْمَضَّةَ وَالْجَزَعَ وَالْغِيلَةَ إِنْ كَانَ صَادِقًا».

أَمَّا قَوْلُهُ: «جَزْعَةٌ» فَإِنَّهُ يَعْنِي قَرْيَةً، وَأَمَّا «شَطْرُهُ» فَإِنَّهُ يَعْنِي تُجَاهَهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ «مِنْ قَدَسٍ» فَالْقَدَسُ الْخُرْجُ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ آلَةِ السَّفَرِ، وَأَمَّا «الْمَضَّةُ» فَاسْمُ الْأَرْضِ[1].

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ: «هَذَا مَا أَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ عُتْبَةَ بْنَ فَرْقَدٍ أَعْطَاهُ مَوْضِعَ دَارٍ بِمَكَّةَ يَبْنِيهَا مِمَّا يَلِي الْمَرْوَةَ فَلَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ وَمَنْ حَاقَّهُ فَإِنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ، وَحَقُّهُ حَقٌّ»[2].

٣٧- مُعَيقِيبُ بنُ أَبي فَاطِمةَ الدَّوسيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذكرَه عَمرُو بْنُ شَبَّة فِيمَن كَتبَ للنبيِّ ﷺ.

٣٨- المغيرةُ بنُ شُعبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهُو الَّذي كَتبَ لأساقِفَةِ نَجرانَ، ولبَني الضِّبَابِ، ولبَني قَنَانِ بنِ ثَعلبةَ، وليزِيدَ بنِ المُحَجَّلِ، ولعَامِرِ بنِ الأسودِ، ولبَني جُوَينٍ الطَّائِيِّينَ.

أَتَى الْأُسْقُفُّ[3] أَبُو الْحَارِثِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ السَّيِّدُ، وَالْعَاقِبُ، وَوُجُوهُ قَوْمِهِ، فَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَسْمَعُونَ مَا يُنَزِّلُ اللهُ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ لِلْأُسْقُفِّ هَذَا الْكِتَابَ، وَلِأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ بَعْدَهُ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأُسْقُفِّ أَبِي الْحَارِثِ وَكُلِّ أَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ،

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٨٥).

(٣) الأسقف: أي عالم رئيس من علماء النصارىٰ ورؤسائهم، وهو اسم سرياني.

لَا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا كَاهِنٌ مِنْ كَهَانَتِهِ، وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا سُلْطَانِهِمْ، وَلَا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، عَلَىٰ ذَلِكَ جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَبَدًا، مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا عَلَيْهِمْ، غَيْرَ مُثْقَلِينَ بِظُلْمٍ، وَلَا ظَالِمِينَ»(١).

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبَنِي الضِّبَابِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ: «أَنَّ لَهُمْ سَارِبَةً وَرَافِعَهَا لَا يُحَاقُّهُمْ فِيهَا أَحَدٌ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ»(٢).

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبَنِي قَنَانِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ: «أَنَّ لَهُمْ مَجَسًّا، وَأَنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ»(٣).

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُحَجَّلِ الْحَارِثِيِّ: «أَنَّ لَهُمْ نَمِرَةً وَمِسَاقَيْهَا وَوَادِيَ الرَّحْمَنِ مِنْ بَيْنِ غَابَتِهَا، وَأَنَّهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مَالِكٍ وَعَقَبِهِ، لَا يُغْزَوْنَ وَلَا يُحْشَرُونَ»(٤).

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَامِرِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ الطَّائِيِّ: «أَنَّ لَهُ وَلِقَوْمِهِ طَيِّءٍ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِمْ وَمِيَاهِهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ»(٥).

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبَنِي جُوَيْنٍ الطَّائِيِّينَ «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَفَارَقَ الْمُشْرِكِينَ وَأَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَعْطَىٰ

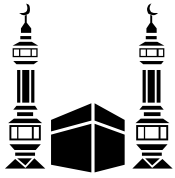
---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٩).
(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).
(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).
(٤) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).
(٥) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ وَأَشْهَدَ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ، فَإِنَّ لَهُ أَمَانَ اللهِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَنَّ لَهُمْ أَرْضَهُمْ وَمِيَاهَهُمْ وَمَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَغَدْوَةَ الْغَنَمِ مِنْ وَرَائِهَا مَبِيتَةٌ»[1].



(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).



رُسُلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى مُلُوكِ الأَرْضِ

رُسُلُهُ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الأَرْضِ

وَهُمْ ثَمَانيةٌ وأَربعونَ رَسُولًا[1]:

١- الأَقْرعُ بنُ عبدِ اللهِ الحِمْيريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ذِي مَرَّانَ.

٢- أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى سَعْدِ هُذَيْمٍ.

قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْب: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُصَدِّقًا، فَمَرَرْتُ بِرَجُل، فَلَمَّا جَمَعَ لِي مَالَهُ لَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا ابْنَةَ مَخَاضٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَدِّ ابْنَةَ مَخَاضٍ، فَإِنَّهَا صَدَقَتُكَ، فَقَالَ: ذَاكَ مَا لَا لَبَنَ فِيهِ، وَلَا ظَهْرَ، وَلَكِنْ هَذِهِ نَاقَةٌ فَتِيَّةٌ عَظِيمَةٌ سَمِينَةٌ، فَخُذْهَا.

فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنَا بِآخِذٍ مَا لَمْ أُومَرْ بِهِ، وَهَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْكَ قَرِيبٌ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَتَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا عَرَضْتَ عَلَيَّ فَافْعَلْ، فَإِنْ قَبِلَهُ مِنْكَ قَبِلْتُهُ، وَإِنْ رَدَّهُ عَلَيْكَ رَدَدْتُهُ.

قَالَ: فَإِنِّي فَاعِلٌ.

فَخَرَجَ مَعِي، وَخَرَجَ بِالنَّاقَةِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيَّ حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتَانِي رَسُولُكَ؛ لِيَأْخُذَ مِنِّي صَدَقَةَ مَالِي، وَايْمُ اللهِ مَا قَامَ فِي مَالِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا رَسُولُهُ قَطُّ قَبْلَهُ، فَجَمَعْتُ لَهُ

---

(١) «الطبقات» (١/ ٢٢٢، ٢٥٢)، «سبل الهدىٰ» (١١/ ٣٤٤، ٣٧٤)، ولم أتمكن من ترتيبهم زمنيًّا لعد معرفة التاريخ في كثير منها فرتبتها هجائيًّا.

مَالِي، فَزَعَمَ أَنَّ مَا عَلَيَّ فِيهِ ابْنَةَ مَخَاضٍ، وَذَلِكَ مَا لَا لَبَنَ فِيهِ، وَلَا ظَهْرَ، وَقَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ نَاقَةً فَتِيَّةً عَظِيمَةً لِيَأْخُذَهَا فَأَبَىٰ عَلَيَّ، وَهَا هِيَ ذِهْ قَدْ جِئْتُكَ بِهَا يَا رَسُولَ اللهِ خُذْهَا.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ الَّذِي عَلَيْكَ، فَإِنْ تَطَوَّعْتَ بِخَيْرٍ آجَرَكَ اللهُ فِيهِ، وَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ**».

قَالَ: فَهَا هِيَ ذِهْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ جِئْتُكَ بِهَا فَخُذْهَا.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْضِهَا، وَدَعَا لَهُ فِي مَالِهِ بِالْبَرَكَةِ[1].

٣- جَرِيرُ بنُ عَبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ذِي الكلاعِ بنِ نَاكُورٍ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَرِيرَ بنَ عَبدِ اللهِ البَجَلِيَّ إلىٰ ذِي الكُلاعِ بنِ نَاكورٍ، وإلىٰ ذِي عمرٍو يدعوهُما إلىٰ الإسلامِ، فأسلمَا، وتُوفِّي رَسولُ اللهِ ﷺ وجريرٌ عندَهم[2].

٤- حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المُقَوقِسِ مَلكِ الإِسْكَندَرِيَّةِ.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ السادسةِ.

٥- حَسَّانُ بنُ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معَ دِحيةَ إلى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ السادسةِ.

٦- الحَارِثُ بنُ عُمَيرٍ الأَزْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى صاحبِ بُصْرَى.

تقدم في سببِ سريةِ مؤتةَ.

٧- حُرَيثُ بنُ زيدِ الخيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى يُحَنَّةَ بنِ رُؤْبَةَ الأَيلِيِّ.

٨- حرمَلةُ بنُ حُرَيثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى يُحَنَّةَ بنِ رُؤْبَةَ الأَيلِيِّ.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (١٥٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) **انظر**: «سبل الهدىٰ والرشاد» (١١/ ٣٤٧).

٩- خَالدُ بنُ الوَليدِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى أُكَيدَرَ مَلِكِ دُومَةَ.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ التَّاسِعةِ في غزوةِ تبوكَ.

١٠- خَالدُ بنُ الوَليدِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضًا إلى بَني الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ العاشرةِ.

١١- دِحيةُ بنُ خَليفةَ الكَلبيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى هِرَقلَ مَلكِ الرُّومِ.

أرسلَ رسول اللهِ ﷺ دِحيَةَ بنَ خليفةَ إلىٰ هرقْلَ مَلِكِ الرُّومِ مرتينِ:

إحداهما: في الهُدنةِ، وقد تقدمَ في أحداثِ السنةِ السادسةِ.

والثانية: لمَّا قَدِمَ تبوكَ، وَجَاءَ هِرَقْلَ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَعَا قِسِّيسِي الرُّومِ، وَبَطَارِقَتَهَا، ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِمْ بَابًا، فَقَالَ: قَدْ نَزَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيَّ يَدْعُونِي إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ: يَدْعُونِي إِلَىٰ أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَىٰ دِينِهِ، أَوْ عَلَىٰ أَنْ نُعْطِيَهُ مَالَنَا عَلَىٰ أَرْضِنَا، وَالْأَرْضُ أَرْضُنَا، أَوْ نُلْقِيَ إِلَيْهِ الْحَرْبَ، وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ فِيمَا تَقْرَءُونَ مِنَ الْكُتُبِ، لَيَأْخُذَنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، فَهَلُمَّ نَتَّبِعْهُ عَلَىٰ دِينِهِ، أَوْ نُعْطِيهِ مَالَنَا عَلَىٰ أَرْضِنَا.

فَنَخَرُوا نَخْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، حَتَّىٰ خَرَجُوا مِنْ بَرَانِسِهِمْ وَقَالُوا: تَدْعُونَا إِلَىٰ أَنْ نَدَعَ النَّصْرَانِيَّةَ، أَوْ نَكُونَ عَبِيدًا لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ أَفْسَدُوا عَلَيْهِ الرُّومَ رَفَأَهُمْ[1]، وَلَمْ يَكِدْ[2]، وَقَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لَكُمْ لِأَعْلَمَ صَلَابَتَكُمْ عَلَىٰ أَمْرِكُمْ، ثُمَّ دَعَا رَجُلًا عَرَبِيًّا نَصْرَانِيًّا، فَأَرْسَلَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَ لَهُ ثَلَاثَ عَلَامَاتٍ

---

(١) رفأهم: أي سكَّنَهُم، ودعا لهم.

(٢) يكد: أي يقرب.

للنُّبُوَّةِ يَنْظُرُهَا فِي رَسُولِ اللهِ، فَرَآهَا فِيه ﷺ[(١)].

لمَّا تَحقق الرَّجُلُ مِنْ عَلَاماتِ النُّبوةِ، رَجَعَ إِلَىٰ هِرَقلَ، فأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فأَيْقَنَ هِرَقْلُ أَنَّ النبيَّ ﷺ مُرْسَلٌ مِنْ عندِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَدَعَا قومَه إِلىٰ التَّصديقِ بالنبيِّ ﷺ، فَأَبَو حتَّىٰ خافَهُم علىٰ مُلكِهِ، فأرسلَ إِليهِم: إِني أردتُ أن أختبرَ صَلابَتَكُم في دينِكم، ثُم كتبَ إِلىٰ رسولِ الله ﷺ كتابًا مع دِحيةَ يقولُ فيهِ: إِني مَعَكم ولكنِّي مغلوبٌ علىٰ أمرِي، فَلمَّا قرأَ رسولُ اللهِ ﷺ كتابَهُ قالَ: «**كذَبَ عدوُّ اللهِ، وليسَ بمسلمٍ بلْ هُو عَلىٰ نَصْرَانِيَّتِهِ**»[(٢)].

١٢- رِفَاعَةُ بنُ زَيدٍ الضَّبِيبيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قومِه.

تقدم في أحداث السنة السادسة باسم رفاعة بن زيد الجُذاميّ.

١٣- زِيادُ بنُ حَنظلةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قيسِ بن عَاصمٍ والزِّبْرِقَانِ بنِ بَدرٍ.

بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ زِيادَ بنَ حَنظلةَ إِلىٰ قيسِ بنِ عاصمٍ والزِّبرقَانِ بن بدرٍ؛ ليتعاونُوا علىٰ مُسيلِمَةَ، وطُلَيحَةَ الأسديِّ، والأَسْودِ العنْسِيِّ[(٣)].

١٤- سَلِيطُ بن عَمرٍو العَامِرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هَوذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ.

كَانَ سَلِيطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، قَدِيمَ الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ، وَشَهِدَ سَلِيطٌ أُحُدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَّهَهُ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ: «**بِسْمِ اللهِ**

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١٥٦٥٥)، وقال ابن كثير في «البداية» (٧/ ١٧٧): إسناده لا بأس به.

(٢) **انظر**: «سبل الهدىٰ والرشاد» (٥/ ٤٥٧-٤٥٩).

(٣) **انظر**: «المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي وعجمي»، لابن حديدة (١/ ٢١٤).

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ هوذة بن علي، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَىٰ مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ».

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سليط بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْرَمَهُ، وَحَيَّاهُ وَاقْتَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكَتَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ، وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي، فَاجْعَلْ إِلَيَّ بَعْضَ الْأَمْرِ أَتْبَعْكَ، وَأَجَازَ سليطا بِجَائِزَةٍ، وَكَسَاهُ أَثْوَابًا مِنْ نَسْجِ هَجَرٍ.

فَقَدِمَ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابَهُ، فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتَ بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ**».

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْفَتْحِ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِأَنَّ هَوْذَةَ قَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّ الْيَمَامَةَ سَيَخْرُجُ بِهَا كَذَّابٌ يَتَنَبَّأُ يُقْتَلُ بَعْدِي**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ يَقْتُلُهُ؟.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ**»، فَكَانَ كَذَلِكَ[1].

١٥- عَمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مُسَيلِمَةَ الكَذَّابِ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ لَعَنَهُ اللهُ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُسَيْلِمَةُ جَوَابَ كِتَابِهِ، وَيَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِثْلُهُ وَيَسْأَلَهُ أَنْ يُقَاسِمَهُ الْأَرْضَ، وَيَذْكُرُ أَنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ لَا يَعْدِلُونَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «**الْعَنُوهُ لَعَنَهُ اللهُ**»، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: «**بَلَغَنِي كِتَابُكَ الْكَذْبُ وَالْافْتِرَاءُ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ**

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٢٠٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٦٠٧-٦٠٨).

الْهُدَىٰ»، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ السَّائِبِ بْنِ الْعَوَّامِ أَخِي الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ[1].

١٦- السائبُ بنُ العوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مُسَيلِمَةَ الكَذَّابِ.

١٧- شُجَاعُ بنُ وَهْبٍ الأَسَدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحَارِثِ بنِ أَبي شَمِرٍ الغَسَّانِيِّ مَلِكِ البَلْقَاءِ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيَّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا.

قَالَ شُجَاعٌ: فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِغَوْطَةِ دِمَشْقَ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِتَهْيِئَةِ الْإِنْزَالِ وَالْأَلْطَافِ لِقَيْصَرَ وَهُوَ جَاءٍ مِنْ حِمْصَ إِلَىٰ إِيلِيَاءَ فَأَقَمْتُ عَلَىٰ بَابِهِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَقُلْتُ لِحَاجِبِهِ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ.

فَقَالَ: لَا تَصِلُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا.

وَجَعَلَ حَاجِبُهُ وَكَانَ رُومِيًّا اسْمُهُ مُرَىٰ يَسْأَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ أُحَدِّثُهُ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ فَيَرِقَّ حَتَّىٰ يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ، وَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَرَأْتُ الْإِنْجِيلَ فَأَجِدُ صِفَةَ هَذَا النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنِهِ، فَأَنَا أُومِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ وَأَخَافُ مِنَ الْحَارِثِ أَنْ يَقْتُلَنِي، وَكَانَ يُكْرِمُنِي وَيُحْسِنُ ضِيَافَتِي.

وَخَرَجَ الْحَارِثُ يَوْمًا فَجَلَسَ وَوَضَعَ التَّاجَ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَأَذِنَ لِي عَلَيْهِ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَرَأَهُ ثُمَّ رَمَىٰ بِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَنْتَزِعُ مِنِّي مُلْكِي أَنَا سَائِرٌ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ بِالْيَمَنِ جِئْتُهُ عَلَيَّ بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْرِضُ حَتَّىٰ قَامَ وَأَمَرَ بِالْخُيُولِ تُنْعِلُ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ مَا تَرَىٰ، وَكَتَبَ إِلَىٰ قَيْصَرَ يُخْبِرُهُ خَبَرِي، وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ: أَلَّا تَسِيرَ إِلَيْهِ وَالْهَ عَنْهُ، وَوَافِنِي بِإِيلِيَاءَ، فَلَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ كِتَابِهِ دَعَانِي، فَقَالَ: مَتَىٰ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَىٰ صَاحِبِكَ؟.

فَقُلْتُ: غَدًا.

فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ مِثْقَالٍ ذَهَبٍ، وَوَصَّلَنِي مُرَىٰ، وَأَمَرَ لِي بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ، وَقَالَ: أَقْرِئْ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنِّي السَّلَامَ، فَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**بَادَ مُلْكُهُ**».

وَأَقْرَأْتُهُ مِنْ مُرَىٰ السَّلَامَ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَدَقَ**»، وَمَاتَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شِمْرٍ عَامَ الْفَتْحِ(١).

١٨- صُدَيُّ بنُ عَجْلَانَ أَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قَومِهِ بَاهِلَةَ.

قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَوْمِي أَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ فَأَتَيْتُهُمْ، وَقَدْ سَقَوْا إِبِلَهُمْ وَاحْتَلَبُوهَا وَشَرِبُوا، فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوا: مَرْحَبًا بِالصُّدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ، بَلَغَنَا أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ.

قُلْتُ: «**لَا وَلَكِنْ آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْكُمْ أَعْرِضُ عَلَيْكُمُ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ**».

فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ فَجَاءُوا بِقَصْعَةِ دَمٍ، فَوَضَعُوهَا وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا يَأْكُلُونَهَا، قَالُوا: هَلُمَّ يَا صُدَيُّ.

قُلْتُ: وَيْحَكُمْ، إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ يُحَرِّمُ هَذَا عَلَيْكُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

قَالُوا: وَمَا قَالَ؟.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٥٨).

قُلْتُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِالْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة:٣].

فَجَعَلْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَيَأْبَوْنَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: «**وَيْحَكُمِ ائْتُونِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَإِنِّي شَدِيدُ الْعَطَشِ**».

قَالُوا: لَا، وَلَكِنْ نَدَعُكَ تَمُوتُ عَطَشًا.

فَاعْتَمَمْتُ، وَضَرَبْتُ رَأْسِي فِي الْعِمَامَةِ، وَنِمْتُ فِي الرَّمْضَاءِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي بِقَدَحِ زُجَاجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَفِيهِ شَرَابٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ أَلَذَّ مِنْهُ، فَأَمْكَنَنِي مِنْهَا فَشَرِبْتُهَا، فَحَيْثُ فَرَغْتُ مِنْ شَرَابِي اسْتَيْقَظْتُ، وَلَا وَاللهِ مَا عَطِشْتُ، وَلَا عَرَفْتُ عَطَشًا بَعْدَ تِيكَ الشَّرْبَةِ[(١)].

١٩- صُدَيُّ بنُ عَجْلَانَ أَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جَبَلَةَ بنِ الأَيْهَمِ.

٢٠- الصَّلْصَلُ بنُ شُرَحْبِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ.

٢١- ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ الأسديُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الأَسْوَدِ وَطُلَيحَةَ.

٢٢- ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ الأسديُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عَوفٍ الزَّرْقَانِيِّ.

٢٣- ظَبيانُ بنُ مَرْثَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بَني بَكْرِ بنِ وَائِلٍ.

٢٤- عبدُ اللهِ بنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى كِسرَى.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ السادسةِ.

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٠٧٤)، وحسنه الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٤٣).

٢٥- عبدُ اللهِ بنُ بُدَيلِ بنِ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليَمنِ.

٢٦- عبدُ اللهِ بنُ قيسٍ أبو مُوسَى الأَشعريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ العاشرةِ.

٢٧- عبدُ اللهِ بن عَوسَجَةَ العُرَنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى سَمْعانَ بن عمرٍو.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ سِمْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُرَيْطٍ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْسَجَةَ الْعُرَنِيِّ، فَرَقَّعَ بِكِتَابِهِ دَلْوَهُ، فَقِيلَ لَهُمْ بَنُو الرَّاقِعِ، ثُمَّ أَسْلَمَ سِمْعَانُ، وَقَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

٢٨- عبدُ الرحمنِ بنُ بُدَيلِ بنِ ورْقَاءَ الخُزَاعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

٢٩- أبو هُريرةَ عبدُ الرحمنِ بن صَخرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى البَحرَينِ.

لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيَّ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بنِ ساوَىٰ ملكِ البَحرينِ كَتَبَ ﷺ لِلْعَلَاءِ كِتَابًا فِيهِ فَرَائِضُ الصَّدَقَةِ فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالثِّمَارِ وَالْأَمْوَالِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَيَرُدَّهَا عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ نَفَرًا فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ: «**اسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا**»[2].

٣٠- عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الخالقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى طاغيةِ الروم.

٣١- العَلاءُ بنُ الحَضْرميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المُنْذِرِ بنِ سَاوَى مَلكِ البَحرينِ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بَعْدَ مُنْصَرَفِهُ مِنَ الْجِعْرَانَةِ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ الْعَبْدِيِّ بِالْبَحْرَيْنِ، وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٣٥٩).

ﷺ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ مَعَهُ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَخَلَّىٰ بَيْنَ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ يَجْتَبِيهَا[١].

٣٢- عَمْرُو بنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جَيفَرَ بنِ الجُلَنْدَى مَلكِ عُمَانَ.

تَقَدَّمَ في أحداثِ السنةِ الثامِنَةِ.

٣٣- عمرُو بنُ أميةَ الضَّمرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النَّجَاشِيِّ مَلكِ الحَبَشةِ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عمرَو بنَ أميةَ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِكِتَابَيْنِ كَتَبَ بِهِمَا إِلَيْهِ فِي أَحَدِهِمَا أَنْ يُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَفِي الْآخَرِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ مَنْ بَقِيَ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَزَوَّجَهُ النَّجَاشِيُّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ فِي سَفِينَتَيْنِ[٢].

٣٤- عمرُو بنُ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ حَيْثُ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ عَهْدًا يُعَلِّمُهُ فِيهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَفَرَائِضَهُ، وَحُدُودَهُ[٣].

٣٥- عُقبةُ بنُ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى صَنعاءَ.

٣٦- عَياشُ بنُ أبي ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

٣٧- فُرَاتُ بنُ حَيَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ثُمَامةَ بنِ أُثَالٍ.

٣٨- قُدامةُ بنُ مَظْعونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المُنْذِرِ بنِ سَاوَى مَلِكِ البَحْرينِ.

٣٩- قيسُ بنُ نَمَطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قيسِ بنِ عمرٍو.

خرجَ قيسُ بنُ نَمَطٍ الأَرْحبيُّ حَاجًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَافَقَ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٣٥٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٢٤٩).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

وَهُوَ يَدْعُو إِلَىٰ الْإِسْلَام، فَأسلمَ، فَقَالَ: «**هَلْ عِنْد قَوْمك من مَنْعَةٍ؟**».

قَالَ: نَحنُ أمنعُ الْعَرَبِ، وَقد خَلَّفتُ فِي الْحَيّ فَارِسًا مُطَاعًا يكنىٰ أَبَا زيدٍ قيسَ بنَ عَمْرٍو، فَاكْتُبْ إِلَيْهِ حَتَّىٰ أوافيكَ بِهِ.

فَكتبَ إِلَيْهِ، فَأتىٰ قيسُ بنُ نمَطٍ أَبَا زيدٍ بِكِتَابِ رَسُول اللهِ ﷺ، فَأسلمَ وَأسلمَ بعضُ قَومِهِ، وأقبلا فِي جمَاعَة إِلَىٰ مَكَّة، فَلَمَّا نظر إِلَيْهِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**وَفِي الرَّجلُ**»، وَأخْبر بقَوْمِهِ، فَقَالَ: «**سأكتب لَك كتابا، وأجعلك علىٰ قَوْمك**».

فَكتب لَهُ فِي قِطْعَة أَدِيم، وَأَسلمَ جَمِيعُ هَمدَان، وَقدمُوا علىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعدَ مَرْجِعِهِ مِن تَبُوكَ وَهُمْ مائَةٌ وَعِشْرُونَ رَاكِبًا[1].

٤٠- معاذُ بنُ جَبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

تَقدَّم في أحداثِ السَّنةِ العاشرةِ.

٤١- مَالكُ بنُ مُرارةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَهْل الْيَمَنِ كِتَابًا يُخْبِرُهُمْ فِيهِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَام، وَفَرَائِضِ الصَّدَقَةِ فِي الْمَوَاشِي وَالْأَمْوَالِ وَيُوصِيهِمْ بِأَصْحَابِهِ وَرُسُلِهِ خَيْرًا، وَكَانَ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَمَالِكَ بْنَ مُرَارَةَ، وَيُخْبِرُهُمْ بِوُصُولِ رَسُولِهِمْ إِلَيْهِ وَمَا بَلَّغَ عَنْهُمْ.

وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عِدَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا الصَّدَقَةَ وَالْجِزْيَةَ، فَيَدْفَعُوهُمَا إِلَىٰ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَمَالِكِ بْنِ مُرَارَةَ، وَأَمَرَهُمْ بِهِمَا خَيْرًا.

---

(١) انظر: «المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي وعجمي» (١/ ٢٤٨).

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ مُرَارَةَ رَسُولَ أَهْلِ الْيَمَنِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْلَامِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ مَالِكَ بْنَ مُرَارَةَ قَدْ بَلَّغَ الْخَبَرَ، وَحَفِظَ الْغَيْبَ(١).

٤٢- مالكُ بنُ عُقبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمنِ.

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ: «**أَنْ إِذَا أَتَاكُمْ رُسُلِي فَأُوصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ نَمِرٍ، وَمَالِكُ بن مرّة، مالكُ بنُ عُقبةَ، وأصحابُهُمْ، وَأَنِ اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجِزْيَةِ مِنْ مَخَالِيفِكُمْ(٢)، وَأَبْلِغُوهَا رُسُلِي، وَأَنَّ أَمِيرَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا**»(٣).

٤٣- المُهَاجِرُ بنُ أُمَيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحارثِ بنِ عبدِ كُلالٍ الحِمْيريِّ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ الْحِمْيَرِيِّ، مَلِكِ الْيَمَنِ.

فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، عَرَضَ عَلَيهِ الإِسْلَامَ، وَذَكَّرَهُ باللهِ، واليوم الآخرِ، وَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ لَمْ يَنْفَعْهُ مُلْكُهُ.

فَقَالَ لَهُ الحَارِثُ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي(٤).

٤٤- نُمَيرُ بنُ خَرَشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ثَقيفٍ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِثَقِيفٍ كِتَابًا: «**أَنَّ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ**

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٦٤).

(٢) مخاليفكم: أي عشائركم.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٩٠)، و«المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي وعجمي» (١/ ٢٥٦).

(٤) انظر: «الروض الأنف» (٧/ ٥٢٣).

عَبْدِ اللهِ عَلَىٰ مَا كَتَبَ لَهُمْ»، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَشَهِدَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَدَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْكِتَابَ إِلَىٰ نُمَيْرِ بْنِ خَرَشَةَ(١).

٤٥- نُعيمُ بنُ مَسْعودٍ الأَشْجَعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ابنِ ذِي اللِّحْيَةِ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِيَّ إِلَىٰ ابْنِ ذِي اللِّحْيَةِ، وَابْنِ مُشَيْمِصَةَ الْجُبَيْرِيِّ(٢).

٤٦- وَاثلةُ بنُ الأَسْقعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أُكَيدرَ مَلِكِ دُومَةَ.

تَقَدَّمَ فِي أَحْدَاثِ السنةِ التَّاسِعَةِ.

٤٧- وَبَرُ بنُ يُحِنِّسَ الأَزْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى دَاذَوَيهِ.

قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ مُسَيْلِمَةَ وَالْأسودَ وطُليحةَ بالرُّسل، وَلَمْ يَشْغَلْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِن مَرَضٍ عَن أَمرِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَبعث وَبَرَ بنَ يُحِنِّسَ الأَزْدِيَّ إِلَىٰ دَاذَوَيهِ، وفَيروزِ الدَّيلَميِّ، وجُشَيْشٍ الدَّيْلَميِّ بِالْيمنِ؛ ليقتُلوا الْأسودَ الْكذَّابَ الْعَنسِي الَّذِي ادَّعىٰ النُّبُوَّة(٣).

كما تَقَدَّمَ فِي أَحْدَاثِ السنةِ الحَادِيةَ عشرةَ حينمَا بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ خبرُ الأسودِ العنسيِّ.

٤٨- الوَليدُ بنُ بَحْرٍ الجُرْهُميُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أَقْيالِ اليمنِ.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الوَليدَ بنَ بَحْرٍ الجُرْهُميَّ إِلَىٰ الْأَقْيَالِ مِن أهلِ حَضرمَوْتَ(٤).

---

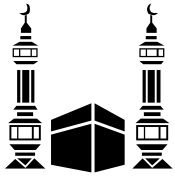
(١) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ١٨٧).

(٣) انظر: «المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي وعجمي» (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي

وعجمي» (١/ ٢٠٦).



الوفودُ التي وَفدتْ على رسول الله ﷺ

الوُفودُ الَّتي وَفَدَتْ على رَسولِ اللهِ ﷺ

وهُمُ اثْنَانِ ومِائَةٌ[١]:

١- وَفْدُ مزينة فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٢- وَفْدُ رَبِيعةَ عَبْدِ القَيسِ في السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٣- وَفْدُ أَشْجَعَ في السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٤- وَفْدُ عَبْسٍ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ للهِجْرةِ.
٥- وَفْدُ جُذَامٍ قَبلَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٦- وَفْدُ الأَشْعَرِيينَ فِي المُحَرَّمِ من السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٧- وَفْدُ دَوْسٍ في السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٨- وَفْدُ سُليمٍ في السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
٩- وَفْدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ في السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
١٠- وَفْدُ صُدَاءٍ في السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
١١ - وَفْدُ ثُمَالَةَ وَالحُدَّانِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
١٢- وَفْدُ بَاهِلَةَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.
١٣- وَفْدُ أَسَدٍ فِي المُحَرَّمِ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

---

(١) راجع: «الطبقات» (١/ ٢٥٢ - ٣٠٩)، «سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد» (٦/ ٣٨٦ - ٦٧٩).
تنبه: بعد الوفد الواحد والخمسين لم أتمكن من ترتيبهم زمنيا لعدم الوصول إلىٰ تاريخ وفودهم علىٰ رسول الله ﷺ.

١٤- وَفْدُ عُذْرَةَ في صَفَرٍ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

١٥- وَفْدُ بَلِيٍّ في رَبيعٍ الأَوَّلِ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

١٦- وَفْدُ كِنانَةَ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

١٧- وَفْدُ يُحَنَّةَ بنِ رُؤْبَةَ فِي رَجَبٍ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

١٨- وَفْدُ جَرْبَاءَ وأَذْرُحَ فِي رَجَبٍ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

١٩- وَفْدُ عُرْوةَ بنِ مَسعودٍ الثَّقَفيِّ قَبلَ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٠- وَفْدُ ثقيفٍ فِي رَمَضَانَ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢١- وَفْدُ رَسُولِ ملوكِ حِمْيرَ فِي رَمَضَانَ من السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٢- وَفْدُ ضِمامِ بنِ ثَعْلبةَ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٣- وَفْدُ الدَّارِيِّينَ مِنْ لخْمٍ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٤- وَفْدُ بَهْرَاءَ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٥- وَفْدُ بَني البَكَّاءِ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٦- وَفْدُ بني فَزَارَةَ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٧- وَفْدُ ثَعْلَبَةَ بنِ مُنْقِذٍ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٨- وَفْدُ سِعْدِ هُذَيمٍ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢٩- وَفْدُ مُرَّةَ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٠- وَفْدُ كِلابٍ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣١- وَفْدُ تُجِيبٍ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٢- وَفْدُ الحَارثِ بنِ كعبٍ في رَبيعٍ الأَوَّلِ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٣- وَفْدُ عَدِيِّ بنِ حَاتمٍ في شَعْبانَ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٤- وَفْدُ خَوْلَانَ في شَعْبانَ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٥- وَفْدُ غَامدٍ فِي رَمَضَانَ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٦- وَفْدُ غَسَّانَ فِي رَمَضَانَ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٧- وَفْدُ جَرِيرٍ البَجَليِّ فِي رَمَضَانَ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٨- وَفْدُ سَلَامَانَ فِي شَوَّالٍ من السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٣٩- وَفْدُ قُشَيرِ بنِ كَعبٍ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٠- وَفْدُ الرَّهَاوِيِّينَ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤١- وَفْدُ الأَزدِ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٢- وَفْدُ زُبَيدٍ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٣- وَفْدُ فَرْوةَ بنِ مُسَيكٍ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٤- وَفْدُ عَبدِ القيسِ للمرةِ الثانيةِ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٥- وَفْدُ بَني حَنيفةَ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٦- وَفْدُ طَيِّئٍ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٧- وَفْدُ كِنْدَةَ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٨- وَفْدُ مُحَارِبٍ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٤٩- وَفْدُ عَنْسٍ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٥٠- وَفْدُ الصَّدِفِ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٥١- وَفْدُ رِعيةَ السُّحَيمِيِّ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٥٢- وَفْدُ النَّخَعِ في المُحَرَّمِ في السَّنَةِ الحَادِيةَ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ.

٥٣- وَفْدُ أَبي رُزَينٍ لَقِيطِ بنِ عامرٍ العُقَيليِّ.

٥٤- وَفْدُ أَبي صُفْرَةَ.

٥٥- وَفْدُ أَحْمَسَ.

٥٦- وَفْدُ أَزدِ عُمَانَ.

٥٧- وَفْدُ أَزْدِ شَنُوءَةَ.

٥٨- وَفْدُ أَسْلَمَ.

٥٩- وَفْدُ أَسِيدِ بنِ أَبي أُنَاسٍ.

٦٠- وَفْدُ أَعْشَىٰ بنِ مَازنٍ.

٦١- وَفْدُ إِيادٍ.

٦٢- وَفْدُ بَكرِ بنِ وائلٍ.

٦٣- وَفْدُ بَارقٍ.

٦٤- وَفْدُ بَني سُحَيمٍ.

٦٥- وَفْدُ بَني سَدُوسٍ.

٦٦- وَفْدُ بَني عبدِ بنِ عَديٍّ.

٦٧- وَفْدُ بني عُذْرَةَ.

٦٨- وَفْدُ بني كَلبٍ.

٦٩- وَفْدُ تَغْلِبٍ.

٧٠- وَفْدُ تَميمٍ.

٧١- وَفْدُ الجَارُودِ بنِ المُعَلَّىٰ، وسلَمةَ بنِ عِياضٍ.
٧٢- وَفْدُ جَعْدَةَ.
٧٣- وَفْدُ جُعْفِيٍّ.
٧٤- وَفْدُ جَرْمٍ.
٧٥- وَفْدُ جُهَينَةَ.
٧٦- وَفْدُ الجِنِّ[١].
٧٧- وَفْدُ جَيْشَانَ.
٧٨- وَفْدُ الحَارثِ بنِ حَسَّانَ.
٧٩- وَفْدُ الحجاجِ بنِ عِلاطٍ السُّلَمِيِّ.
٨٠- وَفْدُ حَضْرَ مَوتَ.
٨١- وَفْدُ الحَكَمِ بنِ حَزْنٍ الكُلَفِيِّ.
٨٢- وَفْدُ خَثْعمٍ.
٨٣- وَفْدُ خُشَينٍ.
٨٤- وَفْدُ خُفَافِ بنِ نَضْلَةَ.
٨٥- وَفْدُ ذُبَابِ بنِ الحارثِ.
٨٦- وَفْدُ رُؤَاسِ بن كِلابٍ.
٨٧- وَفْدُ سعدِ العَشِيرَةِ.
٨٨- وَفْدُ شَيبانَ.
٨٩- وَفْدُ طَارِقِ بنِ عبدِ اللهِ.

---

(١) كان إسلام الجنّ ووفادتهم علىٰ النبي ﷺ كوفادة الإنس فوجًا بعد فوج، وقبيلة بعد قبيلة بمكة، وبعد الهجرة. [انظر: «سبل الهدىٰ والرشاد» (٦/ ٤٣٣)].

٩٠- وَفْدُ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ.

٩١- وَفْدُ عُقَيلِ بنِ كعبٍ.

٩٢- وَفْدُ عَنَزَةَ.

٩٣- وَفْدُ غَافقٍ.

٩٤- وَفْدُ قَيسِ بنِ عَاصمٍ.

٩٥- وَفْدُ مُعاويةَ بنِ حَيدَةَ.

٩٦- وَفْدُ مَهْرَةَ.

٩٧- وَفْدُ نافعِ بنِ زيدٍ الحِمْيرِيِّ.

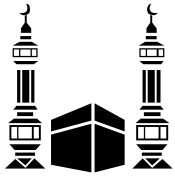
٩٨- وَفْدُ نَجْرانَ.

٩٩- وَفْدُ هِلالِ بنِ عامرٍ.

١٠٠- وَفْدُ هَمْدَانَ.

١٠١- وَفْدُ وَائلِ بنِ حُجْرٍ.

١٠٢- وَفْدُ وَاثلَةَ بنِ الأَسْقَعِ.



مُؤَذِّنُو رَسُولِ اللهِ ﷺ

مُؤَذِّنُو رَسُولِ اللهِ ﷺ

وَهُمْ أَرْبَعَةٌ:

١- بِلالُ بنُ رَباحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهُو أوَّلُ مَن أذَّنَ لرسولِ اللهِ ﷺ، اشْتراهُ الصِّدِّيقُ وأعتَقَهُ، فلزِمَ رسولَ اللهِ ﷺ، وشَهِدَ مَعهُ جميعَ المشاهدِ، وتُوُفِّيَ بالشامِ سنةَ عِشرِينَ مِنَ الهِجْرَةِ(١).

وَلمَّا تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ ذَهبَ إلىٰ الشامِ للجِهادِ، فأقام بِها إلىٰ أنْ تُوُفِّيَ، وأَتىٰ مرَّةً المدينةَ، فَطلبَ منهُ الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنْ يُؤذِّنَ، فَشرَعَ في الأَذانِ، فلمْ يَستَطعْ أنْ يُتِمَّهُ(٢).

٢- عَمرُو بنُ أمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانَ يُؤذِّنُ لرسولِ اللهِ ﷺ بالمَدينةِ، وهو مِنَ المهاجرينَ الأوَّلينَ، تُوُفِّيَ في آخرِ خِلافةِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

٣- سَعْدُ بنُ عَائِذِ القَرَظِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَعَلَهُ رسولُ اللهِ ﷺ مؤذِّنًا بِقُبَاءٍ، فَلمَّا ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، وترَكَ بلالُ الأَذانَ، نَقَلَهُ أبُو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ مَسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، تُوُفِّيَ سنةَ أربعةٍ وسبعينَ مِنَ الهِجرةِ(٤).

٤- أَبُو مَحْذُورَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُو أَوْسُ بنُ مِعْيَرٍ، وكانَ يُرجِّعُ الأَذانَ(٥)،

---

(١) «الإصابة» (١/ ٢٧٣).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات»، للنووي (١/ ١٣٦).

(٣) «معجم الصحابة» لابن قانع (٧٠٥)، «زاد المعاد» (١/ ٩٦)، «الإصابة» (٥٧٥٩).

(٤) «تهذيب الكمال» (١٠/ ٢٧٥/ ٢٢١٣)، «التقريب» (٢٢٤٢).

(٥) يرجع الأذان: أي يكرر الشهادتين، يقولهما مرة بصوت منخفض، ومرة بصوت مرتفع.

ماتَ بِمكةَ سنَةَ تسعٍ وخمسينَ مِنَ الهِجْرةِ[١].

قَالَ أَبُو مَحْذُورَةَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَذَانَ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، وَالْإِقَامَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً:

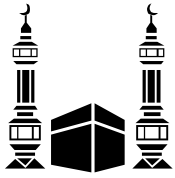
الْأَذَانُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَالْإِقَامَةُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[٢].

---

(١) «تهذيب الكمال» (٣٤/ ٢٥٦/ ٧٦٠٣)، «التقريب» (٨٣٤١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٢)، والترمذي (١٩٢)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٧٠٩)، والنسائي (٦٣٠)، وأحمد (١٥٣٨١)، وصححه الألباني.



أُمَّهَاتُ المُؤمِنِينَ

رضي الله عنهن

أُمَّهَاتُ المُؤمِنينَ رضي الله عنهن

وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ:

١- خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجها رَسولُ اللهِ ﷺ قبلَ البَعثةِ وَعُمرُهُ خَمسٌ وعِشرونَ سنةً، وعُمْرُهَا أَرْبَعونَ سَنةً، وَتُوُفِّيَتْ في حَياتِه في السَّنَةِ العاشرةِ للبَعْثة[١].

٢- عائشةُ بنتُ أَبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَقَدَ عَلَيها فِي شَوَّالٍ سَنةَ عَشْرٍ مِنَ البَعْثَةِ، وَبَنىٰ بِهَا فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الأُولَىٰ للْهِجْرةِ، وتُوُفِّيَ عَنْهَا، وَهيَ بِنتُ ثمانِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَاتَتْ بَعْدَهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سَبعٍ وخمْسينَ لِلْهِجْرةِ[٢].

٣- سَودةُ بنتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ البَعْثَةِ، بَعدَ وَفاةِ خَدِيجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَتُوُفِّيَتْ سَنةَ خمسٍ وخمسينَ للهِجْرَةِ[٣].

٤- حَفْصَةُ بنتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَهَا النَّبيُّ ﷺ في شَعْبانَ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ، ومَاتَتْ سَنةَ خمسٍ وأَربعينَ للْهِجْرَةِ[٤].

---

(١) «تاريخ الطبري» (١/ ٥٢١)، «الإصابة» (٣٣٣).

(٢) «مسند أحمد» (٦/ ٢١٠) بسند صحيح، «صحيح البخاري» (٥١٣٤)، مسلم (١٤٢٣)، «البداية» (٣/ ١٤٢)، «الإصابة» (٧٠١)، «التقريب» (٨٦٣٢).

(٣) «مسند أحمد» (٦/ ٢١٠) بسند حسن، صحيح «سيرة ابن هشام» (٤٧٣)، «الإصابة» (٦٠٣)، «التقريب» (٨٦١٢).

(٤) «الطبقات» (١٠/ ٨٠)، «خلاصة سيرة سيد البشر» لمحب الدين الطبري (١/ ٥٩٢)، =

٥- **زَينبُ بَنتُ خُزَيمَةَ أمُّ المَسَاكِينَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَهَا النَّبيُّ ﷺ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهِجْرةِ، ومَاتتْ بعدَ زَوَاجِهَا بشهورٍ، فَصَلَّىٰ عَلَيها، ودَفَنَها[١].

٦- **زَينبُ بنتُ جَحْشٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَهَا النبيُّ ﷺ في السَّنةِ الثَّالِثَةِ عَلىٰ الرَّاجِحِ، ومَاتَتْ سَنةَ عِشرينَ مِنَ الهِجْرَةِ[٢].

٧- **أمُّ سَلَمةَ هندُ بنتُ أبي أُميَّةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَها النبي ﷺ فِي شَوَّالٍ سنة أربع من الهجرة، وَتُوُفِّيَتْ سنة اثنتين وستين من الهجرة، وهيَ آخرُ أمَّهَاتِ المؤمنينَ مَوتًا[٣].

٨- **جُوَيريةُ بِنتُ الحارثِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَهَا النبيُّ ﷺ سَنةَ خمسٍ من الهِجرةِ، وَتُوُفِّيَتْ سنةَ خَمسينَ مِنَ الهِجرةِ[٤].

٩- **أمُّ حَبيبةَ بنتُ أبي سُفيانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ وهي بِالحَبَشةِ سنةَ سبعٍ، وَتُوُفِّيَتْ سَنةَ أرْبعٍ وأربعينَ للهِجْرَةِ[٥].

١٠- **صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَهيَ مِنْ نَسلِ نَبيِّ اللهِ هَارُونَ بنِ عِمرانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَزوَّجَهَا النَّبيُّ ﷺ سنةَ سَبعٍ، وَتُوُفِّيَتْ سَنةَ خَمسينَ

= «الإصابة» (٢٩٤)، «شذرات الذهب» (١/ ١٧).

(١) «الطبقات» (١٠/ ١١٢)، «خلاصة سيرة سيد البشر» (١/ ٦٨١)، «الإصابة» (٤٧٧)، «شذرات الذهب» (١/ ١٧).

(٢) «مغازي الذهبي» (١٦٤)، «البداية» (٤/ ١٦٣)، «الإصابة» (٤٦٨)، «التقريب» (٨٥٩٤)، ومنهم من قال: تزوجها سنة ٥ هـ، وهو ضعيف.

(٣) «الطبقات» (١٠/ ٨٤/ ٤٩٦٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٨)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٠١)، «الإصابة» (١٣٠٤)، «التقريب» (٨٦٩٤).

(٤) «الطبقات» (١٠/ ١١٣)، «صحيح البخاري» (٤١٣٨)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦١)، «الإصابة» (٢٥٠)، «التقريب» (٨٥٥٤).

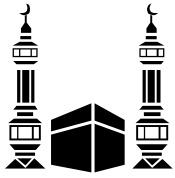
(٥) «الطبقات» (١٠/ ٩٤)، «البداية» (٤/ ١٦١)، «الإصابة» (٤٣٢)، «شذرات» (١/ ٢١).

للهِجرةِ علىٰ الرَّاجحِ[١].

١١- مَيمونةُ بنتُ الحارثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزوَّجَها رسولُ اللهِ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ سَنةَ سبعٍ، وَتُوُفِّيَتْ سَنةَ إِحدىٰ وخمسينَ للهِجرةِ[٢].

(١) «الطبقات» (١٠/ ١١٦/ ٤٩٦٥)، «صحيح البخاري» (٤٢٠٠)، «صحيح مسلم» (٨٤/ ٨٥/ ١٣٦٥)، «البداية» (٤/ ٢٢٠).

(٢) «الطبقات» (١٠/ ١٢٨/ ٤٩٦٧)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٢١٣)، «الكامل» (٢/ ١٠٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٣٨)، «زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧).



سَـرَارِيُّ النَّبـيِّ ﷺ

سَرَارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ

كانَتْ لهُ سُرِّيَّتانِ:

١- رَيحَانَةُ بِنتُ زَيدِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانتْ مِنْ سَبي بَني قُرَيْظَةَ، فَأَسْلَمَتْ، فَتَسَرَّىٰ بِهَا رَسولُ اللهِ ﷺ في المُحَرَّم سَنَةَ سِتٍّ، وَتُوُفِّيَتْ بَعدَ مَرْجِعِهِ مِنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الهِجْرةِ(٢).

٢- مَارِيَةُ القِبْطِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَهْدَاهَا لهُ المُقَوقِسُ صَاحِبُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَأَسْلَمتْ، فَتَسَرَّىٰ بِها رَسولُ اللهِ ﷺ سَنَةَ سَبعٍ، وَوَلدتْ لهُ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتُوُفِّيَتْ سَنَةَ سِتَّ عَشْرةَ مِنَ الهِجْرَةِ(٢).

فـائـدةٌ:

السُّرِّيَّةُ: هِيَ الأَمَةُ الْمَمْلُوكَةُ يَتَّخِذُهَا سَيِّدُهَا لِلْجِمَاعِ، وَسُمِّيَتِ الْجَارِيَةُ سُرِّيَّةً؛ لأَنَّهَا مَوْضِعُ سُرُورِ الرَّجُل، وَلأَنَّهُ يَجْعَلُهَا فِي حَالٍ تَسُرُّهَا مِنْ دُونِ سَائِرِ جَوَارِيهِ.

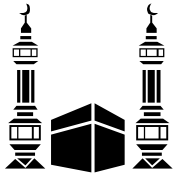
وأَمَّا مِلْكُ الْيَمِينِ: فَهِيَ أَعَمُّ مِنَ التَّسَرِّي؛ لأَنَّ السَّيِّدَ قَدْ يَطَأُ بِمِلْكِ الْيَمِينِ بِدُونِ تَسَرٍّ، أَمَّا السُّرِّيَّةُ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُعَدَّةً لِلْوَطْءِ(٣).

---

(١) «الطبقات» (١٠/ ١٢٥)، «الإصابة» (٤٤٤)، «البداية» (٦/ ٢٨).

(٢) «البداية» (٦/ ٣٦)، «الإصابة» (٩٨١)، «سبل الهدىٰ» (١١/ ٢١٩).

(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «سرر»، و«الموسوعة الفقهية الكويتية» (١١/ ٢٩٤-٢٩٥).



أَوْلَادُ النَّبِيِّ ﷺ

أَوْلادُ النَّبيِّ ﷺ

وَهُمْ سَبْعَةٌ(١):

١- زَيْنبُ، ورُقَيَّـةُ، وأُمُّ كُلْثُـومٍ، وفَاطِمَـةُ، والقَـاسِمُ، وعَبدُ اللهِ، وإِبرَاهيمُ عَلَيهِمُ السَّلامُ.

٢- كُلُّ أَولادِهِ مِنْ خَدِيجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِلَّا إِبْراهيمَ فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيةَ القِبْطِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَماتَ في رَبيعٍ الأَوَّلِ سَنةَ عَشرٍ، وهو ابنُ ثَمانِيةَ عَشْرَ شَهْرًا.

٣- كُلُّ أَولادِهِ ماتُوا قَبلَهُ ﷺ إِلَّا فَاطِمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ظَلَّتْ بَعدَهُ سِتَّةَ أَشْهرٍ، فَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ سَنةَ إِحدَىٰ عَشْرَةَ، وَهِي ابْنةُ تِسعٍ وعِشرِينَ سَنَةً.

أَوَّلُ أَولَادِهِ مَولِدًا: القَاسِمُ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَىٰ ﷺ، مَاتَ طِفْلًا، ثُمَّ زَينبُ، ثُمَّ رُقَيَّةُ، وأُمُّ كُلْثُومٍ، وفَاطِمةُ، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ عَبدُ اللهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَيُلقَّبُ بالطَّيبِ والطَّاهِرِ.

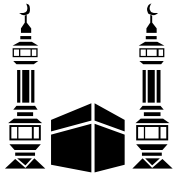
ثُمَّ وُلِدَ لَهُ ﷺ إبراهيم بِالْمَدِينَةِ مِنْ سُرِّيَّتِهِ «**مَارِيَةَ القِبْطِيَّةِ**».

وفَاطِمَةُ أَفْضَلُ بَنَاتِهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ(٢).

---

(١) «الطبقات» (١٠/ ٢٠ - ٣٩)، «البداية» (٦/ ٣٠)، «زاد المعاد» (١/ ٧٧)، «سبل الهدىٰ» (١١/ ١٦).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٩٠-١٩١)، و«زاد المعاد» (١/ ١٠٠-١٠١).



أَعْمَامُهُ وَعَمَّاتُهُ ﷺ

أَعْمَامُهُ وَعَمَّاتُهُ ﷺ

١- أَعْمَامُهُ أَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ:

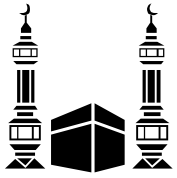
حَمْزَةُ، وَالعَبَّاسُ، وأَبُو طَالِبٍ، وأَبُو لَهَبٍ، والزُّبَيرُ، وعَبدُ الكَعْبَةِ، والمُقَوِّمُ، وضِرَارُ، وَقُثَمُ، والمُغِيرَةُ، والغَيدَاقُ... وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا حَمْزَةُ، والعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢- وَعَمَّاتُهُ سِتٌّ، وَهُنَّ:

صَفِيَّةُ، وَعَاتِكَةُ، وَبَرَّةُ، وَأَرْوَىٰ، وَأُمَيْمَةُ، وَأُمُّ حَكِيمٍ البَيضَاءُ، أَسْلَمَ مِنْهُنَّ: صَفِيَّةُ، واخْتُلِفَ فِي إِسْلامِ عَاتِكَةَ، وأَرْوَىٰ[1].

تَمَّ وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ

(١) «زاد المعاد» (١/ ٧٨)، «سبل الهدىٰ» (١٥/ ٨٢).



الـمَصَادرُ وَالـمَرَاجعُ

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، طبعة: دار الوطن- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م

١- الإجماع، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ)، تحقيق: د. أبي حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، طبعة: دار عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.

٢- الأخبار الطوال، لأحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، طبعة: دار إحياء الكتب العربي، وعيسىٰ البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٦٠م.

٣- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، حققه وقابله علىٰ أصوله: سمير بن أمين الزهيري، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

٤- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

(ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١، ٢٠٠٠م.

٦- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة: دار الجيل- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٧- **أُسْد الغابة**، لعلي بن أبي الكرم ابن الجزري (ت ٦٣٠هـ)، طبعة: دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٩هـ.، ١٩٨٩م.

٨- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلىٰ محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

٩- **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

١٠- **الأموال**، لابن زنجويه (ت ٢٥١هـ)، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض، طبعة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

١١- **الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، (ت ٣١٧ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبعة: دار الفلاح- الفيوم، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٢- **البدء والتاريخ**، للمطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو ٣٥٥هـ)،

طبعة: مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٣- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، لمحمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ)، تحقيق: بشير بن إسماعيل، طبعة: دار ابن رجب- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٤- **البداية والنهاية**، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م،

١٥- **بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل**، لإبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني (ت ١٠٤١هـ)، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، طبعة: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية- اليمن، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ.، ٢٠١١ م.

١٦- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، لحسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت ٩٦٦هـ)، طبعة: دار صادر- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٧- **تاريخ الطبري** (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري)، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، طبعة: دار التراث- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧ هـ.

١٨- **تفسير ابن كثير** (تفسير القرآن العظيم)، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٩- **تفسير الطبري** (جامع البيان عن تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر،

طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

٢٠- **تهذيب الأسماء واللغات**، للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢١- **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٢٢- **التوحيد وإثبات صفات الرب** عَزَّوَجَلَّ، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٣- **حاشية السندي على سنن ابن ماجه** (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، لمحمد بن عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨هـ)، طبعة: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، بدون تاريخ.

٢٤- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ.

٢٥- **الرحيق المختوم**، لصفي الرحمن المباركفوري (ت ١٤٢٧هـ)، طبعة: دار الوفاء، الطبعة: السابعة عشر، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٦- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد

السلام السلامي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٧- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية- الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٨- **سبل السلام**، محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، طبعة: دار الحديث- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٩- **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

٣٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م.

٣١- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: دار المعارف الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٣٢- **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

٣٣- **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية- مصر.

٣٤- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت.

٣٥- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسىٰ بن سَوْرة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، طبعة: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥م.

٣٦- **السنن الكبرى**، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٣٧- **سنن النسائي الصغرى**، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٨- **سنن النسائي الكبرى**، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١م.

٣٩- **سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب

الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

٤٠- **سيرة ابن إسحاق** (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، طبعة: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٤١- **سيرة ابن هشام**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفىٰ السقا، وآخرين، طبعة: مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

٤٢- **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك، وآخرين، طبعة: الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ.

٤٣- **السيرة النبوية**، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: دار ابن كثير- دمشق، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٥ هـ

٤٤- **السيرة النبوية الصحيحة**، للدكتور أكرم العمري، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة: السابعة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٤٥- **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، طبعة: دار القلم- دمشق، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٧ هـ.

٤٦- **السيرةُ النّبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث**، للدكتور علي الصلابي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.

٤٧- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٤٨- شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٩- شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، وراجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، طبعة: عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٥٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسىٰ (ت ٥٤٤هـ)، طبعة: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨م.

٥١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.

٥٢- صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفىٰ الأعظمي، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٥٣- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، ترقيم عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥٤- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت ٢٦١ هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٥٥- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

٥٦- صحيح وضعيف سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

٥٧- صحيح وضعيف سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

٥٨- صحيح وضعيف سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

٥٩- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٦٨م.

٦٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر

العسقلاني (ت ٨٥٢)، طبعة: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٦١- **الفصول في السيرة**، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، طبعة: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ..

٦٢-**فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، لمحمد سعيد رمضان البوطي، طبعة: دار الفكر- دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون، ١٤٢٦ هـ.

٦٣- **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير** (مختصر تفسير القرآن العظيم)، لأحمد محمد شاكر، طبعة: دار ابن الجوزي- القاهرة، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٦٤- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بدر الدين العيني، طبعة: المطبعة المنيرية- مصر، ١٣٤٣هـ.

٦٥- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، طبعة: دار القلم- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م.

٦٦- **غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية**، للدكتور بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م

٦٧- **الكافي**، لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

(ت ٦٢٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر- مصر، الطبعة: الاولىٰ، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.

٦٨- **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م

٦٩- **كشاف القناع عن الإقناع**، لمنصور البُهُوتي (ت ١٠٥١هـ)، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل، طبعة: وزارة العدل- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٧٠- **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، طبعة: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٧١- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، طبعة: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٧٢- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ)، طبعة: دار ابن حزم- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م

٧٣- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة: مكتبة القدسي- القاهرة،١٤١٤ بدون طبعة، هـ، ١٩٩٤ م

٧٤- **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، طبعة: الشيخ عبد الرحمن بن

قاسم، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٧٥- **المختصر في أخبار البشر**، لإسماعيل بن علي بن محمود بن محمد الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)، طبعة: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولىٰ، بدون تاريخ.

٧٦- **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠م.

٧٧- **مسند أبي يعلى الموصلي**، لأبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثُنىٰ الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة: دار المأمون- دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٧٨- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م.

٧٩- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١ م.

٨٠- **مسند البزار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٨م، ٢٠٠٩م.

٨١- **المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض**

من عربي وعجمي، لمحمد بن علي بن أحمد ابن حديدة (ت ٧٨٣هـ)، تحقيق: محمد عظيم الدين، طبعة: عالم الكتب- بيروت ، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٢- المصنف، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: المجلس العلمي- الهند، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٣- المطلع على أبواب المقنع، لمحمد بن أبي الفتح البعلي (ت ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، وياسين محمود الخطيب، طبعة: مكتبة السوادي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٨٤- المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م.

٨٥- معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، (ت ٣٨٨هـ)، طبعة: المطبعة العلمية- حلب، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢م.

٨٦- المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة: الثانية.

٨٧- مغازي الواقدي، لمحمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، طبعة: دار الأعلمي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٨٨- المغني، لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، تحقيق: د. عبد

الله بن عبد المحسن التركي، ود. محمد الحلو، طبعة: عالم الكتب- الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٨٩- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفىٰ، وعبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٩٠- **المؤتَلِف والمختَلِف**، لعلي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، طبعة: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

٩١- **نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز**، لرفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (ت ١٢٩٠هـ)، طبعة: دار الذخائر- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ..

٩٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المبارك ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٩٣- **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، لمحمد بن عفيفي الخضري (ت ١٣٤٥هـ)، طبعة: دار الفيحاء- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

تقديم فضيلة الشيخ وحيد بن عبد السلام بالي حفظه الله
مقدمة

مَبَادِئُ عِلْمِ السِّيرةِ

المبدأ الأول: الحد «التعريف»
المبدأ الثاني: موضوعه
المبدأ الثالث: ثمرته
المبدأ الرابع: فضله
المبدأ الخامس: نسبه
المبدأ السادس: استمداده
المبدأ السابع : واضعه
المبدأ الثامن : اسمه
المبدأ التاسع: حكم الشارع فيه
المبدأ العاشر: مسائله

مقدمات صاحب المتن فضيلة شيخنا وحيد بن عبد السلام بالي

مقدمةُ الطبعةِ الثانيةِ
مراحلُ دراسةِ السيرةِ
فضل النية الصالحة
النيات التي ينويها المسلم عند دراسة السيرة

مِنَ المَوْلِدِ إِلَى المَبْعَثِ

اسم النبي ﷺ

مولد النبي ﷺ

البشارات بمولد النبي ﷺ

رضاع النبي ﷺ

حادثة شق صدر النبي ﷺ

موت أم النبي ﷺ

وفاة جد النبي ﷺ

رؤية بحيراء الراهب للنبي ﷺ

حرب الفجار

حلف الفضول

زواج النبي ﷺ من خديجة

وضع النبي ﷺ الحجر الأسود

ظهور علامات النبوة

في غار حراء

الرؤيا الصادقة

فائدة: صفة رسول الله ﷺ

مِنَ البَعثَةِ إلى الهِجْرةِ

نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ

الجهر بالدعوة

تعذيب الكفار للمسلمين السابقين

اجتماعات سرية في دار الأرقم

الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة

الهجرة الثانية إلىٰ الحبشة

الهجرة الثانية إلىٰ الحبشة

إسلام حمزة، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قطيعة قريش لبني هاشم

اعتزال بني هاشم، وبني المطلب في الشعب

موت أبي طالب، وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عقد النبي ﷺ علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

زواج النبي ﷺ بسودة بنت زمعة

خروج النبي ﷺ إلىٰ الطائف

عرض النبي ﷺ نفسه علىٰ القبائل في موسم الحج

الإسراء والمعراج

بيعة العقبة الأولىٰ

بيعة العقبة الثانية

أمر النبي ﷺ الصحابة بالهجرة إلىٰ المدينة

اجتماع قريش في دار الندوة

إبليس يشارك في اتخاذ القرار

جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبر رسول الله ﷺ بالمكيدة النكراء

المهمة الكبرىٰ، والموقف الشجاع

كفار قريش ينتظرون خروج رسول الله ﷺ علىٰ باب بيته

رسول الله ﷺ يخرج من بيته، وتنعدم رؤية الكفار المتربصين به

القرآن يصف هذه المكيدة النكراء

السنة الأولى من الهجرة

الخروج للهجرة كان سرا

رسول الله ﷺ، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلان إلىٰ الغار

الكفار يصلون إلىٰ الغار

الاستعداد للخروج من الغار

سراقة بن جعشم في أثر رسول الله ﷺ

أبو جهل يهاجم آل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أبو قحافة يسأل عن المال الذي خلفه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وصول النبي ﷺ، وأبي بكر المدينة، وبناء مسجد قباء

أول جمعة يصليها النبي ﷺ في المدينة

نزول النبي ﷺ دار أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بناء المسجد النبوي، والحجرات

إسلام حبر اليهود عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هجرة بنات النبي ﷺ، وزوجته سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلىٰ المدينة

هجرة آل بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ المدينة

نسخ صلاة الحضر

أول مولود للمهاجرين في الإسلام

أول مولود للأنصار في الإسلام

وفاة كلثوم بن الهدم، وأسعد بن زرارة

تشريع الأذان

معاهدة النبي ﷺ لليهود

فائدة: تشريع الجهاد

سرية سيف البحر

فائدة: تعريف السَّرِية

سرية بطن رابغ

بناء النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

سرية سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الخرار

فائدة: لماذا لم يبعث النبي ﷺ أحدا من الأنصار في بعث قبل غزوة بدر؟

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

السَّنَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

غزوة الأبواء

غزوة بواط

غزوة بدر الأولىٰ

غزوة العشيرة

سرية جهينة

سرية نخلة

تحويل القبلة

تشريع صيام رمضان

غزوة بدر الكبرىٰ

أبو سفيان يشعر بالخطر العظيم، ويأخذ الحيطة

قريش تلبي نذير أبي سفيان، وتتجهز للخروج

انعقاد إجماع كفار قريش علىٰ الخروج لملاقاة رسول الله ﷺ

كفار قريش يستجيبون لإغراء إبليس للخروج لملاقاة رسول الله ﷺ

رسول الله ﷺ يتجهز للخروج لملاقاة كفار قريش

قوة جيش المسلمين

طريق المسلمين إلىٰ بدر

رسول الله ﷺ يستشير أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبل الخوض في المعركة

حذر أبي سفيان وهربه بالعير

أبو سفيان يرسل رسالة لأهل مكة أن ارجعوا

رجوع بني زهرة

رسول الله ﷺ يستكشف موقع كفار قريش بنفسه

رسول الله ﷺ يعاود استكشافاته لقوة كفار قريش

رسول الله ﷺ ينزل لرأي الحباب بن المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

النبي ﷺ يسبق إلىٰ الماء

بعض كفار قريش يشربون من حوض رسول الله ﷺ

المطر جند من جنود الله

النبي ﷺ تبنىٰ له خيمة بمشورة سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الكفار يتحسسون قوة المسلمين، والشقاق يدب بينهم

رسول الله ﷺ يدعو علىٰ كفار قريش حينما رآهم

أول قتيل من الكفار

بدء المبارزة بين الفريقين

أبو جهل يستفتح بالدعاء

التقاء الفريقين

الملائكة تقاتل مع المسلمين

إبليس يفر من أرض المعركة

مقتل عدو الله أبي جهل

قتلىٰ كفار قريش يلقون في البئر

المسلمون يرجعون إلىٰ المدينة

عدد شهداء غزوة بدر

قريش تتلقىٰ نبأ الهزيمة

فرض زكاة الفطر، والزكاة ذات النصب

وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

قتل عصماء بنت مروان اليهودية

أول صلاة عيد في الإسلام

قتل أبي عفك اليهودي

غزوة الكُدْر

هجرة زينب بنت رسول الله ﷺ

زواج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفاطمة بنت رسول الله ﷺ

إسلام عمير بن وهب الجمحي

إجلاء يهود بني قينقاع عن المدينة

سبب جلاء يهود بني قينقاع عن المدينة

حصار رسول الله ﷺ ليهود بني قينقاع

شفاعة عبد الله بن أبي في يهود بني قينقاع

جلاء يهود بني قينقاع من المدينة

غزوة السويق

أول من مات من المهاجرين بالمدينة

كتابة المعاقل

عيد الأضحىٰ

السَّنَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

غزوة نجد

قتل كعب بن الأشرف اليهودي

عقد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

غزوة الفرع من بحران

سرية القردة

زواج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

زواج النبي ﷺ من زينب بنت خزيمة

مولد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

غزوة أحد

قريش تجتمع علىٰ حرب رسول الله ﷺ

التخطيط لقتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رسول الله ﷺ يرىٰ رؤيا

رسول الله ﷺ يستشير أصحابه في الخروج لصد عدوان المشركين

رسول الله ﷺ يتفقد الجيش

زعيم المنافقين عبد الله بن أبي يرجع بثلث الجيش

رسول الله ﷺ ينزل بالشعب، ويتجهز للقتال

الأوامر المشددة للرماة

تجهز قريش للقتال

عصابة الموت

دور نسوة قريش في المعركة

أبو دجانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفي بشرط رسول الله ﷺ

مقتل سيد الشهداء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مقتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل الراية، ويقتل حامل راية المشركين

مقتل حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غسيل الملائكة

المسلمون ينتصرون

سبب الهزيمة التي وقعت بالمسلمين

الكفار يصلون إلىٰ رسول الله ﷺ

سبعة من الأنصار يُقتلون دفاعا عن رسول الله ﷺ

زياد بن السكن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشارك في الدفاع عن رسول الله ﷺ

دفاع أبي دجانة، وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ

أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث المسلمين علىٰ القتال

الملائكة تدافع عن رسول الله ﷺ

نساء المسلمين يشاركن في المعركة

أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة

مقتل عدو الله أُبي بن خلف

وصول رسول الله ﷺ إلىٰ الشعب

نفر من قريش يصعدون علىٰ الجبل، والمهاجرون يقاتلونهم

هند بنت عتبة تمثل بالقتلىٰ من المسلمين

أبو سفيان يشمت بالمسلمين

أبو سفيان يتوعد المسلمين العام المقبل

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتتبع آثار المشركين

رسول الله ﷺ يسأل عن سعد بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رسول الله ﷺ يجمع الشهداء

رسول الله ﷺ يبحث عن عمه حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عدد القتلىٰ من الفريقين

غزوة حمراء الأسد

جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يستأذن في الخروج بعد مقتل أبيه في أحد

استماتة المسلمين في نصرة رسول الله ﷺ

خروج رسول الله ﷺ إلىٰ حمراء الأسد

دور معبد الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تخذيل الكفار عن رسول الله ﷺ

مدة إقامة النبي ﷺ بحمراء الأسد

أبو سفيان يرسل رسالة إلىٰ رسول الله ﷺ

زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

تشريع الحجاب

تحريم الخمر

سرعة امتثال أصحاب رسول الله ﷺ

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

سرية أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ طليحة الأسدي

سرية عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خالد بن سفيان الهذلي

سرية الرجيع

سرية بئر معونة

سرية عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان

إجلاء يهود بني النضير عن المدينة

وفاة أبي سلمة المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وفاة عبد الله بن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

غزوة بدر الآخرة

مولد الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

زواج النبي ﷺ من أم سلمة بنت أبي أمية

زيد بن ثابت يتعلم لغة يهود

رجم رسول الله ﷺ لليهودي واليهودية

السَّنَةُ الخَامِسَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

غزوة دومة الجندل

وفد مزينة

وفاة أم سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

غزوة بني المصطلق

زواج النبي ﷺ من جويرية بنت الحارث

حادثة الإفك

غزوة الأحزاب

سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير علىٰ رسول الله ﷺ بحفر خندق

حال المنافقين، والمؤمنين أثناء حفر الخندق

ما حدث لرسول الله ﷺ من المعجزات أثناء حفر الخندق

خروج رسول الله ﷺ من المدينة، وتحصنه بالجبل

بنو قريظة ينقضون عهد رسول الله ﷺ

رسول الله ﷺ يتحرىٰ عن نقض بني قريظة للعهد

حصار المشركين للرسول ﷺ، وعبور نفر منهم الخندق

رسول الله ﷺ يدعو علىٰ الكفار

رسول الله ﷺ يستشير أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ مصالحة غطفان

دور نعيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هزيمة المشركين

الله عَزَّوَجَلَّ يرسل ريحا علىٰ المشركين

رسول الله ﷺ يرسل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليأتيه بخبر المشركين

أبو سفيان ينادي بالرحيل

رسول الله ﷺ والمسلمون يرجعون إلىٰ المدينة

غزوة بني قريظة

خروج رسول الله ﷺ إلىٰ بني قريظة مؤيدا بموكب من الملائكة عليهم السلام

حصار رسول الله ﷺ لبني قريظة

بنو قريظة يطلبون من رسول الله ﷺ أبا لبابة؛ ليستشيروه

نزول بني قريظة علىٰ حكم رسول الله ﷺ، وتحكيم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تنفيذ الحكم علىٰ بني قريظة، وعدد القتلىٰ

قسمة رسول الله ﷺ لفيء بني قريظة

وفاة سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي

وفد ربيعة عبد القيس

وفد أشجع

سباق النبي ﷺ بين الخيل

زلزلت المدينة

السَّنَةُ السَّادِسَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

سرية القرطاء

تسري رسول الله ﷺ بريحانة

سرية الغمر

كانت سرية القصة

سرية أخرىٰ إلىٰ ذي القصة

سرية بني سليم بالجموم

سرية العيص

غزوة بني لحيان

سرية الطرف

سرية حسمىٰ

سرية وادي القرىٰ

سرية دومة الجندل

سرية بني سعد بن بكر بفدك

سرية أم قرفة

صلاة الاستسقاء

سرية عبد الله بن أبي رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أسير بن زارم اليهودي

سرية كرز بن جابر الفهري إلىٰ العرنيين

سرية الخبط

وفد عبس

سرية بني عبس

صلح الحديبية

قريش تسمع بمقدم رسول الله ﷺ، وتتجهز لملاقاته

رسول الله ﷺ يستشير أصحابه

رسول الله ﷺ يتجنب قتال قريش

بديل بن ورقاء ورجال من خزاعة رسل بين رسول الله ﷺ، وقريش

رسول الله ﷺ يرسل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سفيرا لقريش

قريش ترسل نفرا للعدوان علىٰ رسول الله ﷺ، وإشاعة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بيعة الرضوان

عقد الصلح

بنود الصلح

أبو جندل بن سهيل يأتي رسول الله ﷺ بقيوده من مكة

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينكر الصلح

رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالنحر، والحلق

رسول الله ﷺ يأبىٰ رد النساء المؤمنات المهاجرات

رسول الله ﷺ يبطل عقيدة المشركين بأن المطر ينزل بواسطة النجم

مجيء أبي بصير إلىٰ رسول الله، وبه تنفك أزمة المستضعفين

بعض الحكم التي تضمنها صلح الحديبية

نزول سورة الفتح علىٰ رسول الله ﷺ

تشريع الحج

تحريم المسلمات علىٰ المشركين

رسول الله ﷺ يرسل كتبا إلىٰ ملوك العالم يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام

١-كتابه ﷺ إلىٰ ملك الروم «هرقل»

٢-كتابه ﷺ إلىٰ ملك فارس «كسرىٰ»

٣-كتابه ﷺ إلىٰ ملك الحبشة «النجاشي»

٤-كتابه ﷺ إلىٰ ملك القبط «المقوقس»

٥-كتابه ﷺ إلىٰ عامل البحرين «المنذر بن ساوىٰ»

كسوف الشمس

تشريع حكم الظهار

تعريف الظهار

وفد جذام

السَّنةُ السَّابِعَةُ للهِجْرَةِ

رد النبي ﷺ ابنته زينب علىٰ أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول

غزوة ذي قرد

زواج النبي ﷺ بأم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

غزوة خيبر

خروج رسول الله ﷺ إلىٰ خيبر

غطفان تسعىٰ لمنع رسول الله ﷺ من غزو خيبر

دعاء رسول الله ﷺ عندما أشرف علىٰ خيبر

فزع يهود خيبر وفرارهم عند رؤية جيش المسلمين

حصون خيبر

تسليم النبي ﷺ الراية لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بدء الحصار، ومقتل عامر بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

افتتاح حصون خيبر

قتل مرحب ملك اليهود علىٰ يد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قتل ياسر أخي مرحب علىٰ يد الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يهود خيبر يطالبون النبي ﷺ بالجلاء

كثرة غنائم خيبر

عدد القتلىٰ من الفريقين

رجوع رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة

تحريم لحوم الحمر الأهلية

الحكمة من تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية

قدوم جعفر بن أبي طالب علىٰ رسول الله ﷺ، ومن معه من

مهاجري الحبشة

قدوم أبو هريرة مسلما

زواج رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي

سرية أبان بن سعيد بن العاص قبل نجد

الشاة المسمومة

هدية المقوقس

مصالحة أهل فدك

فتح وادي القرىٰ

مصالحة يهود تيماء

نوم رسول الله ﷺ، وأصحابه عن صلاة الفجر في مرجعهم من خيبر

احتيال الحجاج بن علاط السلمي علىٰ مشركي مكة

غزوة ذات الرقاع

كيفية صلاة الخوف

تشريع التيمم

متىٰ يكون التيمم؟

كيفية التيمم

شراء النبي ﷺ جمل جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

سرية بني عبد بن ثعلبة

سرية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ نجد

سرية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ تربة

سرية بشير بن سعد إلىٰ بني مرة

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلىٰ بني مرة، وقصة قتل أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للرجل بعد أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله

سرية يمن وجبار

عمرة القضاء

زواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلىٰ بني سليم

إسلام عمران بن حصين وأبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

السَّنَةُ الثَّامِنَةُ مِنَ الهِجْرَةِ

إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

سرية بني الملوح بالكديد

سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضا إلىٰ فدك

سرية شجاع بن وهب الأسدي بني عامر بالسي

سرية ذات أطلاح

سرية زيد بن حارثة إلىٰ مدين

سرية مؤتة

تجهز الجيش الإسلامي للخروج

تحرك الجيش الإسلامي، وانعقاد المجلس الاستشاري

التقاء الجيشين

رسول الله ﷺ يحدث المسلمين بما وقع في أرض المعركة قبل مجيئهم إليه

وصول الجيش الإسلامي إلىٰ المدينة

حزن النبي ﷺ علىٰ مقتل جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سرية ذات السلاسل

تيمم عمرو بن العاص، وصلاته بالناس إماما

وفد سليم

سرية خضرة

سرية الغابة

نقض قريش لعهدها مع رسول الله ﷺ

مجيء أبي سفيان بن حرب؛ ليجدد العهد مع رسول الله ﷺ

إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم

سرية أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ إضم

خروج رسول الله ﷺ بجيشه من المدينة لفتح مكة

رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالتجهز للخروج إلىٰ مكة

رسول الله ﷺ يخرج إلىٰ مكة صائما

مجيء العباس بن عبد المطلب بعياله من مكة مهاجرا إلىٰ المدينة

إسلام مخرمة بن نوفل، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أمية

وفاة مغفل بن عبد نهم المزني

إفطار رسول الله ﷺ في رمضان في طريقه لفتح مكة

رسول الله ﷺ ينزل بمر الظهران

تجسس قريش أخبار المسلمين

إسلام أبي سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء

تحذير أبي سفيان أهل مكة

دخول رسول الله ﷺ مكة

سفهاء قريش يتجمعون؛ لقتال رسول الله ﷺ

قريش تحاول منع رسول الله ﷺ عن دخول مكة

رسول الله ﷺ يدخل المسجد الحرام ويهدم الأصنام

رسول الله ﷺ يدخل الكعبة

رسول الله ﷺ يصلي في الكعبة

رسول الله ﷺ يخطب في قريش

مفتاح الكعبة

أذان بلال فوق الكعبة لأول مرة، وإسلام عتاب بن أسيد، والحارث بن هشام

رسول الله ﷺ يصلي صلاة الفتح في بيت أم هانئ

رسول الله ﷺ يأمر بقتل جماعة من المشركين

خطبة الفتح

تخوف الأنصار من بقاء رسول الله ﷺ في مكة

محاولة خاسرة لاغتيال رسول الله ﷺ

إسلام صفوان بن أمية

إسلام عكرمة بن أبي جهل

إقامة النبي ﷺ بمكة

رسول الله ﷺ يأمر بتكسير الأصنام

هدم العزىٰ

هدم سواع

هدم مناة

سرية خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة

غزوة حنين

قائد الجيوش مالك بن عوف يستنكر رأي دريد، ويهدد بالانتحار إذا لم تستجب له هوازن

الملائكة، وجواسيس مالك بن عوف

رسول الله ﷺ يرسل ابن أبي حدرد؛ ليأتيه بخبر هوازن

رسول الله ﷺ يستعير سلاح رجل مشرك

رسول الله ﷺ يخرج بالجيش إلىٰ هوازن

في الطريق إلىٰ هوازن

جيش هوازن يفاجئ الجيش الإسلامي، وفرار المسلين

رسول الله ﷺ يدعو أصحابه بالثبات

العباس يصرخ في الأنصار بالرجوع

سرية أوطاس

هدم الصنم ذي الكفين

في الطريق لحصار الطائف

أول قصاص في الإسلام

غزوة الطائف

في حصار الطائف

رفع الحصار عن الطائف

قدوم وفد هوازن علىٰ رسول الله ﷺ مسلمين

توزيع الغنائم

ذو الخويصرة يتهم النبي ﷺ بعدم العدل في توزيع الغنائم

حزن بعض الأنصار؛ لعدم إعطائهم من غنائم حنين

مجيء الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة أسيرة

اعتمار رسول الله ﷺ من الجعرانة

سرية صداء

وفد صداء

شأن فاطمة بنت الضحاك الكلابية

مولد إبراهيم ابن النبي ﷺ

مولد أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ

عمل منبر رسول الله ﷺ

سودة أم المؤمنين تهب يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

حج عتاب بن أسيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالناس

إسلام كعب بن زهير

وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ

إرسال عمرو بن العاص إلىٰ جيفر وعمرو ابني الجلندىٰ

التسعير علىٰ عهد رسول الله ﷺ

نزول سورة النصر

وفد ثعلبة

وفد ثمالة، والحدان

السَّنةُ التَّاسِعَةُ للهِجْرَةِ

سرية عيينة بن حصن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ بني تميم، ونزول سورة الحجرات

إرسال عبد الله بن عوسجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ بني حارثة بن عمرو

سرية قطبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ خثعم

وفد عذرة

سرية بني كلاب بالقرطاء

وفد بلي

سرية علقمة بن مجزز المدلجي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الأحباش

هدم الفلس صنم طيئ

سرية عكاشة بن محصن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الجناب

وفد كنانة علىٰ رسول الله ﷺ

تحريق بيت سويلم اليهودي

غزوة تبوك

رسول الله ﷺ يأمر بالتجهز للغزو

الأشعريون يطالبون رسول الله ﷺ ما يحملهم عليه

بكاء بعض الصحابة؛ لعدم وجود ما يحملوا عليه

شأن المنافقين قبل الخروج لتبوك

شأن أصحاب الأعذار

رسول الله ﷺ يترك عليا بالمدينة

عدد جيش المسلمين

أبو خيثمة يلحق بالنبي ﷺ

مرور النبي ﷺ ببئر ثمود

تخلف بعض المسلمين في أثناء الطريق

أبو ذر يمشي وحده

الله عَزَّوَجَلَّ يخبر نبيه ﷺ بمكان ناقته

استسقاء رسول الله ﷺ، ونزول المطر

تخذيل جماعة من المنافقين، والقرآن يفضحهم

بئر تبوك تفور بالماء ببركة دعاء رسول الله ﷺ

الجيش الإسلامي يعسكر بتبوك، وهروب جيش الرومان

مجيء يحنة بن رؤبة إلىٰ رسول الله ﷺ

مجيء أهل جرباء وأذرح إلىٰ رسول الله ﷺ

أسر خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أكيدر ملك دومة

صلاة رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

وفاة ذي البجادين

محاولة المنافين لقتل رسول الله ﷺ

تحريق مسجد الضرار

استقبال الناس لرسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك

تخلف كعب بن مالك وصاحباه عن غزوة تبوك، وتوبتهم

سرية خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ خثعم

نعي النجاشي، وصلاة الغائب

إسلام عروة بن مسعود الثقفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

وفد ثقيف

هدم اللات

تأمير عثمان بن أبي العاص علىٰ الطائف

وفد رسول ملوك حمير

موت رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول

حجة أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالناس بأمر رسول الله ﷺ

بعث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الحج؛ ليقرأ علىٰ الناس ﴿بَرَآءَةٌ﴾

وفاة أم كلثوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بنت رسول الله ﷺ

وفاة سهيل ابن البيضاء الفهري

مقتل ملك الفرس، وتمليك ابنته (بوران)

إرسال رسول الله ﷺ عماله علىٰ الصدقات

إسلام ضمام بن ثعلبة علىٰ رسول الله ﷺ

وفد بني أسد

وفد الداريين

وفد بهراء علىٰ رسول الله ﷺ

وفد بني البكاء

وفد بني فزارة

وفد ثعلبة بن منقذ

وفد سعد هذيم

وفد مرة

وفد كلاب

وفد تجيب

إيلاء النبي ﷺ من نسائه

لاعن عويمر العجلاني

سرية خالد بن سعيد بن العاص إلىٰ اليمن

السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلهِجْرَةِ

سرية خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني الحارث بن كعب

وفد الحارث بن كعب

إسلام عدي بن حاتم الطائي

وفد خولان

وفد غامد

اعتكاف رسول الله ﷺ عشرين يوما، وعرض القرآن علىٰ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وفد غسان

سرية علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن

إسلام جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

سرية علي بن أبي طالب إلىٰ اليمن المرة الثانية

وفد سلامان

وفد قشير بن كعب

وفد الرهاويين

حجة الوداع

قدوم علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من نجران إلىٰ مكة؛ ليحج مع النبي ﷺ

نزول قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]

موت سعد بن خولة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمكة

إدعاء مسيلمة الكذاب النبوة

وفد الأزد

وفد زبيد

إسلام فروة بن مسيك المرادي

وفد عبد القيس القدمة الثانية

وفد بني حنيفة

محاولة لقتل رسول الله ﷺ

وفد طيئ

قدوم وبر بن يحنس

فائدة: من هم الأبناء؟

إسلام ملك اليمن

وفد كندة

وفد محارب

نزول حكم الاستئذان

وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ

صلاة الكسوف يوم موت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

إسلام أحد أمراء الروم

وفد عنس

وفد الصدف

مبعث أبي موسىٰ ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن

سرية رعية السحيمي

وفد بجيلة

السَّنَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلهِجْرَةِ

اشتداد فتنة الأسود العنسي في اليمن

وفد النخع

تأمير أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لغزو الروم

اشتداد المرض علىٰ رسول الله ﷺ

صلاة النبي ﷺ بالمسلمين جالسا في آخر حياته

مقتل الأسود العنسي

وفاة رسول الله ﷺ

مبايعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الخلافة

تكفين رسول الله ﷺ

دفن رسول الله ﷺ

وفاة فاطمة بنت رسول الله ﷺ

مدة حياة النبي ﷺ في مكة والمدينة.

غزوات الرسول ﷺ

سرايا الرسول ﷺ

أمراؤه ﷺ

كتاب النبي ﷺ

رسله ﷺ إلىٰ ملوك الأرض

الوفود التي وفدت علىٰ رسول الله ﷺ

مؤذنو رسول الله ﷺ

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

سراري النبي ﷺ

فائدة: الفرق بين السرية وملك اليمين

أولاد النبي ﷺ

أعمامه وعماته ﷺ

المصادر والمراجع

محتويات الكتاب

* * *

كتب للمؤلف

١. التوثيق لبداية المتفقه.
٢. جني الثمار شرح صحيح الأذكار.
٣. اللآلئ البهية شرح صحيح الآداب الإسلامية.
٤. سِمْط اللآلي في الاختيارات الفقهية للشيخ وحيد بن بالي.
٥. البداية في علوم البلاغة.
٦. البداية المختصرة في علم المواريث.
٧. هداية الوريث شرح بداية المواريث.
٨. البداية في مبادئ العلوم الشرعية.
٩. كيف تحسب زكاة مالك ؟
١٠. فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي.
١١. فتح الرب الحميد شرح كتاب التوحيد.
١٢. حصول المنة بشرح أصول السنة للإمام أحمد.
١٣. حرز الأماني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.
١٤. تمام المنة علىٰ شرح السنة للإمام المزني.
١٥. الكلمات السديدة شرح البداية في العقيدة.
١٦. الهداية الرشيدة شرح البداية في العقيدة.

١٧. الكفاية في شرح البداية في أصول الفقه.
١٨. التجارة الالكترونية في ميزان الشريعة الإسلامية.
١٩. التسويق الشبكي من وجهة نظر إسلامية.
٢٠. فتح المنان شرح أصول الإيمان.
٢١. تهذيب كتاب أصول الإيمان.
٢٢. القول السديد شرح تفسير كلمة التوحيد.
٢٣. الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد.
٢٤. أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات.
٢٥. التقريرات السنية علىٰ المنظومة الرحبية.
٢٦. الدرر البهية شرح العقيدة الواسطية.
٢٧. القول الأبلغ علىٰ القواعد الأربع.
٢٨. الشرح المأمول علىٰ ثلاثة الأصول.
٢٩. التوضيحات الجلية للمصطلحات الكونية والشرعية (مطبوع ملحقا بكتاب «فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي»).
٣٠. إعلام الأنام بشرح نواقض الإسلام.
٣١. التحفة السنية شرح الأربعين النووية.
٣٢. التعليقات المرضية علىٰ المنظومة اللامية.
٣٣. الكواكب الدرية علىٰ منظومة القواعد الفقهية.
٣٤. غاية المأمول من معارج القبول.
٣٥. شرح الجامع لعبادة الله وحده.

٣٦. حصول المأمول بشرح ستة الأصول.

٣٧. حاشية علىٰ منهج العقيدة للمبتدئين.

٣٨. الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

٣٩. تحفة الأبرار في الخطب القصار.

٤٠. خزينة الأسرار في طريق الأبرار.

٤١. البِنَايةُ في شرح البداية في علوم البلاغة.

٤٢. الإيمان عند السلف.

٤٣. تحقيق كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤٤. حكم اعتماد الخطيب علىٰ العصا والقوس والسيف أثناء خطبة الجمعة.

٤٥. السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي.

٤٦. الفرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي الذي جرىٰ عليه العرف.

٤٧. علم المصطلح في الحديث دراسة تطبيقية «صحيح البخاري» أنموذجا.

٤٨. علم المصطلح وتعريفه في القرآن كما ظهر عند السيوطي في الإتقان.

٤٩. نشأة وتطور علم مصطلح الحديث.

٥٠. أحكام الوصية الواجبة.

٥١. ردود القرآن علىٰ كفار قريش في بعض دعاويهم.

٥٢. رحلة الحجيج من البداية إلىٰ النهاية.

٥٣. هل البسملة آية من كتاب الله ؟

٥٤. الشيعة (مطبوع ملحقا بكتاب «الكلمات السديدة شرح البداية في العقيدة»).

٥٥. العذر بالجهل (مطبوع ملحقا بكتاب «أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات»).

٥٦. الخليل بن أحمد ومنهجه في كتاب «العين».

٥٧. مباحث حول مسألة «نزع الخافض».

٥٨. إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية.

❊ ❊ ❊